جامعة أم القرى مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة
قسم الحضارة والنظم الإسلامية

٧-٤-٠٠٠٠٠٢-١٠-٣

عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي

٦٤٨ - ٩٢٣هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية

إعداد
الطالب محمد هزاع الشهري

إشراف
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الرسالة

محتويات الرسالــــة

الموضوع	الصفحة
- شكر وتقدير	ج
- نطاق البحث وتحليل المصادر	خ
١ - أقسام البحث ومنهجه	ز
٢ - نقد المصادر والمراجع	ط
- المقدمة	
• دور المسجد النبوى فى تخطيط المساجد الجامعة فى صدر الاسلام .	١
- الفصل الأول : عمارة المسجد النبوى قبل العصر المملوكى .	
• المبحث الأول : المسجد النبوى فى عهد النبى (ص) :	١٤
١ - المراحل الأولى لبناء المسجد النبوى .	٢١
٢ - تخطيط المسجد النبوى وبناؤه .	٢٦
٣ - المسجد النبوى بعد تحويل القبلة .	٣٦
٤ - الزيادة الرابعة للمسجد النبوى سنة ٧ هـ .	٤٩
٥ - تقييم المخططات التى وصفت عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول .	٥٥
٦ - معالم المسجد النبوى فى عهد الرسول عليه السلام .	٦١
٧ - منبر الرسول صلى الله عليه وسلم .	٧٥
• المبحث الثانى : عمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الراشدين .	
١ - زيادة عمر بن الخطاب فى المسجد سنة ١٧ هـ .	٨٢
٢ - زيادة عثمان بن عفان سنة ٢٩ هـ .	٩٥
• المبحث الثالث : عمارة المسجد النبوى فى الدولة الأموية .	
١ - المسجد فى أوائل الدولة الأموية .	١٠٧
٢ - زيادة الوليد بن عبد الملك وأسبابها .	١٠٩
٣ - العناصر المعمارية الجديدة فى عمارة الوليد :	١٢٤
أ - المحراب المجوف .	١٢٤
ب - المنارات .	١٢٦
جـ - الشرافات .	١٢٩

الموضوع	الصفحة

٤ - نقوش المسجد وزخرفته :

أولا - الأشرطة الكتابية . ١٣٤

ثانيا - مكعبات الفسيفساء . ١٤٠

ثالثا - تذهيب السقف . ١٤٦

. المبحث الرابع : عمارة المسجد النبوى فى الدولة العباسية :

١ - المسجد فى أوائل الدولة العباسية . ١٥٢

٢ - زيادة المهدى وأسبابها . ١٥٦

٣ - مقدار زيادة المهدى . ١٦٣

٤ - نقوش المسجد وزخرفته . ١٦٩

أ - نقوش صحن المسجد . ١٧٢

ب - نقوش مقدم المسجد . ١٧٥

جـ - نقوش الجدار الشرقى من المسجد . ١٧٦

د - نقوش جدار مؤخرة المسجد . ١٧٩

هـ - نقوش الجدار الغربى من المسجد . ١٨١

٥ - المسجد النبوى فى أواخر الدولة العباسية . ١٨٦

- الفصل الثانى : عمارة المسجد النبوى فى عصر المماليك البحرية :

مقدمة : نار الحجاز وما قيل عن علاقتها بحريق المسجد النبوى الأول سنة ٦٥٤ هـ . ١٩٦

. المبحث الأول : الحريق الأول للمسجد النبوى سنة ٦٥٤ هـ

١ - أسباب الحريق ٢٠٤

٢ - آثار الحريق ٢٠٦

٣ - موقف أهل المدينة من الحريق ٢١٠

. المبحث الثانى : عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ .

أولا - أعمال الخليفة العباسى المستعصم بالله فى سنة ٦٥٥ هـ . ٢١٤

ثانيا - عمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ (فى عهد نور الدين أيبك ، ويوسف بن رسول ، وسيف الدين قطز) . ٢١٩

الموضوع	الصفحة
ثالثا - عمارة الظاهر بيبرس	
١ - أعمال بيبرس فى المسجد النبوى	٢٢٤
٢ - صفة العمارة التى أتمها الظاهر بيبرس	٢٣٠
أ - سقوف المسجد وجدرانه	٢٣٠
ب - منبر المسجد الشريف	٢٣٥
جـ - منارات المسجد	٢٣٩
د - درابزين الحجرة الشريفة	٢٤٢
هـ - فرش المسجد	٢٤٥
رابعا - أعمال الملك المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد	
١ - أعمال الملك المنصور قلاوون	٢٥١
٢ - أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون	٢٥٦
أ - تسقيف الروضة الشريفة سنة ٧٠١ هـ	٢٥٧
ب - تجديد سقفى الرواقين الشرقى والغربى سنة ٧٠٥ - ٧٠٦ هـ	٢٦١
جـ - بناء منارة باب السلام سنة ٧٠٦ هـ	٢٦٤
د - زيادة بلاطتى رواق القبلة سنة ٧٢٩ هـ	٢٦٨
هـ - تحصين الحجرة الشريفة بالرصاص	٢٧٣
خامسا - عمارة المسجد النبوى فى أواخر عصر المماليك البحرية	٢٨١
- الفصل الثالث : عمارة المسجد النبوى فى عصر المماليك الجراكسة ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ .	
المبحث الأول : الأعمال المعمارية فى المسجد النبوى قبل الأشرف قايتباى	٢٨٤
المبحث الثانى : عمارة الأشرف قايتباى الأولى فى المسجد النبوى سنة ٨٨١ هـ	٣٠٥
أ - تجديد الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ هـ	٣٢١
ب - وصف القبة المحدثة فوق الحجرة الشريفة	٣٣٢
المبحث الثالث: عمارة الأشرف قايتباى الثانية فى المسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ	٣٣٩
أ - حريق سنة ٨٨٦ هـ وأثره على عمارة المسجد الشريف	٣٣٩

الموضوع	الصفحة
ب ـ الأجزاء السليمة من العمارة السابقة	٣٥٠
جـ ـ صفة عمارة قايتباى الثانية	٣٥٣
المبحث الرابع : ما تبقى من عمارة وأثاث المسجد الشريف فى العصر المملوكى	٣٨٤
أولا ـ بقايا عمارة الأشرف قايتباى	٣٨٤
أ ـ الحجرة الشريفة وقبتها	٣٨٤
ب ـ المنارة الرئيسية	٣٨٨
جـ ـ المحرابان النبوى والعثمانى	٣٨٩
ثانيا ـ ما تبقى من أثاث المسجد النبوى فى العصر المملوكى	
أ ـ منبر الأشرف قايتباى الموجود الآن فى مسجد قباء	٣٩٢
ب ـ كنوز الحجرة الشريفة	٣٩٧
(١) شمعدان الأمير جانى بك	٤٠٤
(٢) شمعدان السلطان قايتباى	٤٠٩
ـ الخاتمة	٤١٤
ـ قائمة المصادر والمراجع	٤٢١
ـ فهرس الأشكال والصور	

شكر وتقدير

شكر وتقدير

الحمد لله الذى جعل على كل خير معين ، وأشكره جلت قدرته على توفيقه لى بأتمام هذا البحث الذى ابتغيت به خدمة الأرض الطيبة الطاهرة ، مثوى الرسول صلى الله علي وسلم ومهبط الوحى الأمين .

وأتوجه بالشكر والتقدير الى سعادة **الدكتور عبد الرحمن فهمى** رئيس قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، والمشرف على هذا البحث ، الذى أفادنى بعلمه الغزير ونصائحه البناءة وكتبه المفيدة ، وأسأل المولى عز وجل أن يضاعف له أجر هذا العمل المفيد .

كما أهدى الشكر خالصا لسعادة **الدكتور محمد سعد الرشيد** عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية سابقا ، لما أولاه من عناية واهتمام حيال هذا البحث منذ كان فكرة حتى تم تسجيله .

ثم لعميد الكلية سابقا سعادة **الدكتور عليان الحارثى** الذى تابع جهود سلفه فى خدمة العلم وطلابه ، كما أقدم الشكر ذاته لسعادة عميد الكلية فى الوقت الحاضر سعادة **الدكتور على عباس الحكمى** ، فأسأل الله عز وجل أن يثيبهم عنا أحسن الثواب.

كما أقدم الشكر والثناء الى سعادة **الدكتور حسام الدين السامرائى** الذى أعطانى ابان السنة المنهجية بعنايته وقدم لى من وافر علمه وخبرته الشىء الكثير .

وفى الختام أقدم الشكر والأمتنان الى القائمين على مركز البحث العلمى التابع لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة وعلى رأسهم سعادة

الدكتور ناصر سعد الرشيد والى القائمين على مكتبة الحرم المكى الشريف بمكة المكرمة ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وغير ذلك من المراكز العلمية خارج المملكة كدار الكتب المصرية بالقاهرة والمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة الأوقاف بحلب والمكتبة السليمانية بأسطنبول ، والى كل من أسهم فى انجاز هذا البحث بفكرة أو نصيحة أقدم الشكر والتقدير ومن الله أسأل الثواب للجميع .

محمد هزاع الشهرى

نطاق البحث وتحليل المصادر

نطاق البحث وتحليل المصادر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعد . فقد رأيت من الواجب على وأنا أبحث فى السنة المنهجية - التى يجب أن يقدم الطالب فى نهايتها تقريرا وافيا عن الموضوع الذى يختاره لبحثه - أن يحقق البحث هدفين متميزين عن بقية الأهداف المرجوة من ورائه .

أولاهما - أن يكون وثيق الصلة بميولى النفسية التى طالما قرأت وسمعت أن ذلك من أقوى العوامل التى تقف وراء نجاح كثير من الطلاب فى بحوثهم أو اخفاقهم فيها . وقد تأكد لى من خلال هذا البحث مدى الارتباط القوى بينى وبين موضوعه .

ثانيهما - أن يكون وثيق الصلة بالأرض المقدسة التى أعيش عليها وأنعم بفضلها طمعا منى فى معرفة المزيد من خفايا تاريخها المشرق ، ووفاءا لبعض الواجب علىّ حيالها ، لاسيما وأن البحوث العلمية المقدمة عن تاريخها وحضارتها لا تزال فى مراحلها المبكرة .

وايمانا منى بأهمية الهدفين المذكورين فقد عملت على تحقيقهما فيما أختاره من موضوع للرسالة التى أتقدم بها لنيل درجة الماجستير من قسم الحضارة والنظم الاسلامية . وكان أول هذه الموضوعات " أشراف الحجاز وموارد هم المالية فى العصر المملوكى " الا أن أحد الأساتذة أكد لى أن أحد الباحثين فى مرحلة الماجستير قد تناول جانبا من هذا الموضوع بالبحث والدراسة المستفيضة . وقد تأكد لى ذلك عند مراجعتى للرسالة المطبوعة بعنوان " العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك " فصرفت العزم عنه الى موضوع آخر له صلة بعمارة المسجد الحرام ونقوشه الكتابية ، الا أن فوز احدى الطالبات بتسجيل هذا الموضوع قد صرفنى عنه أيضا ، خاصة

وأن الجانب المهم من هذا الموضوع قد شملته الدراسة القيمة التى قام بها الطالب محمد الفعر المحاضر بقسم الحضارة والنظم الاسلامية حاليا تحت اشراف الدكتور عبد الرحمن فهمى ، وحيال هذا بدأت التفكير فى موضوع عمارة المسجد النبوى الشريف ، لأنه قد تبين لى فى مراحل دراستى أن هناك اختلافا كبيرا فى حدود المسجد النبوى الشريف الأول ومقدار الزيادات التى طرأت عليه فى عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، ومدى زيادة الوليد والمهدى العباسى ، خاصة وأن كثيرا من الكتاب والباحثين اعتادوا أن يتخذوا من عمارة المسجد النبوى الشريف مدخلا الى دراسة الآثار الاسلامية دون التعمق فى دراسة المراحل المختلفة التى مرت بها عمارة هذا المسجد الشريف . هذا فضلا عن كثرة ما تعرض له هذا الموضوع من مزاعم لا أساس لها من الصحة ، وجدت سبيلها الى كثير ممن كتبوا فى العمارة الاسلامية ناقلين عن بعض المستشرقين ، مما يفصح عن جهل بأهداف ومبادىء الدين الاسلامى الحنيف ، وسوء دراية بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام . هذا عدا ما قيل عن المنبر والمحراب وغيرهما من العناصر المعمارية التى كان المسلمون يستحدثونها عندما يرون لوجودها ضرورة .

وبعد قراءات مبدئية واستشارات متعددة تبين لى أن المعلومات المتوفرة عن عمارة المسجد النبوى الشريف حتى نهاية العصر المملوكى تمكّن من اعداد دراسة جادة تحقق ما أهدف اليه . لذلك بدأت فى جمع المعلومات الأولية مما ساعد فى وضع الخطة المبدئية ، وقد أقرها السادة أعضاء مجلس قسم الدراسات العليا على أن يكون موضوع البحث " عمارة المسجد النبوى الشريف فى العصر المملوكى " اذ سبق للأستاذ محمد الوكيل أن تقدم لجامعة الأزهر سنة ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م ببحث بعنوان " المسجد النبوى فى صدر الاسلام " وقد أكد لى سعادة الدكتور عبد الرحمن

فهمى الذى أختير مشرفا على الرسالة عند عرض الموضوع على سعادته بأن المسجد النبوى الشريف لا يزال يحتفظ بكثير من النقوش الكتابية وبعض قطع الأثاث المعدنى من العصر المملوكى ، وأنها فى مجموعها يمكن أن تشكل جانبا مهما من الرسالة المقترحة وبناء على ذلك أخذت فى جمع المادة العلمية ولم ألبث أن تبين لى أن الدراسة التى قام بها سعادة الأستاذ محمد الوكيل لم تشمل الا جانبا من تاريخ المسجد النبوى الشريف فى صدر الاسلام ، وأن الموضوع لا يزال بحاجة الى دراسة مستفيضة، نظرا لوفرة المعلومات الخاصة بهذه الفترة واختلاف الباحثين فيما بينهم فيما انتهوا اليه من آراء .

ولا يفوتنى هنا أن أنوه بأن الدراسة التى قام بها سوفاجيه SAUVAGET عن " المسجد الأموى فى المدينة " تتميز بالأصالة والعمق وان كانت لا تخلو من شطحات مقصودة . وكذلك الأمر فيما قام به كريزول CRESWELL وغيره من المستشرقين من أبحاث . أما ما قام به الدكتور أحمد فكرى والدكتور فريد شافعى والدكتور حسن الباشا وغيرهم فاننا نجدهم قد حصروا دراستهم على تطور عمارة المسجد النبوى حتى عمارة المهدى له سنة ١٦٥ هـ ولكنها دراسات جادة موفقة أفادتنى فى كثير من الجوانب التى بحثتها ، لاسيما وأنها قد تضمنت الرد المقنع على كثير من مزاعم المستشرقين المغرضة . وقد أفادتنى هذه الدراسات أيضا فيما اعتبرته مدخلا لموضوع الرسالة عن " عمارة المسجد النبوى فى العصر المملوكى " علما أن غموض بعض المسائل الهامة فى عمارة المسجد النبوى الشريف خلال فترته الأولى ، واهتدائى الى بعض المخطوطات والكتب المتصلة بالموضوع أضافت معلومات جديدة لم تتوفر للباحثين من قبل مما أوجب التعرض لها بالنقد والتحليل، مما قد يؤدى الى اطالة المقدمة بعض الشئ ولكنها مسألة هامة للوقوف على تطور عمارة المسجد وأصولها .

أما الفترة التى خُصص لها متن البحث والتى تمتد من أواخر الدولة العباسية ، أو بتحديد أدق بعد الحريق الأول الذى دمر المسجد النبوى الشريف سنة ٦٥٤ هـ ، حتى نهاية الدولة المملوكية الثانية سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م ، فانها تقتصر على أعمال الترميم والتجديد ، وأهمها ما تم فى المسجد الشريف بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ والحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ ، وذلك لأن مخطط المسجد النبوى بقى محتفظا بحدوده ومعالمه الرئيسية التى كان عليها بعد عمارة المهدى له سنة ١٦٥ هـ ماعدا اضافات بسيطة لم تغير كثيرا من جوهر الشكل العام الذى تميز به المسجد النبوى الشريف .

.. ..

١ - أقسام البحث ومنهجه :

اقتضت طبيعة الموضوع الذى شمله البحث تقسيمه الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

وقد خصصت المقدمة لتتبع الأثر الذى أحدثه مخطط المسجد النبوى الشريف فى أشهر المساجد وأقدمها فى العراق وسوريا ومصر وشمال افريقيا . وقد تبين لى من خلال الاستعراض السريع لتلك المساجد الجامعة أنها أتبعت ثلاثة نماذج مختلفة . كان المسجد النبوى الشريف قد أستقر على كل حالة منها فترة من الزمن .

وتحدثت فى الفصل الأول عن عمارة المسجد النبوى قبل العصر المملوكى، وقد قسمت هذا الفصل الى أربعة مباحث تناولت فى المبحث الأول عمارة المسجد النبوى الشريف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد توصلت فيه الى نتائج متعددة كان منها حصر المراحل التى مربها بناء المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أربع مراحل . ثم اقامة الدليل على أن استحداث المنبر النبوى الشريف كان بسبب كبر سن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاجته الى شئ يستند اليه عند مخاطبته للناس. ومن هذه النتائج الاستدلال بمواقع **الاسطوانات** المشهورة فى الروضة الشريفة على معرفة عمق رواق القبلة فى آخر عمارة شهدها المسجد الشريف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما المبحث الثانى ففيه استعراض سريع لعمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الراشدين ، وقد توصلت فيه الى التثبت من مقدار الزيادة التى أضافها عمر بن الخطاب الى المسجد وتحديد موضعها . وحرص عمر رضى الله عنه على المحافظة على صفة بناء المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث عن عمارة المسجد الشريف فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . فقد أوضحت اهتمام عثمان رضى الله عنه بالمحافظة على اعادة الاسطوانات فى الموضع الذى كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد عمر بن الخطاب ، ثم الاستدلال من نوع العمارة التى استخدمت فيها الأحجار المنحوته على أن أهل المدينة المنورة كان لهم المام جيد بفن البناء مما يزكى الأدلة التى نفيت بها ما قيل من استخدام المسيحيين من أهل الشام ومصر فى بناء المسجد النبوى زمن الوليد بن عبد الملك .

أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن عمارة المسجد النبوى فى العصر الأموى ، ومن نتائج هذا المبحث : اثبات أسلام وعروبة البنائين الذين قاموا بعمارة المسجد النبوى الشريف ، ونفى المزاعم التى رددتها بعض الروايات ، بخصوص محاولة أولئك العمال تدنيس القبر الشريف ، ورسم بعض الحيوانات المكروهة على جدران المسجد الشريف ، ثم ابراز الأدلة المقنعة على عدم بناء منارة باب السلام التى قيل ان سليمان بن عبد الملك هدمها فى خلافته .

وتحدثت فى المبحث الرابع من الفصل الأول عن أهم الأعمال التى شهدها المسجد النبوى فى العصر العباسى . وقد تبين لى فى هذا المبحث ان عمارة المهدى التى هى أهم ما شهده المسجد الشريف فى هذا العصر تقل فى جمالها وتصميمها عن عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد . كما أن أعمدة الرخام قد دخلت فى عمارة المسجد الشريف لأول مرة فى عهد المهدى .

أما الفصل الثانى والذى يعالج الموضوع الرئيسى للرسالة فتحدثت فيه عن عمارة المسجد النبوى فى عصر المماليك البحرية (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ) وقد قسمت هذا الفصل الى مقدمة وخمسة مباحث .

تحدثت فى مقدمة هذا الفصل عن نار الحجاز التى أخبر بها الرسول صلى الله على وسلم ، ونفيت العلاقة التى ذكرها بعض المؤرخين بين النار

المذكورة وحريق المسجد الأول الذى أعقب النار بثلاثة أشهر .

ثم تحدثت فى القسم الأول من المبحث الثانى من الفصل الثانى عن أعمال الخليفة العباسى المستعصم بالله التى تلت الحريق الأول مباشرة . وكان من نتائج هذا المبحث التأكيد على حرص الخلافة العباسية على القيام بواجبها نحو المسجد النبوى الشريف رغم صعوبة الظروف التى كانت تحيط بها .

أما القسم الثانى من المبحث الثانى فتحدثت فيه عن عمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ . وأبرزت فيه أهمية التعاون المصرى اليمنى فى ميدان العمارة الاسلامية . وكان من نتائج هذا القسم التأكد من حرص المسئولين عن هذه العمارة المشتركة على مطابقتها لما تم من عمارة المسجد فى عهد الخليفة العباسى المستعصم بالله .

وفى القسم الثالث أبرزت جميع الأعمال التى قام بها الظاهر بيبرس فى المسجد النبوى . ومن نتائجه أظهار الأسباب السياسية التى دعت بيبرس الى الأنفراد بعمارة المسجد النبوى دون الاستعانة بملك اليمن ثم اظهار الخصائص المعمارية التى أنفردت بها الأجزاء المعمرة من المسجد الشريف فى عهد الظاهر بيبرس عن الأجزاء المعمرة فى عهد أيبك ويوسف بن رسول وسيف الدين قطز .

وتحدثت فى القسم الرابع عن أعمال الملك المنصور قلاوون وأبنه الناصر محمد . وكان من أبرز نتائجه : أظهار الأسباب الحقيقية لبناء القبة فوق الحجرة الشريفة لأول مرة فى عهد الملك المنصور قلاوون ، ثم أظهار الخصائص المعمارية التى انفردت بها عمارة الملك الناصر محمد للمسجد النبوى ومناقشة قصة محاولة سرقة الجسد الشريف من الحجرة الشريفة والتدليل على امكانية وقوع هذه القصة فى عهد الملك الناصر .

وتحدثت فى القسم الخامس من المبحث الثانى عن عمارة المسجد النبوى فى أواخر عصر المماليك البحرية ، ومنها ما قام به السلطان حسن بن قلاوون، والأشرف شعبان . وكان من أبرز نتائج هذا القسم التأكيد على انعكاس الضعف المادى والسياسى الذى عاشته مصر فى أواخر عصر المماليك البحرية على أمر الحرم النبوى الشريف ، ما خلا المحاولات البسيطة التى قام بهما هذان السلطانان حسن وشعبان من ترميم لبعض الجوانب فى المسجد الشريف.

أما الفصل الثالث فخصصته لعمارة المسجد النبوى فى عهد المماليك الجراكسة ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ ، وقد قسمت هذا الفصل الى أربعة مباحث تحدثت فى المبحث الأول عن الأعمال المعمارية فى المسجد النبوى قبل الأشرف قايتباى ، وكان من نتائج هذا المبحث تميز جهود السلاطين الذين سبقوا الأشرف قايتباى فى أرسال المنابر الفاخرة الى المسجد النبوى الشريف ، بالاضافة الى بعض أعمال الترميم والتجديد التى قام بها الأشرف برسباى والظاهر جقمق .

ثم تحدثت فى المبحث الثانى من هذا الفصل عن جميع الأعمال المعمارية التى قام بها الأشرف قايتباى فى المسجد النبوى قبل الحريق الثانى . وكان من أبرز نتائج هذا المبحث : تمسك الأشرف قايتباى بالعادة التى درج عليها سلاطين المماليك الجراكسة من عدم التعرض لعمارة المسجد النبوى الا عند الضرورة القصوى ، ثم ابراز الدوافع التى حدت بمتولى العمارة (شمس الدين بن الزمن) الى هدم الحجرة الشريفة وتجديدها على الصفة التى لازالت عليها الى اليوم ، وحرص الأشرف قايتباى على تزويد أهل المدينة الشريفة بالأوقاف والصدقات الدائمة .

أما المبحث الثالث فأبرزت فيه جميع الأعمال التى قام بها الأشرف قايتباى فى المسجد النبوى بعد الحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ . وبينت فيه الأسباب الحقيقية لهذا الحريق ، ثم فصلت الدور الكبير الذى قام به

الأشرف قايتباى فى هذه العمارة ، وأوضحت الصفة التى أنتهت عليها هذه العمارة ، وما تميزت به من عناصر معمارية جديدة .

وكان من أبرز نتائج هذا المبحث تبرئة ابن الزمن (متولى العمارة) مما أتهم به من تقصير فى عمارة القبة الشريفة ، بسبب الخلل المتكرر الذى عاودها أكثر من مرة بسبب ضخامة حجمها وعظم ارتفاعها . كما أن النجارين والحجارين قد تساهلوا فى المحافظة على حرمة المسجد النبوى الشريف برفع الأصوات فيه وأدخال الحمير والبغال الى صحنه .

كما شمل الحديث فى المبحث الرابع عن بقايا عمارة المسجد وأثاثه فى العصر المملوكى ، ورغم قلة الأشياء المتبقية الا أنها أعطت صورة واضحة عن العمارة التى زالت من زمن بعيد . وكان من نتائج هذا المبحث العثور على نقوش كتابية لم تنشر من قبل تثبت بقاء الحجرة الشريفة الى الآن على عمارتها فى عهد الأشرف قايتباى .

كما أننى قد توصلت من خلال أدلة قوية الى أن القبة الشريفة لم يجدد منها فى العهد العثمانى ، الا جزؤها العلوى . أما المنارة الرئيسية فتشير النصوص التى أعتمدت عليها الى أنها لا تزال تحتفظ بعمارتها المملوكية الى الوقت الحاضر .

هذا عن أهم النتائج التى وجدت من الضرورى ابرازها وهى موجودة فى ثنايا البحث وفصوله .

...   ..

٢ - نقد المصادر والمراجع :

وهنا أجد أنه لا غنى عن اشارة موجزة الى عامة المصادر والمراجع التى أسهمت فى معاونتى لاعداد هذا البحث ، والتى يمكن تقسيمها الى مجموعات حسب ما ورد بها من حقائق ومعلومات وحسب ما تعرض له المسجد من أحداث .

وقد قصرت المصادر والمراجع على ما اعتمدت عليه منها فى متن البحث بعد الحريق الأول للمسجد سنة ٦٥٤ هـ وأغفلت ذكر المصادر التى رجعت اليها عند اعداد المقدمة لأنها كثيرة ولأنها مصادر مقدمة الموضوع وحسب. وتكاد المصادر والمراجع التى اعتمد عليها موضوع البحث تنحصر فيما يلى :

أولا - ما كتبه مؤرخو المدينة : المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ الذى يعتبر أول من كتب عن تاريخ المدينة المنورة بعد حريق مسجدها الشريف سنة ٦٥٤ هـ . وكان كتابه " التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة" مصدرا مهما لمن جاء بعده من المؤرخين . الا أن تأثره بالمنهج السائد عند مؤرخى زمانه قد أملى عليه السير على خطاهم فلم يقتصر على فضل المدينة المنورة ومسجدها الشريف ومنبره واسطواناته وانما تخطى ذلك الى الكلام عن المواضع المشهورة فى المدينة المنورة . ويبدو أنه تأثر كثيرا بابن النجار. حتى انه اقتبس كثيرا من كتابه " الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة " . ومع ذلك قد أفدت كثيرا من الاشارات الموجزة التى أوردها عن بعض الأعمال التى تمت فى المسجد الشريف بعد حريقه الأول سنة ٦٥٤ هـ .

وللقرطبى مخطوط بعنوان " بهجة النفوس والأسرار فى تاريخ دار هجرة المختار" ، منه نسخة فى مكتبة الحرم المكى برقم ١٢ تاريخ مكتوب بطرتها ان الفراغ منها كان سنة ٧٥١ هـ ، ويبدو أنها بخط المؤلف . وقد سار فيها مؤلفها على طريقة المطرى وبها اشارات مفيدة الى صفة عمارة المسجد فى زمنه .

ولابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ مخطوط قيم بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٥ تاريخ ، وفيه معلومات قيمة عن الأعمال التى تمت فى المسجد النبوى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، لاسيما بناء منارة باب السلام سنة ٧٠٦ هـ ، وما تعرض له مقدم المسجد من انخفاض . وأغلب المخطوط مخصص لتراجم الأعلام المشهورين فى زمنه .

وكتاب مجد الدين الفيروزبادى المتوفى سنة ٨١٠ هـ ، المعروف " بالمغانم المطابة فى معالم طابة " فان ما طبع منه يقتصر على المواضع المشهورة بالمدينة المنورة وما جاورها من الأماكن المشهورة ، ولا يزال أغلبه مخطوطا بمكتبة فيض الله باسطنبول تحت رقم ١٥١٧ . وقد استفدت من القسم الخاص بتاريخ المسجد ووصف معالمه ، أما فيما عدا ذلك فقد سار المؤلف على النهج الذى أتبعه المطرى وغيره فى تخصيص جزء كبير من مؤلفه لتاريخ المدينة المنورة وفضلها وفضل المسجد الشريف ، ولعله رأى ذلك عرفا لا يجوز الخروج عليه .

وكتاب المراغى المتوفى سنة ٨١٦ هـ المعروف " بتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة " يضيف معلومات عما حدث للمسجد الشريف فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، وهو الى جانب ذلك يشمل تاريخ المدينة العام ، وما كان يختص منه بالمسجد فمنقول عما سبقه من مؤلفات .

ومن أشهر من أرخ للمدينة المنورة هو نور الدين على بن أحمد السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ الذى أضاف الى تواريخ المدينة تاريخا شاملا لأخبارها وآثارها سماه وفاء الوفا وقد اعتمد فيه على المؤرخين الذين سبقوه ، وحفظ فيه أهم الروايات والأخبار التى حوتها مؤلفاتهم المفقودة ، وأضاف اليهما تفاصيل هامة لأعمال تمت فى عهده لاسيما ما يتعلق منها بعمارة المسجد الشريف . ولا غرابة اذا كان كتابه القيم أهم ما اعتمد عليه الذين تعرضوا

لتاريخ المدينة المنورة أو مسجدها الشريف الى الآن ، فصاحبه كما يقول السخاوى " مؤرخ المدينة حسا ومعنى " وقد ساعدته مكانته العلميه ومركزه الاجتماعى المرموق من جمع مكتبة قيمة حوت ذخائر ثمينة من الكتب المتعلقة بتاريخ المدينة المنورة ، الا أنها ذهبت مع أصل " وفاء الوفا " المعروف " باقتضاء الوفا " ضحية الحريق المروع الذى داهم المسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ . ويتسم وصفه للأحداث التى وقعت بعد هذا الحريق ، والتى عاصرها وشاهدها بنفسه - وهو مما أضيف الى أصول الكتاب - بالموضوعية ودقة الوصف اللتين اشتهر بهما السمهودى ، ومن الأشياء التى انفرد بها السمهودى أنه اختصر سنة ٨٩١ هـ كتابه الكبير الذى يتألف من أربعة أجزاء فى كتاب صغير سماه " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى " وقد اعتمد عليه سائر من كتب عن المسجد النبوى من المستشرقين دون كتابه الموسع .

ومن المؤلفين المعاصرين للسمهودى الحافظ شمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، وصاحب التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، وهو مطبوع فى ثلاثة أجزاء ، وأغلبه فى تراجم الأعلام الذين قدموا المدينة لسكناها أو المجاورة بها ، أو ممن أسهم فى أحداثها حتى زمن المؤلف. وقد استفدت منه فائدة كبيرة ، الا أنه لا يرقى بأية حال الى مرتبة كتاب السمهودى الذى استوطن المدينة ، وأولى تاريخها جل اهتمامه .

ولشمس الدين السخاوى نفسه " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " وهو يتضمن كثيرا من المعلومات التى حوتها التحفة لاسيما تراجم أهل القرن التاسع .

ولمحمد بن خضر الرومى ، الذى كان حيا سنة ٩٤٨ هـ ، رسالة بعنوان " التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة " تعرفت من خلالها على الأجزاء التى أصابها التلف المبكر الذى حل بعمارة الأشرف قايتباى للمسجد النبوى الشريف ، فى عهد السلطان سليمان القانونى.

أما ما عدا ذلك فيلاحظ أن المؤلفات ، التى تحدثت عن المدينة المنورة بعد المؤلفات السابقة ، كانت عالة على المؤلفات المذكورة . ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر مخطوط تحفة الزوار الى قبر النبى المختار ، لابن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ . وعمدة الأخبار فى مدينة المختار لأحمد عبد الحميد العباسى المتوفى فى القرن العاشر الهجرى ، ومخطوط تاريخ المدينة المنورة لقطب الدين قدس سره المتوفى فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، وكتاب الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة ، لمحمد كبريت المتوفى فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو فى الحقيقة كتاب أدب لا كتاب تاريخ ، ثم زين العابدين العباسى المتوفى فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ، صاحب كتاب نتيجة الفكر فى أخبار مدينة سيد البشر . ومن أشهر المؤرخين بعد السمهودى والسخاوى السيد جعفر بن السيد اسماعيل البرزنجى (١٢٥٠ - ١٣١٧ هـ) الذى خصص كتابا قيما لتاريخ المسجد النبوى الشريف ، أسماه " نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين " خصص معظمه لوصف العمارة التى قامت فى المسجد النبوى فى عهده بأمر السلطان العثمانى عبد المجيد خان سنة ١٢٧٧ هـ . وقد أستفدت من وصفه للأجزاء المهدمة من عمارة المسجد النبوى القديمة ، وخاصة طريقة تسقيف أروقة المسجد الشمالية والشرقية والغربية . وقد أفاد أيضا فى معرفة بعض الأجزاء المتبقية فى المسجد النبوى من عمارة السلطان قايتباى بعد عمارة السلطان عبد المجيد المذكورة . ومن المعاصرين للبرزنجى على بن موسى الذى وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣ هـ فى رسالة قيمة نشرها حمد الجاسر فى كتاب رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، وتعد هذه الرسالة وثيقة هامة تصور تاريخ المدينة الأجتماعى والسياسى فى أواخر العهد العثمانى . هذا فضلا عن تأكيد المؤلف على بقاء بعض جوانب المسجد النبوى منذ العصر المملوكى محتفظة بعمارة الأشرف قايتباى لها

كالمنارة الرئيسية والحجرة الشريفة والقبة الخضراء وغير ذلك ،

أما المراجع الحديثة فأهمها " تاريخ مساجد المدينة المنورة " لأحمد ياسين الخيارى ، " آثار المدينة المنورة " لعبد القدوس الأنصارى ، و " فصول من تاريخ المدينة المنورة " لعلى حافظ . وقد أفادتنى هذه المؤلفات القيمة فى التثبت من أن عمارة المنارة الرئيسية والحجرة الشريفة والمحراب النبوى والمحراب العثمانى ، وبعض أجزاء من القبة الخضراء ، هى من بقايا العمارة المملوكية . هذا عدا معلومات أخرى مفيدة .

ثانيا - مصادر جمعت بين أخبار مكة والمدينة : وأهمها " زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال فى تفاصيل أحوال الكعبة المكرمة والمدينة المنورة " وهو مخطوط لسعد الدين الأسفرائينى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى . وقد سار على النهج الذى أتبعه من سبقه من المؤرخين فى التحدث عن تاريخ المدينة وفضلها ، الا أن ما احتواه من معلومات عن بعض الأعمال التى تمت فى المسجد الشريف فى القرن الثامن الهجرى ، قد أفاد فى معرفة بعض التفاصيل الهامة عن المسجد النبوى الشريف فى زمنه ، ومثله مخطوط محمد بن اسحاق الخوارزمى المتوفى سنة ٨١٣ هـ ، المعروف " باثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة والى البيت العتيق " و " تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف " لابن الضياء القرشى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ يؤكد بعض المعلومات الهامة عن الأعمال التى تمت فى المسجد النبوى الشريف فى أوائل القرن الثامن الهجرى . على أنه لم يخرج عن المنهج المألوف الذى أعتاده جميع مؤرخى المدينة . وينفرد ابن المحجوب - أحد علماء القرن التاسع - بمعلومات هامة عن أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون فى الحجرة الشريفة ، ضمنها مخطوطه القيم " قرة العين فى أوصاف الحرمين الشريفين " . ويبدو أنه عاصر الأعمال التى قام بها الظاهر

جقمق فى المسجد النبوى سنة ٨٥٣ هـ . ورغم اعتماده فى كثير من المعلومات التى أوردها على ما سبقه من مؤلفات فى تاريخ المدينة ، الا أن ملاحظاته القيمة كان لها دور فى وصف المسجد الشريف فى زمنه .

ومن أواخر القرن التاسع الهجرى مخطوط عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ بعنوان " اتحاف الورى بأخبار أم القرى " وقد سار فيه على طريقة المؤلفات القديمة بذكر أحداث السنين المتعلقة بالحجاز بصفة عامة ، ومكة المكرمة بصفة خاصة وبذلك قدم بعض المعلومات الهامة عن أعمال تمت فى المسجد النبوى قبل الحريق الثانى . ووقوفه عند حوادث سنة ٨٨٥هـ ألزم ابنه عبد العزيز بن فهد بمواصلة النهج الذى سار عليه والده وذلك فى مخطوط أسماه " بلوغ القرى فى الذيل على اتحاف الورى " الذى أفاد فى معرفة بعض الأخبار المتعلقة بالحريق الثانى واشتراك أمير مكة وقاضيها فى تسهيل أمر العمارة التى قامت فى المسجد النبوى على أثر هذا الحريق .

<u>ثالثا - كتب الرحالة :</u> وهى تأتى فى المرتبة الثانية من حيث فائدتها للبحث بعد تواريخ المدينة ، ذلك لأن مؤلفيها كانوا يصفون المسجد النبوى الشريف عند زيارتهم له وصفا دقيقا ، بل أن أغلبهم قد خص زخارفه وكتاباته باهتمام خاص . كما عمد بعضهم الى قياس أبعاده بالخطوات . وقد أمتاز الرحالة من المغاربة باثراء المكتبة العربية بالرحلات التى تصور المجتمعات الاسلامية فى عصور مختلفة . . وأهمها فائدة للبحث " الرحلة المغربية " أو " رحلة العبدوى " التى قام بها الى المدينة سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م بعد وقت قصير من أعمال الملك المنصور سيف الدين قلاوون فى الحرم النبوى الشريف . وقد استفدت منها فى وصفه لهذه الأعمال وخاصة ما ذكره عن القبة الزرقاء التى شيدت لأول مرة فوق الحجرة الشريفة فى عهد المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ .

ورحلة البلوى التى تمت فى حدود سنة ٧٣٧ هـ ، المعروفة "بتاج المفرق فى تحلية علماء المشرق" وهى تتضمن وصفا دقيقا لبعض أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المسجد النبوى الشريف سنة ٧٠١ هـ .

أما رحلة ابن بطوطة التى زار فيها المدينة المنورة سنة ٧٢٦ هـ ، فلا تتضمن سوى معلومات قديمة عن المسجد النبوى الشريف ، وليس فى وصفه للمسجد ابان زيارته له شئ جديد ، ومرد ذلك الى أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته الا عندما استقر به المقام بعيدا عن المدينة ومسجدها الشريف . ولذا فان اعتماده على الكتب القديمة يشكل أغلب المادة التى قدمها عن المسجد النبوى الشريف .

أما الرحلات الأخرى كرحلة ابن رشيد المتوفى سنة ٧٢١ هـ . ورحلة القلصادى المتوفى سنة ٨٩١ هـ فان أهتمام مؤلفيها كان ينحصر فى متابعة دروس الفقهاء والمحدثين ووصف حلقات دروسهم وذكر ما استفادوه منهم . وبمعنى أدق فان التحصيل العلمى كان سمة مميزة لهذه الرحلات .

وأهم الرحلات الحديثة رحلة البتنونى المعروفة بالرحلة الحجازية المطبوعة سنة ١٣٢٩ هـ ، وقد قدم مؤلفها وصفا رائعا لأحد أبواب المسجد النبوى المتبقى من العمارة المملوكية . وقاس بنفسه محيط الحجرة الشريفة بالأمتار وهو مالم أستطع الوصول اليه اليوم . وقد أفدت منه فى تأكيده على بقاء عمارة المحراب النبوى والعثمانى ، والمنارة الرئيسية والحجرة الشريفة ، وبعض القبة الزرقاء على وضعها الأول فى عمارة قايتباى سنة ٨٨٧ هـ . ومثل ذلك ما سجله ابراهيم رفعت باشا فى كتابه "مرآة الحرمين" .

هذا ما كان من أمر المصادر والمراجع التى أفدت منها كثيرا فى البحث. غير أنه لا يفوتنى هنا أن أذكر عددا آخر من المصادر كنت أطمع أن أجد فيها ما يثرى البحث من معلومات ، غير أنى للأسف لم أجد فيها الا النذر

القليل من المعلومات ، ولذلك لا يسعنى هنا الا أن أذكر أهمها ليتضح أنه ليس فيها لموضوع البحث غناء يذكر رغم أنها تستطرد فى الأحداث المعاصرة لموضوع البحث .

أولا - مصادر تاريخ الدولة الرسولية : وكنت أرجو أن أجد فيها تفصيلات أكثر عن الأعمال التى شارك بها الملك المظفر يوسف بن رسول فى عمارة المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ ، وهى " تاريخ وصاب " المعروف " بالاعتبار فى التواريخ والآثار " لوجيه الدين الوصابى المتوفى سنة ٧٨٢ هـ ، و " العسجد المسبوك فى من تولى اليمن من الملوك" للخزرجى المتوفى سنة ٨١٣ هـ . و " العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية " للخزرجى أيضا . و " اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية " لبدر الدين الكبسى . وكلها لم تزد فيما أوردته عن الأخبار الموجزة التى ذكرها مؤرخو المدينة كالمطرى والمراغى وغيرهما . وخشية منى فى أن يكون قد خفى عنى بعض المصادر المهمة والتى يمكن أن أجد بها معلومات أوفر مما تحصلت عليه فى الكتب السابقة فقد طالعت رسالة الدكتوراة المطبوعة بعنوان " بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما" للدكتور محمد عبد العال أحمد ، الا أننى ولسوء الحظ لم أجد بها جديد .

ثانيا - مصادر تاريخ المماليك خاصة وأن من مؤلفيها من عاصر ما تم من أعمال فى المسجد النبوى الشريف فى عهد بعض السلاطين المماليك ، وهى كثيرة الا أننى سأخص بالذكر منها أشهرها وهى : " تاريخ سلاطين المماليك من سنة ٦٩٠ - ٧٤١ هـ " لمؤلف مجهول قيل انه ابراهيم مغلطاى ، فرغم شمول الفترة التى حددها المؤلف لحكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فانه لم يذكر عن الأعمال التى تمت فى عهد هذا السلطان أو من سبقه من السلاطين شيئا يذكر مع قرب الفترة التى حددها لتاريخه لهذه الأعمال . ومع

ذلك ففيما ذكره ما يدل على مدى السلطة التى كان يتمتع بها أمراء الحج فى ذلك العهد ، اذ ذكر أن أمير الحج المصرى سنة ٧٠١ هـ أخلى المسجد النبوى ليتمكن هو وأفراد أسرته من زيارة المسجد الشريف. و " درة الأسلاك فى دولة الأتراك " وهو قسم من الجزء الأول من مخطوط لابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ فقد سار فيه على نظام سرد الأحداث على طريقة السنين التى بدأ فيها من سنة ٦٤٨ هـ حتى سنة ٧١٨ هـ ، ومع تقدمه فى هذا المجال عن المؤرخين الذين أتوا بعده الا أن ندرة ما ذكره من الأحداث المتعلقة بالمسجد النبوى فى العصر المملوكى ليس جديرا بمؤلف مثله .

وكتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " بأقسامه الأربعة لتقى الدين المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ يعد ذا قيمة فى تأكيد بعض المعلومات الهامة عن بعض الأعمال التى قام بها بعض السلاطين فى المسجد النبوى الشريف . ومع ذلك فقد سار مؤلفه على منهج ابن حبيب فى سرد الأحداث على طريقة الحوليات ، وبشكل موجز فيما يخص أخبار المسجد النبوى الشريف.

وعلى هذا النحو كتاب " أنباء الغمر بأبناء العمر " لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ اذ اتبع فيه الطريقة المشهورة عند أغلب مؤرخى العصر المملوكى ، ولم يسهم فيما ذكره من أخبار عن المسجد النبوى بأكثر مما أورده ابن حبيب والمقريزى .

والمخطوط الكبير الذى أسماه بدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ، " عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان " فان ما ذكره فى الأجزاء الأخيرة عن أحداث الحجاز ليس بأكثر مما ذكرته المؤلفات السابقة . وكثيرا ما يصرح المؤلف بأسماء المصادر التى اعتمد عليها . ولذلك فان اسهامه فى ذكر المعلومات التى استفدت منها قليل جدا .

وعلى هذا النهج سار كل من ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ فى

كتابه " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " وعلى بن داود الصيرفى المتوفى سنة ٩٠٠ هـ فى كتابيه " أنباء الهصر بأبناء العصر " و " نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان " فى ايجاز الأحداث التى أوردها كل منهما مرتبة حسب السنين ، مع الايجاز الشديد فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالحجاز .

ومع أن ابن اياس الحنفى المتوفى سنة ٩٣٠ هـ قد سار فى كتابه " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " على طريقة من سبقه من المؤرخين فيما كتبه عن أعمال السلطان قايتباى فى المسجد النبوى ، الا أنه انفرد بذكر صنع مشبك الحديد المحيط بالحجرة الشريفة حاليا ومقدار وزنه واحتفال السلطان به عند ارساله الى المدينة ، وذلك بحكم مزامنته لها ، وهو مع ذلك أيضا يعد من أهم المصادر المعاصرة لأواخر الحكم المملوكى .

واتبع محمد بن طولون الدمشقى المتوفى سنة ٩٥٣ هـ فى كتابه المعروف " بتاريخ ابن طولون " نفس النهج الذى غلب على المؤرخين السابقين له ، الا أنه مع ذلك قد أفاد فى معرفة اهتمام السلطان قايتباى بأسناد العمل فى المسجد النبوى سنة ٨٨٧ هـ الى أمهر البنائين والحرفيين المشهورين فى دمشق والقاهرة وغيرهما من البلاد الخاضعة لسلطانه .

هذا عن أشهر المؤلفات المعاصرة للأحداث والأعمال التى تمت فى المسجد النبوى الشريف من قبل سلاطين المماليك ، ولا يخفى اهمالها الشديد فى ذكر تفاصيل الأحداث المتعلقة بالحجاز والمراسيم الصادرة من السلاطين المماليك بشأن عمارة المسجد النبوى الشريف مما يعد من العيوب التى تحسب لمؤلفيها خاصة وأن قربهم من السلاطين ومعاصرة بعضهم لما تم من أعمال كان يفرض عليهم وصفها فى كثير من التفصيل .

ثالثا - <u>سير بعض السلاطين المماليك البارزين</u> ، وخاصة من أسهم منهم

بشكل بارز فى عمارة المسجد النبوى الشريف ، وهى :

١ - سيرة الظاهر بيبرس ، لابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ، وهى مخطوطة بمكتبة فاتح باسطنبول برقم ٤٣٩٣ وهى نسخة كبيرة ربما تكون أصلا للسيرة المطبوعة فى أربعة أجزاء باسم " سيرة الظاهر بيبرس " لمؤلف مجهول ، ويغلب على جميع أحداثها طابع الخيال والمبالغة . ويخلو المخطوط والمطبوع من ذكر أى شىء عن أعمال صاحب السيرة فى المسجد النبوى .

٢ - كتاب " تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون " لمحى الدين بن عبد الظاهر ، تحقيق مراد كامل . لا يتعرض لذكر الأعمال التى قام بها قلاوون فى الحرم النبوى الشريف .

٣ - والكتاب الثانى عن عصر السلطان الملك المنصور قلاوون المسمى " تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه " لابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ، تحقيق الدكتور محمد أمين ، فقد سار فيه مؤلفه على نهج غيره فى ذكر الأحداث مرتبة حسب السنين ، وقد بدأها من سنة ٦٧٨ حتى سنة ٧٠٨ هـ وهو بعيد العهد عن الأحداث التى ساقها ، لذلك فإن اعتماده على الأخبار ، التى ذكرها غيره ، واضح كما يظهر من الحواشى التى أضافها المحقق . ولذا فلا يمكن مطالبته بتفصيل ما ذكره غيره عن الأعمال التى قام بها المنصور أو أبنه الملك الناصر فى المسجد النبوى الشريف .

٤ - ومما خصص لسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون كتاب " الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر " لابن أيبك الدواداري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ، وهو الجزء التاسع من كنز الدرر ، وجامع الغرر . وقد حققه هانس روبرت رويمر . ورغم معاصرة المؤلف لأغلب الأعمال التى قام بها هذا السلطان

فى المسجد النبوى الشريف . الا أنه لم يذكر فيما تضمنه كتابه من أحداث وأعمال بدأت من سنة ٦٩٨ هـ حتى سنة ٧٣٥ هـ أى شيء عن الأعمال المعمارية الهامة .

٥ - و " تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده " لشمس الدين الشجاعى ، تبدأ أحداثه من سنة ٧٣٧ هـ حتى سنة ٧٤٥ هـ. وقد سار فيها المؤلف على طريقة الحوليات ، وله العذر فى عدم ذكر شيء عن المسجد النبوى الشريف فى تلك الفترة ، لأنه لم يتم فيه من الأعمال آنذاك ما يستحق الذكر.

٦ - وفى متحف طوبقا بوسراى ، باسطنبول مخطوط برقم ٦٤٥٦ عن سيرة الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) لشهاب الدين الرومى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ وقد كتبها كما يبدو فى أول سنة تولى فيها هذا السلطان سلطنة مصر وأتمها المؤلف قبل وفاته بوقت قصير ، ولذلك لم يكن بها شيء عن أعمال هذا السلطان وانما اقتصر فيها على ذكر أخلاق جقمق وشيمه وصبره وحلمه وعلمه وغير ذلك من الصفات المحمودة .

.. .. ..

المقدمة

المقدمـة :

دور المسجد النبوى فى تخطيط المساجد الجامعة فى صدر الاسلام

اقتصر تخطيط المسجد النبوى الشريف طيلة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده على العناصر الأساسية - التى سأشير اليها فيما بعد - مع الاضافات الهامة التى كان لوجودها ضرورة ملحة .

وكان المسجد النبوى الشريف قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة جزءا من أرض كان يمتلكها بعض أيتام المدينة ، هيأها المسلمون لأداء فريضة الصلاة (١) ، وقد اكتفى عليه السلام عند قدومه الى المدينة بتوسعة هذا المسجد الصغير والتثبت من صحة اتجاه قبلته . ولم يكد النصف الثانى من السنة الثانية من الهجرة يبدأ حتى كان المسجد الشريف محاطا بسور مرتفع و ظلة شمالية تمنع الناس الحر والمطر . وأوجب تحويل القبلة استحداث ظلة ثانية فى الجهة الجنوبية ، وبهذا صار المسجد مؤلفا من ظلتين وصحن

---

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية ، جـ ١ ص ٢٤٣ أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : " أفترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما أفترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ، ثم ان الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا ، وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين". ثم ذكر فى ص ٢٤٤ صفة تعليم الرسول عليه السلام لأم المؤمنين خديجة طريقة الوضوء وكان ذلك فى مكة قبل الهجرة الى المدينة ، وفى ذلك ما يدل على فرض الصلاة قبل الهجرة كما أن القرآن الكريم يحتوى على ١٩ آية فى ١٣ سورة مكية بها ذكر الصلاة والحث عليها .

أنظر محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤١٣ وما بعدها .

مكشوف بينهما[1] وهذا المخطط الذى استقر عليه المسجد فى آخر عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أصبح النموذج الذى احتذته المساجد الاسلامية الأولى ، نظرا لما يكنه المسلمون لمنشئه من تكريم يفوق كل اعتبار ، حتى انه ليس لدينا فيما يعرف من أعمال حتى الآن ما حظى بمثل هذا الاجماع المتوارث على مدى خمسة عشر قرنا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقبل التعرف على المساجد التى احتذت هذا النموذج يجب أن نسلم بالعناصر الرئيسية التى يتكون منها المسجد النبوى الشريف وهى :

١ - الشكل المربع للمسجد وهو ما استقر عليه بعد زيادة الرسول الأخيرة له عند مقدمه من خيبر فى السنة السابعة من الهجرة وكانت مساحته آنذاك تقدر ١٠٠ × ١٠٠ ذراع .[2]

٢ - ظلتا مقدم المسجد ومؤخرة ، اللتان ثبت وجودهما فى المسجد الشريف فى السنة الثانية من الهجرة بعد تحويل القبلة .[3]

٣ - الصحن المكشوف الذى كان يشغل جزءا كبيرا فى مؤخرة المسجد قبل تحويل القبلة ، والذى أصبح بعد تحويلها يقع بين ظلتين احداهما فى مقدم المسجد والأخرى فى مؤخره .

---

(١) لا يظن أن المخطط الذى أعده فريد شافعى فى كتابه العمارة العربية ص ٦٥ والذى يشبه الى حد كبير المخطط الذى أعده كريزول فى كتابه العمارة الاسلامية المبكرة ، ج ١ القسم الأول ، ص ٨ يتفق والحقيقة ، وذلك لأن الظلة الأولى (موضع أهل الصفة فيما بعد) فى هذا المخطط ليست الا جزءا من عرض المسجد . وقد كانت كما هو معروف مكان الصلاة قبل تحويل القبلة الى مكة ، ثم ليس من المعقول أن يهدم بعض الظلة ويبقى منها جزء لأهل الصفة .

(٢) أنظر زيادة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسجد النبوى بعد مقدمه من خيبر ص ٤٩ .

(٣) أنظر المخطط الذى رسمته للمسجد النبوى بعد الزيادة الأخيرة فى حياة الرسول عليه السلام شكل (٢٨) .

وفى مقدمة المساجد التى اقتبست عناصر التخطيط السالفة الذكر مسجد البصرة الذى كان " أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات العربية "[(١)]، وقد جاء أنه كان مجرد مساحة منبسطة يحيط بها خندق من جوانبها الأربعة تتخلله مداخل ثلاثة فى الشمال والشرق والغرب ، وفى جهة القبلة منه ظلة ، وبذلك لم يكن مخططه يختلف عن مخطط المسجد النبوى الشريف وكانت ظلته من القصب[(٢)] . وفى سنة ١٦ هـ دمر الحريق البصرة فبنيت بيوتها باللبن وكذلك مسجدها فى ولاية أبى موسى الأشعرى . ويظن أن المسجد اقتصر اذ ذاك على ظلة فى مقدم المسجد ، أو على ظلتين معا فى مقدمة ومؤخرة احتذاء بمسجد الرسول فى المدينة .

وفى سنة ٤٥ هـ شهد المسجد عمارة جديدة وذلك فى ولاية زياد بن أبيه فى خلافة معاوية رضى الله عنه . وقد حظيت هذه العمارة بعناية بعض الباحثين[(٣)] ، فأثبتوا أن المسجد كان مربعا ، وأنه رغم اقتباسه لجميع عناصر المسجد النبوى الشريف ، فانه سبق المسجد النبوى فى استحداث المجنبتين اللتين لم يعرفهما المسجد الشريف الا فى عمارة الوليد بن عبد الملك له سنة ٨٧ - ٩١ هـ شكل (١) .

----

(١) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٩٩ .

(٢) ابن قتيبة : كتاب المعارف ، ص ٢٤٦ .

(٣) أنظر المخطط الذى أعده كريسول فى كتابه العمارة الاسلامية المبكرة ، ج ١ القسم الأول ص ٤٧ ، وفريد شافعى فى كتابه العمارة العربية ، ص ٢٣٢ ، وأحمد فكرى فى المدخل ، ص ٢٠٢ الا أنه اختلف معهما فى عدد بلاطات مقدم المسجد فانه يقصرها على أربع بلاطات بدلا من خمس بلاطات .

وكانت الكوفة " ثانى مدينة أحدثت فى الاسلام "[(١)]. وقد اختطها سعد بن أبى وقاص " مسجدها ودار امارتها فى مقام الغالى وما حوله "[(٢)]. ويذكر الطبرى انه بنى للمسجد " ظلة فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير "[(٣)]. شكل (٢) ، وعندما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة أعاد بناء المسجد ووسعه وذلك بغير مجنبات ولا مؤخرة أيضا[(٤)] ، وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أعيد بناؤه من جديد فى زمن ولاية زياد بن أبيه ، الذى استحدث فيه سنة ٥١ هـ مجنبتين ومؤخرة لأول مرة[(٥)]. وقد شاهد ابن جبير المسجد على هذا الطراز فى القرن السادس الهجرى[(٦)] ، واتضح من الحفريات التى أجريت فيه أخيرا[(٧)] أن المسجد أقيم " على مساحة مربعة الشكل تقريبا ، طول جدار القبلة فيها ١١٠ مترا وجدار المؤخر ١٠٩ مترا ، وطول كل من الجدارين الشرقى والغربى ١١٦ مترا "[(٨)] ، وقد خالف فكرى كل من كريزول وفريد شافعى فى عدد بلاطات مقدم المسجد[(٩)] ، شكل (٣) .

ويحسن بعد ذلك متابعة العناصر الرئيسية للمسجد النبوى الشريف فى أشهر مساجد العراق القديمة ، وعلى رأسها جامع واسط الذى أنشأه الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م على قطعة أرض شبه مربعة

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٠٠ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٨٨ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ص ٢٤٨٩ .
(٤) الطبرى : نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٤٩٢ .
(٥) الطبرى : نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٢٤٩٢ .
(٦) رحلة ابن جبير ، ص ١٨٨ .
(٧ ، ٨) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
(٩) أنظر المخطط الذى أعده كريزول فى العمارة الاسلامية المبكرة ، جـ ١ القسم الأول ص ٤٧ ، وفريد شافعى فى كتاب العمارة العربية ص ٢٣٢ ، شكل (١) .

طول أضلاعها ١٠٣ × ١٠٤ م . ويتألف من صحن ومجنبات أربع [١]، شكل (٤)

ومنها كذلك المسجد العلوى بمدينة اسكاف بنى جنيد المنسوبة الى خالد بن عبد الله القسرى الذى كان واليا لها سنة ١١٠ هـ. " ويستدل من الرسم التخطيطى لأساسات هذا المسجد أنه يشغل مربعا غير منتظم الأضلاع، طول جدار القبلة فيه خمسون مترا ، وطول جداره الشرقى خمسة وخمسون ... وكان للمسجد صحن مستطيل تحيط به من كل جوانبه الشمالية والشرقية والغربية مجنبة من رواقين" [٢]، شكل (٥) .

ومن هذه المساجد أيضا مسجد المنصور فى بغداد ، وقد أنشئ سنة ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م ، على شكل مربع طول ضلعه مائتا ذراع ، ويتألف من صحن تحيط به أروقة جانبية أكبرها رواق القبلة [٣]، شكل (٦) . وعلى هذا النمط كان مخطط مسجد الرقة ، الذى أنشئ سنة ١٥٥ هـ فى خلافة المنصور العباسى [٤]، شكل (٧) . ومسجد سامراء الكبير الذى أنشأه المتوكل على الله العباسى سنة ٢٣٥ هـ [٥]، شكل (٨) . ومسجد أبى دلف الذى أنشئ أيضا فى خلافة المتوكل سنة ٢٤٥ " فى مدينة الجعفرية [٦]، شكل (٩) .

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢١٣ ومابعدها .
(٢) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
(٣) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٣١ وما بعدها .
(٤) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٣٥ وما بعدها ، وأنظر : فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٢٤٣ .
(٥) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ وما بعدها ، وأنظر: فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٤١ .
(٦) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، وفريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، جورج مارسيه : الفن الاسلامى ، ص ٥٥ .

وهذه الأمثلة من المساجد تؤيد ما ذهب اليه فريد شافعى من أن هناك " علاقة كبيرة واضحة بين هذا التخطيط فى العراق وبين تخطيط الرسول لمسجده فى المدينة "(١) ، وفضلا عن ذلك فان لموقع المسجد من العمران وكثرة المصلين فيه ، أثر كبير فى استخدام كل العناصر النبوية المذكورة أو بعضها على الأقل .

أما مساجد سوريا ففى مقدمتها الجامع الأموى الذى أنشىء سنة ٨٧ هـ بأمر الوليد بن عبد الملك على شكل مستطيل " طوله ١٦٠ مترا تقريبا وعرضه مائة متر ، وطول جدار القبلة فى بيت الصلاة (رواق القبلة) ١٣٦ مترا "(٢) ، شكل (١٠) . وتعد عمارة هذا المسجد كما يقول سوفاجيه " أول نجاح معمارى فى الاسلام "(٣) . ورغم اختلاف بنائه عن بناء المسجد النبوى ، الا أن رواق القبلة المغطاة وصحنه الواسع يعود بمخططه اذا استثنينا البلاطات المحيطة بصحنه الى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة ، وليس كما يرى جورج مارسيه أنه خليط " بين التقليد المسيحى والصيغة المعمارية الجديدة التى عرفنا مخططها الأول فى مسجد الرسول فى المدينة "(٤) ، وذلك لأن لكل مسجد من المساجد التى ذكرناها صفات مشتركة تجمعه بالمسجد النبوى وأخرى تميزه عنها ، وأغلب ما تظهر فى البناء وأسلوب الزخرفة ، وجوانب بسيطة من التخطيط .

ومن هذه المساجد فى سوريا مسجد بصرى شكل (١١) ، المنسوب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م(٥) . وكذلك المسجد الجامع فى حران ، شكل (١٢) الذى يشبه الى حد كبير مخطط الجامع الأموى فى دمشق(٦) .

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢٣٩ .
(٢) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢١٨ .
(٣) جورج مارسيه : الفن الاسلامى ، ص ٣٦ .
(٤) جورج مارسيه : نفس المرجع ، ص ٣٦ .
(٥) أحمد فكرى : المرجع السابق ، ص ٢٢١ وما بعدها .
(٦) أحمد فكرى : نفس المرجع ، ص ٢٢٦ .

أما مساجد ايران فان أكثرها شبها بمخطط المسجد النبوى الشريف مسجد طريق خانة بدمغان ، ويرى جورج مارسيه أن " مخطط هذا المسجد الأول مشابها لمخططات مساجد سورية الأموية ، ومساجد الرافدين[1] أيام العباسيين" .[2] وهذه المساجد تشبه أيضا مخطط المسجد النبوى الشريف ، ومثلها مسجد تايين الذى يقع شرقي أصفهان ، والذى أنشىء سنة ٢٦٩ هـ .[3] ولا يشذ مسجد أصفهان عن ذلك[4] ، رغم اختلاف مادة البناء الذى تطور فى العصر السلجوقى بما يتفق وامكانيات الدولة وما بلغته من ترف ورخاء .

هذا عن أهم مساجد شرق العالم الاسلامى . أما مساجد مصر ومايليها غربا من البلاد الاسلامية فقد شاركت أيضا مساجد المشرق فى اقتباس أهم العناصر المعمارية للمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة . وفى مقدمة هذه المساجد الجامع العتيق بالفسطاط ، الذى يعود تاريخ انشائه الى سنة ٢١ هـ ، وقد شيده عمرو بن العاص على شكل مستطيل طوله خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين ذراعا .[5] وقد تناول كثير من الباحثين هذا المسجد بالبحث والدراسة متتبعين جميع مراحل البناء التى مر بها . وشك فريد شافعى فى أنه كان للمسجد أول الأمر صحن مكشوف اذ يعتقد " أن المساحة كانت كلها على هيئة ظلة واحدة " .[6] ولكن بساطة وسائل الاضاءة

---

(١) الرافدين هى أرض العراق نسبة الى نهرى دجلة والفرات ، أنظر ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٣ ص ١٨٢ .

(٢) جورج مارسيه : **الفن الاسلامى** ، ص ٩٧ .

(٣) جورج مارسيه : نفس المرجع ، ص ٩٨ .

(٤) جورج مارسيه : نفس المرجع ، ص ٩٩ .

(٥) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٦٧ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١ ص ٦٢ .

(٦) **العمارة العربية** ، ص ٣٦٣ ، سعاد ماهر : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٦٢ .

فى ذلك الوقت ، وكراهية العرب الفاتحين لمثل هذا البناء المغطــى (١) ، يجعلان من الصعب بقاء المسجد العتيق على هذه الصفة مدى ٣٢ عاما ، الى أن جدده مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢ م ، لذلك فان المخطط التالى الذى نقله أحمد فكرى عن مصلحة الآثار المصرية شكل (١٣) ، يبدو مقبولا ، ويمكن ارجاعه الى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة .

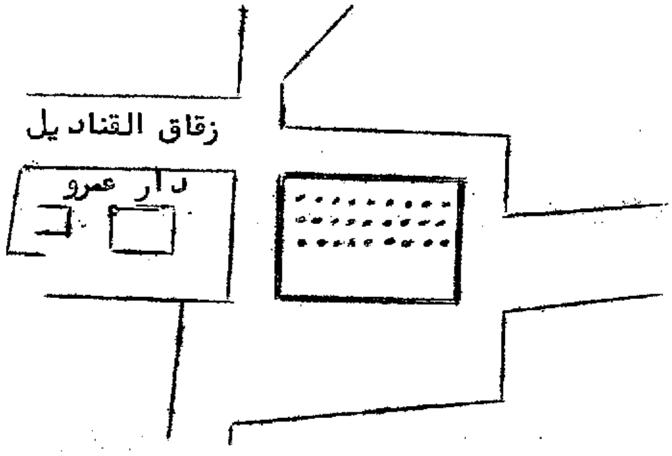

شكل (١٣) - رسم تصورى لتخطيط مسجد عمرو سنة انشائه (٢١ - ٦٤٢ م)
- عن محفوظات مصلحة الآثار .

---

(١) يذكر كريزول فى العمارة الاسلامية المبكرة ، ج ١ ، القسم الأول ص ٧ " أن حياة العربى الخاصة كانت تقتضى فناء خاصا مغلقا من جوانبه يعمل فيه النساء من نسيج وطبخ وغسيل وغير ذلك" . وبما أن المسجد فى فجر الاسلام لم يكن مقتصرا على أداء شعائر العبادة فقط ، فان المسلمين الذين كانوا يقضون معظم أوقاتهم فى المسجد ، كانــوا فى حاجة الى صحن مكشوف يمدهم بالهواء والنور الكافى كما ألفوا ذلك فى مساكنهم الخاصة .

وفى سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ هـ زاد عبد الله بن طاهر فى المسجد العتيق بحيث أصبح يحتوى على جميع العناصر البارزة فى مخطط المسجد النبوى بعد عمارة الوليد له سنة ٩٠ هـ . وذلك رغم اختلاف المخططات التى وضعت عن[١] مسجد عمرو بن العاص فى ذلك التاريخ من ناحية عدد البلاطات فى كل رواق[٢] ، شكل (١٤) .

وجامع أحمد بن طولون ، الذى أنشىء فى سنة ٢٦٥ هـ ، يتسق مع " النموذج الرئيسى الذى انبثق من المسجد النبوى بالمدينة "[٣] ولا يزال فى الوقت الحاضر دليلا قويا على اقتباسه لجميع العناصر الرئيسية المتمثلة فى مخطط المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك له ، شكل (١٥) . ويشارك الجامع الأزهر الذى أنشىء سنة ٣٥٩ - ٣٦١ هـ بأروقته الثلاثة[٤] المساجد التى اقتبست أهم خصائص تخطيطها من المسجد النبوى ، شكل (١٦) .

أما جامع الحاكم بأمر الله الذى أنشىء سنة ٣٨٠ هـ فان تخطيطه يعود الى طراز المسجد النبوى قبل تحويل القبلة اذ اقتصر على ظلة واحدة وصحن مكشوف ، شكل (١٧) . وقد سارت معظم المساجد المملوكية المنتشرة فى

---

(١) أنظر جورج مارسيه : الفن الاسلامى ، ص ٧٠ ، وحسن الباشا : جامع عمرو ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٥ ، فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٣٦١ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج ١ ص ٦٣ .

(٣) فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٦٦٢ ، حسن الباشا ، جامع ابن طولون ص ٢٤٤ ، جورج مارسيه : المرجع السابق ، ص ٧١ ، سعاد ماهر : المرجع السابق ، ج ١ ص ١٤٣ ، ومابعدها .

(٤) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ١ ص ٤٩ ، سعاد ماهر : **المرجع السابق** ، ج ١ ص ١٩٥ ، وعبد الرحمن فهمى : الجامع الأزهر ، ص ٤٥٤ ، وأنظر أيضا جورج مارسيه : **المرجع السابق** ص ١٠٩ .

أنحاء مختلفة من القاهرة على هذا النسق غير أنها حوت فى أواخر دولـة المماليك البحرية " كتلة معمارية جديدة وهى مدفن المنشىء" (١) وهى فكرة غير محمودة طبقتها المساجد التركية أيضا .

هذا عن أهم مساجد مصر والمشرق الأسلامى التى اقتبست أهم العناصر البارزة فى مخطط المسجد النبوى الشريف ، ولم يشذ عن ذلك سوى المسجد الأقصى الذى يبدو من المخططات ، التى حاول أصحابها فيها تطبيـق المعلومات التاريخية المتوفرة ، أن ظلة القبلة هى الأساس فى هذا المسجد شكل (١٨) بيد أننى أظن أن هذا الوضع لم يتمثل فى المسجد الأقصـى الا فى العصر الأموى ، لاسيما وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الـذى أمر بتأسيسه عند قدومه الى أرض فلسطين سنة ١٦ هـ (٢) ، وقد كان رضى الله عنه أحرص الناس على الاقتداء بأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله . ولذلك فان الشك كبير فى أنه كان كذلك من أول بناء له .

وأول مساجد غرب العالم العربى مسجد القيروان ، الذى أسسه عقبـة بن نافع سنة ٥٠ هـ . وقد شهد عدة زيادات وتجديدات كان آخرهـا أعمال الأمير ابراهيم بن أحمد بن الأغلب الذى زاد فيه سنـة ٢٦١ هـ " الأسكوبين (البلاطتين) المطلين على الصحن من بيت الصلاة (ظلـة القبلة أو رواقها) ، وقبة البهو (المجاز) التى تتوسطهما ، والمجنبـات الثلاثة المحيطة بالصحن . وقد أجريت فى المسجد بعد ذلك اصلاحـات عديدة لم تمس تخطيطه ونظامه الذى بقى محتفظا بمقاساته وصورته التى تمت

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة فى عصر المماليك ، ص ٢٤٣ .
(٢) اليعقوبـى : تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ص ١٤٧ ، وأحمد فكرى : المدخل ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

له فى سنة ٢٦١ هـ[1]. والواقع أن الطراز الذى أستقر عليه هذا المسجد شكل (١٩) والطراز الذى كان عليه بعد عمارة هشام بن عبد الملك لـه سنة ١٠٥ هـ[2] وطرزه السابقة لا تختلف عن الطراز الأول الذى اقتبسته المساجد الاسلامية الأولى.[3] وعلى طراز جامع القيروان بنى جامع سوسه سنة ٢٣٦ هـ فى عهد الأمير محمد بن الأغلب[4] شكل (٢٠)، ومسجد الزيتونه الذى استقر بعد سنة ٢٥٠ هـ بأربع ظلات وصحن[5] شكل (٢١).
والى الغرب من تونس هناك مساجد قديمة لم تتخل، رغم بعدها، عن اقتباس أهم عناصر التخطيط النبوى، ومن أشهرها جامع القرويين الذى أنشئ سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨م فى عهد ادريس الثانى، ثم وسع سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م، فتضاعف حجمه وزاد بيت صلاته عمقا بما أضيف اليه من الأساكيب الجديدة، ووسع الصحن أيضا وأعيد بناء المجنبات[6]. وقد وسع مرة ثانية فى عهد الأمير على بن يوسف المرابطى فيما بين سنتى ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م و ٥٣٩ هـ / ١١٤٣م، بيد أنه احتفظ رغم هذا بنظام تخطيطه الأول الذى يعتبر مشتقا من النظام النبوى فى المدينة.
وعلى هذا النسق سارت مساجد المرابطين التى من أشهرها الجامع المرابطى فى تلمسان،[7] وجامع الكتبية فى مراكش،[8] ومسجد حسان فى الرباط، وتتمثل فيه العناصر النبوية أوضح ماتكون، اذ يتألف من ظلة

---

(١) أحمد فكرى : المدخل، ص ٢٠٥، وجورج مارسيه : الفن الاسلامى ص ٧٨.
(٢) أحمد فكرى : المرجع السابق، ص ٢٠٦.
(٣) أحمد فكرى : مسجد القيروان ص ٥١ - ٥٤.
(٤) أحمد فكرى : المدخل، ص ٢٥٠، وحسين مؤنس، المساجد ص ١٩٩-٢٠٠.
(٥) أحمد فكرى : المدخل، ص ٢٥٥ وما بعدها.
(٦) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٩٠.
(٧) حسين مؤنس : نفس المرجع، ص ٢١٨، ومابعدها.
(٨) حسين مؤنس : نفس المرجع ص ٢٢٢

فى مقدم المسجد " ومجنبات يمنى ويسرى وخلفية "(١) وفى هذا المسجد وغيره من مساجد المغرب تبدو التأثيرات المعمارية الأندلسية واضحة فى بناء هذه المساجد وهندستها.(٢)

أما مساجد الأندلس فأولها وأشهرها مسجد قرطبة الذى شيد فى عهد عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م. ورغم تعدد الزيادات التى شهدها هذا المسجد ، وكان آخرها فى عهد المنصور بن أبى عامر سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، فان مخططاته جميعها لا تخرج عن طراز المسجد النبوى الشريف فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة(٣) شكل (٢٢).

وفى ختام هذا العرض الموجز لأشهر مساجد الاسلام وأقدمها أود أن أؤكد أنه ليس لى فضل السبق فى اكتشاف ما يتضمنه من حقائق هامة. ثم اننى لا أدعى أن عناصر التخطيط التى شهدها المسجد النبوى فى مراحل عمارته المختلفة تتمثل بجملتها فى مخططات المساجد المذكورة وذلك لأن " عدد الأروقة (البلاطات) يختلف فى ظلة القبلة وفى الظلات الأخرى على جوانب الصحن الباقية ، كما كان يختلف اتجاه صفوف الأعمدة والبائكات التى تفصل بين الأروقة (البلاطات) أو بمعنى آخر فان كل مسجد كان يتفق مع المساجد الأخرى فى المميزات الرئيسية والتخطيط العام ويختلف

---

(١) حسين مؤنس : المساجد ص ٢٢٤.

(٢) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢١٧ ، وتبدو هذه التأثيرات الأندلسية فى شكل العقود والمنارات التى منها منارة مسجد الكتبية الشهيرة بمراكش.

(٣) أنظر مخطط زيادات المسجد فى كتاب الفن الاسلامى لجورج مارسيه ، ص ١٤٥ والمخططات التى نقلها أحمد فكرى عن جوميث مورينو فى المدخل ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، وأنظر حسين مؤنس : فى المرجع السابق ، ص ١٩٣ وما بعدها.

في التفاصيل فكان كل مسجد منها يتميز بشخصية قائمة بذاتها " (١) ولذلك فقد تبين من خلال هذا العرض الموجز أن ماكان من المساجد الأولى بظلة وصحن فقط ، يمكن ارجاع تخطيطه الى وضع المسجد النبوى الشريف قبل تحويل القبلة . وما كان منها بظلتين وصحن الى وضع المسجد بعد تحويل القبلة ، وما كان منها بأربع ظلات وصحن الى وضعه بعد بناء الوليد له .

وهكذا فان هذا التقليد النابع من الحب الخالص للآثار النبوية الكريمة لم يحد من عبقرية المعمار الاسلامى الذى أعمل فكره فى ابتكار نماذج مختلفة لأنواع العقود وتيجان الأعمدة والقباب والمآذن وغير ذلك من العناصر الزخرفية التى أضفت على المسجد طابع الحيوية والجمال .

.. .. ..

---

(١) فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٢٤١ ، وما بعدها ، وحسين مؤنس : المساجد ، ص ٢١١ ، وحسن الباشا : المدخل الى الآثار الاسلامية ص ١٢٣ .

الاصطلاحات والرموز

تبين لىّ من خلال قراءتى لما كتبه بعض المؤرخين عن تاريخ المساجد وعمارتها أن هناك خلط كبير فى استخدام مسميات بعض العناصر المعمارية فآثرت أن أبين الطريقة التى ألتزمتها عند تسميتى لتلك المصطلحات .

١ ـ التزمت عند ترتيب الأشكال جعل ظلة القبلة الى أعلى الصفحة فى مواجهة القارئ .

٢ ـ الظلات : ويسميها البعض اسقائف ، أروقة ، مجنبات .

٣ ـ الاسطوانات : وترد كثيرا بمعنى أساطين ، أعمدة ، سوارى .

٤ ـ الاسطوانات الشريفة : ويقصد بها اسطوانات الروضة المطهرة .

٥ ـ البلاطة المعترضة : ويسميها بعض المؤرخين رواق ، أسكوب وهى التى تمتد بين صفين من الأعمدة وهى على عكس البلاطات الممتدة عمودية على جدار القبلة .

٦ ـ البوائك : وهى فتحات العقود المطلة على صحن المسجد .

٧ ـ أبواب المسجد : ويسميها البعض مداخل المسجد .

٨ ـ خرزة الاسطوانة : ويسميها بعضهم فلكة وهى قطع من الحجر مدورة كالرحى مثقوبة من وسطها تركب فوق بعضها تؤلف اسطوانة كاملة .

٩ ـ المقرنصات : ويسميها البعض حطات أو دلايات .

. . . . . .

الفصل الأول

عمارة المسجد النبوي قبل العصر المملوكي

المبحث الأول

المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول

المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بدأت بشائر هذا الحدث المعمارى العظيم عندما اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم يثرب دارا لمهاجره ، فما أن وطئت قدماه الشريفتان أرض قباء حين نزل على كلثوم بن الهدم ، (١) حتى ابتاع منه مربده (٢) وبنى فيه مسجدا " وصلى فيه الى بيت المقدس" (٣) ، مدة بقائه بقباء ، وهى المدة التى يجعلها المراغى بقوله " أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء فى بنى عمرو بن عوف (اثنتين) وعشرين ليلة حكاه يحيى ، وفى صحيح مسلم أقام فيهم أربع عشرة ليلة " (٤). ويقال أنه أقام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس (٥).

---

(١) يعلل ابن هشام فى السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٤٩٣ السبب فى اختلاف الروايات فى موضع نزول النبى صلى الله عليه وسلم فى قباء بقوله: " انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من منزل كلثوم ابن الهدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة ، بيت الأعزاب " . أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١١٤٣ ، والسمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٣ ص ١٧١ أن المربد (فضاء وراء البيوت يرتفق به ، والمربد كالحجرة فى الدار ومربد التمر جرينه الذى يوضع فيه بعد الجداد لييبس ، فالمربد بلغة أهل الحجاز والجرين لهم أيضا ، والأندر لأهل الشام ، والبيدر لأهل العراق ، والمسطح والجرين فى لغة أهل نجد " .

(٣) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥١ .

(٤) تحقيق النصرة فى تلخيص معالم دار الهجرة ص ٣٨ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ص ٤٩٤ ، المراغى : المصدر السابق ص ٣٨ .

وتعتبر المدة الأخيرة كافية لتأسيس المسجد وتحديد جوانبه ، وفى ذلك يقول السمهودى : " يمكن أن النبى صلى الله عليه وسلم أسسه عند قدومه ، ثم بناه بعد ذلك " (١) ، عندما حولت القبلة ، وروى ابن النجار عن أبى عروبة أن عمر رضى الله عنه كان " يأتى قباء يوم الاثنين والخميس فجاء يوما فلم يجد أحدا من أهله فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل عليه السلام ، (يؤم به البيت) (٢) " (٣) ، ونقل السمهودى عن الطبرانى من حديث جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة قال لأصحابه : "انطلقوا بنا الى أهل قباء نسلم عليهم ، فأتاهم فسلم عليهم ، فرحبوا به ، ثم قال : يا أهل قباء ائتونى بأحجار من هذه الحرة ، فجمعت عنده أحجار كثيرة ، ومعه عنزه له (٤) ، فخط قبلتهم (٥) ، فأخذ حجرا فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا بكر ، خذ حجرا فضعه الى حجرى ، ثم قال : ياعمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ، ثم قال : ياعثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر ، ثم التفت الى الناس

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٢) ليست فى النص ولكن المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٣٥ يذكر فى النص الذى نقله عن ابن النجار فلعلها سقطت من النسخة المطبوعة وسياق المعنى يقتضى اضافتها .

(٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١١٢ .

(٤) هى أطول من العصا وأقصر من الرمح فى أسفلها زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير . أنظر ، المعجم الوسيط : جـ ٢ ص ٦٣٧ لابراهيم مصطفى وآخرون .

(٥) القبلة هنا بمعنى جدار القبلة بكامله وليس كما يقول فريد شافعى فى العمارة العربية ، ص ٦٥ - ٦٦ بأنها علامة توضع فى منتصف جدار القبلة .

فقال : ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط"[١].

ونقل السمهودى أيضا عن ابن شبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " بنى مسجد قباء وقدم القبلة الى موضعها اليوم، وقال جبريل يؤم بى البيت"[٢].

وما تتضمنه هذه الروايات المتعددة الى تحويل القبلة الى مكة المكرمة فى هذه المرحلة فى بناء مسجد قباء دليل على أنها غير مرحلة التأسيس الأولى[٣]، التى كان اتجاه القبلة فيها الى بيت المقدس. ومع ذلك فان مسجد قباء ، وان كان أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة الا أنه لم يكن أول مسجد أسس فى الاسلام ، فقد نقل السمهودى عن ابن أبى شبه عن جابر قال : " لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين نعمّر المساجد ونقيم الصلاة "[٤]، وفى رواية أن كلثوم بن الهدم كان يقيم الصلاة بأهل قباء فى مربده الذى اشتراه منه الرسول ووسعه قبل أن يغادر قباء يوم الجمعة[٥]، فى طريقه الى المدينة حتى أدركته صلاة " الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى بطن وادى رانونا"[٦]،

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٢٥١ ، راجعت هذا الحديث فى الجزء الأول والثانى من المعجم الكبير للطبرانى فلم أجده وكذلك فى المعجم الصغير ، أما المعجم الأوسط وما تبقى من أجزاء المعجم الكبير فلم أجدها .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٥١ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٤) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٥) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ١٨ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٦ .

(٦) المراغى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ويقول عبد القدوس الأنصارى فى فى آثار المدينة ، ص ٢٣٢ ان وادى رانوناء فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة ، على بعد ساعة بالسير العادى .

ثم خرج من وادى بنى سالم تحفه جموع الأنصار والمهاجرين ، حاثا ناقته القصوى على السير الى المدينة عبر أحياء الأنصار ومنازلهم وكلهم يدعونه الى المنعة والنصرة ، فيقول لهم عليه السلام خلوا سبيلها فانها مأمورة حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت على باب مسجده وهو يومئذ مربدا[(١)] لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو بن النجار " وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء ويقال أسعد بن زرارة وهو المرجح وبه جزم ابن النجار"[(٢)] . وهو ما أيده السمهودى أيضا[(٣)] ، فلما بركت الناقة لم ينزل عنها رسول الله حتى دارت فى بعض أنحاء المربد ثم عادت الى مبركها الأول فبركت فيه ووضعت جرانها[(٤)] ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا المنزل ان شاء الله ، ثم قال عند نزوله " رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين"[(٥)] .

فاحتمل أبو أيوب رحل رسول الله ووضعه فى بيته ودعته الأنصار الى النزول عندهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله[(٦)] ، ونزوله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب ثابت باجماع الرواة ، وان كان لا يعرف شىء عن مكانة أبى أيوب قبل مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة

---

(١) أنظر : أعلاه ص ١٤ عن تعريف المربد وليس فيما ذكر من أن المسلمين اتخذوا جزءًا من المربد مسجدا لهم لأداء فريضة الصلاة قبل قدوم الرسول الى المدينة ما يتعارض مع ذلك .

(٢) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٣٩ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٣ .

(٤) ان الجران هو باطن العنق وقيل مقدم العنق من مذبح البعير الى منحره ، والجمع جرن وأجرنة . أنظر : ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ١٣ ص ٨٦ .

(٥) سورة المؤمنون ، آية ٢٩ . أنظر السمهودى : المصدر السابق جـ١ ص٣٢٣ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١٢٥٩ .

سوى أنه كان " أحد الأوس الذين شهدوا بيعة العقبة الأخيرة ".(١) ويبدو أن هذا الاختيار لبيت أبى أيوب رضى الله عنه كان كما يقول ابن النجار رغبة منه عليه السلام فى " أن يتوسط الأنصار كلها "(٢)، وهذا الاختيار غير مناف كما يقول المطرى كما تقدم من قوله : " دعوها فانها مأمورة " لأن الله " اختار له ماكان يختار لنفسه ".(٣) هذا بالاضافة الى قربه من الموقع الذى اختاره له الله لبناء مسجده وهو مربد الغلامين سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو من بنى النجار، وكان فيه كما تقول الروايات مصلى صغيرا اتخذه " أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم "(٤)، ولا يخرج هذا المسجد عن صفة المساجد التى انتشرت فى المدينة قبل مقدم الرسول عليه السلام(٥)، من حيث الاقتصار على

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٤٥٤ . وذكر المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٣٩ عن بعض شيوخه عن المبتدأ لابن اسحاق أن هذا البيت الذى كان لأبى أيوب بناه له تبع الأول واسمه تبان أسعد عند ما مر بالمدينة وترك فيها أربع مائة عالم وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى أن صارت لأبى أيوب وهو من ولد ذلك العالم .

(٢) الدرة الثمينة ، ص ٢٦ .

(٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٦ . وفى هذا ما يتفق مع مقومات موقع المسجد من حيث توسطه للمدينة الاسلامية كما حدث فيما بعد فى مدينة بغداد وغيرها من المدن الاسلامية .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٥ .

(٥) أنظر ما نقله السمهودى فى نفس المصدر ، جـ ١ ص ٢٥٠ عن ابن أبى شبه من انتشار المساجد فى المدينة قبل مقدم الرسول ، وما ذكره المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٤٢ عن رزين عن أنس بن مالك " أن مصعب بن عمير كان يصلى فى موضع المسجد قبل ذلك بطائفة من المهاجرين والأنصار قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بسنة ، وهو أول من جمع الجمعة بأمر النبى (ص) ، قال يحيى فلما خرج مصعب الى النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم أسعد بن زرارة " .

تحديد معالمه بأحجار تحدد جدار القبلة وتحميه من امتهان الدواب لـه.[١]
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحبي المربد ، وهما كما ثبت في حجر أسعد بن زرارة ، فساومهما في شراء المربد "ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما".[٢]

وهذه الرواية التي يرويها السمهودى هي المرجحة لأمور منها ، مايرويه المراغي عن الواقدى أن "عدم قبوله بلا ثمن لأنه لليتيمين"[٣] ، اللذين يقول عنهما العبدرى "انهما كانا بالغين مالكين أمرهما"[٤] وأن كونهما "في حجر أسعد بن زرارة يعني في كنفه وجواره ولم يكن اذ ذاك حجر شرعي"[٥] ، مما جعلهما يرضان البيع دون مقابل.[٦]

أما الروايات التي تقول بأن ولى أمر الغلامين سيرضيهما من مالـه[٧] ، فانها توحي بمعارضة الغلامين وعدم رضاهما باعطاء المربد لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد جمع السمهودى بين الروايات المختلفة عمن كان يلى أمرهما ، هل هو أبو أيوب ، أم معاذ بن عفراء ، أم أسعد بن زرارة ، وبين

---

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٦١ ، أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٦٩.
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٢.
(٣) تحقيق النصرة ، ص ١٠.
(٤) الرحلة المغربية أو "رحلة العبدرى" روقة ١١٢ أ.
(٥) نفس المصدر ، ورقة ١١٢ أ.
(٦) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٣.
(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١٢٥٩ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٤ ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٣.

دفع الرسول للثمن من مال أبى بكر بقوله " فيجمع بأنهما كانا فى حجر كل من المذكورين ، وأنهما بذلاه مجانا ، فامتنع صلى الله عليه وسلم من ذلك وأخذه بثمنه . ثم ان كلا من المذكورين لرغبته فى الخير بذل لهما شيئا عنه ، فنسب ذلك اليه ".[١] أما عن أبى بكر فيقول عنه السمهودى" فلعله رغب فى الخير أيضا ، فدفع العشرة مع دفع أولئك ".[٢] وهذا الأداء من مال أبى بكر لم يكن الأول ولا الأخير فى سبيل اعلاء كلمة هذا الدين الحنيف ، وقد أثنى الرسول عليه الصلاة والسلام على هذا العطاء السخى من مال الصديق فقال : " ان آمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر ".[٣]

• • • •

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٤ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٥٩ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٤ ، ابن حجر الهيثمى : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الصلاة الحديث رقم ٨٠ ، أنظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ص ٢٢٧ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٣٥٩ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٧١ .

١ - المراحل الأولى لبناء المسجد النبوى

أجمع الرواة على اقامة النبى صلى الله عليه وسلم أول جمعة له عند مقدمه الى المدينة فى مسجد بنى سالم بوادى رنوناء (١)، وهو ما عرف فيما بعد بمسجد الجمعة ، وفى هذا ما يبطل الادعاء الذى أيده كريزول " من أن محمدا لم يقصد أن يكون هناك مواضع للصلاة اليومية " (٢).

ورغم اختلاف الروايات فى الموضع الذى أقام فيه الرسول عليه السلام صلاة العصر ، فمن المؤكد أنها كانت فى المدينة ، وبالتحديد فى موضع المسجد الذى اتخذه أسعد بن زرارة فى مربد سهل وسهيل قبل مقدم الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، وذلك استنادا الى ما ذكره السمهودى نقلا عن يحيى بن الحسين عن أم زيد بن ثابت أنها رأت " رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم فى المسجد " (٣). وبما أن وادى رنوناء لا يبعد عن المدينة سوى ساعة بالسير العادى (٤)، فمن المؤكد أن صلاة العصر كانت فى هذا المربد الذى كان فى جزء منه مسجد وباقيه " به نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية " (٥)، وفى رواية أخرى ماء مستنجل (٦). ومن المسلم به

---

(١) الذهبى : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ص ٢٠٢ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٣ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٣٨ .

(٢) العمارة الاسلامية المبكرة ، جـ ١ القسم الأول ص ١٠ .

(٣) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٥ . وأنظر أدناه ص ٢٧ .

(٤) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ، ص ٢٣٢ .

(٥) البخارى ، كتاب الصلاة جـ ١ ص ٨٦ ، أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ٤٦١ .

(٦) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٢٧ . وقال ابن منظور فى لسان العرب جـ ١١ ص ٦٤٨ " أن الماء المستنجل هو ما يظهر من الأرض، والجمع نجال ، واستنجلت الأرض كثرت فيها النجال ".

أن فكرة بناء المسجد النبوى الشريف قد حظيت باهتمام كبير من جانب الرسول عليه الصلاة والسلام ، منذ استقر به المقام فى دار أبى أيوب الأنصارى عندما سأل عن أصحاب المربد وساومهما فى ثمنه[١].

ويبدو أن بناء المسجد قد سبقته أعمال كثيرة ، منها تكبير مساحة المسجد الذى أقامه أسعد بن زرارة ،[٢] والتأكد من اتجاه قبلته الى بيت المقدس ، لأنه ثبت أن جبريل عليه السلام قد حدد له الاتجاه الصحيح الى بيت المقدس ، عند تأسيسه لمسجد قباء ،[٣] مما يجعل التأكد من اتجاه قبلة مسجد المدينة أمرا ضروريا . كما أن من تلك الأعمال الكشف عن أماكن المؤنة اللازمة وتقريب الأحجار من حرار المدينة ، واعداد اللبن فى " بقيع الخبخبة ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع ".[٤] واشراف النبى صلى الله عليه

---

(١) أيد فريد شافعى فى كتابه العمارة العربية ، ص ٦٤ - ٦٥ أقوال بعض المستشرقين من أن الرسول عليه السلام لم يقصد بناء المسجد من أول مرة فقال : " ظهر ذلك الحدث المعمارى عندما خطط الرسول دارا لنفسه ولآل بيته وجعل عددا من الحجرات يتقدمها فناء واسع أحاطه بجدران لا تكاد تعلو على قامة رجل ، وجعل فى الركن الشمالى الغربى من الفناء صفة أو ظلة يحتمى بها الفقراء من أصحابه ، وكان يجلس فيها الرسول ليجتمع بالمسلمين ويتدارس معهم شئونهم وما يتصل بالدعوة الى الدين الاسلامى ، وكان يصلى بهم أحيانا فى هذه الدار فى الأوقات الخمسة اليومية . ومن ثم أخذت الدار صفة المسجد ، أما الصلاة الجامعة فكانوا يؤدونها فى مسجد قباء خارج المدينة". وقد فاته أن المسجد كان يقوم بوظائف عديدة الى جانب العبادة .

(٢) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٢ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٣٤ ، والخبخبة شجرة كانت هناك ، ويقول السمهودى أن بقيع الخبخبة " لا يعرف فى زمنه كما ذكره شيخ مشايخه الزين المراغى ". والمناصع كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ، ج ٨ ص ٣٥٦ " موضع خارج المدينة ".

وسلم على اعداده كما جاء فى طبقات ابن سعد " أنه أمر باللبن فضرب"[1] وما نقله السمهودى عن الامام أحمد بن حنبل عن طلق بن على اليمامى[2] أنه قال: " بنيت المسجد مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول : قربوا اليمامى من الطين فانه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا ".[3] وفى رواية لابن سعد عن طلق أيضا أنه قال : " قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون فيه معه ، وكنت صاحب علاج وخلط طين فأخذت المسحاة[4] أخلط الطين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الىّ ويقول ان هذا الحنفى لصاحب طين".[5] هذا بالاضافة الى تسوية المربد وازالة ما حوله من حرث وماء ونخل وقبور جاهلية ،[6] ومن أجل ذلك كله بقى الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه . وكان ابتداء بنيانه للمسجد " فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى "[7] ، وقد باشر فيه العمل بنفسه[8] مما يدحض انكار بعض المستشرقين لبناء المسجد فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ورائدهم فى ذلك كما يقول الدكتور أحمد فكرى

---

(١) الطبقات الكبرى، جـ١ ص ٢٣٩ .

(٢) نسبة الى اليمامة التى ظهر بها مسيلمة الكذاب ، وأنظر ترجمته عند السخاوى فى التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٦٧ .

(٣) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٣٤ .

(٤) هى أداة معدنية تستخدم فى الحرث وحفر الأرض .

(٥) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٥٥٢ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ١٢٥٩ ، ابن النجار: الدرة الثمينة ، ص ٦٩ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٢ .

(٧) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٤ .

(٨) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٤٩٦ ان رسول الله عمل فى بناء المسجد بنفسه " ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين:
لئن قعدنا والنبى يعمل ... لذاك منا العمل المضلل".

" العلامة كيتانى CAETANI الذى أفاض فى شرحه وحاول أن يجمع له من الحجج ما يزيده صحة واستيثاقا ".(١) واقتنع برأيه كثير من العلماء(٢) ومنهم الكابتن كريزول CRESWELL الذى قال انه " لم يصبح مكانا للعبادة بمعنى الكلمة الا بعد نصف قرن من تطور الدين الاسلامى ".(٣) بيد أن هذه المزاعم والافتراءات الناجمة عن تعصب هؤلاء العلماء ، وعدم تمكنهم من فهم اللغة العربية فهما صحيحا تنهار أمام ما قام به الدكتور أحمد فكرى من بحث فى كتابيه مسجد القيروان ، والمدخل الى مساجد مصر والقاهرة.(٤) علاوة على ذلك لقد عارض FR. BUHL المستشرقين المؤيدين لآراء كيتانى مدللا على أن ذكر مسجد الضرار فى سورة التوبة آية رقم ١٠٧ دليل على بناء المسجد النبوى فى عهد الرسول.(٥)

ولم يقتصر المستشرقون على التشكيك فى بناء المسجد النبوى بأمر الرسول واشرافه ، وانما امتد ذلك أيضا الى التشكيك فى بعض العناصر المعمارية

---

(١) أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٣٩.

(٢) يقول أحمد فكرى فى نفس المرجع ص ٤٠ " ان اقتناع المستشرقين بما أورده كيتانى من آراء تتمثل فى أن مسجد المدينة الذى أجمع مؤرخو الاسلام على ذكره ، لم يكن الا بيت الرسول نفسه ، وتساءلوا ماذا كان يدعو المسلمين الى بناء بيت للصلاة ، وصلاة الجمعة لم تفرض عليهم ، بل ولم تفرض الصلاة قبل وفاة الرسول " وذكر فى حاشية ص ٣٩ من نفس المرجع انه لم يخالفهم الا الأستاذ كريمر فى كتابه تاريخ المدينة فى الشرق تحت حكم الخلفاء.

(٣) العمارة الاسلامية المبكرة ، جـ ١ القسم الأول ، ص ٧.

(٤) ص ٣٩ - ٥٠ من الكتاب الأول وصفحة ٢٦٧ من الكتاب الثانى.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة المدينة جـ ٣ ص ٩٠.

كالمحراب[1] ، والمنبر ونظام تخطيط المسجد وغيره مستغلين " مافى روايـات المؤرخين والكتاب العرب القدماء من نقاط ضعف وثغرات "[2] ، عديـــدة ، مما يوجب على كل باحث منصف تفنيد هذه المزاعم ودحضها بأسلوب علمى سليم قائم على الدليل المقنع وخال عن التعصب والأهواء .

... ...

---

(١) يرى فريد شافعى فى كتابه العمارة العربية ، ص ٥٩٩ ان المحـراب المجوف وجد فى المسجد النبوى فى حياة الرسول وأنه كان على شكـل تجويف بسيط لم يتضح هذا التجويف الا فى عمارة عثمان رضى الله عنه . والحقيقة ان اسطوانة مصلى النبى التى صلى اليها مدة من الزمن كانت علامة مميزة لموضع المصلى الشريف الذى كان محاذيا لها . ولم يتوفـر لى نص يفيد بأن المحراب وجد فى عهد الرسول كما يرى شافعى .

(٢) فريد شافعى : **المرجع السابق**، ص ٥٨٤ .

٢ - تخطيط المسجد النبوى وبنـــاؤه

اهتم النبى عليه الصلاة والسلام ، بعد اعداده مكان المسجد ، بأمر بنائه وتعيين اتجاه القبلة على وجه التأكيد بمساعدة أمين الوحى عليه السلام من صحة اتجاه قبلة المسجد الأول ، وليس غريبا أن يحتاج الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الأمر الى مرشد سماوى لمعرفة الاتجاه الصحيح للقبلة ، نظرا لانعدام الوسائل التى تساعد على تحديد الاتجاه القطعى للقبلة فى ذلك الوقت ، وقد حدث انحراف فى اتجاه القبلة فى بعض المساجد التى أسست بعد المسجد النبوى بوقت طويل ، كما هو الحال فى مسجد القيروان بتونس الذى وضع أساسه عقبة بن نافع سنة خمسين من الهجرة [1] ، ومسجد واسط الذى أنشأه الحجاج سنة ٨٦ هـ [2] ، ومسجد المنصور ببغداد الذى بنى سنة ١٤٩ هـ [3] ، وكذلك جامع القرويين فى مدينة فاس . [4] [*] ولهذا فليس من المستغرب أن يحظى تعيين اتجاه القبلة بهذا الاهتمام الكبير من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن جدار القبلة كما يقول أحمد فكرى " كالقاعدة للمستطيل أن انحرفت فلا مناص من أن تنحرف أضلاعه الأخرى ولا مناص من أن تحيد أساكيب (بلاطات) المسجد

---

(١) أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٢٢ .
(٢) أحمد فكرى : المدخل ، ص ٢١٥ .
(٣) رمزية محمد الأطرقجى : بناء بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور ، ص ٢ .
(٤) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ج ٣ ص ٦٥٧ - ٦٥٩ .
(*) لقد شاهدت انحرافا كبيرا فى أحد المساجد المنشأة فى العصر الحديث فى مكة المكرمة بالقرب من بقالة البيان . وكذلك مسجد كلية الشريعة الذى أعيد النظر فى اتجاه محرابه بعد عدة سنوات من الصلاة فيه .

أيضا فهى موازية لهذا الحائط "(١) الذى كان يتجه عند تأسيس المسجد النبوى من الشرق الى الغرب فى اتجاه بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى . ويوازيه فى الجنوب جدار مثله فى الطول يتجه من الشرق الى الغرب ، أما الجداران الآخران وهما الشرقى والغربى ، فيمتدان من الجنوب الى الشمال فى شكل مستقيم ويتعامدان على طرفى جدار القبلة مما جعل مخطط المسجد يأخذ شكل المستطيل المتوازى الأضلاع. وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى تنفيذ هذا البناء البسيط ، الذى يتفق مع بساطة الدين الاسلامى الحنيف ، " والذى لا يتطلب آداؤه أكثر من جدران تقام بأية مادة من مواد البناء ، تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته ، ومن سقيفة أو ظلة أو أكثر يحتمى بها المسلمون فى أثناء صلاتهم "(٢).

وهذه البساطة هى التى توخاها الرسول فى أول بناء لمسجده وهو ماعناه بقوله لأصحابه " ابنوا لى مسجدا عريشا كعريش موسى ، ابنوه لنا من لبن "(٣). وكان اللبن مادة أساسية فى بناء المسجد الأول بعد تأسيسه بالحجارة المحفور لها فى باطن الأرض الى ارتفاع ثلاثة أذرع(٤). أى بارتفاع

---

(١) أحمد فكرى : مسجد القيروان ، ص ٢٣ .

(٢) فريد شافعى: العمارة العربية ، جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٣) أورد السمهودى : فى وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٧ الروايات التى ذكرت العريش ومنها ما يقول أنه سبعة أذرع وأخرى تقول انه اذا قام فيه أصاب رأسه السقف . ويشرح القرطبى فى بهجته ، ص ١١٦ العريش فيقول : " ان عريش موسى كان اذا قام به أصاب رأسه السقف ، والعريش كل شىء سقف والجمع عروش ، وقيل عرش ويسمى مجلس السلطان عرشا . وعرش الله عز سلطانه مما لا يعلمه البشر ".

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٣٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٧٩ .

٥٠ سم تقريبا [١]، وهو ما اقتصر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المرحلة الأولى من بناء المسجد الشريف استنادا الى ما أورده السمهودى نقلا عن ابن عائذ عن عطاف بن خالد " أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو عريش اثنى عشر يوما ، ثم بناه وسقفه " [٢].

ويؤيد تطور البناء هذا ما ذكره ابن النجار عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : " كان طول جدار المسجد بسطة [٣]، وكان عرض الحائط لبنة لبنة ثم أن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصف ، ثم قالوا : يارسول الله لو أمرت فزيد فيه قال : نعم فأمر به فزيد فيه وبنى جداره لبنتين مختلفتين ، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل فقال : نعم فأمر له بسوارى من جذوع النخل شقة ثم شقة ، ثم طرح عليها العوارض والخصف والأذخر [٤]، وجعل وسطه رحبة . فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف " يقطر سقفه " عليهم فقالوا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد فطين فقال لهم : عريش كعريش موسى ثمام وخشيات والأمر أعجل من ذلك " [٥] وقد يبدو أن الشرح الموجز الذى أوردته السيدة عائشة رضى الله عنها للمراحل

---

(١) ذراع اليد هى نفس الذراع الشرعية وتساوى ٠,٥٠٣ من المتر. أنظر : فالترهنتس فى المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٨٨ .

(٢) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٣) البسطة هى قامة الرجل مع رفع اليد الى أعلى ، أنظر ابن منظور : لسان العرب جـ ٧ ص ٢٦١ .

(٤) قال ابن منظور فى نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٠٣ " الأذخر حشيش طيب الريح له أصل مندفن دقاق وفر الريح ، وهو مثل أسل الكولان الا أنه أعرض وأصغر كعوبا ، وله ثمرة كأنها مكاسح القصب ، الا أنها أدق وأصغر وهو يشبه فى نباته الغرز ، يطحن فيدخل فى الطيب ، وهو ينبت فى الحزون والسهول وقلما تنبت الأذخرة منفردة . . . واذا جف الأذخر أبيض ، وهو حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب .

(٥) الدرة الثمينة ، ص ٦٩ - ٧٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٤ .

التى مر بها بناء المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واضح ، ولكننى بتتبعى للروايات المختلفة استطعت أن أتفهم الأدوار التى مر بها المسجد فى مراحله الثلاث ، فقد أسس المسجد النبوى أول مرة بالحجارة (١) . وذلك لأنها أقوى وأقدر على مقاومة السيول والمياه التى قيل أنها كانت مجتمعة فى مكان المسجد ، وكعادة البناة فى كل عصر فلابد من حفر أساس لجدران المسجد حتى لا تجرف السيول والأمطار تربة الأرض المحيطة بالمسجد فتبقى الجدران معلقة (٢) . وقد كان ارتفاع الجزء المبنى من الحجارة بما فيه الجزء المدفون ثلاثة أذرع أى متر ونصف تقريبا ، ثم أضيف عليه من اللبن ما أوصل الجدار الى ارتفاع البسطة ، وهو المقصود من قول ابن النجار أنهم " جعلوا أساس المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن " (٣) وذلك عن طريق وضع لبنة فوق أخرى وهذه فى نظرى هى المرحلة الأولى من بناء المسجد استنادا الى ما أورده السمهودى نقلا عن رزين من رواية جعفر حيث قال " ان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئا " (٤) ، وكان البناء الذى استخدم فيه هو السميط من اللبن " (٥) حين كان عدد المسلمين فى أول السنة التى قدم فيها

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٣٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٧٩ .

(٢) ذكر السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٣ عن ابن زبالة ويحيى أن " عرض جدار المسجد مما يلى المغرب ذراعان ينقصان شيئا ، وعرض منقبته (مدماكه) مما يلى المشرق ذراعان وأربعة أصابع ، وانما زيد فيه لأنها من ناحية السيول " وفى هذا يقول السمهودى " وهذا لأن السيل كان يخشى المسجد من تلك الناحية " ، ويبدو من كلام ابن زبالة ويحيى أن عرض هذا الجدار كان فى عمارة المهدى ويبدو أن عرض المداميك التى أقامها الرسول كانت مثل المداميك المذكورة أو قريبا منها .

(٣) الدرة الثمينة ، ص ٦٩ .

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٣٥ .

(٥) قال ابن منظور فى لسان العرب ، ج ٧ ص ٣٢٤ أن السَّمِيطُ والسُّمَيْطُ هو الآجر القائم بعضه فوق بعض ومثل ذلك ذكره الفيروزبادى فى القاموس المحيط جـ ٢ ص ٣٧٩ .

الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لا يتجاوز الألف ، استنتاجا مما ذكره المراغى من أن عدد المسلمين الذين خرجوا معه من قباء وصلوا معه الجمعة فى مسجد بن سالم بوادى رنوناء " كانوا مائة رجل ويقال أربعين "(١) ، ومماذكره السمهودى عن عدد المستقبلين له فى المدينة بأنهم خمسمائة مسلم (٢) ، وهذا العدد من المهاجرين والأنصار هم الذين كانوا يداومون على شهود الصلاة مع رسول الله فى مسجده بالمدينة أول الأمر . بيد أن أتباع هذا الدين كثروا بمرور الوقت مما تطلب معه اعادة بناء المسجد مرة ثانية ، وهذا البناء هو الذى استخدمت فيه السعيدة من اللبن (٣) ، ولكن أحدا من المؤرخين لم يشر الى الأسباب التى من أجلها استخدم هذا النوع من البناء سوى ما أورده ابن النجار من رواية عائشة رضى الله عنها حيث قالت : " ثم ان المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصف "(٤) ، ولكن الاختلاف الملحوظ فى الروايات التاريخية حول ذرع المسجد فى عهده صلى الله عليه وسلم يجعل المرء يقف أمام هذا الاختلاف فى الذرع الذى يتدرج من الصغر الى الكبر موقف المتشكك فى أن كل هذه الروايات تدور حول مرحلة واحدة من مراحل بناء المسجد .

١ - فقد روي ابن اسحاق الحربى عن يحيى بن حسين أنه قال : " حدثنى هارون بن موسى ، عن محمد ابن يحيى ، قال : كان فيما انتهى الينا من ذرع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، ذلك من القبلة الى حده الشمالى أربعا وخمسين ذراعا وثلثى ذراع ، وحده من المشرق ثلاثة وستون ،

---

(١) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٣٨ .
(٢) وفاء الوفا ، ج ١ ص ٢٥٥ .
(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب ج ٣ ص ٢١٥ أن السعيدة هى اللبنة لبنة .
(٤) أنظر أعلاه ص ٢٨ .

يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف وأربع مائة ذراع ، وأربع وستون ذراعا ".(١)

٢ - وأجمل السمهودى ما تحصل له من روايات فى ذرع المسجد النبوى فقال: " وقد تحصلنا فيما تقدم فى ذرع المسجد على أربع روايات : الأولى ، سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد ، والثانية ، مائة ذراع فى مائة ، وأنه مربع ، والثالثة أنه أقل من مائة ذراع ، وهذا صادق بالأولى فليحمل عليها ، الرابعة ، أنه بناه أولا أقل من مائة فى مائة ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ".(٢) كما أن هذا التدرج ملحوظ فى ارتفاع الجدار ، فتارة يوصف بأنه قدر قامة الرجل أو قامة وبسطة ، كما نقل السمهودى عن ابن زبالة ويحيى من أن " جداره قبل أن يظلل قامة وشيئا"(٣) وعند ابن سعد بسطة .(٤) وفى الصحيحين " كان جدار المسجد ما كادت الشاه تجوزه "(٥) وأورد السمهودى عن كل من الغزالى والأقشهرى

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٥٩ وحاصل الضرب مغلوط وصحته ٣٤٤٤ ذراع أى أنه يزيد خمسون ذراعا .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٤٠ . وقد علق السمهودى على الرواية الرابعة بقوله " الظاهر أن المراد من هذه الرواية الاشبار لا الأذرع ، فيقتضى أن المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه مائتي شبر ، والامتداد الآخر نحوها ، فيوافق رواية مائة ذراع فى مثلها".
وإذا كان حاصل ضرب المرحلة الأولى ٧٠ × ٦٠ = ٤٢٠٠ ذراع فان حاصل ضرب المرحلة الأخيرة أكثر من ضعفين هذا الرقم ١٠٠ × ١٠٠ = ١٠٠٠٠ ذراع وهذا يوافق قوله زاد عليه مثله فى الدور.

(٣) السمهودى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٣٥ ، وأنظر المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٥ .

(٤) الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٤٠ .

(٥) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ص ١٥ ويقصد به أن الشاة تستطيع بصعوبة القفز من فوقه .

روايتين مفادهما أن جدار القبلة سبعة أذرع [١] ، وهو ما يقول عنها أحمد فكرى أنها " ثلاثة أمتار ونصف " . [٢] وهو ارتفاع كبير لا يمكن أن يكون قد استخدم من أول مرة ، ومن هذا يتبين أن عمارة المسجد النبوى الشريف مرت بثلاث مراحل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . واستخدم فى كل مرحلة منها نوع خاص من البناء كان يعبر عنه تارة بلبنة ، وتارة بلبنة ونصف وتارة بلبنتين مختلفتين [٣] ، وهى كالتالى :

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٣٦ .

(٢) المدخل ، ص ١٧١ .

(٣) وردت بعض التفسيرات عن طريقة وضع الطوب فى مراحل بناء المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الا أننى وجدت صعوبة فى ترسم بناء كل مرحلة وفق المعطيات التى ذكرها أحمد فكرى فى كتاب المدخل ص ١٧٠ وعبد الحى الكتانى فى التراتيب الادارية جـ ٢ ص ٧٧ عن صفة بناء اللبنة بجوار اللبنة وصفة بناء اللبنة والنصف ، وبناء اللبنتين المعترضتين . وقد ظل الأمر غامضا بالنسبة لى حتى ظفرت بما ذكره السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٢٣ من أنهم وجدوا فى بعض جدران الحجرة الشريفة عند هدمها سنة ٨٨١ هـ " لبنا غير مشوى طول اللبنة منه أرجح من ذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع. وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع " ثم ذكر بعد ذلك فى صفحة ٦٢٤ أن هذا اللبن من بقايا لبن الحجرة الشريفة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأنهم " رأوا أن لا يخلو بناؤهم من بركة ذلك اللبن ، فوضعوا منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقصة " بعد هدم الحجرة الشريفة فى عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ . وعلى هذا فان لدينا نوعين من اللبن : الأول طوله ذراع ، وعرضه نصف ذراع ، وسمكه ربع ذراع هكذا :

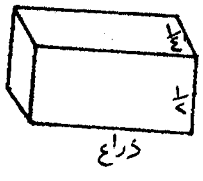

(=)

أولا : المرحلة التى كان فيها طول المسجد من المشرق الى المغـــرب ٦٣ ذراعا وعرضه من الشمال الى الجنوب ٥٤ ذراعا وثلثا ذراع، وارتفاعه

(=) وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن هشام فى القسم الأول من السيرة النبوية ص ٤٩٦ والسمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٣٠ من أن عمار بن ياسر اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بناء المسجد الشريف من تحميله لبنتين خلافا لبقية العاملين الذين كانوا يحملون لبنة واحـدة وذلك لأن لبنة من هذا النوع هى ما يتفق وجهد الانسان العادى .

أما النوع الثانى من اللبن فطوله نصف ذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه نصف ذراع وشكله هكذا :

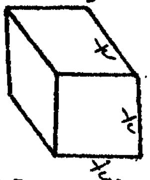

ويمكن وفق هذه المعطيات الجيدة اعادة ترسم كل طريقة من طـرق البناء الثلاث كالتالى :

النوع الأول من البناء وهو ما يعبر عنه ابن النجار" بلبنة لبنة " فكـــان مبنيا كله بالنوع الأول من اللبن على هذا النحو :

أى أن سمك الجدار فيه ربع ذراع .

أما النوع الثانى وهو ما عبر عنه ابن النجار بلبنة ونُصف فكان الجدار فيه أكثر سمكا من النوع الأول ، وذلك لأنه استخدم فيه لبنتين من النوع الأول وأقامهما بجوار بعض ووضع أمامهما لبنة من النوع الثانى وهو ما عبر عنه بالنصف وذلك على النحو التالى :

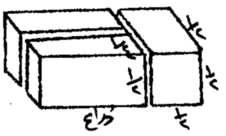

أما النوع الثالث من البناء وهو ماعبر عنه ابن النجار أيضا بلبنتـــين مختلفتين فكلها من النوع الأول ، الا أن اللبن قد وضع على عرضه رغبة فى زيادة عرض المدماك لكى يتفق مع التطور المعمارى الذى حدث فى ارتفاع (=)

قامة أو بسطة ونوع البناء لبنة فوق لبنة ، وكانت أرض المسجد كلهـــا مكشوفة .

ثانيا : المرحلة التى كان طول المسجد فيها سبعين ذراعا وعرضـه أكثر من ستين ذراعا ، وارتفاعه قامة وشىء ونوع البناء لبنة ونصف وأرضه مكشوفة . شكل (٢٣) .

ثالثا : بقى المسجد فى هذه المرحلة كما هو فى المرحلة السابقة ، أى أقل من مائة ذراع الا أنه سقف بالعوارض التى ترتكز على الأعمدة مــن جذوع النخل وفوقها الخصف والأذخر ، ثم استخدم الطين فـــى تغشيتها فيما بعد ، وقد أوجب استخدام السقف فى هذه المرحلـة رفع البناء الذى يقول عنه ابن المحجوب: " ان طول جدار المسجد فـى الهواء كان قبل تسقيفه قامة تزيد شبرا ، كذا نقل ابن زبالة عن أنـس ابن مالك ، ولما سقفه الرسول بالجريد كما تقدم فلابد أن تظهر فـــى طوله زيادة قليلة "(١) . ومن المرجح أن استخدام اللبنتين المعترضتين كان فى هذه المرحلة نظرا لما يتطلبه تسقيف المسجد الشريف من متانة فـــى البناء ، وهذا البناء هو ما بقى عليه المسجد حتى تم تحويل القبلة وتجديد بناء المسجد وتوسعته فى السنة السابعة من الهجرة ، ولعل مما يؤيـــد هذا التقسيم بأدواره الثلاثة بقاء " رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر "(٢) وقيل عشرة أشهر كما يبدو مما نقله السمهودى

(=) سقوف المسجد وجدرانه وكان على النحو التالى :

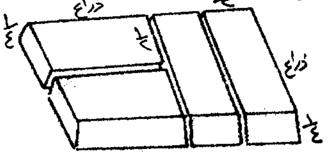

(١) قرة العين فى أوصاف الحرمين . ورقة ٦٥ أ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢ وابن النجار : الدرة الثمينة ص ٦٨ .

عن رزين الذى قال : أقام عند أبى أيوب من شهر ربيع الأول الى صفر من السنة الثانية "[(١)] وقال القرطبى : " كان ابتداء بنيانه صلى الله عليه وسلم لمسجده فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى ، وكانت اقامته فى دار أبى أيوب سبعة أشهر "[(٢)] وذكر الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " بنى بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر فى ذى القعدة فى قول بعضهم وفى قول بعض بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر فى شوال "[(٣)].

وليس بمستبعد أن يشهد المسجد النبوى الشريف فى الأشهر السبعة التى أقامها الرسول بدار أبى أيوب قبل أن يكمل بناء داره ومسجده هذا التطور المعمارى بمراحله الثلاث لا سيما وأن أنصار الدعوة فى ازدياد . ولا شك أن حرصهم على حضور الصلاة جماعة مع الرسول عليه السلام قد أوجب هذا التوسع المتتابع فى المسجد النبوى الشريف.

ومهما يكن من أمر فان بناء المسجد كان مما لابد منه كما يفهم من رواية أبى داود عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان كل بناء وبال على صاحبه الا مالا ، الا مالا " أى الا مالا بد منه[(٤)] .

. . . . . .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٢٦٥ .
(٢) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١١٤ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١٢٦١ .
(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٩ .

٣ - المسجد النبوى من تحويل القبلة حتى السنة السابعة من الهجرة

احتل نبأ تحويل القبلة مكانا بارزا عند رواة السيرة ومدونيها ، وذلك لأن أمر القبلة كان يشغل بال الرسول منذ استقر به المقام فى المدينة المنورة (١)، كما أن الرغبة فى الاتجاه الى الكعبة قد راودت بعض المسلمين قبل الهجرة كالبراء بن معرور الذى استقبل الكعبة عند مقدمه مع قومه الأنصار لمبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام فى العقبة الثانية فقال له الرسول عليه السلام " قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ". وقد زالت حيرته صلى الله عليه وسلم بعد ١٦ أو ١٧ شهرا بنزول الآية الكريمة " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين

---

(١) عن سبب اهتمام الرسول بهذا الأمر أنظر ما ذكره الطبرى عن حب النبى صلى الله عليه وسلم لاستقبال البيتوما قالته اليهود فى استقباله لبيت المقدس ، جـ ٣ ص ١٢٨١ ، وابن سعد فى طبقاته ، جـ ١ ص ٢٤١ - ٢٤٣ عن حب النبى لاستقبال الكعبة ، وأنظر ابن الأثير فى الكامل جـ٢ص ١١٥ عن صلاته فى مكة وجعله الكعبة بينه وبين بيت المقدس وعدم تمكنه من ذلك فى المدينة وأنظر ما ذكره السمهودى نقلا عن يحيى عن ابن عباس قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف يصلى انتظر أمر الله فى القبلة ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم ينه عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فأشار له جبريل يا محمد صلى الى البيت ، وصلى جبريل عليه السلام الى البيت ، قال : فدار النبى صلى الله عليه وسلم الى البيت ، قال: فأنزل الله تعالى " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها " الى وما الله بغافل عما تعملون " قال : فقال المنافقون حن محمد الى أرضه وقومه ، وقال المشركون أراد محمد أن يجعلنا له قبلة ، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدى من دينه ، وقالت اليهود للمؤمنين ، ما صرفكم الى مكة وترككم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم الا تعبثون " الوفا ، جـ١ص ٣٦٠ .

أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ".(١)

وقد استجاب عليه السلام لهذا الأمر الربانى فاستدار الى الكعبة وهو يصلى الظهر فى مسجد بنى سلمة ، وبالرغم من اختلاف الروايات ، الا أن الثابت عند الحافظ بن حجر كما يقول السمهودى " أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر"(٢) ومن ثم انتشر نبأ تحويل القبلة فى المدينة وما يحيط بها من قرى ، فكان وقت وصول الخبر يختلف من مكان لآخر .(٣)

وقد ترتب على هذا الحدث الكبير فى المسجد النبوى آثارا معمارية مهمة هى :

---

(١) سورة البقرة : آية ١٤٤ . وذكر الأزرقى فى أخبار مكة جـ ١ ص ٩١ ترجيح رواية السبعة عشر شهرا . وذكر السمهودى نقلا عن ابن حجر العسقلانى أن " أسانيد الروايات المتقدمة أعنى رواية ثلاثة عشر شهرا وتسعة عشر شهرا ونحوها شاذة . قال وأما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا وستة عشر ، ورواية الشك فى ذلك أن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا ، وألغى الأيام الزائدة ، ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدها معا ، ومن شك تردد فى ذلك ، وذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ، وقول ابن حبان " سبعة عشر شهر وثلاثة أيام " بنى على أن القدوم كان فى ثانى عشر ربيع الأول . أنظر : الوفا ، جـ ١ ص ٣٦٤ .

(٢) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٦٤ .

(٣) كما حدث لبنى حارثة اذا يقول السمهودى فى نفس المصدر جـ ١ ص ٣٦٢ نقلا عن ابن أبى حاتم عن ثويلة بنت أسلم قالت " صليت الظهر والعصر فى مسجد بنى حارثة ، فاستقبلت مسجد ايلياء ، فصلينا سجدتين : أى ركعتين ، ثم جاء من يخبرنا أن النبى (ص) قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين الى البيت الحرام " .

أولا : انتقلت القبلة من الشمال الى الجنوب بأمر الله عز وجل ولهذا كان لابد من نقل الظلة التى أقيمت فيما سبق لتقى المصلين الحر والمطر من الجهة الشمالية الى الجهة الجنوبية ، بيد أن الحاجة اليها لايواء الفقراء والمساكين أوجبت بقاءها واقامة أخرى فى الجهة الجنوبية . وكان مابين الظلتين رحبة واسعة .(١) ولكن المصادر التى أمكننى الاطلاع عليها لم تشر الى تغيير اتجاه جدار القبلة الذى يقول عنه أحمد فكرى انه " كالقاعدة للمستطيل ان انحرفت فلا مناص من أن تنحرف أضلاعه الأخرى ".(٢)

ولم يرد عن هذا الحدث المعمارى أدنى اشارة الا ما ذكره أبو عبد الله بن المحجوب حين قال : " ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم جعل قبلة مسجده الكريم فى أول بنائه الى جهة الشام لبيت المقدس وصلى اليها ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، ثم أمره الله باستقبال الكعبة بمكة فحول قبلة مسجده اليها وهى على عكس ماكانت عليه ، فان استقبال الشام الى شمال المسجد واستقبال الكعبة ومكة الى جنوبية ".(٣) الا أن كلا من بيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المكرمة ليست على خط طول واحد كما يظهر من الخريطة المرفقة شكل (٢٤) والصورة شكل (٢٥) ومعنى ذلك أن الاكتفاء بعمل ظلة فى المسجد بازاء جدار القبلة قد يترتب عليه انحراف فى ترتيب الصفوف داخل هذه الظلة وباقى المسجد، فالمدينة المنورة تقع على خط طول ٣٦ر٩ ٣٥ شرقا ،(٤) ومكة المكرمة على خط

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ص ١٧١ .
(٢) أنظر أعلاه ، ص ٢٦ .
(٣) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ
(٤) عمر الفاروق رجب : المدينة المنورة ص ٢٣ .

طول ٩ر٠٤ ° شرقا[(١)] . وبيت المقدس على خط طول ١٣ر٣٥ ° شرقا[(٢)] . أى أن هناك خط يشبه القوس يربط مابين هذه المدن الثلاث . ومما يؤيد تشككي في بقاء جدران المسجد على حالها الأول ، ما ورد في الروايات التى تذكرنبأ تحويل القبلة ، فابن المحجوب ينقل عن ابن زبالة " أنه صلى الله عليه وسلم لما أمره الله باستقبال الكعبة أتاه جبريل عليه السلام فربع له الكعبة ، وقال يارسول الله ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر الى الكعبة فصوب قبلته وهو يشاهدها لا يحال بينه وبينها ، حتى اذا فرغ قال جبريل للجبال والشجر هكذا وأشار اليها فعادت كما كانت "[(٣)] .

وذكر القرطبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام " رهطا على زوايا المسجد ليعدلوا القبلة فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال يارسول الله ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة "[(٤)] . وقال ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام " أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يارسول الله ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة "[(٥)] . وأسند يحيى عن طريق ابن زبالة كما نقله السمهودى عن الخليل بن عبد الله الأزدى عن رجل من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يارسول الله ، ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ، ثم

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية ص ٣٧ .
(٢) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ص ١٣ .
(٣) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ .
(٤) بهجة النفوس والأسرار ص ١١٦ .
(٥) الدرة الثمينة ص ٧٠ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٧٩ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٢٠ .

قال بيده هكذا ، فأماط كل جبل بينه وبين القبلة ، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة . . "(١) واستنادا الى ماورد فى هذه الروايات من ألفاظ تؤيد تربيع المسجد وتعديل قبلته يتبين أن المسجد النبوى شهد فى هذه المرحلة الهامة من تاريخه تعديلا فى وضع جدرانه ، والا فما الداعي الى استعانة الرسول صلى الله عليه وسلم بمن يقوم على أركان المسجد ليضع الاتجاه الصحيح الذى لم يتم الا بمساعدة أمين الوحى عليه السلام ؟ (٢) ولولا أن الأمر بهذه الصعوبة لاكتفى الرسول عليه الصلاة والسلام بوضع علامة فى جدار القبلة الجديدة . ومما يؤيد اعتقادى فى تغيير جدران المسجد الشريف بقاء الصفوف فى المسجد موازية حتى الآن لجدار القبلة الذى كان بازائه موضع مصلاه عليه السلام . وهو كما يقول السمهودى اتجاه قطعى ولا مجال للاجتهاد فيه ، (٣) وانه " لا يجتهد فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعا : اذ لا يقر على خطأ . فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليمنة واليسرة ، بخلاف محاريب المسلمين سيط وقد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٦٦ كما أورد فى الصفحة نفسها أحاديث منها " عن نافع بن جبير من طرق مرفوعا : ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت الى الكعبة فوضعتها أومها " . " وعن ابن عجلان قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده وجبريل قائم ينظر الى الكعبة ، ثم كشف له ما بينه وبينها " . وعن ابن شهاب مرفوعا ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة فوضعتها أومها " .

(٢) أن الوضع الذى رسمه بوتى للمسجد النبوى قبل تحويل القبلة شكل (٢٦) يمكن قبوله فى حالة عدم تعرض المسجد النبوى فى هذه المرحلة لتغيير وضع جدران المسجد .

(٣) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٨٣ .

تقدم أنه وضعه[1] وجبريل يؤم به البيت".[2] ونقل أيضا عن الامام النووى قوله :" وكل موضع صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبط موقفه تعين ولا يجتهد فيه بتيامن ولا تياسر"[3] .

ثانيا : ترتب على نقل القبلة من الشمال الى الجنوب مع الابقاء على الظلة الأولى مكانا لأهل الصفة ،[4] أن أصبح للمسجد لأول مرة ظلتان يتوسطهما صحن مكشوف ، ولعل الظلة فى المسجد النبوى قد أثبتت جدواها منذ استحداثها حتى تم تحويل القبلة ، الأمر الذى أوجب اقامتها أمام جدار القبلة الجديد .

ثالثا : استجد للمسجد النبوى باب فى مؤخره ، وذلك فى رواق القبلة القديم الذى خصص لأهل الصفة فيما بعد . وسد الباب الذى كان فى مؤخر المسجد القديم الذى أصبح بعد تحويل القبلة رواقا لها . أما البابان الآخران وهما باب الرحمة أو باب عاتكة وباب جبريل ، فبقيا على حاليهما ،[5] وهما كما يقول ابن المحجوب" فرج لا اغلاق عليها".[6]

---

(١) يقصد أن رسول الله وضع علامة مصلاه بنفسه وهى العود الذى كان يرتكز عليه عند آداء الصلاة أما المحراب بمعناه المعروف فلم ينشأ الا فيما بعد وبالتحديد فى عمارة الوليد للمسجد النبوى .

(٢) السمهودى : **وفاء الوفا** ، جـ ١ ص ٣٨٣ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٨٣ .

(٤) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٥٣ ، أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧١ .

(٥) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣١ ، السمهودى : **المصدر السابق**، جـ ١ ص ٣٣٦ .

(٦) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ أ . ويقصد بكلمة الاغلاق مصاريع البيبان التى تغلق بها فتحات المداخل .

رابعا : أصبحت حجر أمهات المؤمنين التى أنشئت منذ قدوم الرسول الى المدينة مجاورة لصدر المسجد ، أى لرواق القبلة الجديد الذى كان يغشاه الناس للاجتماع بالرسول صلى الله عليه وسلم وحضور الصلاة معه فيه ، وكان أول هذه البيوت بيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة [١] ، ثم بيت عائشة رضى الله عنها . وفى ذلك يقول الزركشي نقلا عن الذهبى : " لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه فعل ذلك . انما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج الى بيت آخر حتى بنى بعائشة " [٢] ، رضى الله عنها ، ولكن الروايات أوردت أنه عليه السلام بنى بيتين مع بناء المسجد أول مرة ، أحدهما لعائشة رضى الله عنها " لانها كانت زوجته غير أنه لم يبن بها فتأهب لذلك بأن بنى لها حجرتها " [٣] . وكانت هاتان الحجرتان مبنيتان كباقى الحجر ، باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد [٤] ، والى جوارهما كان بيت فاطمة رضى الله عنها لأن زواجها من على بن أبى طالب رضى الله عنه كان كما يذكر الطبرى فى شهر رجب من السنة الثانية [٥] ، ويؤيده الذهبى فيما رواه عن ابن عائذ عن محمد بن شعيب أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى " لحمزة ولعلى ولجعفر وهم بأرض الحبشة وجعل مسكنهم فى مسكنه وجعل أبوابهم فى المسجد مع بابه ثم انه بدا له ، فصرف باب حمزة وجعفر " [٦] .

---

(١) ذكر الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ١٣٦٣ أن قدومها رضى الله عنها الى المدينة كان فى السنة الأولى من الهجرة الشريفة .
(٢) أعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص ٢٢٤ .
(٣) البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ١٠ .
(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٤٠ .
(٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٧٣ .
(٦) تاريخ الاسلام جـ ١ ص ٢٠ .

وبناء على ما تقدم فان قرب هذه البيوت التى بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حولت القبلة فى النصف الأول من السنة الثانية ، من مقدم المسجد ، كان نتيجة من نتائج تحويل القبلة . كما أن كثيرا من معالم المسجد الشريف كالاسطوانات المشهورة ومنبره الشريف لم تتحدد الا بعد نقل القبلة . على أن كثيرا من الروايات يحدد موضع مصلى النبى قبل تحويل القبلة . فينقل السمهودى عن ابن زبالة عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله " كان مصلاه الذى يصلى فيه بالناس الى الشام فى مسجده أن تضع موضع الاسطوان المخلق اليوم[1] خلف ظهرك ثم تمشى الى الشام ، حتى اذا كنت (بيمين) باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع "[2].

هذا عن الآثار المعمارية التى ترتبت على تحويل القبلة . أما الوصف الدقيق لظلتى المسجد فان كتب التاريخ لم تزودنا بما يكفى لمعرفة حال الظلة الأولى ، الا أنها قد أعطتنا من الاشارات ما يكفى لترسم حال الظلة الثانية ، فمن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ مصلاه بازاء جدار القبلة من أول يوم أمر فيه بالتوجه فى صلاته الى الكعبة ، وان كان ما نقله السمهودى عن ابن زبالة يفيد أنه صلى الى اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، المتوسطة للروضة " بضع عشرة المكتوبة ،[3] ثم تقدم الى مصلاه الذى وجاه المحراب فى الصف الأوسط " ،[4] والمشهور كما يقول السمهودى أن مقام

---

(١) هى الاسطوانة المعروفة باسطوانة عائشة رضى الله عنها .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٦٧ وقال عنه مؤلف تاريخ مكة والمدينة لمجهول ، ورقة ٣٨ ب بأنه " فى محاذاة محرابه الآن " ولهذا نراه لا يتوسط جدار قبلة المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) أى قرابة ثلاثة أيام على اعتبار أن الصلاة المكتوبة هى خمس صلوات فى اليوم.

(٤) السمهودى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٤٤١ .

النبى صلى الله عليه وسلم لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول ". [1] ولابد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتوسط المصلين فى صلاته . وقد اتخذت الاسطوانات المشهورة فى الروضة الشريفة أسماءها من أحداث وقعت قبل السنة السابعة للهجرة ، فمثلا اسطوانة التوبة " التى ارتبط فيها أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصارى الأوسى رضى الله عنه " ، [2] عقب تورطه فى نصح بنى قريظة فى السنة الخامسة من الهجرة ، والتى يقول عنها المطرى " أنها الثانية من القبر الشريف والثالثة من القبلة والرابعة من المنبر والخامسة من رحبة المسجد ، وهى التى تلى اسطوانة المهاجرين من جهة الشرق فى الصف الأول الذى خلف الأمام المصلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم " ، [3] وقد ذرع ابن زبالة ما بينها وبين القبر الشريف والمنبر ، وأعاد السمهودى ذلك الذرع فكان مطابقا لما ذرعه ابن زبالة وهو أن مابين " اسطوان التوبة وبين جدار القبر الشريف عشرين ذراعا " [4] وأن مابين " مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجده الأول وبين اسطوان التوبة سبع عشرة ذراعا " [5] ومن المتفق عليه أن الاسطوانات فى العمائر التالية للمسجد لم تغير موضعها الأول ، كما حدث فى عمارة سيدنا عثمان رضى الله عنه للمسجد النبوى الشريف حين " قدّر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ". [6] هذا عن اسطوانة التوبة ، وعن اسطوانة القرعة المعروفة بأسماء عدة ، أشهرها اسطوانة عائشة ، فقد صلى اليها رسول الله

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٣) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٠٥ .

صلى الله عليه وسلم قرابة ثلاثة أيام ثم تقدم الى مصلاه[(١)] ، وفى فضلها قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها " لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالأسهم "[(٢)] ، وقد عرفت بهذا الاسم منذ صلى اليها الرسول عليه السلام بعد اقامتها فور تحويل القبلة . " وهى الثالثة من المنبر والثالثة من القبر الشريف ، وكانت أيضا الثالثة من رحبة المسجد قبل أن يزاد فى القبلة رواقان (بلاطتان) "[(٣)] .

وقد ذرع ابن زبالة المسافة بينها وبين مصلى النبى عليه السلام فكانت سبعة عشر ذراعا ، وقد أختبره السمهودى وأثبت صحة ذلك الذرع[(٤)] . الا أنه ذكر أنه وجد باحدى نسخ كتاب ابن زبالة أنه تسعة عشر ذراعا ، وهذا الفرق فى الأذرع يمكن قبوله على احتمالين : الأول أنه ذرع من اسطوانة التوبة الى طرف المصلى الشرقى فكان سبعة عشر ذراعا ، والآخر الى طرفه الغربى فكان تسعة عشر ذراعا . ومن هذا الذرع المتطابق عند المؤلفين يتبين أن المسافة بين كل اسطوانتين هى عشرة أذرع[(٥)] ، وهو ما يتفق مع ما ذكرته معظم الروايات من قياس المسجد بعد الزيادة الثانية ، والتى قدرت بسبعين ذراعا فى ستين وشىء فى رواية[(٦)] وثلاثة وستين فى رواية

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩١ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ .
(٢) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٩١ .
(٣) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٤) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .
(٥) ذكر ابن حجر الهيثمى فى تحفة الزوار ، ص ٨٩ أن اسطوانات المسجد النبوى من جذوع النخل بين كل اسطوانتين عشرة أذرع .
(٦) السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤٠ .

أخرى[١] ، ومع ما ذكره ابن زبالة ويحيى من " أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين مما يلى المشرق ، وثلاث أساطين مما يلى المغرب[٢] سوى ما خرج فى الرحبة أى الأساطين المصفوفة من الرحبة الى القبلة"[٣].

ويؤيد هذا ما ذكره ابن جماعة فى منسكه[٤] حين قال : " قد عرف المتأخرون مقدار المسجد الذى كان عليه أولا ، فقالوا : كان على التربيع من الحجرة المقدسة الى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، ومن موضع الدرابزين الذى هو بين الأساطين المتصل[٥] بالصندوق أمام المصلى الشريف الى موضع الحجرين المفروزين فى صحن المسجد الشريف"[٦]. ويبدو أن ابن جماعة عد من اسطوانة السرير حتى أدخل الاسطوانة الملاصقة للجدار الغربى والواقعة الآن فى الصف المجاور لمحراب الحنفية ، وقد أعاد السمهودى هذا الذرع فقال : " وقد ذرعت ما بين الاسطوانة التى تلى المنبر عند ظهره من المغرب الى حائز عمر بن عبد العزيز الذى داخله الحجرة الشريفة بمقط[٧] فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعا ونصف ذراع راجح ، وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح كما تحرر لى عند عمارة ما نقض منه ... فيكون ما بين

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٤٨ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٥ .

(٢) عدها على اعتبار توسط مصلى النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاسطوانات فثلاث عن يمينه وثلاث عن يساره .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٤) بحثت عن منسك ابن جماعة فلم أجده .

(٥) أقيم هذا الدرابزين فى موضع جدار قبلة المسجد فى عهد الرسول ليفصل بين البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان فى مقدم المسجد .

(٦) السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤٢ .

(٧) قال ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٧ ص ٨٠٦ ان المقط " حبل صغير يكاد يقوم من شدة فتله ، وقيل هو الحبل أيا كان".

الاسطوانة المذكورة والحجرة الشريفة تسعة وخمسون ذراعا ينقص يسيرا" (١).

ولعل الناقص عما قيل من أن عرض المسجد من الشرق الى الغرب سبعون ذراعا هو ما كان موضع الجدار لأنه تقرر كما يقول السمهودى " أن جدار المسجد من جملة المسجد" (٢)، والى هذا يشير فى معرض حديثه عن الأقوال التى تحصل عليها فى حد المسجد من الغرب فيقول " فأحد الأقوال: أنه الى الاسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة، وهو الذى عول عليه ابن النجار ومن تبعه" (٣)، أما ذرع المسجد من الشمال الى الجنوب فيقول عنه السمهودى أنه اختبر بنفسه هذا الذرع " من الدرابزينات المذكورة فى رواية ابن جماعة الى الحجرين المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره، وقد قال ابن جماعة انه اختبر ذلك بذراع العمل، فكان ستة وأربعين ذراعا وثلث ذراع (٤). فهو موافق لذرعنا، بل يرجح قليلا، لأن ذراع العمل ذراع ونصف راجح من ذراع اليد" (٥).

أما الروايات التى ذكرت أن حد المسجد ثلاث اسطوانات عن يمين المنبر وثلاث عن يساره فلا أظنها تنطبق على وصف المسجد الشريف فى هذه المرحلة من البناء اذ أن المنبر لم يدخل المسجد الا فى السنة الثامنة، والأجدر بتوسط جدار القبلة هو مصلى النبى عليه السلام الذى اتخذه الرسول بعد تحويل القبلة (٦). واستنادا الى ما سبق من عرض وتحليل لبعض الروايات

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٤٦.
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٤٥.
(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٥٣.
(٤) أى حوالى ٣١ مترا لأن ذراع العمل يساوى ٦٦,٥سم كما يقول فالترهنتس فى المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٨٩.
(٥) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣٤١.
(٦) أنظر المخطط الذى وضعته عن المسجد النبوى قبل تحويل القبلة وبعدها شكل (٢٣ ، ٢٧).

يتضح لنا أن الظلة التى أقيمت خلف جدار القبلة الجنوبى كانت تتألف من ستة أعمدة تمتد من الشرق الى الغرب ، ومن سبع بوائك تمتد عمودية على جدار القبلة ، واذا كنت قد توصلت الى معرفة عدد اسطوانات رواق القبلة الممتدة من الشرق الى الغرب فاننى لم أهتد الى معرفة عدد الأسطوانات الممتدة من جدار القبلة الى رحبة المسجد ، علما بأن طول الجدار الممتد من الشمال الى الجنوب هو سبعون ذراعا على أشهر الروايات التى اعتمدت عليها .

.. .. ..

٤ ـ الزيادة الرابعة للمسجد النبوى سنة ٧ هـ

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارته التى تلت تحويل القبلة شكل (٢٧) ، حتى السنة السابعة من الهجرة ، عقب عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من خيبر ، أما الرواية التى تذكر أن رسول الله بنى مسجده باللبن بعد أربع سنين ،(١) فهى تخالف ما أثبته من استخدام اللبن فى عمارة المسجد من أول سنة للهجرة ،(٢) فضلا عن أنها رواية غير مشهورة . ومخالفة لكثير من الحقائق الثابتة ، كتحويل القبلة فى النصف الأول من السنة الثانية ، والذى ترتب عليه كما عرفنا من قبل آثار معمارية مهمة . ومهما يكن من أمر فليس هناك شك فى أن السبب الذى دفع الرسول صلى الله عليه وسلم الى توسعة المسجد هو ضيقه بالمصلين كما فى رواية الترمذى عن قصة اشراف عثمان على الناس يوم الدار ،(٣) اذ روى " عن ثمامة بن حزن القشيرى أن عثمان رضى الله عنه قال : أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة ؟ ..(٤) " .

وكان من الطبيعى أن يزاد فى المسجد فى هذه الفترة من عمر الدعوة الاسلامية التى ازداد أنصارها وكثر الاقبال عليها لا سيما وأنها قد اتخذت منه من أول يوم مكانا لعبادتها ومركزا لقيادتها السياسية والعسكرية بالاضافة

---

(١) ابن اسحاق : كتاب الناسك ، ص٤٠٣ ، المراغى : تحقيق النصرة ص٦.

(٢) أنظر ما قدمته فى ص ٣٣ عن مراحل استخدام اللبن فى عمارة المسجد النبوى .

(٣) نسبة الى دار عثمان التى حصر فيها قبل قتله رضى الله عنه .

(٤) رواه الترمذى فى الجامع الصحيح ، جـ ٥ ص ٢٩٠ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٣٨ .

الى ما كان يقوم به المسجد من دور في نشر تعاليم الدين الجديد ، وقد اختلف في موضع هذه الزيادة ، فابن زبالة فيما ينقله عنه السمهودى يقول : " ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد من القبلة في تلك البنية على حده الأول ، وزاد فيه من ناحية المشرق الى الاسطوان التي دون المربعة التي عند القبر . . . ومن المغرب الى الاسطوان التي تلي المربعة التي لها نجاف[1] أيضا من بين الأساطين . . . وترك مما يلي الشام لم يزد فيه[2] " . بيد أن السمهودى فيما ينقله عن المحاسبي يفيد بأن " منتهى طوله من قبلته الى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان[3] المسجد اليوم ، أى في زمنه[4] ، وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال : وقد روى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثاني من الباب الذي يقال له باب عثمان[5] . . . وهو أربع طيقان[6] " . ثم يذكر السمهودى أن هذا " مؤيد للرواية المتقدمة في الذرع ، وهي رواية مائة ذراع في مائة ذراع[7] " ، ثم يذكر أن جداره كان في موضع الاسطوانة الخامسة من الجهتين ، الا أنه يزيد على الاسطوانة الخامسة في المشرق شيئا مما بينها وبين الاسطوانات

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ ١١ ص ٢٣٦ ، أن النجاف هو ما يستقبل الباب من أعلاه والنجاف هي العتبة ، وهي أسكفة الباب .
(٢) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٢ .
(٣) قال ابن منظور في المصدر السابق ، جـ ١٠ ص ٢٣٣ ، أن " الطاق ما عطف من الأبنية ، الجمع الطاقات ، والطيقان فارسي معرب . والطاق عقد البناء حيث كان ، والجمع أطواق وطيقان " .
(٤) توفي الحارث بن أسد المحاسبي كما يقول الزركلي في الأعلام ، جـ ٢ ص ١٥٣ سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م .
(٥) أي المعروف بباب النساء .
(٦) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٥٣ .
(٧) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٥٣ .

اللاصقة بجدار القبر[1] ويذكر السمهودى دليلا أثريا على صحة هذا الحد من المشرق فيقول : " ويؤيد ذلك أنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتى ذكرها[2] درج عند باب مقصورة الحجرة الشامى فى موازاة الحد المذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام . فالظاهر أنه كان هناك قبل نقله الى محله اليوم "[3] .

أما حدوده من المغرب فالمرجح عند السمهودى أنها الاسطوانة الخامسة من المنبر وذلك "لأن تجاهها فى حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل الى العصابة السفلى الظاهرية ، لكنه انقشر بعضه عند اصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار فى العمارة التى أدركناها أولا[4] ، وذهب منه ما كان بين العصابتين وبعض ما فوق العليا ، وبقى منه مابين العصابة العليا والسقف ثم ذهب بقيته فى الحريق الحادث فى زماننا[5] ، وبقى موضعه أصباغ طونة فى الجدار من صناعة الأقدمين ، وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلى ، فالظاهر أنه علامة نهاية المسجد النبوى من هذه الجهة"[6] .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٠ ، وقد ذكر ابن اسحاق فى كتاب المناسك ص ٣٩٧ عن مالك رضى الله عنه ، " أن الجدار من الشرق حد القناديل التى بين الأساطين التى وسطها اسطوانة التوبة وبين الأساطين التى تلى القبر" .

(٢) يقصد القبة التى أعيد تجديدها سنة ٨٨٧ هـ فوق الحجرة الشريفة .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٨٩ .

(٤) يقصد عمارة قايتباى الأولى للمسجد النبوى سنة ٨٧٩ هـ .

(٥) يقصد الحريق الثانى الذى دمر المسجد سنة ٨٨٦ هـ .

(٦) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٤ . وقد ذكر أن شيخ الحرم النبوى فى حدود سنة ٨٩٢ هـ قد اتخذ لأعالى " الاسطوانة الخامسة من المنبر من صف الاساطين التى فى قبلة المنبر طرازا متصلابالسقفمنقوشا فيه أن ذلك هو الذى استقر عليه الأمر فى نهاية المسجد النبوى وحده" . وقال السخاوى فى التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٥ " وبين انتهائه وباب السلام الآن خمس بوائك حسبما علم أعلى الاسطوانة الخامسة من المنبر" .

وعلى هذا فان الزيادة فى المسجد الشريف فى عهده عليه الصلاة والسلام كانت " فى شرقية بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة ، وفى غربيه بمقدار عشرين ذراعا ، أو اسطوانتين ".(١) أما شمالية فكانت بمقدار أربعين ذراعا(٢) ، ولذا فان عرض المسجد من الشرق الى الغرب كان مائة ذراع وليس كما يذكر الدكتور أحمد فكرى أنه تسعون ذراعا(٣) ، لأن " جدار المسجد الشرقى كان فيما بين الأساطين اللاصقة بالقبر وبين الأساطين المقابلة لها "(٤) ، أى أنه كان الى الشرق من أسطوانة الوفود ، وهو ما يتفق مع ما ذكره من أن عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأس النبى صلى الله عليه وسلم من بيتها وهو فى معتكفه على سرير له يوضع بين " الاسطوان التى وجاه القبر وبين القناديل "(٥) ، ويرجحه كذلك ما يذكره السمهودى من " أن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد اذ يبعد أنه صلى الله عليه وسلم لا يتوسط أصحابه ويقف على منبر فى طرفهم ".(٦) أنظر شكل (٢٧) . هذا عن ذرع المسجد وموقع الزيادة منه ، أما صفة العمارة وعدد الأسطوانات فى كل ظلة ، فلم يرد عنهما الا اشارات يمكن التعرف عليهما من خلالها . فقد ذكرت بعض الروايات أن الأحجار استخدمت فى بناء المسجد لرفع أساس جدرانه ثم وضعت عليها " اللبنتان المعترضتان "(٧) ، وهذا النوع من البناء هو ما استخدم

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ص ١٧١ .
(٢) أنظر المخطط شكل (٢٧) .
(٣) أحمد فكرى : المرجع السابق ص ١٧١ ، ويبدو أنه اعتبر الذرع يبدأ من الاسطوانات الواقعة فى صف اسطوانة الوفود بينما الصواب أنه بينها وبين الأساطين الملاصقة للقبر الشريف.
(٤) السمهودى : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٥٠ .
(٥) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٥١ .
(٦) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٧) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٧٠ ، السمهودى : المصدر السابق جـ١ ص ٣٤٦ .

فى المسجد النبوى الشريف منذ استقر الرأى على تسقيفه ، نظرا لمتانته وقوة تحمله ، ويصف السمهودى بعض هذا اللبن فيقول : " شاهدت لبنا أخرج من جدران الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركناها أولا (١) ، يزيد فى الطول على الذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع ، وفيه شىء مرتفع طوله وعرضه وسمكه واحد ، وكل ثنتين منه طول لبنة مما قدمناه ، والذى يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التى كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لأنه أتى غير مستو (٢) والجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة (٣) ، والقصة فلا يناسبه وضع ذلك فيه ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه فى أعالى الجدار وقد تقدم أن الذى استقر عليه عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم الأنثى والذكر ، وهما لبنتان مختلفتان ، واللبنتان المختلفتان ، من هذا اللبن الذى رأيناه أو اللبنة ونصف الأخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيرا فيكون ذلك هو عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم (٤) ويشهد له ما شاهدناه أيضا فى عرض جدار الحجرة الشريفة" (٥).

أما ارتفاع سقف المسجد الشريف فقد بلغ سبعة أذرع (٦) ، أى ثلاثة

---

(١) يقصد عمارة قايتباى الأولى سنة ٨٧٩ هـ .

(٢) يقصد غير محروق أى أنه لبن وليس أجر .

(٣) يعنى الحجارة المنحوته .

(٤) هذا يخالف الطريقة التى توصلت اليها فى بناء اللبن فى المسجد النبوى والتى اتضح فيها أن أقصى عرض للجدار المبنى باللبن الذى أورد السمهودى مقاساته هو ذراع فقط ، ولا يمكن أن يتشكل من هذا اللبن جدار بعرض متر ونصف بناء على ما ذكره السمهودى من أن آخر طريقة للبناء شهدها المسجد النبوى فى عهد الرسول كانت باللبنتين المختلفتين التى يقول عنها الكتانى فى التراتيب الادارية ، جـ ٢ ص ٧٧ أنها " لبنتان تعرض عليها لبنتان" .

(٥) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٤٦ .

(٦) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٥ .

أمتار ونصف كما يقول فكري [1] ، وهو ارتفاع كبير يتناسب مع عمق ظلتي المسجد اللتين أمكن معرفة عدد بلاطاتها وبوائكهما ، فمن خلال تتبع مواقع الاسطوانات المشهورة في الروضة المشرفة ، يلاحظ أن آخرها مما يلي الصحن في عهده عليه السلام اسطوانة الوفود ، والتي يقول عنها المطري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان يجلس اليها لوفود العرب اذا جاءته وكانت مما يلي رحبة المسجد " ، [2] ومنها الى جدار القبلة ثلاث اسطوانات كما في الشكل رقم (٢٨) . وعلى ذلك فعدد بلاطات رواق القبلة ثلاث بلاطات في عشر بوائك ، والأمر كذلك بالنسبة للرواق الشمالي ، الذي به موضع أهل الصفة .

ولكن الوضع الحالي للصفة كما يظهر من مخطط المسجد النبوي الذي أعده مهندسو الأتراك بعد عمارة السلطان عبد المجيد شكل (٢٩) يثير بعض التساؤلات ، ومنها هل موضعها من المسجد كان كما كان في عهد الرسول عليه السلام ؟ ثم ما الداعي الى اقتصاره على النصف الشمالي الشرقي من مؤخر المسجد ؟ [3]

ومهما يكن من أمر فان الوضع الذي استقر عليه المسجد النبوي في آخر عمارة له في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يتفق من وجوه عدة مع المخطط الذي أعده أحمد فكري عن المسجد النبوي في عهد الرسول عليه السلام ، ويعد كما يقول محاولة أولى من جانبه ، وان ذكر " أن جزءاً منه افتراضي " [4] . ولي ملاحظات على هذا المخطط سوف أذكرها عند الحديث عنه .

---

(١) المدخل : ص ١٧١ .
(٢) التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٨ ، والقرطبي ، بهجة النفوس والأسرار ص ١٢٦ ، والخوارزمي ، اثارة الترغيب والتشويق ص ٢٩١ .
(٣) خالف كريزول ومن أخذ برأيه هذا الوضع الذي أقره مهندسو الأتراك ووضعوا الصفة في الجانب الشمالي الغربي من مؤخر المسجد ، أنظر شكل (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) .
(٤) المدخل ص ١٨٩ .

٥ - تقييم المخططات التى وضعت عن عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

اهتم كثير من الباحثين برسم مخططات للمسجد النبوى الشريف فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان رائدهم فى ذلك الكابتن كريزول CRESWELL الذى أعد مخططا شكل (٣٠) رفضه أحمد فكرى ، وقال عنه انه من نسج الخيال[(١)] . وكان فى هذا الرفض ما يغنى لولا أن تشابه المخططات التى أعدها كل من فريد شافعى[(٢)] ، وسعاد ماهر[(٣)] ، لمخطط كريزول، قد دعانى الى دراسة هذه المخططات ومقارنتها بمخطط فكرى من ناحية ، وبما اتضح لى من خلال دراستى للمسجد النبوى فى عهد الرسول من ناحية ثانية ، فمن الأخطاء التى يمكن ملاحظتها على مخطط كريزول وما تبعه من مخططات كمخطط فريد شافعى شكل (٣١) ومخطط سعاد ماهر شكل (٣٢) .

١ - أنه قصر ظلة مؤخر المسجد على جزء من بلاطة واحدة تحتل الجانب الشمالى الغربى من المسجد[(٤)] ، ومن المعروف أن هذه الظلة كانت بها قبلة المسلمين الأولى قبل تحويل القبلة فى السنة الثانية من الهجرة ، ولا يعقل أن يكون المسجد قد بقى بدون ظلة تحمى المسلمين من الحر والمطر قبل تحويل القبلة ، ولا أظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد هدم هذه الظلة عند تحويل القبلة الى الظلة الجنوبية ، الا اذا كانت جدران المسجد كلها قد تعرضت للتغيير عقب تحويل القبلة ، وهو

---

(١) المدخل : ص ١٨٤ .
(٢) العمارة العربية ، ص ٦٥ .
(٣) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١ ص ٣٧ .
(٤) أنظر كريسول ، العمارة الاسلامية المبكرة جـ ١ القسم الأول ص ٩ .

احتمال له وجاهته[1] ، وعلى ذلك فان ما يحظى بالقبول والتأييد هـو أن هذا الجزء المخصص للصلاة قبل تحويل القبلة الذى كان مسقوفا بسعف النخل أو غيره قد خصص لأهل الصفة - لنومهم وراحتهم - دون بقية المسجد[2] ، وكان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة[3] ، ولم أجد فى النصوص الكثيرة التى اطلعت عليها ما يشير الى تحديد موقعهـا من مؤخر المسجد ، مما يزكى فى اعتقادى أن الظلة كانت بامتـداد الجدار الشمالى للمسجد ، على أن المخطط الذى أعده محمود عكوش شكل (٣٣) ، ومخطط المسجد النبوى بعد عمارة السلطان عبد المجيد له سنة ١٢٧٧ هـ شكل (٢٩) ، يجعلان موقعها فى الجانب الشمالى الشرقى من المسجد بخلاف كريزول ومن أخذ برأيه[5] ، فانهم يجعلونها فى الجانب الشمالى الغربى ، على غير سند فى كلتا الحالتين .

٢ - قصرت المخططات المذكورة ، مقدم المسجد على بلاطتين فقط ، ومـن المعروف ان ثلاث من اسطوانات الروضة الشريفة ، التى اكتسبـت أسماءها من أحداث وقعت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، تقع خلف بعضها فى خط مستقيم ، كما يظهر من النص الـذى أورده السمهودى عن ابن زبالة من أن " الأسطوان التى الى الرحبة فى صـف

---

(١) أنظر ما ذكرته عن هذا الاحتمال فى ص ٤٠ من الرسالة .
(٢) أحمد فكرى : المدخل ص ١٨٦ .
(٣) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٣ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٥٣ .
(٤) أنظر المخططين اللذين أعدتهما شكل (٢٧ ، ٢٨) .
(٥) أنظر فريد شافعى شكل (٣١) وسعاد ماهر شكل (٣٢) .

اسطوان التوبة بينها وبين اسطوان التوبة مصلى على بن أبى طالب (١)، ومعنى هذا أن مقدم المسجد كان يتألف من ثلاث بلاطات ومثلها أيضا فى مؤخر المسجد (٢).

٣ - وضعت بيوت أمهات المؤمنين كلها فى الجهة الشرقية من المسجد على امتداد جدار المسجد الشرقى حتى باب جبريل. ورغم تأييد بعض الروايات لهذا الوضع (٣)، الا أن الكثير من الروايات تؤيد امتداد بيوت أمهات المؤمنين الى الجنوب من حجرة عائشة رضى الله عنها (٤)، ومنها دار حفصة رضى الله عنها، وقد أدخل بعضها فى المسجد النبوى الشريف فى عمارة الوليد بن عبد الملك، بعد اتفاق عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مع أصحابها على فتح الخوخة المعروفة بخوخة آل عمر،

---

(١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ ٢ ص ٤٤٩.
(٢) أنظر المخطط الذى أعده أحمد فكرى شكل (٣٤).
(٣) قال ابن النجار فى الدرة الثمينة ص ٧٣ "لما تزوج رسول الله (ص) نساءه بنى لهن حجرا وهى تسعة أبيات وهى مابين بيت عائشة رضى الله عنها الى الباب الذى يلى باب النبى (ص)". ونقل السمهودى فى الوفا جـ ٢ ص ٤٦٠ "عن يحيى من طريق الواقدى عن عبد الله بن يزيد الهذلى قال: رأيت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبن، ولها حجر من جريد مطرودة (ملبسة بالطين)، عددت تسعة أبيات بحجرها، وهى مابين بيت عائشة الى الباب الذى يلى باب النبى (ص) الى منزل أسماء بنت حسن اليوم (فى زمنه)" أنظر موقع منزل أسماء من المسجد النبوى فى الشكل (٤٥).
(٤) ذكر ابن اسحاق فى كتاب المناسك ص ٣٧٣ عن اسماعيل بن محمد بن اسحاق "وهو أحد علماء المدينة وذو سنهم، قال: كانت أول حجرة من حجر أزواج النبى (ص)، حجرة حفصة وهى موضع الخوخة التى تدعى خوخة عمر، ثم تليها حجرة حجرة، حتى تنتهى الى حجرة عائشة رضى الله عنهن أجمعين، وهو موضع القبر، وبعدها حجرة فاطمة فى الصدر عند باب جبريل، وبعدها حجرة أم سلمة، وآخر الحجرات حجرة جويرية ثم علامة مثل خاتم سليمان فى ذلك الحائط من رخام ارانيه اسماعيل، وهناك دار عقيل بن أبى طالب". وأنظر: الذهبى، تاريخ الاسلام، جـ ٣ ص ٢٣٨، السمهودى: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٤٥٩.

والتى كانت تفضى الى المسجد الشريف فى البلاط الذى يقع أمـــام الوجوه الشريفة ، فى موقف الزائرين اليوم ، ولم تسد الا فى عمـارة الأشرف قايتباى للمسجد النبوى سنة ٨٨٨ هـ (١) .

هذا عن أهم ما لاحظته فى المخططات المشابهة لمخطط كريزول ، أما المخططان اللذان أعدهما بوتى شكل (٢٦) ومحمود عكوش شكل (٣٢) ففى نقد الدكتور أحمد فكرى لهما ما يفى بالغرض (٢) ، لاسيما وأن محمود عكـوش قد شارك المخططات السابقة فى قصره ظلة مؤخر المسجد على جانب أمـام الجدار الشمالى (٣) ، ومع اقتناعى ببعض اعتراضات أحمد فكرى على هذيـــن المخططين ، الا أننى ألاحظ أيضا على المخطط الذى أعده فكرى عـــن المسجد الشريف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم شكل (٣٤) أمريـــن مهمين :

أولا : قصره طول جدار القبلة الممتد من الشرق الى الغرب على تسعـين ذراعا (٤) ، وفى هذا اهمال لكثير من الروايات التى تؤيد تربيـــع المسجد ، وتنص صراحة على أنه مائة فى مائة ذراع (٥) . هذا فضلا عن

---

(١) أنظر أدناه ص ٣٦٥ .

(٢) اعترض أحمد فكرى فى المدخل ص ٨٦ اعلى مخطط محمود عكوش بأربع نقاط ، أولا قصره الظلة الشمالية على موضع أهل الصفة ، وثانيا جعله طول جدار القبلة مائة ذراع ، وأنا أميل الى ما ذهب اليه محمود عكوش ، وثالثا جعله زيادة الرسول الأخيرة من الشرق قـــدر اسطوانتين ، ورابعا فتح الأبواب فى غير مواضعها . أما رسم بوتـى فقريب من الدائرة به باب واحد ، وهو عن وضع المسجد قبل تحويـــل القبلة .

(٣) أنظر الرسم فى المدخل لأحمد فكرى ، ص ١٨٦ .

(٤) نفس المرجع ص ١٧١ .

(٥) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٧٩ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

أن مخططه يحتوى على عشر بوائك بكل من الظلتين . وقد ورد أن بعد الاسطوانات عن بعضها عشرة أذرع (١) ، وفى هذا تأييد لكون جدار القبلة مائة ذراع ، ولكنه يذكر فى موضع آخر أن طوله تسعون ذراعا (٢) .

ثانيا : موقع باب النساء من المخطط الذى أعده ، مع أن هذا الباب لم يفتح الا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣) . بالاضافة الى اهماله للباب الذى نقل بعد تحويل القبلة من الجدار الجنوبى الى منتصف الجدار الشمالى علما بأن الأبواب الثابت وجودها فى عهد الرسول عليه السلام " ثلاثة أبواب ، باب فى خلفه (٤) وباب عن يمين المصلى وباب عن يساره " (٥) .

ومهما يكن من أمر فان مخطط أحمد فكرى بعد اجراء التعديلات السابقة عليه يتفق مع ما كان عليه المسجد النبوى فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . أما المخطط الذى أعده الدكتور حسن الباشا عن المسجد النبوى شكل (٣٥) بعد تحويل القبلة ، والمنشور فى مجلة منبر الاسلام ، فانه رغم احتوائه على ظلة جنوبية وأخرى شمالية ، الا أنه قصر البلاطات فى كل منهما على بلاطتين (٦) ، وهو مخالف لعدد البلاطات الثلاث التى ثبت وجودها فى رواق القبلة (٧) ، بالاضافة الى أنه جعل بين الحجرات التى ظهرت بالمخطط وبين المسجد طريق ضيق ، وهو مخالف لما ثبت من أن الحجرات

---

(١) ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٨٩ .
(٢) أنظر ص ١٧١ من المدخل .
(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٤٩٦ .
(٤) يعنى فى مؤخر المسجد .
(٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٦٩ .
(٦) العدد الثالث ، السنة ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ص ١٣٨ .
(٧) أنظر أعلاه ص ٤٨ وما قبلها ، وأنظر أدناه ص ٦٣ .

شرعت فى المسجد الشريف بعد الزيادة الأخيرة سنة سبع من الهجرة . هذا فضلا عن قصره الحجرات على حجرتين فقط .

أما المخطط الذى أعده الدكتور حسن الباشا أيضا فى كتاب المدخل الى الآثار الاسلامية عن عمارة المسجد النبوى فى فجر الاسلام شكل (٣٦) فانه لا يشير الا الى تحديد موضع الزيادات من المسجد الشريف دون ذكر عدد الأذرع المضافة فى كل زيادة سواء فى المتن أو على الرسم ، الا أنه يدل بشكل واضح على نسبة الزيادات ، كما أنه تدارك ما فاته فى المخطط الأول فجعل بيوت أمهات المؤمنين ملاصقة لجدار المسجد الشرقى ، وان كان قد قصرها على ثمان حجرات بدلا من تسع .

. . . .

٦ - معالم المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

توفى النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد اتضحت معالم المسجد الشريف المتمثلة فى الروضة المطهرة والمنبر الشريف ، وموضع مصلاه عليه الصلاة والسلام ، وأبواب المسجد الثلاثة وحجر أزواجه ، كما سن بعده الزيادة فى المسجد الشريف ان احتاج الأمر الى ذلك ، كما يستفاد من الحديث الشريف " لو مد مسجدى هذا الى صنعا لكان مسجدى ".(١)

أما الروضة المطهرة فقد تحددت معالمها بموجب الحديث الشريف " مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة "(٢) ، وطولها ٢٢ مترا فى عرض ١٥ مترا.(٣) وعن الطول فمتفق عليه ، وذلك لأن الحديث صرح بأنه مابين بيته صلى الله عليه وسلم ومنبره . ولكن الاختلاف وقع فى تحديد عرضها ، ومنشأ هذا الاختلاف أن الحجرة الشريفة ، المتفق على أنها

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦١ ، ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٩٣ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨١ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٦ ، السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٤٨١.

(٢) ذكر محمد ناصر الدين الألبانى فى تحذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد : حاشية ص ٩٩ (أن هذا الحديث قد رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وأنه حديث متواتر ، وأن الصحيح هو بيتى بدلا من قبرى كما ترويه بعض الروايات .

(٣) البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٠ ، ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٤٥١.

المقصودة فى الحديث الشريف، ليست فى موازاة المنبر الشريف[1]، ولهذا "فليس شىء من البيت فى محاذاة شىء من المنبر، بل البيت يحاذى الرواقين (البلاطتين) خارج المنبر من أمامه من جهة الشمال والمنبر يحاذى الرواق (البلاط) الذى خارج البيت من جهة القبلة، وعلى هذا فان جعلت الروضة ما حاذى كلا منهما وان لم يحاذ الآخر كانت مربعة لشمولها الرواقات (البلاطات) الثلاثة المذكورة، وان جعلت ما حاذاهما معا خرجت عن التربيع وكانت كصورة مثلث قاعدته جدار البيت، وهو الذى فيه القبر الشريف الآن، ويتضايق ضلعاه الى قدر امتداد المنبر وهو خمسة أشبار، والأول أصح بل الصواب وعليه العلماء والناس"[2]. ويزيد ذلك توكيدا ابن الخطيب المدنى فيقول : "والصواب أن نهايتها الى صف اسطوانة الوفود التى تلى اسطوانة سيدنا على رضى الله عنه"[3]. ويذكر ابن المحجوب أن اهتمام العلماء بقياس "المسافة التى بين حجرة قبره وموضع منبره يدل على أن مفهومهم من الروضة هى هذه المسافة لا سيما مع تزاحم الناس عليها ورغبتهم فى الصلاة والدعاء بها فى صدر الاسلام الى الآن فاتضح

---

(١) أورد ابن الجوزى فى الوفا بأحوال المصطفى، جـ ١ ص ٤٠٤ أربع روايات لهذا الحديث كلها تنص على كلمة بيتى. وفى هذا المعنى يقول محمد ناصر الدين الألبانى نقلا عن ابن تيمية ان "هذا هو الثابت الصحيح، ولكن بعضهم رواه بالمعنى فقال (قبرى) وهو صلى الله عليه وسلم حين قال هذا القول لم يكن قد قبر صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم يحتج بهذا أحد من الصحابة حينما تنازعوا فى موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان نصا فى محل النزاع، ولكن دفن فى حجرة عائشة فى الموضع الذى مات فيه".

(٢) تاريخ مكة والمدينة، لمؤلف مجهول، ورقة ٤٠ب، البرزنجى : نزهة الناظرين، ص ١٥.

(٣) نتيجة الفكر فى أخبار مدينة سيد البشر، ورقة ٥٣ ب.

بذلك كله أنها هى المراد بالحديث الكريم "[1].

وأشهر ما يميز الروضة المطهرة اسطواناتها الشريفة شكل (٢٨) التى اكتسبت فضلها وشهرتها فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. وهى التى مكنتنى من معرفة حدود رواق القبلة فى عهده صلى الله عليه وسلم. وآخر هذه الاسطوانات مما يلى الصحن اسطوانة الوفود التى يقول عنها ابن النجار انها " خلف اسطوانة على بن أبى طالب التى خلف اسطوانة التوبة. كان النبى يجلس اليها لوفود العرب اذا جاءته "[2]، وتعرف أيضا باسطوانة القلادة، وهو اسم اكتسبته بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا لجلوس " سرات الصحابة وأفاضلهم اليها "[3]. ومن الغريب حقا أن ينشأ بعد هذا التحديد الدقيق المجمع عليه بين قدماء مؤرخى المدينة وثقاتهم سوء فهم للموقع الصحيح لهاتين الاسطوانتين، فتكتب اسماهما على الاسطوانتين الموازيتين لهما من الشرق، أنظر شكل (٢٩)، وذلك فى حدود المائة العاشرة زمن السلطان سليم العثمانى كما يظن البرزنجى[4]، الذى حاول اقناع المسئولين عن عمارة الحرم النبوى الشريف فى عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ هـ، بتحديد الموقع الصحيح لهما. الا أن رأيه المدعم بالأدلة والبراهين لم يجد قبولا لدى المسئولين عن عمارة الحرم رغم اقتناع الكثيرين من أهل المدينة آنذاك بصحة رأيه[5]. ولا زلنا نرى هذا الخطأ قائما

---

(١) قرة العين فى أوصاف الحرمين، ورقة ٧٥ أ.

(٢) الدرة الثمينة، ص ٩٢، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة، ص ٢٧، المراغى : تحقيق النصرة ص ٦٠، السمهودى : وفاء الوفا، جـ ٢ ص ٤٤٩.

(٣) السمهودى : نفس المصدر، جـ ٢ ص ٤٤٩.

(٤) نزهة الناظرين، ص ٥٦.

(٥) نفس المصدر، ص ٥٦، ٥٧.

فى المسجد النبوى الشريف الى اليوم .

أما اسطوانة التوبة (١)، فهى الاسطوانة الثانية عن يمين حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى الصف الأول خلف إمام الروضة " (٢). وتجمع النصوص على أنها فى صف اسطوانة الوفود واسطوانة المحرس فى الصف الثانى من الحجرة الشريفة ، ولم يشذ عن ذلك الا ابن فرحون الذى اعتبرها ملاصقة للشباك (٣)، أى فى موضع اسطوانة السرير. وقد أنكر السمهودى ذلك وأثبت صحة موقعها الحالى اعتمادا على تأكده بنفسه من ذرع ابن زبالة المسافة بينها وبين مصلى الرسول عليه السلام فى مسجده الأول ، والذى بلغ ١٩ ذراعا (٤). وما بينها وبين جدار القبر الشريف الذى بلغ عشرين ذراعا (٥).
والى الشرق فى محاذاتها تقع اسطوانة السرير" وهى اللاصقة بالشباك اليوم

---

(١) عن سبب تسمية هذه الاسطوانة باسطوانة التوبة ، أنظر المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٧ ، القرطبى : بهجة النفوس ، ص ١٢٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٥ . أما ما جاء عن الاختلاف فى تاريخ التسمية من أنه كان بعد غزوة بنى قريظة وأن نزول الآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول .الآية" ، كان بسبب تورط أبو لبابة فى نصح بنى قريظة ، أو كان بسبب تخلفه عن غزوة تبوك ، وانه نزلت فيه وفى المتخلفين معه الآية" وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية" . وقد ذهب البرزنجى فى نزهة الناظرين ، ص ٥٥ الى الجمع بين الروايتين ، وذكر أن أبالبابة . كان يعمد فى كل مرة الى هذه الاسطوانة ، ولذلك سميت باسمه ، بيد أنى ألاحظ انه اذا كان بشير بن عبد المنذر المعروف بأبى لبابة قد أذنب فى غزوة بن قريظة سنة ٥ هـ . فانه لا يمكن أن يتجرأ على مخالفة الرسول فى غزوة تبوك سنة ٩هـ مما يضعف الجمع بين التاريخين .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩١ .

(٣) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٦٣ .

(٤) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .

فى شرق اسطوان التوبة وابن فرحون يجعلها أياها"[(١)].

أما اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، والتى عرفت بأسماء عدة أشهرها القرعة ، والسهمان ، والمخلقة ، والمهاجرون ، فهى كما يقول ابن زبالة فيما يرويه عنه السمهودى ووافقه عليه المطرى " الثالثة من المنبر والثالثة من القبر الشريف وكانت أيضا الثالثة من رحبة المسجد"[(٢)] ، وهى التى كان يصلى اليها الرسول الفريضة قبل أن يتحول الى المصلى الشريف ، وبينها وبين المصلى المذكور كما يقول السمهودى تسعة عشر ذراعا ، وهو موافق لما ذرعه ابن زبالة[(٣)].

أما اسطوانة مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى الواقعة اليوم فى الجانب الغربى من المحراب النبوى فى موضع جدار القبلة فى عهد الرسول ، وموضعها الحالى كما يظهر من مخطط المسجد شكل (٢٨) ، يوحى بأنها لم تكن من الاسطوانات التى كان يعتمد عليها سقف المسجد فى عهد الرسول . فصف الاسطوانات الذى تقع فيه وما يليه استحدثا بعد هدم جدار القبلة الأول فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولذلك لم يرد أن بها شيئا من الاسطوانات المشهورة . ويذكر ابن النجار أن الجذع الذى كان يخطب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم كان " فى موضع الاسطوانة المخلقة التى عن يمين محراب النبى صلى الله عليه وسلم عند الصندوق"[(٤)].

---

(١) **السمهودى : وفاء الوفا** ، جـ ٢ ص ٤٤٧ .
(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٧ ، السمهودى : **المصدر السابق** جـ ٢ ص ٤٤١ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .
(٤) الدرة الثمينة ، ص ٧٨ .

ويذكر المطرى أن الجذع كان لاصقا بالجدار القبلى للمسجد " فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى توضع عن يمين الامام المصلى فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم "،(١) وقصة حنين الجذع معروفة ومشهورة عند المحدثين ، والخبر بها متواتر وكثير من الصحابة .(٢) " يحدث بمعنى هذا الحديث ".(٣)

أما الاسطوانات التى حجبها المشبك الخارجى الذى أحيط بالحجرة الشريفة فى عهد قايتباى سنة ٨٨٧ هـ. فأولها اسطوانة مربعة القبر ، ويقال لها مقام جبريل أيضا ،(٤) وهى فى حائز الحجرة الشريفة فى جانبها الغربى الشمالى بينها وبين اسطوانة الوفود الاسطوانة اللاصقة بالشباك.(٥)

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة ،ص ٤٨

(٢) الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ،ص ٣٣٩ ، الاسفرائنى : زبدة الأعمال ، ورقة ٩٠ (ب ، وقد عد منهم الخوارزمى أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسعد بن سعد ، وأبو سعيد الخدرى ، وبريده ، وأم سلمة ، والمطلب بن أبى وداعة .

(٣) أورد ابن النجار فى الدرة الثمينة ،ص ٧٧ - ٧٩ عدة أحاديث عن خبر حنين الجذع منها ما رواه بسنده الى انس بن مالك " قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى خشبة مسندا ظهره اليها فلما كثر الناس قال : ابنوا لى منبرا فبنوا له منبرا له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الى رسول الله (ص) : قال أنس وأنا فى المسجد فسمعت الخشبة تحن حنين الواله فمازالت تحن حتى نزل اليها فاحتضنها فسكنت". وأنظر أيضا المطرى :المصدر السابق ،ص ٢٨ ، والمراغى : تحقيق النصرة ،ص ٦٠، السمهودى : وفاء الوفا ،جـ ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٤) ذكر السمهودى : فى نفس المصدر ،جـ ٢ ص ٥٨٠ وما بعدها أن سبب تسمية هذا الموضع بمقام جبريل يعود الى غزوة بنى قريظة عندما أمر جبريل عليه السلام رسول الله (ص) بالتوجه الى بنى قريظة بعد عودته من غزوة الخندق وذلك فى السنة الخامسة من الهجرة .

(٥) السمهودى : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٤٥٠.

وكانت هذه الاسطوانة خارج المسجد كما يقول ابن اسحاق الحربى فيما يرويه عن أبى ثوبة عن سليمان بن عبد العزيز ، عن أبيه قال : " مقام جبريل اذا خرجت من باب النبى صلى الله عليه وسلم الذى يقال له باب عثمان على يمينك بجنب الميزاب الى الباب "(١)،

أما اسطوانة التهجد فهى " وراء بيت فاطمة رضى الله عنها وفيها محراب(٢) اذا توجه الرجل اليه كان يساره الى باب عثمان رضى الله عنه "(٣). وتجمع الروايات على صلاة النبى اليها بما يفيد بأنها من المسجد ، بيد أنها خارج حدوده فى زمنه صلى الله عليه وسلم. ويذهب السمهودى الى أن هذه الاسطوانة ليست من المسجد ولا من بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وانما موضعها لعله " القبة التى كان يعتكف صلى الله عليه وسلم فيها فى رمضان(٤) . فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ليلى قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف فى قبة من خوص ، وفى الكبير والأوسط عن معيقيب قال : " اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة من خوص بابها من حصير والناس فى المسجد "(٥) ، ويمضى السمهودى فيذكر أن يحيى أسند عن أبى حازم مولى الأنصار أنه قال : " اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فى رمضان فى قبة على بابها حصير "(٦).

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٧.

(٢) ربما يكون هذا المحراب قد أحدث فيها بعد دخولها فى المسجد فى عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الشريف.

(٣) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٠ ، السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٤) السمهودى : نفس المصدر ج ٢ ص ٤٥١.

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٤٥٢.

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٤٥٢.

ثم يذكر السمهودى أيضا عن ابن عمر أنه قال : " بنى النبى صلى الله عليه وسلم بيتا من سعف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه"(١). ومع ذلك يلاحظ أن من الروايات التى يذكرها السمهودى ما يفيد أن " القبة " أو " البيت " من السعف كان داخل المسجد . بيد أن هذا يخالف الحديث الذى نقله السمهودى عن يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج حصيرا كل ليلة اذا انكفت الناس(٢)، فيطرح وراء بيت على ، ثم يصلى صلاة الليل ، فرآه رجل فصلى بصلاته ، ثم آخر فصلى بصلاته ، حتى كثروا ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بهم ، فأمر بالحصير فطوى ثم دخل ، فلما أصبح جاءوا فقالوا : يارسول الله ، كنت تصلى الليل فنصلى بصلاتك ، فقال : انى خشيت أن تنزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها"(٣)، وهذه الصلاة غير صلاة الاعتكاف التى كان يقوم بها معه كثير من أمته ، ولا زال يعكف عليها كثير من المسلمين .

أما التعليل لهذا الموقع كما أراه فيما أورده السمهودى فى الروايات

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٥٢ ، وقد وجدت قول أبى ليلى " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف فى قبة من خوص" فى مسند الامام أحمد بن حنبل ، جـ ٤ ص ٣٤٨ .

(٢) يعنى انصرفوا الى منازلهم لأن الكفت كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٢ ص ٧٨ ، هو " صرفك الشىء عن وجهه وانكفت أى رجع راجعا".

(٣) السمهودى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٤٥١ .

السابقة وما ذكره ابن سعد (١) من أنه كان لبيت عائشة رضى الله عنها بابان وأن بيت فاطمة رضى الله عنها كان به " كوة الى بيت عائشة رضى الله عنها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى المخرج (٢) ، اطلع من الكوة الى فاطمة فعلم خبرهم " (٣) ، أقول اذا صح ذلك فان الرسم الذى اقترحه محمد لبيب البتنونى (٤) شكل (٣٧) يتفق والحقيقة أو يقرب منها . وعلى هذا فان خروج النبى عليه السلام . من باب بيته الشامى بعد خروج الناس من المسجد وصلاته فى موضع اسطوانة التهجد ، والذى كان قريبا من بيت عائشة رضى الله عنها ، ييسر الأمر على من أراد الاقتداء به ، والا لو كان هذا الموضع من بيت النبى لما تجرأ أحد على الدخول اليه والصلاة خلف الرسول بغير اذنه .

---

(١) ذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٢٨٩ أن الناس قالوا عندما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم " كيف نصلى عليه ؟ قالوا : أدخلوا من ذا الباب أرسالا أرسالا فصلوا عليه وأخرجوا من الباب الآخر " . وقال ابن المحجوب فى قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٤ أ ، ب ان أبواب بيوت أمهات المؤمنين " كانت شارعة الى فضاء العجاج والطرقات فكان لكل بيت بابان باب هو خوخة يخرج منها الى المسجد وهو شارع فى المسجد وباب بخارج حجرة من خيام الشعر وهو شارع الى الطرقات " ، ونقل السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٥٩ وما بعدها عن ابن زبالة " عن محمد بن هلال قال : أدركت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة من القبلة وفى المشرق والشام ، ليس فى غربى المسجد شىء منها ، وكان باب عائشة مواجه الشام " .

(٢) الموضع الذى كان يقضى فيه حاجته .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦٦ .

(٤) الرحلة الحجازية ، ص ٢٥٠ .

أما المحراب النبوى الشريف فلم يكن له وجود فى زمنه صلى الله عليه وسلم ،[1] وانما كان يعرف مصلاه بعلامات منها اسطوانة عائشة رضى الله عنها ، التى قيل انه صلى اليها بضعة عشر فرضا ، قبل أن ينتقل الى مصلاه الشريف[2] الذى يبعد عنها بتسعة عشر ذراعا ،[3] كما تحدد موضعه فى مرحلة ثانية . بموضع الجذع الذى كان يخطب اليه الرسول الكريم قبل صنع المنبر الشريف ، وقد ذكر ابن النجار أنه كان " فى موضع الاسطوانة المخلقة التى عن يمين محراب النبى " ،[4] كما أن العود الذى أضيف الى جدار القبلة فى أواخر حياة الرسول عليه الصلاة والسلام قد حدد موضع المصلى الشريف بشكل أفضل ، كما يفهم مما ذكره ابن اسحاق بسنده عن سهل بن

---

(١) يذكر فريد شافعى فى العمارة العربية ، ص ٦١١ ، أنه كان " فى عهد الرسول الكريم محراب بمسجده فى المدينة وفى مسجده بقباء ، وذلك منذ السنة الثانية من الهجرة على الأقل ، والتى نزلت فيها الآية الكريمة بالأمر باتخاذ الكعبة قبلة للصلاة ، وأغلب ظننا أنها (كانت) على هيئة علامة فى جدار القبلة تتميز بالبساطة ، وأن هذه الهيئة المبسطة انتقلت الى طور أو أطوار جديدة فى العراق والشام ومصر وأقطار شمال افريقية " وذكرت نجاة يونس الحاج فى ص ٢٠ من المحاريب العراقية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ " الحربة والعنزة والوتد أثناء اقامته للصلاة فى الفضاء لكى يحدد بها اتجاه القبلة ، بينما فى بيت الصلاة اتخذ المحراب المجوف " وما ذكراه بخصوص اتخاذ المحراب المجوف فى عهد الرسول عليه السلام ، كلام يحتاج الى سند لم يوفق المؤلفان اليه .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩١ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

يعقوب " أن العود الذى كان فى المقصورة[(١)] جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسن فكان يتكئ عليه اذا قام فى صلاته ، واذا قام من سجوده اعتمد عليه ، واذا كلم انسانا لحاجته اعتمد عليه "[(٢)].

ويبدو أن الاسطوانة المخلقة التى ذكرها ابن النجار فى روايته المتقدمة ، لم يكن لها وجود فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وأنها وضعت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد انتقال جدار القبلة عند اضافة البلاطة الواقعة فى مقدم المسجد سنة ١٧ هـ ، وأن تخليقها كما يذكر ابن اسحاق الحربى كان بقصد الدلالة على المصلى الشريف[(٣)]. ومهما يكن

---

(١) ذكر ابن اسحاق : فى كتاب المناسك ، ص ٤٠٣ أن عمر بن عبد العزيز هو الذى نقل العود الذى كان يعتمد عليه الرسول من موضع مصلاه الى جدار القبلة بجوار المحراب العثمانى ، وأنظر أيضا ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٨٩ .

(٢) كتاب المناسك ، ص ٤٠٣ وذكر فى رواية ثانية عن أنس بن مالك رضى الله عنه " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستمسك بعود كان فى القبلة ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله فاذا استوت الصفوف كبر" ، وذكر فى رواية أخرى ص ٤٠٣ أن هذا العود سرق بعد وفاة الرسول " فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضى الله عنه عند رجل من الأنصار قد دفنه بأرض أكلته الأرضة ، فأخذ له عودا فشقه فأدخله فيه ، ثم شعبه ورده فى الجدار . . . " ويفهم من هذه الرواية انه بقى بعد موت الرسول الكريم للدلالة على موضع مصلاه الشريف حتى نقله عمر بن عبد العزيز الى جدار القبلة بجوار المحراب العثمانى الذى كان داخل مقصورة الامام بجوار المحراب العثمانى .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٦ . وذكر ابن منظور فى لسان العرب، ج١٠ ص٩١ أن الخلوق ضرب من الطيب، وقيل هو الزعفران

من أمر فقد تواتر العلم بالموضع الصحيح لمصلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد اهتم العلماء بتحديد مكانه ، فقد ذكر السمهودى أنه ذرع ما بين المنبر الذى كان قبل الحريق الثانى والمصلى الشريف فكان طوله أربعة عشر ذراعا وشبرا ثم ذكر أنه موافق لما ذكره ابن زبالة [١] . ثم ذكر ان من المنبر الى الحجرة ثلاثة وخمسون ذراعا كما هو عند ابن زبالة [٢] ، ونقل ابن حجر الهيثمى عن أبى غسان صاحب الامام مالك " ان ما بين الحجرة الشريفة ومقام النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون ذراعا" [٣] .

أما عن الصلاة فى الفضاء فقد ذكر الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خرج فى السنة الثانية الى المصلى فصلى بهم صلاة العيد ، وحملت العنزة له الى المصلى فصلى اليها" [٤] ، ويكفى للدلالة على القبلة فى مثل هذه المساجد المؤقتة ، أو التى يراد تأسيسها ، وضع مجموعة من الأحجار بجنب بعضها على خط مستقيم وتمييز موضع الامام بعود أو حربة أو عنزة تنصب وسط هذا الخط .

وفى عهده عليه الصلاة والسلام استقرت أبواب المسجد النبوى على ثلاثة أبواب ، هى : الباب الذى فتح فى مؤخرة المسجد بعد تحويل القبلة ، وباب عاتكة وهو المعروف بباب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ، وهو المعروف بباب آل عثمان أو باب

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٤ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٣٨ .
(٣) تحفة الزوار الى قبر النبى المختار ، ص ٦٢ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ص ١٢٨١ .

جبريل[1]، وهذه الأبواب " هى فرج لا أغلاق عليها "[2]. ومع اجماع الروايات المختلفة على ذكر الأبواب الثلاثة التى لا تزال محتفظة بمواضعها الى اليوم[3]، الا أن ابن حجر الهيثمى يضيف اليها بابين هما : باب على رضى الله عنه ، الذى يقول عنه أنه " كان مكان الشباك الآن الذى تحته أرجل الصحابة[4]، رضى الله عنهم "[5]، وباب النبى الذى كان يدخل منه الى المسجد ، وقد سد عند تجديد الجدار الشرقى[6]. بيد أنه لا يمكن عد هذين البابين من أبواب المسجد التى كان الدخول منها والخروج الى المسجد مسموحا به لجميع المسلمين ، ولذلك فقد سد باب على رضى الله عنه مع الأبواب التى كانت شارعة فى المسجد قبل وفاة الرسول عليه السلام عندما أمر بسدها الا باب أبى بكر[7]، وجاء أنه قال لعمه العباس رضى الله

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣١ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٣٧ .
(٢) أنظر أدناه ص ١٠٤ الحاشية رقم ٣ .
(٣) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٨٧ .
(٤) يقصد به الشباك الواقع فى مشبك الحجرة الشريفة من جانبها الشرقى .
(٥) تحفة الزوار ، ص ١٠٦ .
(٦) ابن حجر الهيثمى : نفس المصدر ، ص ١٠٦ . وقد كان هذا الباب كما يقول ابن المحجوب فى قرة العين ، ورقة ٦٤ أ أن أبواب بيوت أمهات المؤمنين ، كانت شارعة الى فضاء العجاج والطرقات ، فكان لكل بيت بابان ، باب هو خوخة يخرج منها الى المسجد وهو شارع فى المسجد وباب شارع الى الطرقات .
(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه فى خرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " انه ليس أحد آمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الاسلام أفضل ، سد واعنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر . وعد السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٤٧١ وما بعدها باب حمزة بن عبد المطلب وباب على والعباس وعمر وعثمان .

عنه " ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى "[(١)] . ولذلك بقى لخوخة[(٢)] الصديق رضى الله عنه أثر فى المسجد الى اليوم .

ومهما يكن من أمر هذه الأبواب فقد كان الأمر بسد الأبواب الشوارع فى المسجد النبوى الشريف بمثابة عمل معمارى كبير اختتم به الرسول عليه السلام أعماله فى مسجده الشريف قبل تسليم روحه الطاهرة الى خالقها العظيم .

. . . . . .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٢) عرف السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٧١ الخوخة فقال هى طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء ولا يشترط علوها ، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول الى مكان مطلوب وهو المقصود هنا ، ولهذا أطلق عليها باب ، وقيل لا يطلق عليها باب الا اذا كانت تغلق .

٧ - منبرا الرسول صلى الله عليه وسلم

لقى المنبر الذى اتخذه الرسول عليه السلام فى مسجده بعد الزيادة الأخيرة فى السنة السابعة من الهجرة ، اهتماما كبيرا من قبل بعض المستشرقين الذين ألفوا البحث عن كل عنصر معمارى يستحدثه المسلمون ، للرجوع بأصله الى غير العرب . وكان هدفهم هذه المرة النيل من أخلاق الرسول وشخصيته ، التى تأكدت عظمتها بالآية الكريمة " وانك لعلى خلق عظيم ". (١) ورغم تواضع الرسول الذى تشهد به كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والروايات المختلفة ، الا أن المستشرق بكر BECKER يؤكد " أن محمدا لم يتخذ منبرا الا عندما أصبح رجلا عظيما يستقبل السفارات بصفة مستمرة من جميع الجهات ". (٢) ويذكر كريزول CRESWELL أن المنبر الشريف " كانت تنقصه الدلالة الدينية فى الأيام المبكرة من الأسلام ". (٣) بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك عندما أنكر أصله العربى (٤) ناسبا له أصلا حبشيا معتمدا فى ذلك على شوالى SCHWALLY ونلدكه، (٥) ومتخذا من ذكر اسم باقوم فى احدى الروايات (٦) حجة لاثبات ما ذهب اليه.

---

(١) سورة القلم ، آية رقم (٤) ، وأنظر سورة التوبة آية رقم ١٢٨ .

(٢) ، (٣) كريزول : العمارة الاسلامية المبكرة ، جـ ١ القسم الأول ص ١٤ .

(٤) أنظر كريزول : نفس المرجع ، جـ ١ القسم الأول ص ١٤ .

(٥) ذكر المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٦٤ - ٦٥ مجموعة من الروايات التى تذكر أسماء مختلفة لاسم صانع المنبر وقال فى آخرها " ويقال : انما عمله باقوم بأنى الكعبة لقريش نقله بعض شيوخنا ". وأنظر : السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٦) اذا كان ما ذكره الأزرقى فى أخبار مكة ، جـ ١ ص ١٥٨ صحيحا بالنسبة لاستعانة قريش بباقوم الرومى فى بناء الكعبة ، فان ما ذكره عن صغر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بلغ الحلم آنذاك ما ينفى (=)

ويرى الدكتور فريد شافعى أن " حقيقة بناء الكعبة وصناعة أول منبر للرسول الكريم فى المدينة لا تزال غامضة كل الغموض ولا تزال فى حاجة شديدة الى دراسات وأبحاث أخرى تقوم على أسس سليمة ومنطق علمى ثابت "(١). كما يحذر من أمثال الروايات التى استعان بها كريزول وغيره والتى يراد بها " اثبات الرأى الذى يقول بنشأة العمارة والفنون العربية الاسلامية بفضل الفنانين من غير المسلمين ومن غير العرب "(٢).

ومهما يكن من أمر هذه الروايات فان صانع المنبر المختلف فيه غيرهام بالنسبة لنا وانما ما يعنينا هو الزمان والمكان الذى استحدث فيه هذا العنصر المعمارى الهام. فكان لوجوده - فى السنة السابعة أو الثامنة من الهجرة - فى المسجد النبوى الشريف أسباب منها :

١ - لم يكن عدد المسلمين فى المدينة قبل هاتين السنتين من الكثرة بحيث كانت تستوجب استخدام المنبر ، بل كانت تكفى لأسماعهم خطب

(=) قدرة هذا النجار المزعوم على صنع المنبر للرسول فى المدينة. فانه ولا شك يكون حينذاك فى أرذل العمر. أى أننا لو فرضنا أن عمره عندما أعان قريش كان فى حدود الخمسين عاما ، وعمر الرسول عليه السلام خمسة عشر عاما ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستحدث المنبر الا فى السنة السابعة أو الثامنة من الهجرة كما صرح به ابن النجار والمراغى عندما كان عمره صلى الله عليه وسلم ستين عاما ، على اعتبار أن مولده كان ٥٧١ م ووفاته ٦٣٢ م . فان عمر باقوم يكون فوق التسعين ، أى أنه عاجز عن اعداد منبر أو ارشاد أحد الى صنعه. هذا فضلا عن أن من الروايات ما ينفى الاستعانة بباقوم فى بناء الكعبة فقد ذكر الأزرقى فى **أخبار مكة** ، ج ١ ص ١٦١ وابن هشام فى السيرة النبوية ، القسم الأول ص ١٩٥ تقسيم بناء جدران الكعبة بين قبائل قريش ومشاركتهم كلهم فى البناء. ثم من كان يبنى لقريش بيوتهم قبل ذلك.

(١) فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٦٢٩.

(٢) نفس المرجع ، ص ٦٣٣.

الرسول وأقواله مصطبة من اللبن فى مقدم المسجد (١) ، وقيل انه كان يستند الى جذع نخل - عند ما يخطب الناس (٢) ، فلعله كان يقف على هذه المصطبة مسندا ظهره الى جذع النخل المذكور فى رواية ابن سعد .

٢ - قلة عمق ظلة المسجد وانخفاض سقفها ، كان يساعد على سماع المسلمين لصوت النبى صلى الله عليه وسلم فلم تكن هناك حاجة الى منبر يعتليه الرسول (٣) .

٣ - كانت بدانة الرسول صلى الله عليه وسلم وكبر سنه ، مما بدأت علاماته تظهر فى غزوة بدر (٤) من الدوافع الرئيسية لصناعة المنبر ، فقد روى محمد بن سعد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال: " كان رسول الله

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣) ذكر ابراهيم شريف : فى خواص المادة والصوت ، جـ ١ ص ٢٥٤ أن من العوامل التى تزيد من شدة الصوت عند المستمع مايلى :

- الخواص الانعكاسية للجدران والأسقف والأرضية وكل العواكس التى يمكن أن تساعد على توزيع الصوت توزيعا منتظما بقدر الامكان .
- استخدام مكبرات الصوت . فالعواكس المستوية تساعد على زيادة شدة الصوت بينما العواكس المنحنية تسبب بعض المتاعب . ومن المستحسن تواجد عواكس مستوية خلف المتحدث لكى تساعد على انعكاس الصوت صوب المستمعين . ومن العوامل التى تساعد أيضا على زيادة شدة الصوت عند المستمعين ، الأسقف المنخفضة بشرط تعرج سطوحها حتى يمكن توزيع الصوت توزيعا منتظما فى القاعة .

(٤) أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثانى ص ٨٦ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٩٣ الذى ذكر فى ص ٥٣٢ من الجزء الثانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان " اذا هلك الهالك شهده يصلى عليه حيث يدفن ، فلما ثقل رسول الله (ص) وبدن نقل اليه المؤمنون موتاهم فصلى بهم رسول الله (ص) على الجنائز عند بيته ".

صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع فى المسجد قائما فقال : " ان القيام قد شق علىّ " ، فقال له تميم الدارى [1] : " ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام ؟ " [2] .

ويبدو أن ذلك قد راق للرسول صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يشأ أن يحققه دون مشاورة أصحابه ، وهو ما أشار اليه ابن سعد بعد ما تقدم بقوله " فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى ذلك فرأوا أن يتخذه " نظرا لكثرة الناس وحاجتهم الى رؤيته وسماعه وهو يخطب أنظر شكل (٣٨) . ومن هذا يتبين للرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة اتخاذ المنبر لابلاغ صوته الى الجموع المحتشدة داخل المسجد بأبعاده المربعة [3] التى يبلغ طول كل ضلع منها مائة ذراع فى وقت لم تعرف فيه الوسائل الحديثة لتكبير الصوت وقد أصبح استخدامها من الضروريات فى الوقت

---

(١) يذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٣٨٩ ترجمة تميم الدارى فقال : انه تميم بن أوس بن خارجة بن سود ان بن خديجة أبو رقية اللخمى الدارى الصحابى الشهير ، له مناقب جمة ، وأحاديث جطة . روى عنه أنس ، وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . . . قال ابن سعد ولم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان الى الشام . وبها مات سنة أربعين .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٥٠ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٩ ، وذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٩٦ أن " عند أبى داود باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بدن قال له تميم الدارى : يارسول الله ألا تتخذ لك منبرا يحمل - أو يجمع - عظامك قال صلى الله عليه وسلم ، بلى ، فاتخذ له منبرا مرقاتين : أى غير القعدة " ثم ذكر أن الحافظ ابن حجر قال : " ليس فى الروايات التى سمى فيها النجار قوى السند الا هذا . " .

(٣) يبدو أن صحن المسجد كان يستخدم للصلاة لا سيما يوم الجمعة التى كان يخطب فيها الرسول عليه السلام باستمرار .

الحاضر فى مساجد لا تبلغ ربع مساحة المسجد النبوى الشريف[1] . أما وصف

---

(١) قال ابراهيم شريف فى خواص المادة والصوت، ص ٢٤١ ومابعدها أنه عند ما يصدر الصوت من مصدر صوتى فى القاعة فان موجة مباشرة تصل الى المستمع فى خط مستقيم وتصله تباعا موجات عديدة أخرى لنفس الصوت عن طريق انعكاسات متكررة فى الحوائط والأسقف. ويصل عدد هذه الانعكاسات فى بعض الأحوال الى حوالى مائتين قبل أن تصل الى المستمع". ثم عدد العوامل التى تحكم زمن الانعكاسات فذكر منها :

١ - الخواص الانعكاسية لجدران وأرضية وسقف القاعة ، ٢ - معامل امتصاص السطوح الموجودة فى القاعة مثل السجاد والمفروشات . ٣ - شدة الصوت قبل توقفه مباشرة . ٤ - تردد الصوت ، ٥ - أبعاد القاعة .

أما الدكتور عبد الرحمن فكرى حسن ، الأستاذ بقسم الفيزياء بكلية التربية بمكة المكرمة . فقد أفادنى بالمعلومات التالية التى أنقلها عنه حرفيا فيما يخص الموضوع الذى نحن بصدده ، قال : " من المعروف فى علم الفيزياء أن مساحة سطح الكرة = نق ، نق = نق٢ط . أى أن :

$$\frac{\text{الطاقة الكلية الصادرة من المتكلم}}{\text{مساحة سطح الكرة المحيطة به}} = \frac{\text{نفس تلك الطاقة}}{\text{مساحة سطح كرة أكبر}}$$

نق صغير   نق كبير

وبما أن الكمية التى فى البسط واحدة اذن النتائج لكل وحدة مساحات يكون أصغر كلما كبرنا المساحة . أى كلما كبرنا من الكرة المحيطة بالمتكلم . أى كلما بعدنا عن الخطيب . اذن لو وضعنا حاجزا ماديا بين المستمع رقم ١ والخطيب لساعدنا على عدم وصول تلك الطاقة الصوتية الضعيفة نسبيا عن تلك التى تصل الى المستمع رقم ١ ويتمثل هذا الحاجز فى الصفوف الامامية . ولكى نساعد على تقليل امتصاص هذا الصوت من أجسامهم نجعل الخطيب مرتفع بعض الشىء عن مستوى رؤوس هؤلاء المنصتين ، وهذا هو السبب الطبيعى (أى الفيزيائى) لاستخدام كرسى أو منبر أو عتبة . لوقوف الخطيب أو المحاضر عليها . وهناك بجانب هذا السبب الأساسى أسباب أخرى بعضها يتمثل فى التأثير النفسانى على المنصتين ، بمعنى أن قوة تأثير الخطيب على المستمع تكون أكبر عند رؤيته له " . شكل (٣٨)

هذا المنبر ونوع خشبه فقد قيل انه من خشب الطرفاء ، وقيل ان الطرفاء هى العرعر (١) ، وقيل من خشب الأثل على الصحيح فى عشرة أقوال (٢) . والأثل هو الصحيح لوجوده بكثرة فى المدينة ونواحيها ، أما العرعر فلا ينمو الا فى المناطق الباردة والعالية كالطائف وعموم جبال السراة . ولا يمكن أن يقال ان خشبه من غير المدينة ، لأن الفكرة نفذت فور اقتناع الرسول بجدواها كما تدل عليه عموم الروايات التى تذكر صناعة المنبر ومنها ما ذكره ابن النجار عن أبى الزناد " أنه عليه السلام كان يخطب يوم الجمعة الى جذع فى المسجد فقال : " ان القيام قد شق علىّ "وشكا ضعفا فى رجليه " . فقال له تميم الدارى وكان من أهل فلسطين : يارسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام . قال : فلما أجمع ذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب : ان لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : فمره يعمل فأرسل الى أثلة بالغابة (٣) فقطعها ثم عملها درجتين ومجلسا ثم جاء بالمنبر فوضعه فى موضع المنبر اليوم ثم راح اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات . . . " (٤) .

---

(١) الهروى : كتاب الاشارات الى معرفة الزيادات ، ص ٩٠ ، وقد ذكر فى حاشيتها ص ١٣ من احدى نسخه المخطوطة بمكتبة جامعة الامام محمد بن سعود المركزية بالرياض برقم ٩٥٧ تاريخ " أن الأثل شجر معروف بمصر ويعرف فيها الآن باسم العبل ولا يزال أهل المدينة الى يومنا هذا يستعملون الأثل ويسمونه أيضا الطرفاء ويسقفون به بيوتهم " .

(٢) تاريخ مكة والمدينة ، لمؤلف مجهول . ورقة ٣٩ ب .

(٣) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، جـ ٤ ص ١٨٢ " أن الغابة موضع قرية بالمدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة من طرفائه صنع منبر النبى عليه السلام ، وهو على بريد منها " .

(٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٧٩ - ٨٠ .

وعلى أية حال فقد كان هذا المنبر يتألف من درجتين ومجلس ، أى ثلاث درجات كما شاهدها الهروى[1] . وكان طوله كما يقول ابن النجار" ذراعين وشبر وثلاث أصابع وعرضه ذراع راجح وطول صدره[2] وهو مستند النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس يخطب شبر وأصبعان"[3] .

ويمكن تصور صورة أوضح لحال المنبر الأول من خلال الحديث الشريف " قوائم منبرى رواتب فى الجنة "[4] . ويذكر ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط انه قال : " رأيت ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التى تلى القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون"[5] . وطول هاتين الرمانتين كما فى رواية ابن النجار المتقدمة شبر واصبعان . وبهذا الأثر النبوى الموثوق به[6] ، بدأ فن المنابر الاسلامية أولى انجازاته فى المدينة المنورة فى ظل العقيدة الجديدة ، ثم أكمل نموه فى البلاد الاسلامية التى تنعم بوفرة المواد اللازمة لاظهار خصائص ومميزات هذا الفن الناشىء .

. . . . . .

---

(١) كتاب الارشارات الى معرفة الزيادات ، ص ٩٠ .

(٢) أى الموضع الذى يسند اليه الرسول ظهره الشريف .

(٣) الدرة الثمينة ، ص ٨٢ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٥٣ ، ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٥) ابن سعد : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٦) سوفاجيه : المسجد الاموى فى المدينة ، ص ٨٦ .

المبحث الثاني

عمارة المسجد النبوي في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الثانى

عمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الراشدين

١ - زيادة عمر بن الخطاب فى المسجد النبوى سنة ١٧ هـ .

بقى المسجد النبوى الشريف على ما كان عليه فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام طوال حياة أبى بكر الذى لم يتمكن من توسعة المسجد نظرا لانشغاله أول الأمر بأمر السقيفة التى يقول عنها عمر انها" فلتة وقى الله شرها".(١) ثم ما تلاها من حروب ضد المرتدين من العرب والحرص على تجهيز الجيش الذى أعده الرسول بقيادة أسامة بن زيد وبعثه الى أرض الروم . كل هذا مع قصر المدة التى قضاها الصديق فى الخلافة مما حال دون القيام بتوسعة المسجد النبوى الشريف،(٢) أو القيام بأى عمل معمارى فيه(٣) . وفى

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثانى ، ص ٦٥٨ ، تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٥ .

(٣) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨١ نقلا عن أبى داود "أن سواريه نخرت فى خلافة أبى بكر، فبناها بجذوع النخل". والسمهودى لا يستبعد قيام الصديق بهذا العمل" اذ أن المنفى كما يقول هى الزيادة". ونظرا الى قصر المدة التى مكثتها هذه الجذوع فى المسجد من حين أقامها الرسول عليه السلام سنة ٧ هـ الى نهاية خلافة الصديق سنة ١٣ هـ. وهى ستة أعوام والى ماعرف عن النخل من قوة تحمل لفترة أطول من هذه ، كما حدث فى عمارة عمر للمسجد التى بدأت سنة ١٧ هـ . وبقيت حتى وسع عثمان المسجد سنة ٢٩ هـ أى ١٢ عاما ، فانه يترتب على ذلك احتمالان يجب التسليم بأحدهما : الأول استبعاد قيام الصديق بتغيير جذوع النخل فى المسجد ، وثانيهما : التسليم بالروايات التى ذكرت استخدام عمر لأعمدة اللبن محل جذوع النخل . خلافا لما نقله السمهودى فى الوفا جـ ٢ ص ٤٨١ عن أبى داود "أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا".

خلافة عمر رضى الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ) ، وبالتحديد فى سنة ١٧ هـ (١) ، أحس عمر رضى الله عنه بضيق المسجد بالمصلين ومفاتحة بعضهم له بأمر التوسعة كما فى رواية يحيى عن أبن عمر رضى الله عنهما " أن الناس كثروا فى عهد عمر ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين لو وسعت فى المسجد ، فقال عمر: لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا ، ما زدت فيه " (٢).

واحساس عمر رضى الله عنه بحاجة المسجد الى التوسعة فى هذه الفترة بالذات ، أمر يتفق مع ازدياد عدد المسلمين الوافدين الى المدينة نتيجة الفتوحات الاسلامية التى شهدتها تلك الفترة من تاريخ عمر رضى الله عنه . وعلى أية حال فقد وجد عمر فى زيادة الرسول عليه السلام فى مسجده سنة سبع من الهجرة أمرا يستند اليه فى جواز التوسعة فى هذا المسجد مستشهدا بما سمعه من أحاديث شريفة فيها الاذن بالتوسعة فى المسجد عند الحاجة (٣).

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٨١ .

(٢) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٤٨٢ ، وأنظر ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٥ .

(٣) ورد فى جواز الزيادة فى المسجد النبوى أحاديث عدة منها ما ذكره ابن اسحاق فى كتاب المناسك ص ٣٦١ أن عمر قال : " لو زدنا فيه حتى الجبانة لكان مسجد رسول الله (ص) " ومنها أيضا ما ذكره السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٦ عن ابن شبة ، ويحيى عن أبى عمرة ، " زاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد من شاميه ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله (ص) . ولهما عن ابن أبى ذئب : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو مد مسجد رسول الله (ص) الى ذى الحليفة لكان منه . ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا " لو بنى هذا المسجد الى صنعاء كان مسجدى " .

كما يذكر المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٤٦ أن عمر قال عندما فرغ من زيادته : " لو انتهى بناؤه الى الجبانة لكان الكل مسجد رسول (=)

وكان لابد له من تحديد موضع الزيادة التي ينوى ان خالها في المسجد، واضعا في اعتباره أمرين مهمين :

١ - أنه لا يمكن التعرض لحجرات أمهات المؤمنين الباقيات على قيد الحياة والتي يرقد في احداها جثمان الرسول صلى الله علية وسلم وصاحبه الصديق رضى الله عنه . وقد أوضح عمر ذلك للعباس رضى الله عنهما ، كما في رواية لابن سعد (١) .

٢ - ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبه للزيادة في قبلة المسجد ، فقد روى ابن النجار بسنده عن مسلم بن خباب أن النبى قال يوما وهو في مصلاه : لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة " (٢) .

وفي رواية يحيى بن الحسين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : أن عمر رضى الله عنه قال : " لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انى أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا " مازدت فيه " (٣) .

(=) الله صلى الله عليه وسلم" .
أما ابن المحجوب في قرة العين في أوصاف الحرمين ورقة ٦٦ أفيذكر " أن عمر قال : سمعته صلى الله عليه وسلم يقول لو بني هذا المسجد الى صنعاء" لكان مسجدى" . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين زاد في المسجد لو زيد في المسجد مازيد لكان الكل مسجدى . وفي رواية " عند ما زيد في مسجدى فهو منه لو بلغ ما بلغ " .

(١) أنظر أدناه ص ٨٥ .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٣ . السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٨٢ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٨٢ .

وعلى هذا فان الرواية التى يرويها ابن النجار ومن تبعه من مؤرخى المدينة ، أن عمر عندما أراد الزيادة " أجلسوا رجلا فى المصلى ثم رفعوا يده وخفضوها ، ثم جىء بمقط (١) فوضعوا طرفه بيد الرجل ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه ، ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار به النبى صلى الله عليه وسلم " ، (٢) انما تدل فى نظرى على محاولة عمر رضى الله عنه التوفيق بين الزيادة فى المسجد ومراعاة الأحاديث الدالة على رغبة الرسول الكريم فى زيادة قبلة مسجده ، وهو ما يعنيه أيضا ابن المحجوب بقوله " فتحرى عمر رضى الله عنه اشارة المصطفى بيده الكريمة " . (٣) فلو اقتصر عمر فى الزيادة على ظلة القبلة لما تحقق الغرض الذى توخاه من الزيادة ، وهو توسعة المسجد ، هذا بالاضافة الى أن ظلة القبلة ستصبح عميقة بحيث يبتعد فيها جدار القبلة عن موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم والمنبر الشريف وعن الروضة المطهرة ، ولذلك استخدم المقط فى تحديد مواضع الزيادة .

وهذا العمل أشبه مايكون باعداد مخطط لزيادة المسجد ، قدرت فيه الدور التى ستدخل فى توسعة المسجد تمهيدا لشرائها كما فى رواية ابن سعد التى ذكرت أنه " لما كثر المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه ، وضاق بهم المسجد فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور الا دار العباس بن عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين ، فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل ان مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ماحوله من المنازل نوسع به على المسلمين فى مسجدهم الا دارك وحجر أمهات المؤمنين ، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل اليها ، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال

---

(١) أنظر تعريف المقط أعلاه ص ٤٦ .
(٢) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٦ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨٢ .
(٣) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ ب .

المسلمين أوسع بها في مسجدهم"[1].

وعلى أية حال فان رغبة عمر في ادخال هذه الدور في المسجد لم تتحقق دون معارضة أصحابها[2]، ومنهم العباس بن عبد المطلب الذى لم يقنعه الا أبى بن كعب[3] الذى يقول عنه عمر رضى الله عنه انه سيد المسلمين[4] وييدو أن وقتا طويلا قد استغرق فى الاعداد لهذه الزيادة، فيما بين نزع ملكية الدور وهدمها، واعداد اللبن وجذوع النخل، وتقريب الأحجار اللازمة لتأسيس الجدران الجديدة، التى قيل أن عمر رضى الله عنه بنى أساسها "بالحجارة الى أن بلغ قامة"[5]. ومن الطبيعى أن يؤخذ بنصيحته المعمارية

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٤ص ٢١، السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢ص٤٨٢.

(٢) ذكر الأزرقى فى أخبار مكة، جـ ٢ ص ٩٦ أنه حدث لعمر مثل هذه المعارضة عندما أراد توسعة المسجد الحرام سنة ١٧ هـ.

(٣) لبن اسحاق: كتاب المناسك، ص ٣٦٢.

(٤) عد السخاوى فى التحفة اللطيفة، جـ ١ ص ١٥٧، فضائل أبى بن كعب والتى من أجلها كان احتكام عمر والعباس اليه فقال: "أبى بن كعب بن قيس الخزرجى المدنى، ومن خصائصه أن الله تعالى ذكره فى الملأ الأعلى وأمر نبيه (ص) أن يقرئه القرآن. فقال له: "ان الله أمرنى أن أقرئك القرآن فبكى". وسأله النبى (ص) "أى آية فى القرآن أعظم؟ قال: آية الكرسى فقال: ليهنك العلم أبا المنذر". وكان يكتب الوحى لرسول الله (ص) فى حياته، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهده (ص) فى حياته. ولجلالته أن عمر لما أراد أن يأخذ من العباس رضى الله عنهما دارا له بالثمن ليدخلها فى المسجد النبوى وامتنع، حاكمه عمر وهو خليفة الى أبى راشد، فوعظ العباس، فطابت نفسه، وبذلها لله ووصفه عمر بسيد المسلمين".

(٥) أنظر ما نقله السمهودى عن يحيى ورزين فى الوفا، جـ ٢ ص ٤٩٥، وأنظر المطرى: التعريف بما أنست الهجرة، ص ٨٠.

التى قال فيها " عرضوا المداميك وقاربوا مابين الخشب " فى بناء المسجد الشريف كما نقل السمهودى عن البخارى تعليقا عن أبى سعيد الذى قال :" أمر عمر ببناء المسجد ، وقال : أكن الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس ".(١) بعد ذلك أكمل البناء باللبن المضروب فى البقيع(٢) الى أن بلغ به السقف الذى قيل أن ما بينه وبين الأرض أحد عشر ذراعا(٣) ، وهو ارتفاع متناسب مع عمق الظلة وطولها(٤) ، فقد أصبح بها بعد هذه الزيادة أربع بلاطات واثنى عشر بائكة ، أى أن زيادة عمر فى القبلة كانت عشرة أذرع أو اسطوانة وفى الغرب عشرين ذراعا ،(٥) أو اسطوانتين وفى الشمال ثلاثين ذراعا أو ثلاث اسطوانات.(٦) وقد حدد السمهودى هذه

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب بنيان المسجد رقم ٦٢ ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٦ . ويقصد بقوله لا تحمر أو تصفر أى لا تجعل فيه ألوانا من الطلاء فتشغل الناس بالنظر اليه عن الخشوع الواجب للصلاة .

(٢) أنظر ما نقله السمهودى عن يحيى فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٨٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٠٨ .

(٤) اذا حولنا هذه الأذرع الى أمتار على اعتبار أن الذراع ٣/٥٠ سم × ١١ ذراع كما هو ذراع اليد عند فالترهنتس . فى المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٩١ لبلغ ارتفاع السقف ٥٣ / ٥م وهو قريب من الذراع الشرعية التى يقدرها هنتس ٤٩/٨٧٥ × ١١ = ٤٨/٥ م .

(٥) لاحظ السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٦ وجود تربيع فى أسفل الاسطوانة السابعة من المنبر وأنه زال بعد الحريق سنة ٨٨٦ هـ ، ويعتقد أن ذلك التربيع الذى أدركه هو حد زيادة عمر رضى الله عنه من المغرب .

(٦) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٤ ، ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٨٧ ، المطرى : المصدر السابق ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٧ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٦ .

الزيادة ، مخالفا المطرى والمراغى فى حدود المسجد من جهة الغرب اذ يقول : " فيكون نهاية المسجد فى زمنه من تلك الجهة الاسطوانة السابعة من غربى المنبر ، ومن المشرق الحجرة الشريفة ، لأنه لم يزد فى تلك الجهة شيئا ، ومن القبلة صف الأساطين التى تلى القبلة ..."(١) أنظر شكل (٣٩).

وهذا الارتفاع الذى تطلبته التوسعة اقتضى بطبيعة الحال تغيير **الأسطوانات** القديمة كلها والتى كان ارتفاعها كما عرفنا فى آخر عمارة للمسجد الشريف فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم سبعة أذرع.(٢) وما من شك فى أن عمر رضى الله حرص على اعادة الاسطوانات الجديدة فى مواضع الاسطوانات القديمة ، التى كانت على خلاف ما قاله ابن زبالة من جذوع النخل أيضا.(٣) ويتناسب طولها مع ارتفاع السقف الذى بلغ ١١ ذراعا أى حوالى خمسة أمتار(٤)

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٣ .

(٢) السمهودى : **نفس المصدر** ، جـ ١ ص ٣٣٦.

(٣) ذكر السمهودى : فى نفس المصدر ، جـ٢ ص ٤٨١ أن الذى فى صحيح البخارى وسنن أبى داود " أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد وبناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد. وأعاد عمده خشبا وهذا مخالف لما فى رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن والمعول عليه رواية الصحيح". كما أورد كل من القرطبى فى بهجة النفوس والأسرار ص ١٢٧ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٨٩ رواية بناء عمر **لأسطوانات** اللبن .

(٤) ذكر فالترهنتس ، فى كتاب المكاييل والموازين الاسلامية ص ٩١ أن ذراع اليد ٣ / ٥٠ سم .

وهو ارتفاع لا يمكن أن تبلغه أعمدة اللبن وأكتافه الا اذا زيد فى عرضها بأكثر من ذراع فى ذراع ، أى أن مساحة كبيرة من المسجد قد تحتلها هذه الأعمدة العريضة نسبيا .

وما تؤكده الروايات من أن عمر بدأ بالزيادة فى مقدمة المسجد[1] أمر يتفق مع حرصه على تحرى الدقة فى رسم موضع جدار القبلة الجديد ، كما أنه عنى باعادة الظلة الشمالية نظرا لاهتمامه بفتح باب النساء فى مؤخر الجدار الشرقى مما يلى هذه الظلة ، فقد نقل السمهودى عن أبى داود ما يفيد أن عمر خصص هذا الباب للنساء ، ونقل أيضا عن ابن زبالة ويحيى عن طريقه عن ابن عمر قال : سمعت عمر حين بنى المسجد يقول : هذا باب النساء فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله ، وكان لا يمر بين أيدى النساء وهن يصلين[2] . كما ذكر السمهودى أيضا أنه " يؤخذ من كلام ابن زبالة ويحيى " تسمية المسقف الشامى ، بسقائف النساء "[3] . غير أنه لم يتوفر لى معلومات كافية عن عدد بلاطاتها أو بوائكها أو ارتفاعها . الا أن الغالب على ظنى أن بعد الاسطوانات عن بعضها وارتفاعها كان متساويا فى جميع أنحاء المسجد ، كما أن عمقها يمكن أن يكون كعمق ظلة القبلة ، أو قريبا منه ، لأنه لم يكن فى المسجد سوى ظلتين ، ولما ثبت أنه كان بجدارها الشمالى بابان هذا بالاضافة الى أن باب الرحمة وباب النساء كانا فى طرفيها الشرقى والغربى . أنظر شكل (٣٩) .

---

(١) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٥ ب . وأشار الى تقديم عمر لجدار القبلة دون أن يصرح بذلك كل من ابن اسحاق فى كتاب المناسك ، ص ٣٦١ ، ابن رستة فى الأعلاق النفيسة ص ٦٧ ، والسمهودى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٨١ وما بعدها .

(٢) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٧٢ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٩٢ .

وبقى المسجد بعد زيادة عمر على ماكان عليه فى عهد الرسول بظلتين احداهما جنوبية والأخرى شمالية . ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يشير الى أنه أحدث للمسجد ظلات جانبية . ويدل ضيق المسجد قبل التوسعة ، وطريقة توزيع الأبواب التى استحدثها عمر فى المسجد ، وهى باب السلام ، وباب النساء ، وباب فى مؤخر المسجد مع الأبقاء على الباب الذى كان فيه فى عهد الرسول ، وكذلك باب الرحمة ، وباب آل عثمان المعروف بباب جبريل ، الذى لم يتغير عن موضعه فى هذه العمارة على كثرة المصلين وعجز ظلتى المسجد عن استيعابهم خاصة فى الأوقات الحارة وأيام المواسم ، الأمر الذى أوجب فتح هذه الأبواب الستة .[(١)] واذا كانت الظلتان الجانبيتان لم تنشأا فى عهد عمر أو عثمان كما زعم فريد شافعى فى المخطط شكل (٤٠) ،[(٢)] فان الحاجة اليهما بدأت من ذلك الوقت ، الذى بدأت فيه العناصر المعمارية الجديدة تظهر فى المسجد تباعا ومنها السترة التى بنيت فوق سطح المسجد ، والتى يقول عنها السمهودى نقلا عن رزين[(٣)] أنها ذراعان أو ثلاثة .[(٤)]

ويذكر أبن النجار أن سقف المسجد فى عهد عمر كان من جريد قدره " ذراعان وبنى فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة أذرع " ،[(٥)] وتبعه فى ذلك

---

(١) عن هذه الأبواب الستة ومواقعها أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٧ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٦ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٦٨٦ .

(٢) العمارة العربية ، ص ٦٧ وما بعدها .

(٣) هو رزين بن معاوية العبدرى الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٥هـ صاحب كتاب أخبار المدينة . أنظر : ترجمته عند السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٦٢ ، وما بعدها .

(٤) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٥) الدرة الثمينة ، ص ٩٤ .

المطرى والمراغى[1] . بيد أن السمهودى يعتقد أن ما ذكره يحيى فى هـذا الخصوص خطأ اذ يقول : " وقال يحيى فى روايته المتقدمة[2] وجعل أساطينه من جذوع نخل وسقفه بالجريد ذراعين فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع ، وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله : وسقفه جريد ذراعان وبنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع ، انتهى . والذى يظهر أن فى عبارة يحيى خللا ، وتبعه عليه ابن النجار ، وأن المراد ما ذكره رزين فى هذه الرواية بعينها فانه قال فيها : وجعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة . فكأن لفظ " أو " سقط قبل قوله ثلاثة أذرع "[3] . ويلاحظ أن سترة سطح المسجد النبوى حدث معمارى يظهر لأول مرة فى عمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمسجد النبوى[4] .

واذا كان عمر رضى الله عنه قد استكمل بناء المسجد ببناء تلك السترة فيبدو أنه قد استشعر بعض انكار من بعض المنكرين عليه فقال : " لو انتهى بناء هذا المسجد الى الجبانة لكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5] .

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، وتحقيق النصرة ، ص ٤٦ .

(٢) هى رواية نقلها عن يحيى قبل هذا النقل فى ص ٤٨٨ فى الجزء الثانى من الوفاء ذكر فيها قصة عمر مع العباس بن عبد المطلب فى ابتياع الدار المجاورة للمسجد وشروعه فى بناء المسجد بعد ذلك .

(٣) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٤) كان لابد لسطح المسجد من مدخل يؤدى اليه لتسقيفه وبناء السترة المذكورة . ولا يعرف شيئا عن موضع هذا الدرج فى عهد عمر بن الخطاب بيد أن ابن عبد ربه ذكر فى العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٣ عند حديثه عن المقصورة التى شاهدها فى القرن الرابع الهجرى " انها تحتل البلاط الأول الممتد من باب السلام الى دار آل عمر ، أن منها يصعد الى سطح المسجد " وبذلك يبدو أن الصعود الى سطح المسجد النبوى كان قريبا من هذا الموضع .

(٥) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ أ .

وبعد أن أتم عمر رضى الله عنه بناء المسجد الشريف بدأ يتشاور مع كبار الصحابة حول الفرش الصالح للمسجد الشريف ، فقد روى " يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال : قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما ندرى ما نفرش فى مسجدنا ، فقيل له : افرش الخصف والحصر.(١) قال : " هذا الوادى المبارك فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " العقيق واد مبارك ".(٢)

ويبدو أن سبب فرش المسجد الشريف بالحصباء(٣) المذكورة فى رواية ابن سعد التالية ، التى نقلها عنه المطرى هو أن " الناس اذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب فجئ بالحصباء من العقيق(٤) من هذه العرصة(٥) فبسط فى المسجد ".(٦)

---

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٤ ص ١٩٥ " أن الحصير وجه الأرض والجمع أحصرة وحصر والحصير سقيفة تصنع من بردى وأسل ثم تفرش ، سمى بذلك لأنه يلى وجه الأرض وقيل الحصير المنسوج سمى حصيرا لأنه حصرت طاقته بعضها مع بعض .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٥٦ .

(٣) ذكر ابن منظور فى المصدر السابق جـ ١ ص ٨١٩ ان الحصباء هى الحصى الصغار وقيل هى صغارها وكبارها .

(٤) قال الفيروزبادى فى الجزء المطبوع من المغانم المطابة ، ص ٢٦٦ أن العقيق هو واد عظيم ، عليه أموال المدينة وهو على ثلاثة أميال من المدينة وميلين أو ستة ، أو سبعة .

(٥) قال الفيروزبادى فى المصدر السابق ، ص ٢٥٢ ان العرصتان بعقيق المدينة ، من أفضل بقاع المدينة .. ".

(٦) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٦٢ .

ولا ينافى ذلك ما ذكره المطرى نقلا عن ابن الأثير فى جامع الأصول عن أبى الوليد قال : " سألت ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن الحصباء التى كانت فى المسجد فقال : انا مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يجئ بالحصباء فى ثوبه فيبسطه تحته فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال : ما أجمل هذا ". (١) ويبدو أن هذا الرمل قد قل عما كان عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أن تأثره بالعمارة التى أجراها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد النبوى قد حتم على المسئولين عن العمارة المذكورة استبداله بحصباء واد العقيق التى يقول عنها المطرى انها تحمل من " العرصة التى تسيل من الجما الشمالية (٢) الى الوادى فيحمل منه وليس بالوادى رمل أحمر غير ما يسيل من الجبل ". (٣)

وقد حصب أيضا الجزء الذى خصصه عمر لمن أراد أن يقول شعرا أو يتحدث فى غير ما بنى المسجد له . وكانت هذه البطيحاء كما يقول السمهودى نقلا عن ابن شبه " فى جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمن عمر رضى الله عنه ". (٤) وزاد على ذلك أن تلك البطيحاء دخلت " فى المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه . (٥) وبفرش المسجد الشريف تكون عمارة

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٦٢ .

(٢) ذكر الفيروزبادى فى المغانم المطابة ، ص ٩٠ أن الجماء جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق ، الى الجرف . ولذلك يبدو أن "الجما" هى الجماء .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٢ ، وزاد السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٥٦ ، أنه رمل أحمر يغربل ثم يفرش فى المسجد".

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٩٨ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٩٨ .

المسجد النبوى قد اكتملت بعد أن روعى فيها الاحتفاظ بمعالم المسجد الشهيرة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالمنبر وموضع المصلى الشريف وحدود الروضة ومواضع الأبواب. الا أن هناك أمرا انفرد به أحد مؤرخى المدينة المعاصرين دون أن يشير الى سنده فيما ذكره من انشاء عمر رضى الله عنه " للبئر المشهورة ببئر زمزم فى وسط الحصوة (١) " (٢) .

واذا صح هذا فان البئر التى كان حولها النخلات المعروفة ببستان فاطمة خارجة عن حدود المسجد الشمالية آنذاك ، وانما توسطت الحصوة بعد الزيادات التالية للمسجد الشريف من هذه الناحية . وربما تكون البئر التى ذكرها أبو عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ حين قال : وما يلى مؤخر المسجد حائط فيه نخل كثير ، وهو الحائط الذى كان لأبى طلحة الأنصارى المعروف ببيرحا " (٣) .

. . . .

---

(١) ذكر دوزى فى المعجم المضاف على القواميس العربية ، جـ ١ ص ٢٩٧ ، أنها صحن المسجد ويبدو أنها اكتسبت هذا الاسم من الحصا التى توضع فى الصحن .

(٢) أحمد ياسين الخيارى : تاريخ مساجد المدينة المنورة ص ٥ .

(٣) أبو عبيد البكرى : جزيرة العرب (من كتاب المسالك والممالك) ، ص ٨٩ ولكن الفيروزبادى فى الجزء المطبوع من المغانم المطابة ص ٣٦ يقول : أن بئرها هى " بئر وبستان شمالى سور المدينة من جهة الشرق وقد صارت بئرها لأبى بن كعب ، وحسان بن ثابت رضى الله عنهما حين دفعها اليهما أبو طلحة رضى الله عنه كما ورد فى " الصحيحين " وغيرهما " .

٢- زيادة عثمان رضى الله عنه فى المسجد النبوى سنة ٢٩ هـ

أُختلف فى زيادة عثمان (٢٣ - ٣٥ هـ) رضى الله عنه للمسجد النبوى ، فالسمهودى ينقل عن يحيى بن الحسين عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أنه قال : "لما ولى عثمان سنة أربع وعشرين كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم وشكوا اليه ضيقه يوم الجمعة ، حتى انهم ليصلون فى الرحاب[(١)] . . . فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه".[(٢)] بيد أن القرطبى ينقل عن الامام البخارى أن عثمان رضى الله عنه عند ما "بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس فى الزيادة . . . ".[(٣)] وتبعه فى ذلك رزين المتوفى سنة ٥٣٥ هـ الذى ينقل عنه كل من المطرى والمراغى وابن المحجوب والسمهودى[(٤)] ما يؤيد قول الامام البخارى . ولكن بعض الروايات تفيد أن "أول عمل عثمان اياه فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩ هـ وفرغ من بنائه فى المحرم سنة ٣٠ هـ فكانت مدة عمله عشرة أشهر".[(٥)]

---

(١) الرحبة جمعها رحاب ، وهى الساحة المتسعة كما يقول ابن منظور فى لسان العرب جـ ١ ص ٤١٤ والمقصود بها فى النص المذكور الساحات المحيطة بالمسجد ولعل المقصود بها البلاط الذى كان يحيط بالمسجد النبوى من جميع الجهات .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، ابن الضياء القرشى : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤١ ب .

(٤) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، تحقيق النصرة ، ص ٤٧ ، قرة العين فى أوصاف الحرمين ورقة ٦٦ ب ، وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٣ .

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٨٧ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٩٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣١ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٧ .

وينقل السمهودى عن الحافظ بن حجر أن " بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور ، وقيل فى آخر سنة من خلافته ".[1] وقيل أيضا أن ذلك كان " قبل أن يقتل بأربع سنين ".[2] وعلى هذا فانه يمكن حصر هذه الروايات المتعددة فى ثلاث مجموعات :

١ - ما يجعل التفكير فى أمر الزيادة فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه التى بدأت سنة ٢٤ هـ دون الاشارة صراحة الى البدء فى تنفيذها ، والمرجع الأول فى هذا الأمام البخارى .

٢ - ما يتفق مع ما رواه البخارى من أن مفاتحة الناس لعثمان رضى الله عنه أمر الزيادة كان فى أول خلافته ، أى فى سنة ٢٤ هـ ، ثم يشير الى أن البداية الحقيقية للزيادة كانت فى ربيع الأول سنة ٢٩ هـ . والفراغ منها فى المحرم سنة ٣٠ هـ والمرجع فى هذا يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٧ هـ ، فيما ينقله عنه السمهودى[3] وتبعه عليه ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .[4]

٣ - ما يجعل الزيادة فى المسجد النبوى الشريف قبل أن يقتل عثمان بأربعة أعوام ، والقائل بذلك ابن اسحاق الحربى المتوفى سنة ٢٨٥ هـ فيما ينقله عن يحيى بن الحسين أيضا .[5]

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٣ .
(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٣ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٥ .
(٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٥٠٢ .
(٤) الدرة الثمينة ص ٩٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ، وأنظر ما نقله السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٥ عن خارجة بن زيد ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٤٧ .

ويمكن التوفيق بين هذه الروايات على النحو التالى :

ان التفكير فى أمر الزيادة كان فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه لأن المسجد ، كما يقول السمهودى نقلا عن يحيى ، عجز عن استيعاب المصلين " يوم الجمعة حتى أنهم ليصلون فى الرحاب ".[1] وهو ما أشارت اليه الروايات التى ذكرت أمر الزيادة فى أول خلافة عثمان دون أن تشير الى البدء فى تنفيذها . وضيق المسجد بعد توسعة عمر له سنة ١٧ هـ أمر يتفق وتطور المجتمع الاسلامى خلال سبعة أعوام ، كانت كلها حافلة بالانتصارات العسكرية والفتوحات الكبيرة . ولا يمكن أن يكون عثمان رضى الله عنه قد شرع فى تنفيذ أمر الزيادة بمجرد التفكير فيها[2] ، خاصة وأن هذه العمارة بالذات كانت تختلف عن العمائر السابقة لها من ناحية البناء والمواد المستخدمة فيها[3] ، وبعبارة أخرى فان المواد القديمة التى كانت مستخدمة فى بناء المسجد فى

---

(١) أنظر أعلاه ص ٩٥

(٢) علق السمهودى على رواية يحيى بن الحسين عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، التى تقول : " ان الناس كلموه فى ضيق المسجد سنة ٢٤هـ فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه الى قوله وكان أول عمله فى شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين ... الخ " ، اذ يرى أن ماذكره أخيرا هو الصواب المذكور فى كلام غيره فيحتمل ماذكره أولا على أنه لم يشرع فى المشاورة والعمارة عقب كلام الناس له ، بل استمر تلك السنين وربما تكرر الكلام فخطبهم فى السنة التى وقعت فيها العمارة " أنظر وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) استخدم فى هذه العمارة خشب الساج فى تسقيف المسجد ، وهو خشب غير محلى موطنه الأصلى بلاد الهند كما يقول حسين عبد الله باسلامة فى تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٨٧ ويتطلب استيراده من الهند الى أقرب ميناء للمدينة ، ثم نقله اليها وقتا طويلا . كما أن الاهتداء الى المحاجر الصالحة لقطع الأحجار ثم نحتها ، أمران غير يسيران . وقد قابلت هذه الصعوبة العمال الأتراك أثناء عمارة السلطان عبد المجيد خان للحرم النبوى سنة ١٢٦٦ هـ .
أنظر : البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٢٣ .

فى عهد عمر رضى الله عنه لم تسهم فى هذه العمارة التى استخدم فيها الحجر النحيت . واعداد مثل هذه الأحجار المنحوتة اللازمة لبناء المسجد كله وكذلك أحجار أعمدته التى قيل انها كانت مستديرة كأنها " سوارى "[1] ، كان يتطلب وقتا كبيرا مما يزكى الروايات التى تقول ان بدء العمل كان فى ربيع الأول سنة ٢٩ هـ .

أما الروايات التى ذكرت أنه زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين فانه يمكن تأويل هذا الخلاف البسيط بأن المسجد لم يستكمل تبييضه وفرشه بالرمل الأحمر الا فى سنة ٣١ هـ . وهذا العمل كما هو معروف لا يكون الا بعد اتمام البناء ، وقد نقل ابن المحجوب عن ابن زبالة أن عثمان رضى الله عنه " بيضه بعد ما فرغ من بنائه "[2] . كما ذكر ابن اسحاق الحربى عن خارجة بن زيد أن عثمان رضى الله عنه قتل " وقد فرغ من بنيان المسجد ، وان نقاشة الحجارة[3] لعلى أبواب المسجد وقبابه "[4] .

---

(١) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ ب .

(٢) نفس المصدر ، ورقة ٦٦ ب .

(٣) ذكر الدكتور حسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٣ ص ١٢٨٢ وما بعدها أن كلمة نقاش وردت " على الآثار العربية بدلالات حرفية مختلفة نابعة من معانيها اللغوية " فقد تستخدم فى تسمية النقش على المعادن والأحجار أو ألواح الرخام والأشرطة الجصية . ويبدو أن معناها هنا محصورا فى تكحيل الأحجار بالقصة أو الجص . ولعله يقصد بقباب المسجد ، تلك العقود التى كانت فوق عتب الأبواب اذ انى لم أجد ما يشير الى استخدام القباب فى عمارة المسجد النبوى فى تلك الفترة المبكرة .

(٤) كتاب المناسك ، ص ٣٦٤ .

هذا عن زمن الزيادة وما قيل فيها ، أما الأسباب الكامنة وراء هذه التوسعة فالروايات تشير الى أن الناس أحسوا من أول خلافة عثمان بعجز المسجد عن استيعابهم وطلبوا منه أن يزيد فى المسجد ، ولكن المتتبع للزيادة التى زادها عثمان رضى الله عنه ، والتى هى ، على أشهر الأقوال ، بلاطة مما يلى القبلة وأخرى مما يلى الغرب (١) وبلاطتان مما يلى الشمال ، شكل (٣٩) ، يجد أن هذه الزيادة البسيطة التى قدرها مكتب التوسعة السعودية ٤٩٦ م٢ (٢) . والتى تقل كثيرا عن زيادة عمر رضى الله عنه ، التى قدرت هى الأخرى بـ ١١٠٠ م٢ (٣) ، لا يمكن أن يكون المقصود بها أساسا توسعة المسجد . ويزيد من تشككى فى أن الهدف من وراء هذه العمارة هو مجرد التوسعة ، بقاء المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ على زيادة عثمان رضى الله عنه . وقد جاء أن زيادة عثمان من الشمال كانت خمسين ذراعا (٤) ، أى أن طوله من الجنوب الى الشمال كان مائة وتسعين ذراعا ، وهو مالم يبلغه المسجد الا فى زيادة الوليد . وانما كان طوله حوالى مائة وسبعين ذراعا وقد حددت نهاية المسجد من الشمال باسطوانة " مربع أسفلها قدر الجلسة " ، شاهدها السمهودى واعتبرها نهاية لزيادة عثمان من الشمال (٥) .

---

(١) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٦ أن زيادة عثمان مما يلى الغرب هى البلاطة الواقعة بعد الاسطوانة السابعة من المنبر وذلك لملاحظته وجود تربيع فى أسفل تلك الاسطوانة .

(٢) ابراهيم الشورى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين ، جـ ١ (الحرم النبوى) ، ص ٤٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٣

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٠٥ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٠١ ومابعدها . وقد أنكر السمهودى فى ص ٥٠٧ الرواية التى تقول أن عثمان رضى الله عنه زاد فى شمال المسجد خمسين ذراعا فقال : " قد تقدم أن عمر رضى الله عنه جعل طول المسجد أربعين ومائة ذراع فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعا لكان طوله فى زمنه تسعين ومائة ذراع ، على أن الأقرب أن طوله فى زمن عثمان كان ستين ومائة ذراع " . والحقيقة أن هذا الطول للمسجد الشريف ، الذى قال به السمهودى يخالف ما ثبت من أن عثمان زاد بلاطة مما يلى القبلة وبلاطتين مما يلى الشمال فاذا أضفنا هذه الأذرع الى طول المسجد فى عهد عمر والتى بلغت ١٤٠ ذراعا لأصبح طول المسجد فى عهد عثمان رضى الله عنه ١٧٠ ذراعا .

ومقارنة هذه العمارة بما سبقها من عمائر فى المسجد النبوى من حيث البناء ونوعية المواد المستخدمة يتبين أن نخر جذوع النخل المستخدمة فى عوارض السقف وأعمدته كان لها دور كبير فى عمارة عثمان رضى الله عنه . فقد نقل السمهودى عن أبى داود ما يؤيد هذا ، وذكر أنه رآه " فى أصول متعددة معتمدة من السنن ".[1] ثم ذكر أن مؤدى ذلك " يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نخرت ".[2]

ويبدو أن الأعوام الخمسة التى تلت مفاتحة الناس لعثمان رضى الله عنه بأمر الزيادة فى أول خلافته أكدت له حاجة المسجد الى التوسعة وتجديد الأسلوب القديم الذى اتبع فى بناء المسجد ، وذلك بتغيير اللبن والأحجار الغشيمة بأحجار منحوتة هى ما تعبر عنه الروايات بالأحجار المنقوشة[3] . وحلت الأعمدة التى تتألف " من حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص"[4]، ليزيد فى تماسكها محل جذوع النخل التى قيل ان زيد بن ثابت، الذى كان يباشر عمارة المسجد فى عهد عثمان ، وضعها فى موضع الاسطوانات السابقة.[5]

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠١ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٠١ .

(٣) ابن قتيبة : كتاب المعارف ، ص ٢٤٥ ، ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٤ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٩٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ص ١٠٣ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٠ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٧ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٤) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٠٣ ، وذكر ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار الى قبر النبى المختار ، ص ٨٩ ، أن هذه القطع من الحجارة " فى وسطها عمد من حديد مثبتة بالرصاص" .

(٥) ابن اسحاق : المصدر السابق ص ٣٦٤ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٥ .

حرصا منه رضى الله عنه ألا يتغير موضع الاسطوانات التى كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، " وهذه سنة اتبعها جميع الذين تعرضوا لتعمير المسجد وتجديده وزيادته منذ انشائه ".(١)

وأدت الحاجة الى حماية الخليفة من المعتدين الى بناء مقصورة من لبن تحيط بالمصلى الذى استحدثه عثمان فى البلاط الذى زاده فى مقدم المسجد.(٢) وقيل انه " جعل فيها كوة ينظر الناس منها الى الامام ، وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر ".(٣) وأقام عليها السائب بن خباب لحراسته ، ورزقه دينارين.(٤) وكانت صغيرة يدل اللبن المستخدم فيها على أنها لم تبن مع المسجد سنة ٢٩ هـ . ويبدو أن الأحداث التى شهدتها المدينة فى أواخر عصره كانت هى السبب فى استحداثها بهذه الصفة .

وقد نسبها بعض الرواة الى مروان بن الحكم أيضا ، مما دعا البرزنجى الى القول بأنه " يجمع بأن عثمان أول من بناها من لبن ومروان أول من بناها

---

(١) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧٤ .

(٢) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٦٩ . ويلاحظ أن المحراب المجوف لم يستخدم الا فى عمارة الوليد .

(٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢٨ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٨ ، السمهودى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥١١ ، ابن الضياء : تاريخ مكة المكرمة والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ورقة ١٤١ ب ، فريد شافعى : العمارة العربية ص ٦٤٩ .

(٤) المراغى : المصدر السابق ، ص ٤٨ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٥١١ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ١١٣ .

من حجر فانهم ذكروا أنه بناها بالحجارة المنقوشة ".(١) وعلى أية حال فرغم ما فى هذا البناء من احكام للصنعة واتقان للبناء فاننى لم أجد ما يشير الى جنسية البنائين أو موطنهم ، على أن الغالب على الظن أنهم من أهل المدينة أو ممن استوطنها من أهل البلاد المفتوحة ، وفى ذلك ما يفند دعوى من ذهب الى أن الوليد بن عبد الملك استقدم الأروام والقبط ممن يدينون بغير الاسلام لبناء المسجد النبوى سنة ٨٨ هـ بما يزكى ما ذهب اليه فريد شافعى .(٢)

اذ أنه كان هناك من الوقت ما يكفى لتعلم أهل المدينة واتقانهم فن العمارة الذى بلغ كماله فى عمارة الوليد للمسجد النبوى الشريف . وما حدث من دقة فى بناء جدران المسجد وأسطواناته ، فانه اقتضى بطبيعة الحال أن يكون سقف المسجد محكم الصنعة أيضا . فكان الخشب المستخدم فى

---

(١) البرزنجى : نزهة الناظرين ص ٩٤ ، وذكر السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥١١ نقلا عن يحيى أن " أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم ، بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى (فتحات) وكان بعث ساعيا الى تهامة ، فظلم رجلا يقال له دب ، فجاء دب الى مروان : فقام حيث يريد أن يقوم ، حتى اذا أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيئا ، فأخذه مروان فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال بعثت عاملا فأخذ ذودى بمرة (أخذ أبلى كلها) وتركنى وعيالى لا نجد شيئا ، فقلت اذهب الى الذى بعثك فاقتله ، فهو أصل هذا ، فجاء ما ترى ، فحبسه مروان حينا فى السجن ، ثم أمر به فاغتيل سرا . فكانت المقصورة" . ويفهم من هذه الرواية أن مروان صلى فى المصلى النبوى الذى لم يكن عليه مقصورة أو انه صلى داخل مقصورة اللبن التى بناها عثمان فى آخر حياته والتى كان بها كما يقال فتحات ينظر منها الى الأمام . ويبدو أن الأعرابى قد وصل اليه من احدى هذه الكوى مما جعل ضربته غير مميته .

(٢) أنظر أدناه ص ١٢٠ .

سقفه ساجا[1]. وهو ما يعبر عنه ابن اسحاق الحربى " بالخشب والجريد "[2]، بينما يقول عنه ابن المحجوب " وعوض الجريد الذى كان فيه بخشب الساج الرفيعة ".[3] وكان هذا الخشب عاما فى سقفى الظلتين الشمالية والجنوبية، وهما الثابت وجودهما فى هذه العمارة خلافا لما ذكره الدكتور فريد شافعى من أنه " من المحتمل أن يكون قد أضاف أيضا ظلات أخرى الى جوانب الفناء الأوسط المكشوف ".[4]

وعلى أية حال فان سقفى هاتين الظلتين، سطحان مستويان يرتكزان على عوارض تمتد فوق الاسطوانات وذلك لأنه " لم تقم على هذه الأساطين عقود، بل امتد فوقها السقف على أوتار أو عوارض خشبية ".[5] وفتح لكل من الظلتين طيقان[6]، هى عبارة عن نوافذ مرتفعة فى الجدارين الشرقى والغربى الا أن فكرى يقصرها على رواق القبلة أو بيت الصلاة كما يسميه[7]، وهو مالم تشر

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان، ص١٣، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة، ص٨٠، السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٥٠١.

(٢) كتاب المناسك ص ٣٦٤.

(٣) قرة العين فى أوصاف الحرمين، ورقة ٦٦ ب.

(٤) العمارة العربية، ص ٢٣٧، وقد كان رأى فريد شافعى هذا مبنيا على الظن فقط اذ أنه لم يوفق الى ايجاد مصدر لما ذكره، كما اننى بحثت فى مصادر كثيرة فلم أوفق الى من يشير الى استحداث الظلتين الجانبيتين فى عهد عثمان رضى الله عنه.

(٥) أحمد فكرى : المدخل، ص ١٧٤.

(٦) ابن اسحاق : المصدر السابق ص ٣٦٤، ابن النجار : الدرة الثمينة، ص ٩٦، السمهودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٥، ابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ورقة ٤٢ أ.

(٧) المرجع السابق ص ١٧٤.

اليه النصوص[(١)].

واذا كان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد زاد فى المسجد وغير من شكل البناء فانه احتفظ بعدد الأبواب التى كانت فى عهد عمر رضى الله عنه ، وكذلك أماكنها[(٢)]. فما كان منها في الجدار الشرقى وهو باب جبريل وباب النساء أبقاهما فى موضعيهما الأولين ، وما كان منها فى الجانبين اللذين شملتهما التوسعة ، وهما الجانب الغربى والشمالى ، فقد جعلهما بمحاذاة الأبواب الأولى[(٣)] ، أنظر شكل (٣٩). كما احتفظ المسجد الشريف فى هذه العمارة بمعالمه الرئيسية[(٤)] ، وكان ذلك أمرا ضروريا لكل من أراد أن يتعرض للمسجد النبوى بعمارة أو ترميم ، احتراما لعلاقتها الوثيقة بمؤسس المسجد عليه السلام .

وكان حرص عثمان رضى الله عنه على دقة العمل وخلاص النية فيه كبيرا جدا فلم يكتف باسناده الى زيد بن ثابت - المشرف على عمارة المسجد فى عهده - بل كان " يباشر رضى الله عنه العمل بنفسه "[(٥)]، وفى هذا المعنى

---

(١) أهمل فكرى فى قصره فتح النوافذ على ظلة القبلة ، حاجة الظلة الشمالية الى مثل هذه الطيقان لتزويدها بالضوء والهواء . لأنها قريبة من عمق ظلة القبلة نظرا لاقتصار المسجد آنذاك عليهما فلابد أن تكون عميقة أيضا لتساعد فى حماية المصلين من الشمس والبرد .

(٢) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار، ص ١٢٨ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٠ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٧ .

(٣) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٦ ب حيث يذكر أن عثمان رضى الله عنه جدد بناء فرج أبواب المسجد وأبقاها ستة أبواب كما كانت فى خلافة عمر ".

(٤) اشتهرت هذه المعالم بعد تحويل القبلة فى السنة الثانية من الهجرة ، وهي : المنبر الشريف ، والمصلى ، والروضة ، والاسطوانات المشهورة والأبواب الرئيسية (باب آل عثمان ، باب عاتكة ، باب مؤخر المسجد).

(٥) المطرى : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠٢ .

أورد السمهودى بسنده الى شاهد عيان هو عبد الرحمن بن سفينة الذى قال : " رأيت القصة [(١)] تحمل الى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بطن نخل [(٢)] ، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع وربما نام فى المسجد " [(٣)] ، وقد كانت هذه الأعمال الصغيرة كفرش المسجد بحصباء وادى العقيق [(٤)] ، وتبييضه بالقصة المجلوبة من وادى نخل بمثابة اللمسات الأخيرة لهذه العمارة التى ابتغى بها أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ما وعد به الحديث الشريف من أن " من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة " [(٥)] ، على انه رضى الله عنه قد وجد معارضة فى هذه العمارة كما جاء فى صحيح مسلم " عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته " [(٦)] ، وقوله فى حديث آخر " انكم قد أكثرتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله عز وجل بنى له الله بيتا فى الجنة " [(٧)].

---

(١) قال الفيروزبادى فى القاموس المحيط ، جـ ٢ ص ٣٢٥ أن القصة هى الجص.

(٢) قال ابن الأثير فى الكامل ، جـ ٥ ص ٥٥٦ " ان بطن نخل على ليلتين من المدينة " وذكر المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٢٢ أن بطن نخل على أربعة أميال من المدينة .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٠٤ ، وأنظر السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ص ١٣٦ .

(٤) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣ .

(٥) الزركشى : اعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص ٣٦ .

(٦) ، (٧) رواهما مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، أنظر : صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٥ ص ١٤ ، وأنظر السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠١ .

ويقول السمهودى ان ذلك يدل على حبهم لبقاء المسجد " بجذوع النخل واللبن كما فعل عمر رضى الله عنه لموافقته لفعله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال البغوى فى شرح السنة : لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة ،لا مجرد توسيعه "(١) ، فانه ذكر انه رضى الله عنه لم يشرع فى البناء حتى استشار فيه كبار الصحابة فى عهده الا أنه يبدو أنهم بعدما شاهدوا نوع العمارة واختلافها عن سابقتها عارضوه .

.. .. ..

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٠٢ .

المبحث الثالث

عمارة المسجد النبوى فى عهد الدولة الأموية

المبحث الثالث

عمارة المسجد النبوى فى الدولة الأموية

١ - المسجد النبوى فى أوائل الدولة الأموية

توالت على المدينة المنورة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أحداث جسيمة أدت فى النهاية الى تحويلها من عاصمة للمسلمين الى مجرد مدينة روحية تتوالى على أهلها فى المواسم صدقات الخلفاء وهبات المحسنين، ولا غرو فقد انعكست هذه الأحداث أيضا على المسجد النبوى الشريف الذى بقى محتفظا بعمارة عثمان له ثمانية وخمسين عاما لم يشهد خلالها من الأعمال المعمارية الا ما قام به مروان بن الحكم[1] الذى بلط حوالى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة[2] فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

---

(١) ذكر الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ١٦٢ ، ١٨١ أن ولاية مروان بن الحكم للمدينة كانت سنة ٥٤ هـ بعد عزل سعيد بن العاص، وبقى فى ولاية المدينة حتى عزل سنة ٥٨ هـ بعتبة بن أبى سفيان .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٣٥ ، وكان السبب فى تبليط ما حول المسجد أن والد مروان كان قد أسن وأصابه مرض سمى بالريح ، فكان يجر رجليه اذا خرج الى المسجد فتمتلىء ترابا فبلط ابنه مروان الطريق من داره الى المسجد فأعجب ذلك معاوية وأمر بتبليط ما حول المسجد .

وجاء أنه رفع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فى درجه ، وسمر فى مقعده لوحا لئلا يجلس أحد على ماكان يجلس عليه الرسول عليه الصلاة والسلام[(١)] ، أنظر شكل (٤١) ، وأن معاوية رضى الله عنه كساه قبطية[(٢)] . وأعاد مروان بن الحكم واليه على المدينة آنذاك بناء المقصورة بالأحجار المنحوتة[(٣)] .

وسُمح للمصلين فى خلافة عبد الملك بن مروان بالدخول الى حجر أمهات المؤمنين والصلاة فيها يوم الجمعة[(٤)] . وما خلا هذه الأعمال البسيطة التى لم تمس جوهر عمارة المسجد النبوى بشىء بقى المسجد " بعد عثمان على حاله ، لم يزد فيه أحد من الولاة حتى كان زمن الوليد بن عبد الملك "[(٥)] .

. . . . . .

---

(١) قيل أن معاوية أمر بنقل المنبر النبوى الشريف الى الشام ، فحاول مروان ذلك ، ولكن الشمس كسفت وهبت الريح لذلك ، وهى روايات لا صحة لها . فالشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فكيف يكسفان لنقل المنبر ، هذا بالاضافة الى أن معاوية لا يمكن أن يجرأ على هذا العمل . وعن هذه الروايات أنظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ص ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ص ٤٦٣-٤٦٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٣٩٩ .

(٢) الطبرى : **المصدر السابق** ، جـ ٧ ص ٩٢ . **والقباطى ثياب من كتان ابيض تنسب إلى مصر**

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٤٨ ، السمهودى : **المصدر السابق** جـ ٢ ص ٥٢٤ ، وأنظر : ما ذكره فى نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥١١ ، نقلا عن يحيى عن أول من استحدث المقصورة فى المسجد النبوى .

(٤) المراغى : المصدر السابق ، ص ٥٠ ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥١٧ .

(٥) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٤ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٣ .

٢ - زيادة الوليد بن عبد الملك وأسبابها

اهتم الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) بعمارة المسجد النبوى الشريف ، وأولاها من العناية ما جعل الرواة يختلفون فى الدوافع التى حدت به الى التفكير فى عمارة المسجد النبوى ، فقد نقل ابن النجار عن الامام مالك رضى الله عنه قوله : " حدثنى الثقة عندى أن الناس كانوا يدخلون حجرات أزواج النبى بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة ، قال مالك : وكان المسجد يضيق عن أهله وحجر النبى صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فى المسجد ".(١) وأعتقد أن ضيق المسجد ، كما فى رواية الامام مالك هو السبب الحقيقى لهذه العمارة ، خاصة اذا لاحظنا بقاء المسجد دون توسعة أكثر من نصف قرن (٢٩ - ٨٨ هـ) مع احتفاظ المدينة بمركزها الروحى رغم خسارتها لمركزها السياسى .

واذا كان السبب هو ما أشرت اليه فانه لابد وبوضوح الا فى أيام الجمع والمواسم ، التى كان الوليد يتتبع أخبارها بدقة .(٢) وليس ببعيد أن يكون الخليفة نفسه قد لمس هذا الضيق عندما حج بالناس قبل البدء فى الزيادة ، وقد جاء أنه حج بالناس مرتين .(٣) ويزيد من قوة هذا

---

(١) الدرة الثمينة ، ص ٧٤ .

(٢) ذكر كل من السمهودى نقلا عن ابن زبالة فى الوفا ، ج ٢ ص ٥١٤ ، ابن رستة فى الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، أن الوليد بن عبد الملك " كان يبعث كل عام رجلا الى المدينة يأتيه بأخبار الناس وما يحدث فيها .

(٣) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٦ ، ابن رستة : المصدر السابق ، ص ٦٧ ، الفاسى : العقد الثمين ، ج ١ ص ١٨٤ .

الاحتمال ما عرف عن الوليد من حب للبناء[1]، والأخص عمارة المساجد الجامعة التي عمر في عهده منها أربعة ، تمت كلها على ما يريد من دقة الصنعة وكمال البناء.

واذا كانت كراهية الوليد المزعومة للعلويين ورغبته في ادخال بيت الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما في المسجد ، هما السبب كما قيل ، في عمارة المسجد النبوى الشريف[2]، فانهما لم يكونا السبب في عمارته لبيت المقدس ولا الجامع الأموى ولا البيت الحرام ، ولئن كان أمر الوليد بادخال حجر أمهات المؤمنين في المسجد هو السبب في الضجة التي أثيرت حول عمارة الوليد ، فانه مامن سبيل أمام التوسعة الكبيرة التي قام بها هذا الخليفة في المسجد النبوى سوى اضافة تلك الحجرات الى المسجد الشريف ، لاسيما وأن هذه الدور كانت قد خلت منهن تماما وقت

---

(١) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ وما بعدها .

اقرار الوليد لزيادة المسجد الشريف ، كما يتضح من الجدول المرفق (١) .

---

(١) هذا الجدول عن تاريخ زواج الرسول (ص) بأمهات المؤمنين وتاريخ وفاة كل منهن. ويستفاد منه معرفة تاريخ بناء بيت كل واحدة منهن في عهده (ص) ، وتاريخ خلوه بعد وفاتها. وقد أضيفت جميعها بعد وفاتهن الى المسجد الشريف في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٨هـ) . وقد اعتمدت في وضع هذا الجدول على كتاب سمط النجوم العوالي ج١ ، لعبد الملك بن حسين العصامي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

اسم أم المؤمنين	تاريخ الدخول بكل واحدة منهن	صفحة المصدر	تاريخ وفاة كل واحدة منهن	صفحة المصدر
١) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد	قبل الهجرة	٣٦٧	قبل الهجرة بثلاث سنين	٣٦٧
٢) أم المؤمنين سودة بنت زمعة	١ هـ	٣٧١	في خلافة عمر وقيل في خلافة معاوية سنة ٥٥ هـ .	٣٧٢
٣) أم المؤمنين عائشة بنت الصديق	١ هـ	٣٧٣	١٧ رمضان سنة ٥٨ هـ	٣٨٠
٤) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب	شوال سنة ٣ هـ	٣٨٠	شعبان سنة ٤٥ هـ	٣٨١
٥) أم المؤمنين زينب بنت خزيمة	رمضان سنة ٣ هـ	٣٨٢	في أواخر سنة ٣ هـ	٣٨٢
٦) أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية	شوال سنة ٤ هـ	٣٨٣	سنة ٦١هـ في خلافة يزيد بن معاوية	٣٨٦
٧) أم المؤمنين زينب بنت جحش .	ذو القعدة سنة ٤ هـ	٣٨٧	سنة ٢٦ هـ	٣٨٩
٨) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار	سنة ٥ ، ٦ هـ	٣٨٩	في ربيع الأول سنة ٥٠ هـ	٣٩٠
٩) أم المؤمنين حبيبة رملة بنت أبي سفيان	سنة ٧ هـ	٣٩١	سنة ٤٤ هـ	٣٩١
١٠) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب	سنة ٧ هـ	٣٩٢	سنة ٥٢ ، أو ٥٥ هـ	٣٩٣
١١) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية	سنة ٧ هـ	٣٩٤	سنة ٦٢ هـ	٣٩٦

ولو افترضنا جدلا أنه أضاف الزيادة التى أحدثها فى شرق المسجد والتى قدرت على أصح الروايات بأربع اسطوانات على الزيادة التى أضيفت فى مغربه وقدرها اسطوانتان لأصبح كل من المنبر الشريف ومصلى النبى عليه الصلاة والسلام فى طرف المسجد الشرقى ، وبعبارة أخرى لأصبح بعد المنبر عن الجدار الغربى أربعة عشر اسطوانة ، أى ثلاثة أضعاف الاسطوانات الواقعة شرقى المنبر والتى كانت قبل الزيادة خمس اسطوانات[(١)] ، أنظر شكل (٣٩) .

ومما يجدر ذكره هنا أنه لابد وأن تكون قد سبقت هذه التوسعة دراسة طويلة تحددت فيها الدور التى يجب ادخالها فى المسجد ، خاصة وقد جاء أنه كان يُفكر فى ادخال بعض الدور المجاورة للمسجد الى التوسعة المقترحة فى ولاية الحجاج على المدينة المنورة فى خلافة عبد الملك بن مروان[(٢)] ، أى أن حاجة المسجد الشريف الى التوسعة كانت قائمة قبل مجىء الوليد الى الخلافة . ولذلك كتب الوليد سنة ٨٧ هـ الى عمر بن عبد العزيز " فى ربيع الأول يأمره بادخال حجر أزواج النبى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يشترى مافى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مثلها ، وأن يقدم القبلة ..."[(٣)] .

---

(١) أنظر حدود المسجد النبوى عند السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٥٥-٣٥٦ .

(٢) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥١٥ ، وأنظر ما ذكره الذهبى فى كتاب العبر فى خبر من ذهب ، جـ ١ ص ٨٥ ، من أن عبد الملك بن مروان حج سنة ٧٥ هـ وعزل الحجاج عن الحجاز وأمره على العراق .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٢ ، المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ٣٠ .

وذكر ياقوت الحموى أن صالح بن كيسان ، وهو المشرف على العمارة ، قال : " ابتدأت بهدم المسجد فى صفر سنة ٨٧ هـ وفرغت منه لانسلاخ سنة ٨٩ هـ ، فكانت مدة عمله ثلاث سنين" (١) ، وما بين صدور الأمر والبدء فى التنفيذ وهو أحد عشر شهرا ، " أو عام الا شهر " أمضاها عمر بن عبد العزيز فى نزع ملكية الدور المجاورة وفى اعداد المواد اللازمة للعمارة . ولم يكن عمر رضى الله عنه يقوم بذلك دون استشارة فقهاء المدينة وعلمائها . فقد نقل الطبرى عن محمد بن عمر عن موسى بن يعقوب عن عمه قوله : " رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر يرونه أعلاما فى المسجد ويقدرونه فأسسوا أساسه " (٢).

وفى رواية ذكرها ابن اسحاق الحربى " فأروه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول ، الذى زاد فيه عمر وعثمان ، فعلم عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله " (٣). وعلى هذا فان الوليد لم يحدد كل الدور التى يجب على عمر بن عبد العزيز ادخالها ، وانما اقترح عليه فقط أن يكون المسجد بعد الزيادة مائتين فى مثلها وأن تشمل التوسعة دور أمهات المؤمنين التى قيل انها كانت تحيط بالمسجد من الشرق

---

(١) معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٣ ، العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، لمجهول ، جـ ٣ ص ٥ .
(٣) كتاب المناسك ص ٣٦٦ .

ومن الجنوب . وكانت كلما ماتت منهن امرأة أغلق بيتها[(١)]، وبقيت هذه الدور مغلقة حتى الحقت بالمسجد[(٢)]، وسمح للناس بالصلاة فيها يوم الجمعة في خلافة عبد الملك بن مروان . وكان قد بدئ في هدمها في صفر سنة ٨٧ هـ[(٣)]، وكان ذلك يوم حزن بالمدينة المنورة ، ويروى السمهودى من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال : " كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز، وكان قد اشترى حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، أن أهدمها ووسع بها المسجد ، فقعد عمر فى ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فما رأيت باكيا أكثر من يومه "[(٤)].

ولم يكتف أهل المدينة بالبكاء بل عارضوا عمر بن عبد العزيز فى هدمها أشد المعارضة ، وصاح خبيب بن عبد الله بن الزبير فى مسجد رسول الله ، والحجرات تهدم فقال : " نشدتك الله ياعمر أن تذهب بآية من كتاب الله ، يقول : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ، فأمر به ، فضرب مائة سوط ، ونضح بالماء البارد ، فمات ، وكان يوما باردا . فكان عمر لما ولى

---

(١) أنظر الجدول الموضوع أعلاه ، حاشية رقم ١ من ص ١١١ عن تواريخ وفاة أمهات المؤمنين .

(٢) أنظر موقع هذه الدور فى المخطط الذى توصلت اليه عن وضع المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شكل (٢٨) وأنظر أعلاه ص ٥٧ .

(٣) أنظر أعلاه ص ١١٣ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٤٧ . وقال الذهبى فى تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ص ٢٣٨ نقلا عن الواقدى ان عطاء الخرسانى قال : " أدركت حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد يقرأ بأدخال الحجر فى المسجد فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم . فسمعت سعيد بن المسيب يقول لو تركوها فيقدم القادم من الآفاق (جمع أفق ، وهى أطراف الأرض . أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٠ ص ٥)، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته .

الخلافة ، وصار الى ما صار اليه من الزهد ، يقول : من لى بخبيب ! "(١).
وكانت هذه المعارضة القوية نابعة من حبهم لبقاء الآثار النبوية الكريمة وكراهتهم الصلاة الى القبور الشريفة ؛ (٢) على أن الحاجة الى توسعة المسجد دعت كما يقول النووى الى أن يبنوا " على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله ، لئلا يظهر فى المسجد فيصلى اليه العوام ، ويؤدى الى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر " ، (٣) وذكر ابن تيمية " أن الحجرة لما أدخلت الى المسجد سد بابها ، وبنى عليها حائط آخر ، صيانة له صلى الله عليه وسلم أن يتخذ بيته عيدا وقبره وثنا ". (٤)

وكان ذلك عملا هندسيا موفقا وفق بين حاجة المسجد الى التوسعة وبين عدم الوقوع فى المحذور الوارد فى الأحاديث الشريفة . وقد كان من ابتكار أحد شيوخ المدينة المنورة ، اذ يقول عثمان بن عروة : " نازلت عمر بن عبد العزيز فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يجعل فى المسجد أشد المنازلة ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لابد من انفاذه ، قال : فقلت :

---

(١) تاريخ الواقدى ، جـ ٢ ص ٢٨٤ . وذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، جـ ٣ ص ٤ مثل هذا الخبر الا أنه زاد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى الوليد يأمر خبيب فأمره الوليد بضربه على النحو السابق . وفى هذا مايدل على أن عمربن عبد العزيزلم يضربه من تلقاء نفسه.

(٢) أورد محمد ناصرالدين الألبانى ، فى كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، ص ١١-١٨ أربعة عشر حديثا فى هذا المعنى .

(٣) النووى : شرح صحيح مسلم ، جـ ٥ ص ١٤ . وأنظر الألبانى : فى المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٤) ابن تيمية : الجواب الباهر فى زوار المقابر ، ص ١٢ ، وأنظر الألبانى : المرجع السابق ، ص ٩٥ وما بعدها .

فان كان لابد فاجعل له جؤجؤا[1] ، وهو الموضع المزور[2] خلف الحجرة[3] . أنظر شكل (٥٤) .

وعمل كهذا يجعل الرد سهلا على من قال بأن بناة المسجد كانوا أقباطا وأرواما ، فقد كان في المدينة بناة ماهرون أمثال وردان البناء[4] ، وغيره ممن امتهن البناء في المدينة ، وقد كان لهم ، كما قلت في عمارة عثمان رضي الله عنه للمسجد ، من الوقت ما يكفي لاتقانهم فن هذه الصنعة

---

(١) لم أقف له على معنى في القواميس العربية . وما بعده من النص يشرح معناه .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب ، جـ ٤ ص ٣٣٤ أن الزور هو الميل ، وقال أيضا أنه ميل في وسط الصدر وهو ما يقصد به فيما برز في الجزء المثلث من حائز عمر بن عبد العزيز .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٤٨ .

(٤) كان هذا البناء الذى شارك في بناء المسجد النبوى في عمارة الوليد أمينا متقنا لعمله بارعا فيه بحيث اختاره عمر بن عبد العزيز ، عندما مال جدار الحجرة الشريفة أثناء حفر الأساس لاسطوانات المسجد من هذه الجهة ، لدخول الحجرة واعادة بنائه . وفي ذلك يقول ابن اسحاق في كتاب المناسك ، ص ٣٧٥ " حدثني صالح بن محمد بن دراج قال حدثني سليمان بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال : وأخبرني جعفر بن وردان البناء عن أبيه قال : سقط جدار بيت النبي صلى الله عليه وسلم الشرقي ، حين حفرت الأساطين في ولاية عمر بن عبد العزيز حين بني المسجد فبعث اليّ فجئته ، ووجدت معه عبد الله وسالم ابني عبد الله بن عمر قال : فقام عمر بن عبد العزيز ليدخل في البيت فقال أحدهما : أدخل معك قريشا فقال : الاخر : اذن تغضب الأنصار فقال عمر : أدخل رجلا لا حشمة منه ، أدخل ياوردان فكنت الذى بناه ... " أنظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٤٥ .

التى بلغت كمالها فى عمارة الوليد للمسجد النبوى الشريف (١).

وتكفى هذه النصوص للدلالة على أن أول عمل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى المسجد كان ستر حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، التى بها القبور الشريفة ، بهذا الحائز المخمس الذى اقترحه عليه عثمان بن عروة (٢)، ليخفف من حدة المعارضة التى قوبل بها عند هدمه لحجرات أمهات المؤمنين وادخالها فى المسجد من قبل فقهاء المدينة المنورة ، وذوى الشأن فيها ، وفى هذا ما يبطل الروايات التى ذكرت محاولة أحد العمال النصارى أمتهان القبر الشريف ، فعمر كما يقول السمهودى " اتقى لله من أن يهمل قبر نبيه بيد الكفار حتى يغشوا فى بنائه (٣)" أو يمتهنوه بالصورة التى ذكرتها الروايات (٤). وذكر ابن اسحاق الحربى أن عمر بن عبد العزيز أمر " بباب بيت النبى صلى الله عليه وسلم الشرقى فبنى ، ثم بنى حوله بيت مربع بالحجارة والقصة ، وسقفه بالخشب ، ثم جعل حول ذلك سورا وجعله مزورا لئلا يصلى اليه " (٥). وبناء بهذا الشكل يجعل من الصعوبة الوصول الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنظر البحث الخاص بعمارة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ص ٩٥ .

(٢) قال عنه السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ص ١٦١ " أنه أحد خطباء قريش وعلمائهم وأشرافهم ... مات قبل الأربعين ومائة فى أول خلافة أبى جعفر " .

(٣) السمهودى : وفاء الوفاء ، جـ ٢ ص ٦٢٤ . وذكر السمهودى هذا التعليق فى معرض حديثه عن اللبن الذى وجد فى بناء الحجرة عند انكشافها سنة ٨٨١ هـ ردا على من قال ان وجوده فى الحجرة كان غشا من البنائين الكفرة الذين استخدمهم عمر كما زعم فى بناء المسجد النبوى الشريف .

(٤) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٩ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨١ ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ص ٣٣١ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٥٠ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٥) كتاب المناسك ص ٣٧٦ ، وأنظر الخوارزمى : المصدر السابق ص ٣٣٣ ، المطرى : المصدر السابق ص ٣١ .

ويأتى بناء جدار القبلة كخطوة ثانية بعد تخميس الحجرة الشريفة ، فكان البناة لا ينزعون حجرا من البناء القديم ولا يضعون آخر فى مكانه الا باشراف عمر بن عبد العزيز الذى استدعى لهذا الغرض مشائخ المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى (١). وفى هذا دليل على هدم جدار القبلة الذى كان مبنيا فى عهد عثمان رضى الله عنه بالحجارة المنحوتة والقصة ، والذى لم يتغير عن موضعه فى هذه العمارة ، وان كان قد امتد قليلا الى الشرق والغرب. الا أن الارتفاع الكبير فى جدران المسجد الذى تطلبته هذه العمارة ، التى ارتفعت فيها جدران المسجد النبوى الشريف نحو ٢٥ ذراعا (٢)، قد أوجب زيادة عرض الجدار الأول أو ما يسميه السمهودى منقبته ، مما أدى الى هدم هذا الجدار وتأسيسه كبقية جدران المسجد بالحجارة الغشيمة أولا (٣)، ثم بناء ماظهر من الجدران "بالحجارة الجيدة المنقوشة المتقنة" (٤).

واذا كان حرص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كبيرا فى توخى الدقة فى وضع أساس جدار القبلة على ماكان عليه أولا فانه كان حريصا أيضا فى اقامة الأسطوانات فى موضع الأسطوانات القديمة ، شأنه فى ذلك شأن عثمان رضى الله عنه ، وهذه سنة اتبعها جميع الذين تعرضوا لتعمير المسجد وتجديده وزيادته منذ انشائه (٥)، وكانت هذه الاسطوانات كسابقتها تتألف

---

(١) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٨٠ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٠ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨١ .

(٢) قال ابن النجار فى الدرة الثمينة ص ١٠٨ أن ارتفاع سقوف المسجد فى عهد المهدى ٢٥ ذراعا وهو الارتفاع الذى كانت عليه فى عهد الوليد بينما يذكر ابن المحجوب فى قرة العين ورقة ٦٧ ب أن ارتفاع جدران المسجد فى عهد الوليد عشرون ذراعا ويبدو أنه ذرع من السقف الى أرض المسجد .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ .

(٤) ابن المحجوب : المصدر السابق ، ورقة ٦٧ ب .

(٥) أحمد فكرى : المدخل ، ص ١٧٤ ، حسن الباشا : المدخل الى الآثار الاسلامية ، ص ١٢٣ .

من قطع حجرية مستديرة مثقوبة الوسط توضع قطعة فوق أخرى حتى تؤلف " اسطوانة مستديرة كسوارى الرخام ".[(١)] وكان يوضع بوسط الأحجار المدورة عمود من الحديد يسكب عليه الرصاص المذاب ليملأ الفراغ حول العمود ويزيد من التحام القطع وقوتها . وجاء أن عمر بن عبد العزيز " أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان اليها وقدر مجلس اثنين يتساندان اليها ".[(٢)]

وكانت الاسطوانات فى مقدم المسجد فى عهد ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ مجصصة ، وسائر اسطوانات المسجد رخام ، بيد أننى لم أجد لاسطوانات الرخام ذكر فى عمارة الوليد للمسجد ، كما أن المصادر التى اطلعت عليها لم تشر الى تجصيص الاسطوانات فى عهده ، وربما وأنها جصصت فى عمارة المهدى للمسجد سنة ١٦١ هـ كما سيأتى[(٣)] ، وذلك لأن ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ قد ذكر أن " العمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف[(٤)] منقشة مذهبة ".[(٥)] ويظهر أن هذا هو سند الدكتور حسن الباشا حين قال : " وشيدت أعمدة رواق القبلة بالحجارة وكسيت بالجص فى حين صارت أعمدة الأروقة الأخرى من رخام ".[(٦)]

---

(١) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ورقة ٦٧ ب .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٢ .
(٣) أنظر أدناه ص ١٥٨ .
(٤) عن النجف أنظر أدناه ص ١٤٦ .
(٥) العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٢ .
(٦) المدخل الى الآثار الاسلامية ، ص ١٢٣ .

ولا يعقل أن يكون البحث عن المحاجر الصالحة وقطع الأحجار واعدادها قد ترك حتى حضور الفعلة من الشام [١]، وانما لابد أن تكون قد سبقت بناء المسجد ، بل سبقت هدمه أيضا . ولا أظن أن من قدر على قطع هذه الأحجار فى عمارتين متتاليتين للمسجد النبوى محتاجون الى استقدام بنائين مهرة يجيدون نحت الحجر وبناءه بدقة . على أن اختلاف الروايات فى عدد العمال الذين قيل أن الوليد أرسلهم [٢]، تسمح بالاستفادة بما ذكره الدكتور فريد شافعى عن ذلك من أن " ما يمكن استخلاصه من عدد العمال الذين اشتركوا فى عمارة مسجد المدينة تختلف نتائجه المعمارية الى حد كبير مع كثرة العدد أو قلته ، ذلك ان مائة أو ثمانين عاملا يعملون فى مسجد مساحته نحو ١٠١ × ١٠٠ متر ، ويبلغ الجزء المغطى المشيد منه نحو ٥٦٠٠ متر مربع كان من الممكن أن يساهم فيه أولئك العمال فى البناء والزخرفة معا وفى غير ذلك من الأعمال ".

---

(١) نقل السمهودى فى الوفاء جـ ٢ ص ٥٢٢ ، ما ذكره يحيى بسنده الى صالح بن كيسان الذى قال بعد ذكره لوصول خطاب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره ببناء المسجد " واستعملنى على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد ". وأنظر : أبا عبيد البكرى : جزيرة العرب (من كتاب الممالك والمسالك) ص ٨٥ .

(٢) اختلفت الروايات فى عدد هؤلاء العمال فهم ٨٠ عند البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣ ، ١٠٠ عند اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٢٨٤ ، وأبو عبيد البكرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، وبضعة وعشرون عند كل من ابن رستة والمقدسى ، الأعلاق النفيسة ص ٦٩ وأحسن التقاسيم ص ٨١ ، ١٠٠ عامل عند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٤ ص ٥٣٢ ، وهم كذلك عند المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٣٠ وعند السمهودى بضعة وعشرون فى رواية وعشرة فى رواية وأربعين فى رواية ثالثة ، الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥١٨ ، وأنظر كذلك فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٥٨٨ .

" أما اذا كان عددهم بضعة وعشرين أو عشرة فقط فان عملهم لا يكاد يتجاوز الزخرفة والتزويق بالفسيفساء أو بغيرها حتى ولو كانوا يعادلون مائة على حد قول السمهودى ، أما البناء نفسه فكان من عمل آخرين من العمال والصناع المحليين فى منطقة الحجاز بوجه عام وفى منطقة المدينة بخاصة . وفى الحالة الأخيرة يصبح من غير المحتمل أبدا أن يكون القبط قد ساهموا بالبناء وبالتالى لم يعملوا القبلة على هيئة محراب مجوف أو على شكل هيكل الكنيسة "، (١)

وأنا أؤيد الاحتمال الذى قال به شافعى وهو أن عملهم لم يكن يتجاوز الزخرفة فقط وانهم " كانوا من أهل الشام ويدينون بالاسلام " .(٢) وذلك للأسباب التالية :

١ - ان شخصية الدولة الاسلامية قد بدت بوضوح عقب التعريب الكامل الذى أحدثه عبد الملك بن مروان وتوجه سنة ٧٧ هـ باتخاذ طراز جديد " للسكة وهو طراز عربى خالص " .(٣) كما انه " مر على فتح الشام والعراق نحو سبعين سنة ، وضحت فيها شخصية الدولة العربية وقوى نفوذها " .(٤)

٢ - ان حضور هؤلاء العمال الى المدينة كان متأخرا عن أعمال الهدم وقطع الأحجار ونحتها ،(٥) مما يؤيد أن مجيئهم كان بقصد الزخرفة فقط ، أو الأعمال التكميلية التى تتبع الانتهاء من البناء عادة .

---

(١) فريد شافعى : العمارة العربية ، ص ٥٨٩ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٥٩٥ .
(٣) عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية (فجر السكة) ، ص ٤٩ .
(٤) فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٥٩٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١١٩٣ ، السمهودى : وفاء الوفاء ، جـ ٢ ص ٥٢٢ .

ويمكننا تعميم هذا الاستنتاج أيضا على عمارة الحرمين الشريفين في عهد الوليد . ويزيد من قوة هذا الاستنتاج أن سوفاجيه ذكر أن الفسيفساء استخدمت في تكوين الأشرطة الكتابية في المسجد النبوي (١) ، مما يدل على معرفة هؤلاء العمال للغة العربية ، وأن كلمة رومي أو قبطي ظلت تلازمهم حتى بعد اسلامهم (٢) . كما أن غالب ما كتب في جدران المسجد في هذه العمارة آيات قرآنية كريمة ، لا يمكن لعمر بن عبد العزيز أن يسند كتابتها الا الى مسلمين متطهرين (٣) .

. . . . . .

---

(١) المسجد الأموي في المدينة ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) اشتهر بعض الصحابة رضوان الله عليهم بجنسياتهم القديمة كصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأم المؤمنين مارية القبطية .

(٣) تحث كتب الفقه على استحباب التطهر قبل قراءة المصحف الشريف . كما أن قصة أخت عمر بن الخطاب التي أسلمت قبله سرا ، وطلبت منه التطهر عند ما أراد قراءة بعض الآيات الشريفة مشهورة . كما أن ما ذكره ابن النديم في الفهرست ، جـ ١ ص ٦ نقلا عن ابن اسحاق يؤيد ذلك اذ قال : ان " أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج ، رأيت مصحفا بخطه وكان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك وهو الذي كتب الكتاب الذي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من والشمس وضحاها الى آخر القرآن ، ويقال ان عمر بن عبد العزيز قال أريد أن تكتب لي مصحفا على هذا المثال فكتب له مصحفا تفوق فيه فأقبل عمر يقبله واستحسنه واستكثر ثمنه فرده عليه " .

٣ - العناصر المعمارية الجديدة

أ - المحراب المجوف :

ان ما ذكرته الروايات العربية بخصوص اسهام الروم والقبط فى بناء المسجد النبوى الشريف قد استغل من قبل المستشرقين المهتمين بأمر العمارة الاسلامية ، فحاولوا عن طريقه الربط بين وجود المحراب الذى استحدثه عمر بن عبد العزيز لأول مرة فى تاريخ المسجد (١) ، وبين حنية الكنيسة (٢) ، وقالوا ان الاسلام قد اقتبس المحراب على مضض (٣) ، مستغلين ما جاء فى مقالة السيوطى " اعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب " من أحاديث تصفه بالبدعة وتحرم الصلاة فيه (٤) . ومع أن الشكوك تحيط بسند هذه الأحاديث (٥)

---

(١) كانت لفظة القبلة معروفة فى عهد الرسول عليه السلام ، وتشير الى ذلك أحاديث تحويل القبلة وآيات من القرآن الكريم . وكان عليه السلام يركز عصاه أو حربته كعلامة لتمييز اتجاه القبلة ، أنظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ص ١٢٨١ ، ونجاة يونس الحاج : المحاريب العراقية ص ٢٠ .

(٢) يقول أحمد فكرى فى حاشية ص ٢٩٨ من المدخل " اختلف المستشرقون فى كعادتهم ، كما رأينا فى البحث عن أصل المحراب ، وقال البعض ان المحراب مأخوذ عن المعابد الهندية ، وقال البعض الآخر انه مشتق من الكنائس السورية ، وقال فريق ثالث انه منقول عن المذابح القبطية ، وقال أحدهم انه مشتق من الهيكل اليهودى .

(٣) فريد شافعى : العمارة العربية ص ٥٩٩ ، حيث يقول ان صاحبة هذا الرأى هى جرترود بل وتبعها كريزول ولا ماتس .

(٤) عن تأييد المستشرقين لآراء السيوطى هذه وأخذهم بها أنظر نجاة يونس : المحاريب العراقية ص ٣٦ - ٤٣ .

(٥) تشككت نجاة يونس فى نفس المرجع ، ص ٣٢ - ٣٥ فى أحاديث السيوطى فقالت : انه " أخذ بعضها من كتاب الزركشى " اعلام الساجد بأحكام (=)

وبصحة نسبتها الى السيوطى[(١)] ، الا أن مناقشتها والاحتجاج بها لها مكانة كبيرة عند المشتغلين بالآثار الاسلامية من المستشرقين . وقد حالف التوفيق بعض الباحثين العرب ممن أمكنني الاطلاع على بحوثهم أمثال فريد شافعى[(٢)] ، وأحمد فكرى الذى أثبت بالدليل القاطع وجود محراب مجوف ينسب الى عقبة بن نافع مؤسس جامع القيروان سنة ٥٠ هـ[(٣)] ، أى أنه وجد قبل محراب المسجد النبوى بأربعين عاما . وفيما قدماه من عرض وتحليل لآراء المؤرخين واستنتاجات المستشرقين والرد عليها ، ما يغنى عن البحث فيها مرة أخرى . وكان وجود المحراب فى المسجد ضرورة ملحة دعت اليها فوائد ثلاث كما تقول نجاة يونس الحاج[(٤)] .

١ - دخول الامام فيه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة كان يترك بينه وبين جدار القبلة ثلاثة أذرع ، وأقله ممر الشاة ، ولهذا اضطر المسلمون الى ابتكار المحراب المجوف لأن وقوف الامام فيه يضيف الى المسجد صفا كاملا .

٢ - ارشاد المصلين الى الاتجاه الحقيقى للقبلة .

٣ - تضخيم الصوت أثناء الصلاة[(٥)] .

(=) المساجد " والقسم الآخر من كتاب المدخل لابن الحاج ، والأحاديث المذكورة هى عن عمل الزخرفة وخاصة على جدار القبلة والمحراب ، وأن السيوطى نسب هذه الأحاديث الى المحراب كعنصر معمارى عندما يقول : " ان استعماله محرم وهو من أشراط الساعة " .

(١) يبدى فريد شافعى فى العمارة العربية ، ص ٦٠١ وما بعدها تشككه فى صحة نسبة هذه المقالة الى الامام السيوطى .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٨٤ - ٦٢٤ .

(٣) أنظر جامع القيروان ، ص ٥٧ - ٥٩ ، والمدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٢٩٧ .

(٤) ، (٥) المحاريب العراقية ، ص ٢٩ .

ب - المنارات :

لم يكن للمسجد النبوى قبل عمارة الوليد منارات يؤذن عليها ، وانما كان يؤذن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من فوق اسطوانة فى بيت حفصة[(١)] ، وقيل من على سطح امرأة من بنى النجار[(٢)] ، ولا أعلم شيئا عن موضع الاذان فى المسجد النبوى قبل عمارة الوليد ، الا أن الغالب على الظن أن الدور المجاورة ، وربما سطح المسجد ، كانت تستخدم للاذان أيضا .

وهناك روايات كثيرة تشير الى وجود منارات فى مساجد جامعة أقيمت قبل منارات المسجد النبوى . فقد ذكر البلاذرى أن بناء منارة جامع البصرة كان فى ولاية زياد بن أبيه سنة ٤٥ هـ[(٣)] . ومنارات جامع عمرو بن العاص بالفسطاط أنشئت بأمر معاوية بن أبى سفيان فى ولاية قرة بن شريك سنة ٥٣ هـ[(٤)] . ويبدو من انتشار المنائر فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، أن المسجد النبوى ولا شك كان بحاجة الى مثل هذه المنائر خاصة بعد ما هدمت الدور المجاورة له وألحقت بالمسجد فى الزيادات المذكورة سابقا . وقيام المنائر سواء فى المسجد النبوى أو غيره من المساجد الجامعة كان ضرورة أوجبها التوسع الكبير فى المدن وكثرة السكان بها . على أن

---

(١) ، (٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٩ ومابعدها .

(٣) فتوح البلدان : ص ٤٨٥ ، وأنظر فريد شافعى : العمارة العربية ص ٦٣٥ .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ ٢ ص ٢٤٨ ، وأنظر فريد شافعى : المرجع السابق ص ٦٣٧ .

المستشرقين تناولوا هذا العنصر المعماري بالدرس والتحليل محاولين ارجاع اشتقاقه من أصول غير اسلامية [(١)] ، متناسين أن الحاجة هي التي دعت اليه ، والحاجة كما يقال أم الاختراع . ومهما يكن من أمر فان ابن اسحاق الحربي نقل عن عبد العزيز بن عمران المتوفى سنة ١٩٧ هـ قوله : " لم يبلغنا أن المسجد كان له منار يؤذن عليه بأكثر من تلك الاسطوان والأقباب [(٢)] ، فلما بنى عمر بن عبد العزيز جعل للمسجد أربع منارات في كل زاوية منارة " [(٣)] .

وقد ذكر ابن زبالة فيما يرويه عنه السمهودي ، وصفا لعرض وطول ثلاث من منائر المسجد [(٤)] ، الا أنه ذكر في رواية نقلها عنه السمهودي أيضا انشاء الوليد لأربع منائر في المسجد ، وتبعه يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٧ هـ ، الذي ذكر بأن باب المنارة الرابعة على المسجد مما يلي دار مروان [(٥)] . وتبعهما ابن اسحاق الحربي الذي نقل عن عبد العزيز بن عمران عن كثير بن جعفر الذي أسند اليه يحيى روايته السابقة [(٦)] ، وكذلك ابن رستة [(٧)] ، وهؤلاء

---

(١) فريد شافعي : العمارة العربية جـ ١ ص ٦٣٧ ، وأنظر أحمد فكرى : جامع القيروان ، ص ١١٠ وما ذكره عن قول كريزول باشتقاق منارة جامع القيروان من برج الشيخ كاسون بالقرب من حاما .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب جـ ١ ص ٦٥٩ " أن القبة تجمع قبيب وقباب والقبة من البناء معروفة " ولعل المقصود في هذا النص المباني المرتفعة المجاورة للمسجد .

(٣) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٨ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٠ والمطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨١ ، الاسفرائني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال . ورقة ١٨٥ ب ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٦ .

(٤) نقل السمهودي عن ابن زبالة قوله " وطول المنارة الشرقية اليمانية في السماء خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون ، والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون ، وعرض المنارات ثمان أذرع في ثمان أذرع " .

(٥) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٢٦ .

(٦) كتاب المناسك ، ص ٣٦٨ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

ومن تبعهم أكدوا هدم سليمان بن عبد الملك لهذه المنارة الرابعة . الا أن ابن فرحون ، الذى عاصر اعادة عمارة هذه المنارة سنة ٧٠٦ هـ لأول مرة بعد هدم سليمان لها كما قيل ، قال : " ان بعض المؤرخين يذكر ان هناك مأذنة مشرفة على دار مروان فهدمها غيرة على أهله من مؤذنها ، فلم يجدوا لذلك صحة ولا أثر البتة ".(١) ولكن السمهودى يقول باحتمال " أن تكون على باب المسجد وسطحه مما يلى دار مروان ، وليس لها فى الأرض أساس "(٢)، ثم يقول : " فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها ".(٣)

ولكن التقارب فى طول المنارات التى ذكرها ابن زبالة وهو : ٥٥ ذراعا للشرقية والشرقية الشامية ، و ٥٣ ذراعا للغربية الشامية يجعل من المسلم به اذا صح وجودها أن طولها كان مساويا لهذه المنارات وبالذات للمنارة الشرقية اليمانية الواقعة فى قبلة المسجد . وهذا الطول الذى يبلغ بالأمتار ٢٥ مترا(٤) يجعل من غير المعقول أن تكون بنيت بغير أساس . كما أن سوفاجيه ينكر هذا الرأى " لأن السقف الخشبى لقاعة الصلاة لا يمكن أن يحتمل ثقل برج ارتفاعه ٥٠ ذراعا مهما ذهب الظن الى خفته ".(٥) وفى هذا ما يدعو الى الشك فى صحة هدم سليمان بن عبد الملك لها.ويزيد فى صحة القول بأن المنارات التى أورد ذرعها ابن زبالة هى المنارات التى كانت فى عهد الوليد أن ابن جبير الذى زار المدينة سنة ٥٨١ هـ وجد " المنارتين الشاميتين صغيرتان على هيئة برجين "(٦) أما المنارة الشرقية الجنوبية فانها

---

(١) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣.
(٢) ، (٣) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٩.
(٤) أنظر حسن الباشا : المدخل الى الآثار الاسلامية ، ص ١٢٤ وفالترهنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٨٨.
(٥) المسجد الأموى فى المدينة ص ٧٥.
(٦) رحلة ابن جبير ص ١٧٣.

" على هيئة الصوامع "(١) ، مما يحمل على الظن أن المهدى هدم المنارتين الشماليتين وأبقى المنارة الثالثة المعروفة بالرئيسية التى تقع فى الركن الجنوبى الشرقى والتى أورد وصفها ابن زبالة ، وأنشأ هذين البرجين . وبهذا تكون رواية هدم سليمان بن عبد الملك للمنارة الرابعة رواية غير صحيحة ، اذ ليس من المعقول أن يأمر بهدم منارة تطل على دار يسكنه بصفة مؤقتة تنتهى بانتهاء الحج . بل الصواب كما أراه أن هذه المنارة لم تنشأ أصلا لقربها من دار مروان التى استخدمت دارا للامارة من قبل بناء المسجد فى ولاية مروان بن الحكم للمدينة فى أول خلافة معاوية بن أبى سفيان .

جـ - الشرافات :

ذكرت معظم الروايات أن أول من أحدث الشرافات فى المسجد النبوى عمر بن عبد العزيز فى عمارة الوليد(٢) ، كما نقل السمهودى عن يحيى بن الحسين أن القاسم وسالم(٣) نظرا الى الشرافات التى عملها عمر بن عبد العزيز " وقالا انها من زينة المسجد "(٤) . غير أن من الروايات ما يذكر أن "عبد الواحد

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٣ .

(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٨ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠١ ، المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٥١ ، والسمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ذكر عنه السخاوى فى التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ١٠٦ ، أنه تابعى سمع أباه وعائشة ورافع بن خديج وأبا هريرة وسفينة ، ثم سعيد بن المسيب ومات سنة ١٠٧ هـ . أما القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة فقد ترجم له السخاوى فى المصدر المذكور ، جـ ٣ ص ٤٠٣ .

(٤) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ .

بن عبد الله النصرى وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة .(١) ولا يظن أن عمر بن عبد العزيز أهمل عمل شرافات المسجد ان صح أنه أهمل عملها ، مع أنه استخدم التذهيب والفسيفساء والكتابات فى تزيين داخل المسجد كما لا يظن أن ذلك ناشىء عن عدم معرفة بها أو كراهية لها(٢) ، خاصة وقد ورد ما يؤيد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل لسطح المسجد فى عهده سترة قدرت بذراعين أو ثلاثة .(٣) وفضلا عن ذلك فان الأزرقى يذكر بناء الشرافات فى المسجد الحرام عند عمارة الوليد له سنة ٩١ هـ (٤)، ولا يعقل بتاتا أن تعمل فى مكة وتهمل فى المدينة .

ويمكن الجمع بين الروايات المختلفة بأنها عملت فى عمارة الوليد ثم جددها عبد الواحد النصرى سنة ١٠٤ هـ . والفارق فى الزمن بين انتهاء عمارة الوليد سنة ٩٠ هـ ، وعمل النصرى لها سنة ١٠٤ هـ كفيل بعطبها أو احداث خلل فيها مما دعا النصرى الى اصلاحها فنسبت اليه . ومن المحقق سواء كان عمر بن عبد العزيز هو الذى أحدثها أو النصرى ، انها كانت تحيط بأعلى جدران المسجد الخارجية بالاضافة الى احاطتها بصحن المسجد الشريف من الداخل .

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة جـ٧ ص ٧٠ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ ، وقال السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ص٩٨ ، أن يزيد بن عبد الملك ولى على المدينة المنورة سنة أربع ومائة عبد الواحد النصرى .

(٢) ذكر الزركشى فى اعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٣٥-٣٣٦ بأنه يكره نقش المسجد واتخاذ الشرافات له ، وروى عن البيهقى عن أنس مرفوعا قول الرسول عليه السلام " ابنوا المساجد واتخذوها جما " وروى عن ابن عمر انه قال : " نهانا ، أو نهينا أن نصلى فى مسجد مشرف " وأنظر : السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٣) أنظر أعلاه ص ٩١ .

(٤) أخبار مكة جـ ٢ ص ٧٢ ، حسين باسلامة : عمارة المسجد الحرام ص ٤٨ .

هذا عن أهم العناصر المعمارية التى استحدثت فى عمارة الوليد ، أما المقصورة التى جددها بالساج والتى قيل انه أنفق عليها أربعين ألف دينار [١]، فكانت مرتفعة عن أرض المسجد ذراعين [٢] وكان يدخل لها من باب فى جدار القبلة يؤدى الى دار مروان [٣]، التى كانت دار للامارة والتى كانت " تمتد فى قبلة المسجد من باب السلام الى دار آل عمر " [٤].

أما أبواب المسجد فى هذه العمارة فقد ذكر كل من المطرى والاسفرائينى والمراغى انها عشرين بابا [٥]. ولكن ابن النجار اعتبر هذه الأبواب بعد زيادة المهدى دون الاشارة الى أنها كانت فى عمارة الوليد [٦]، وأيده فى ذلك السمهودى الذى عد قول من ذكر بأن الوليد جعل للمسجد عشرين بابا وهما ، لأن المنقول كما يقول عن هذه الأبواب " انها انما كانت فى

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٦٩ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧١ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٣ ، ومع ذلك يبدو أن هذا المبلغ مبالغ فيه اذا كان المقصود به النفقة على المقصورة وحدها ، والصواب ما رواه ابن النجار من أن نفقة هذا المبلغ " كانت على جدار القبلة وما بين السقفين" ولعل مقصد ابن النجار بما بين السقفين ماذكره ابن عبد ربه عن مجاز المسجد بقوله : " وقبالة المحراب موسطة البلاطات بلاط مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن الى أن ينتهى الى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ، وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير . " أنظر العقد الفريد جـ ٧ ص ٢٥٢ .

(٢) المراغى : تحقيق النصرة ، ص ٥٤ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥١٢ ولعله يقصد بارتفاعها عن أرض المسجد أى ردمها بالتراب حتى ترتفع أرضها عن أرض المسجد بذراعين . وذلك لأنه قد جاء أن المهدى خفض أرضها حتى جعلها بمستوى أرض المسجد .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١٠ ص ١٦٢ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٠١ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها جـ ١ ص ١٢٩ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٢١ .

(٥) التعريف بما أنست الهجرة ص ٣١ ، زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٥ ب ، تحقيق النصرة ، ص ٧٥ .

(٦) الدرة الثمينة ص ١٠٩ .

زيادة المهدى(١). والواقع ان توسعة الوليد التى قدرها مكتب التوسعة السعودية ٢٣٦٩ م٢ (٢)، والتى كانت أربع اسطوانات فى الشرق واسطوانتين فى الغرب وأربع فى الشمال، لا تحتاج الى كل هذه الأبواب، ولعلها اقتصرت على الأبواب الستة التى كانت فى المسجد قبل عمارته.

ويزكى هذا ما يذهب اليه الدكتور حسن الباشا من أن المداخل القديمة " انتقلت الى الجدران الجديدة على نفس المحاور القديمة، ومن ثم ظلت محتفظة بأسمائها، وهى باب النساء وباب جبريل فى الجدار الشرقى وباب الرحمة وباب السلام فى الجدار الغربى" (٣). وكذلك بابا مؤخر المسجد أيضا (٤).

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٦٨٦.

(٢) ابراهيم الشوارى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين ج ١ ص ٤٣.

(٣) المدخل الى الآثار الاسلامية، ص ١٢٣.

(٤) اقتصر سوفاجيه فى مخططه الذى وضعه عن المسجد النبوى فى عهد الوليد ص ٩١، من كتابه المسجد الأموى فى المدينة، على باب واحد فى منتصف الجدار الخلفى للمسجد، ومن المعروف ان هذا الباب فتح فى هذا الجدار فى عهد الرسول عليه السلام بعد تحويل القبلة. الا أن من الثابت أيضا أنه كان به فى عهد عمر بن الخطاب بابين، وقد حافظ عليهما عثمان أيضا فى عمارته. ومن الأولى أن يحافظ عليهما كذلك فى عمارة الوليد هذه، خاصة وأن الزيادة الكبيرة التى زادها الوليد، تستوجب المحافظة على هذه الأبواب. أما أحمد فكرى فقد استبعدهما من المخطط الذى وضعه فى كتاب المدخل ص ١٩٤. والحقيقة أن لكل من سوفاجيه وأحمد فكرى ومن نحا نحوهما العذر فى اختلاف وجهات النظر هذه لأنه ليس لدينا نص صريح يمكن الاعتماد عليه فى عدد الأبواب ومواضعها الحقيقية فى عمارة الوليد، سوى ما ذكرته بعض الروايات من أن عددها عشرون بابا، الا أن هذه الأبواب كما سيأتى، ثبت وجودها فى عمارة المهدى للمسجد النبوى.

وكانت مداخل بدون أبواب مما دعا عمر بن عبد العزيز عندما فرغ من بنيان المسجد الى التفكير فى " أن يجعل فى أبوابه فى كل باب سلسلة تمنع الدواب من الدخول فعمل واحدة وجعلها فى باب مروان ثم بدا له عن البواقى[١] ... وأقام الحرس فيه[٢] يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فيه ومن أن يخترقوه "[٣].

.....

---

(١) قال ابن النجار عقب ذلك " قلت فهى باقية الى اليوم " . وقال ابن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ " وهى اليوم معلقة بالباب المذكور كما تراها " . أنظر مخطوط تحفة الزوار، ورقة ١٠٨ أ . وذكر السمهودى أن " سلسلة باب السلام ترفع فى أيام المواسم ، لأنه اتفق فى سنة أربع وخمسين وثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلك جماعة . وذكر سوفاجيه فى المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٧٨ " ان هذا الاجراء متبع حتى الآن فى الشرق وخاصة فى أبواب الأسواق ".

(٢) يعنى المسجد النبوى .

(٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٣ ، وأنظر القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٠ .

٤ - نقوش المسجد وزخرفتـــــه

لم يكتف عمر بن عبد العزيز والى المدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعمارة المسجد النبوى الشريف بالأحجار النحيتة والقصة ، ولم يكتف أيضا بما أدخله على هذه العمارة لأول مرة فى تاريخ المسجد من عناصر معماريـــة وزخرفية ، وانما عمد فوق هذا كله الى استخدام أنواع كثيرة من أساليـــب الزخرفة التى بدأت تزين المساجد من ذلك الوقت ، وهى :

أولا : الأشرطة الكتابية المدونة بماء الذهب بالخط الكوفى السائد فى ذلك العصر (١) فى تحلية جدران المسجد الداخلية وكوشات العقـــود (٢) المطلة على الصحن . الا أن ما وصلنا مما كان مكتوبا فى عهـــده قليل جدا للأسباب التالية :

أ - لاعتداء الكثيرين من المتعصبين لبنى العباس من ولاة المدينة وغيرهم على هذه النصوص ومحو ما يسجل منها اسم أحد مـــن خلفاء بنى أمية واعادته باسم أحد خلفاء بنى العباس (٣) ، وقـــد أدى ذلك الى جزم بعض المؤرخين بقيام بعض خلفاء بـــنى

---

(١) ذكر ابراهيم جمعة فى تطور الكتابات الكوفية ، ص ٧٧ أن مدة سيـــادة الخط الكوفى التذكارى فى العالم الاسلامى تمتد حتى القرن الســادس الهجرى .

(٢) هى واجهات الجدار القائم فوق العقود .

(٣) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٨٦ وما بعدها ، والمقريـــزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ٤٦ ، وأنظر : سوفاجيه : المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٦٥ .

العباس بعمارة المسجد النبوى الشريف (١).

ب - لأن الكثير من هذه الكتابات عبارات دعائية وآيات عديدة من القرآن الكريم ، وما سجله المؤرخون منها يفتقر الى التأريخ أو اسم كاتبه (٢)، الا ما ذكره ابن النديم مما كان فى جدار القبلة بأنه بخط خالد بن أبى الهياج .

جـ - لأن المؤرخين الذين اهتموا بتسجيل هذه النقوش ، وفى مقدمتهم ابن زبالة المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، سجلوها بعد عمارة المهدى سنة ١٦٢ هـ ، فخلطوا بين نقوش المسجد فى عهد الوليد ونقوش المسجد فى عهد المهدى. وفوق هذا كله فقد ذكر ابن اسحاق الحربى نقلا عن يحيى بن الحسين " أن عمر بن عبد العزيز كتب الكتب (٣) فى المسجد وأن الذى كتب الكتاب الذى فى القبلة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أوله أم القرآن حتى ختمها، والشمس وضحاها الى خاتمة قل أعوذ برب الناس ، وهو من حذاء يمينك حين تدخل المسجد من الباب الذى يلى دار مروان حتى تنتهى الى باب على" قال : " وكتبه مولى لآل حويطب

---

(١) أنظر ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٤٥. وقد استطاع سوفاجيه فى المسجد الأموى فى المدينة ص ٦٢ أن يصل من خلال تحليله للنصوص الى أن ما قاله ابن قتيبة بخصوص زيادة المأمون كانت بناء على ما قرأه فى جدار المسجد فقط دون أن يكون له سند آخر.

(٢) ورد فى بعض النقوش أن هذا من عمل أهل حمص وفى البعض الآخر عمل أهل بيت المقدس ولكن هذا لا يعنى أنه كان فى عهد الوليد أو فى عهد المهدى .

(٣) يقصد بها السور والآيات القرآنية المكتوبة على جدران المسجد .

بن عبد العزى يقال له سعد حطبة "(١). ولكن ابن النديم يروى خلاف ذلك عن محمد بن اسحاق اذ يذكر أن خالد بن أبى الهياج " هو الذى كتب الكتاب الذى فى قبلة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالذهب من والشمس وضحاها الى آخر القرآن "(٢).

ونقل كل من ابن رستة وابن اسحاق الحربى ، وابن قتيبة وابن النجار(٣)، النص المنقوش فى جدار رواق القبلة المطل على الصحن ، ومنهم من يزيد على غيره ومنهم من ينقص . وما دونه ابن قتيبة معتمدا فيما يبدو على ما حفظه(٤) ينقص كثيرا ، والنص(٥) كما أورده ابن اسحاق الحربى كالتالى :

---

(١) كتاب المناسك ص ٢٨٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٠ ، الا أنه أهمل ذكر كاتبه وقال صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، المنشورة فى مجلة العرب، السنة الثامنة ، جـ ٥ ، ٦ سنة ١٣٩٣ هـ وصفا لما فى جدار القبلة من كتابات فقال : " وفى قبلة المحراب فى أعلى التراخيم مكتوب بالذهب من باب الرحمة الى باب جبريل من أول سورة " والشمس وضحاها " الى آخر سورة " قل أعوذ برب الناس " وفوق ذلك الجدار كله نقش بالفسيفساء " ومن هذا يفهم أن نقوش جدار القبلة لم تكن مكتوبة بفصوص الفسيفساء بل بحروف بارزة فى الجدران المطلية بالجص كما يفهم مما ذكره ابن عبد ربه فى ص ٢٥٢ من الجزء الثانى من العقد الفريد .

(٢) الفهرست ، جـ ١ ص ٦ .

(٣) الأعلاق النفيسة ص ٧٣ ، كتاب المناسك ص ٣٨٧ ، المعارف ص ٢٤٥ ، الدرة الثمينة ص ١٠١ .

(٤) أنظر ما ذكره سوفاجيه عن ذلك فى صفحة ٦٢ من المسجد الأموى فى المدينة .

(٥) هذا نص ما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ، ص ٢٤٥ : أمر عبد الله عبد الله بتقوى الله ومراقبته وصلة الرحم والعمل بكتاب(=)

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله وحده ولا شريك له ، محمد عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أمر عبد الله[١] أمير المؤمنين بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتاب الله[٢] وطاعته[٣] وسنة نبيه[٤] صلى الله عليه[٥] وصلة الرحم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حق الله[٦] وتصغير ما عظموا من الباطل ، واحياء ما أماتوا من الحقوق ، واماتة ما أحيوا من العدوان والجور[٧] ، وأن يطاع الله[٨] ويعصى العباد فى طاعة الله . فالطاعة لله[٩] ولأهل طاعة الله[١٠] ، لا طاعة لأحد فى معصية لله ، ندعو[١١] الى كتاب الله[١٢] وسنة نبيه صلى الله عليه[١٣] والى العدل فى أحكام المسلمين ، والقسم بالسوية فى فيئهم ، ووضع الأخماس فى

(=) الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حقوق الله واحياء ما أماتوا من العدل وتصغير ما عظموا من العدوان والجور وأن يطاع الله ويطاع من أطاع الله ويعصى من عصى الله فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله والتسوية بينهم فى فيئهم ووضع الأخماس مواضعها.

(١) ليست عند ابن النجار .
(٢) أضاف ابن النجار " عز وجل " .
(٣) ليست عند ابن النجار .
(٤) أضاف ابن النجار " محمد صلى الله عليه وسلم " .
(٥) صلى الله عليه ليست فى الأعلاق النفيسة .
(٦) أضاف ابن النجار " سبحانه " .
(٧) ليست فى الأعلاق النفيسة .
(٨) أضاف ابن النجار " سبحانه " .
(٩) أضاف ابن النجار " سبحانه " .
(١٠) استبدل ابن النجار طاعة الله بـ " طاعته " .
(١١) فى الأعلاق وعند ابن النجار " يدعو " .
(١٢) أضاف ابن النجار " سبحانه " .
(١٣) أضاف ابن النجار " وسلم " .

مواضعها التى أمر الله بها[(١)] ،لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[(٢)]" .

وذكر ابن اسحاق الحربى أن الحرورية[(٣)] نقضت هذا النص ، " ثم أعاده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى حين ولى المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ثم نقضه داود بن على حين قدم واليا لأبى العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة . فأعانه[(٤)] على اصلاح ذلك صالح بن كيسان فتوفى داود قبل أن يتمه[(٥)] ، فتمه زياد بن عبد الله الحارثى[(٦)] ، فدعى له مولى من موالى أهل المدينة يقال له ابن غزالة فكان هو الذى غيره وأتمه "[(٧)] وقد حلل سوفاجيه تحليلا

---

(١) أضاف ابن النجار " سبحانه " .

(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٣) هم طائفة " من الخوارج تنسب الى حروراء بقرب الكوفة ، لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليا . وكان عندهم تشدد فى الدين حتى مرقوا منه " أنظر المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى وآخرين ، ج ١ ص ١٦٦ . ويترتب على النص السابق أحد احتمالين اما أن يكون تحريف الحرورية له كان من أصله الأموى الى مؤيديهم أو من النص العباسى المحرف الى أنصارهم ثم أن داود بن على أرجع ألفاظه لتؤيد العباسيين سنة ١٣٢ هـ .

(٤) أعان داود بن على .

(٥) كانت وفاته كما يذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٣٤ فى ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ .

(٦) ذكر السخاوى فى المصدر السابق ج ٢ ص ٨٩ فى أول ترجمته له أنه ولى أمرة الموسم للسفاح فى " سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ثم أمرة الحرمين لأخى السفاح المنصور ، وكان على ولايته زمنا ، مجتمعة ومنفردة ، ثم عزل فى سنة أربعين ومائة " .

(٧) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

دقيقا هذا النص الذى أورده ابن رستة وابن قتيبة وابن النجار(١) ، وانتهى سوفاجيه الى أن هذا النص ليس هو النص الذي كان منقوشا فى عهد الوليد ، وأنه حرّف فى العصر العباسى(٢) وأن بداية النص الأصلى يجب ردها بما يتفق والتأريخ والتقاليد هكذا :

أمر عبد الله الوليد أمير المؤمنين ببنيان هذا المسجد وتزيينه

بدلا من :

أمر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه

---

(١) لم يكن كتاب ابن اسحاق الحربى من المصادر التى اعتمد عليها سوفاجيه ومع ذلك فقد ورد به النص المذكور.

(٢) ذكر المقريزى فى الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ٤٦ ، **الخبر التالى** ، وسوف أذكره هنا بنصه لما له من فائدة فى بيان تحريف النصوص الأموية فى العصر العباسى : " حكى محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : رأيت فيما يرى النائم - فى آخر سلطان بنى أمية - كأنى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فرفعت رأسى ، فرأيت الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء ، فاذا فيه : مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، واذا قائل يقول : يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد ، قلت فأنا من بنى هاشم واسمى محمد فابن من ؟ قال ابن عبد الله قلت فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن محمد ، قلت فأنا ابن محمد ، فابن من ؟ قال ابن على ، قلت : فأنا ابن على ، فابن من ؟ قال ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن عباس ، فلو لم يبلغ العباس ما شككت أنى صاحب الأمر ، فتحدث بها ذلك الزمان ، ونحن لا نعرف المهدى ، حتى ولى المهدى ، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اسم الوليد ، فقال : " أرى اسم الوليد الى اليوم؟ " فدعا بكرسى فألقى فى صحن المسجد ، وقال : ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه " ففعل ذلك وهو جالس ".

وذكر أن الذى سهل التغيير أن الكتابة بمكعبات الفسيفساء ، مما سهل نزع كلمة الوليد واستبدالها بكلمة عبد الله ونزع كلمة بنيان واستبدالها بكلمة بزينة . واستشهد على ذلك بما حدث فى كتابات بيت المقدس حيث أمكن الاهتداء الى النص الأول لتأسيس قبة الصخرة المشرفة وسط سلسلة طويلة من النقوش والآيات القرآنية .(١)

ثانيا : مكعبات الفسيفساء :

استخدمت الفسيفساء فى زخرفة جدران المسجد النبوى الشريف فى عمارة الوليد كما هو الحال فى المساجد التى عمرت فى عهده(٢) ، ومن المسلم به أن هذه الفصوص الزجاجية(٣) ، مجلوبة من بلاد الشام ، أرسلها الوليد الى المدينة(٤) مع عمال مختصين فى تركيبها ، وقد أكدت مارجريت فان برشم

---

(١) أنظر المسجد الأموى فى المدينة : لسوفاجيه ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) كالجامع الأموى ومسجد قبة الصخرة والمسجد الحرام .

(٣) عرف أبى فضل الله العمرى فى كتاب مسالك الأبصار ، جـ ١ ص ١٩٣ ، الفسيفساء فقال : " انها قطع زجاجية من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ، ومن هذا النوع المسحور ، وأما الملون فمعجون وقد عمل منه فى هذا الزمان شىء كثير برسم الجامع الأموى . وحصل منه عدة صناديق وفسدت فى الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة . غير أنه لا يجىء تماما مثل المعمول القديم فى صفاء اللون وبهجة المنظر والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة (على مقدار) واحد والجديد قطعه مختلفة وبهذا يعرف الجديد والقديم" .

(٤) ذكر الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٤ ، أن ملك الروم "أمر أن يتبع الفسيفساء فى المدائن التى خربت فبعث بها الى الوليد فبعث بذلك الوليد الى عمر بن عبد العزيز . وذكر الدكتور ابراهيم أحمد العدوى فى كتابه " الأمويون والبيزنطيون" ص ٢٧١ . طريقة حصول الوليد على فسيفساء الجامع الأموى فى دمشق ، فقال : " كان (=)

استقلال صناعة الفسيفساء فى الشام وأن أهل الشام كانوا أصحاب مدرسة خاصة تتميز عن المدارس البيزنطية والرومانية السابقة والمعاصرة ، وأكد فريد شافعى عروبة العمال الذين أرسلهم الوليد من الشام . (١) وقيل ان الفسيفساء المجلوبة كانت أربعين حملا . (٢) وكانت النورة تخمر سنة كاملة لتعمل بها (٣) الفسيفساء فى الحيطان قصورا وأشجارا . وقال العمال فى ذلك انما عطناه على ما وجدناه من صور الجنة وقصورها (٤) . وكان عمر بن عبد العزيز يراقبهم ويستحسن عملهم ، ويكافىء المتقنين منهم (٥) . وهذه المراقبة الدقيقة من عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تجعل من الصعب عليهم الغش فى صنعتهم ، وبالتالى تبطل الروايات التى قيلت عن مخالفتهم

(=) الوليد يفرض على الجيوش الاسلامية من أهل الشام ومصر والعراق أن يحمل كل جندى منها يغير على أرض البيزنطيين قسما من الفسيفساء وذراعا فى ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ويستأجرون من يحمله الى دمشق ، ويحمله أهل حمص الى حمص ومنه الى دمشق ، وأهل دمشق يحملونه الى دمشق ". ويصف زكى محمد حسن فى فنون الاسلام ، ص ٣٣ هذا التعاون بأنه مشابه للنظام الذى كان سائدا فى العالم القديم والمعروف باسم " الليتورجيا LEITURGIA وقوامه فى الاسلام التزام أقاليم العالم الاسلامى بتقديم الصناع والفنيين ومواد الصناعة الى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الأعمال الفنية الجليلة ".

(١) العمارة العربية ، ص ٥٩٣ وما بعدها .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١١٩٤ ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ص ٢٨٤ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٨٧ ، المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٨١ . ولا أدرى هل لتخمير النورة سنة كاملة أثر كبير فى زيادة تماسكها وجودتها ؟ أم أن هذا من قبيل المبالغة ؟

(٤) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٥) قيل ان عمر بن عبد العزيز كان يعطى العامل اذا عمل شجرة كبيرة وأتقنها بمكعبات الفسيفساء ثلاثين درهما غير أجرة اليومى وفى هذا ما يدل على انه كان يراقب أعمال الزخرفة بدقة فائقة .

وعقاب بعضهم بقطع رأسه عند تصويره لبعض الحيوانات.(١)

وذكر السمهودى نقلا عن الواقدى أن القبط عملوا " مقدم المسجد وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه ومؤخره " وأن سعيد بن المسيب كان يقول : " عمل هؤلاء أحكم يعنى القبط ".(٢) ولفظة القبط والروم ظلت تطلق على أهل مصر وأهل الشام حتى بعد اسلامهم ، ويزكى ذلك اسم أم المؤمنين مارية القبطية والصحابى الجليل صهيب الرومى . ويذكر فريد شافعى " أن الروم هنا هم أهل الشام الذين أسلموا ولكنهم مع ذلك بقوا يسمون بالروم واذن فقد ظل ذلك اللفظ يطلقه المؤرخون العرب فى العصر الاسلامى على كل من النصارى والمسلمين على السواء من أهل الشام وعلى المسيحيين وأهل آسيا الصغرى التى تقلصت داخل حدودها الدولة البيزنطية التى كان يسميها المؤرخون العرب أيضا دولة الروم ".(٣)

وكان من الخطاطين الذين عملوا فى المسجد النبوى فى ولاية عمر بن عبد العزيز للمدينة خالد بن أبى الهياج الذى عده ابن النديم نقلا عن

---

(١) قيل ان أحد العمال صور خنزيرا فوق خمس بوائك مما يلى الصحن ، فأمر به فقطع رأسه . وخنزيرا بهذا الشكل الكبير يجعل من السهل اكتشافه بمجرد الشروع فى رسم أحد أجزائه وبالتالى يمكن ايقافه قبل استكمال بقية أجزاء الصورة . ومما يزيد فى غرابة هذه الرواية أن المسجد كان يستخدم للصلاة ، وانه كان بمقدور أى من المصلين ملاحظة ما يصور فور الشروع فى تصويره . وهذا يؤدى بنا الى القول ان ما كان يصور فى المسجد كان يعرض أولا على عمر بن عبد العزيز لأخذ رأيه فيه .

(٢) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٤ .

(٣) العمارة العربية ، ص ٥٩٥ .

ابن اسحاق " أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول "[١]. وقال ابن اسحاق الحربى نقلا عن يحيى أن أحد موالى "آل حويطب بن عبد العزى يقال له سعد حطبة "[٢] هو الذى كتب مافى جدار القبلة فى عمارة الوليد، وساعد ابن غزالة ، وهو مولى من موالى أهل المدينة زياد بن عبد الله الحارثى فى اتمام النص الذى نقضه داود بن على سنة ١٣٢ هـ من جدار صحن المسجد[٣].

وهؤلاء وغيرهم ممن عدوا من الروم أو القبط أو الفرس أسلموا وبرعوا فى اتقان الخط العربى حتى عدوا من الأعلام البارزين فيه .

واذا كان المرمر (الرخام) قد استخدم فى تزيين جدران المسجد كما فى خبر لابن زبالة نقله السمهودى[٤]، فانه يحسن ايراد الوصف الدقيق الذى أورده ابن عبد ربه عن جدار القبلة فى عهده ، على اعتبار أن جدار القبلة لم تمتد اليه يد التغيير فى العصر العباسى ، فقال : ان وجه السور القبلى من داخل المسجد قد كسى بازار من الرخام " من أساسه الى قدر القامة منه ، ولف على الازار بطوق رخام فى غلظ الاصبع ، ثم من فوقه ازار دونه فى العرض مخلق بالخلوق ، ثم فوقه ازار مثل الأول فيه أربعة عشر بابا فى صف من الشرق الى الغرب فى تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة[٥]، منقشة مذهبة ، ثم فوقه ازار رخام أيضا ، فيه صنيفة

---

(١) ، (٢) ، (٣) سبق ذكر هذه المصادر فى ص ١٣٦ عند الحديث عن نقوش المسجد وزخرفته .

(٤) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥١٩ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٩٠، حسن الباشا : المدخل ، ص ١٢٤ .

(٥) قال ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ١٥ ص ٢٣٦ أن الكوى جمع كوة وهى الخرق فى الحائط والثقب فى البيت .

سماوية (١) فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب تخين غلظه قدر اصبع ، من سور قصار المفصل . ثم فوقه ازار رخام مثل الأول الأسفل ، فيه ترسة (٢) من ذهب منقشة ، وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب ، ثم فوقه ازار فسيفساء عريض ، ثم السماوات عليه (٣) ، والمحراب في موسطة (٤) السور القبلي ، على قوسه قصّة (٥) من ذهب ناتئة غليظة ، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها . وقبو المحراب مقدر جدا ، وفيه دارات (٦) ، بعضها مذهبة وبعضها حمر وسود ، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة ، تحتها صفائح ذهب مثمنة ، فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ، ثم تحتها الى الأرض ازار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) لم أجد لها معنى في القواميس العربية ولا في المعجم المضاف على القواميس العربية لدوزى بينما تبدو في الرسم الذي أعده سوفاجيه بناء على هذا الوصف شكل (٤٢) انها مساحة مستطيلة تمتد على امتداد جدار القبلة بالقرب من سقف المسجد بها خمسة أسطر من الكتابات التي كانت تحلى جدار القبلة .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب جـ ٦ ص ٣٢ انها من أدوات السلاح وهي جمع ترس ، وتجمع على أتراس وتيراس وترسة وتروس .

(٣) قال ابن منظور في المصدر السابق جـ ١٤ ص ٣٩٨ انها جمع سماء وسماء كل شيء أعلاه ، والسماء سقف كل شيء وكل بيت . ويقصد أن سقف المسجد متصل بازار الفسيفساء .

(٤) الوسط اسم لما بين طرفي الشيء . أنظر المصدر السابق جـ ٧ ص ٤٢٨ .

(٥) القصّة ما أقبل من الناصية على الوجه ، والقصة شعر الناصية ، أنظر المصدر السابق جـ ٧ ص ٧٣ ، ويقصد بها انها في وسط عقد المحراب بارزة .

(٦) الدارات جمع دائرة ودارة وكلاهما ما أحاط بالشيء ، وكل موضع يدار به شيء يحجره فاسمه دارة ، أنظر المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٩٦ .

يتوكأ عليه فى المحراب الأول عند قيامه من السجود فيما ذكر.(١)

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الامام ويخرج ، وعن يساره باب صغير مشطرنج . . "(٢) . (٣) وقد قام سوفاجيه باعادة ترسم جدار القبلة على ضوء المعلومات الواردة فى النص السابق كما يظهر فى الشكل التالى رقم (٤٢) .

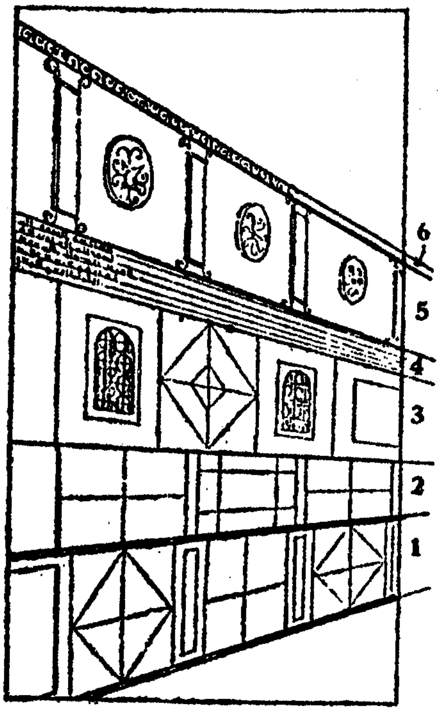

شكل رقم (٤٢)

ومهما يكن من أمر فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك عندما ورد المدينة سنة ٩١ هـ " فرش له المسجد ، وكشف عن الفسيفساء فجعل ينظر الى حسنه وجاء الناس يهنئونه من كل ناحية . . "(٤) . ويشبه الكشف عن فسيفساء

---

(١) أنظر ما ذكره ابن اسحاق بخصوص هذا العمود فى حاشية رقم ٢ من ص ٧١ من الرسالة .
(٢) أى على شاكلة رقعة الشطرنج وبيد و أنه مطعم بمربعات سود وبيض .
(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٢ .
(٤) ابن اسحاق الحربى : كتاب المناسك ، ص ٣٦٩ . وعن دخول الوليد الى المسجد ، أنظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧١ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٢٣٢ وما بعدها .

الجدران عند حضور الخليفة ما يحدث فى عصرنا الحاضر من كشف الستار عن اللوحات التأسيسية للأعمال المعمارية الكبيرة .

ثالثا : تذهيب السقف :

كان الاهتمام بسقف المسجد النبوى الشريف فى هذه العمارة ، التى قام بها الوليد ، كبيرا وكذلك الرغبة فى أن يأتى متناسقا مع جمال الحيطان الداخلية التى تزينها الفسيفساء وألواح الرخام. لذلك استخدم فى السقف خشب الساج المذهب (١) ، وكان كما يقول ياقوت الحموى سقفا دون سقف (٢) ، الا أنه كان بالتأكيد يقل روعة عن سقف المقصورة ، التى رغب الوليد أن يكون سقف المسجد مثل سقفها .

وكان السقف الذى يبلغ ارتفاعه حوالى ٢٥ ذراعا (٣) محمولا على عوارض خشبية تصل مابين الاسطوانات وذلك لأن العقود لم تستخدم الا فى البوائك المطلة على الصحن (٤) . وكانت تعلم الدور التى دخلت فى توسعة المسجد بجعل "منابر (٥) سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد" (٦) ، وكانت رؤوس اسطوانات مقدم المسجد" مذهبة عليها نجف منقشة ، ثم السماوات على النجف (٧) ،

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٦٥ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٩ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٢) معجم البلدان جـ ٥ ص ٨٧ .

(٣) أنظر أعلاه ص ١١٨ .

(٤) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .

(٥) يقصد بالمنابر هنا تيجان الأعمدة .

(٦) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص٥١٧ ، ابن الضياء : تاريخ مكة والمدينة ورقة ١٤٢ ب .

(٧) قال ابن منظور فى لسان العرب جـ ٩ ص ٣٢٣ ، أن النجاف هو ما يستقبل الباب من أعلى الأسكفة والنجاف العتبة وهى أسكفة الباب يعنى أعلاه .

وهى أيضا منقشة مذهبة : وقبالة المحراب موسطة البلاطات ، بلاط مذهب ، كله شقت به البلاطات من الصحن الى أن ينتهى الى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه ، وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير ، وفى وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار [١]، مذهب " [٢]. وفيما ذكره ابن عبد ربه من تذهيب بلاط المحراب الممتد من الصحن الى المحراب ما يشير الى استحداث الجمالون [٣] المستخدم فى الجامع الأموى ، وهو ما أكده سوفاجيه [٤]. غير أن مجاز المحراب لم يكن أعرض من بقية البلاطات الأخرى ، وذلك لحرص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على الاقتداء بالبعد التقليدى للاسطوانات القديمة ، وهو تسعة أذرع أى حوالى أربعة أمتار ونصف كما يتبين من قياس البتنونى للروضة الشريفة [٥]. أنظر مخطط سوفاجيه شكل (٤٣) .

ومما يستحق الذكر أن المجنبتين الشرقية والغربية لم تحدثا الا فى هذه العمارة ، وكان بالشرقية ثلاث بلاطات وبالغربية أربع . وبظلة القبلة كما يذكر ابن عبد ربه خمس بلاطات " معترضة من الشرق الى الغرب ، فى كل

---

(١) يبدو أن هذا هو مستند سوفاجيه فى تحديده لموضع القبة التى ظهرت فى مخططه شكل (٤٣) فى نهاية البلاطة الممتدة من المحراب العثمانى الى صحن المسجد .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٢ .

(٣) قال دوزى فى المعجم المضاف على القواميس العربية ، جـ ١ ص ٢١٩ ان الجمالون " سقف محدب مستطيل ، فان كان مستديرا فهو قبة ، وهو من اصطلاح العامة " .

(٤) أنظر المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٨٢ .

(٥) ذكر البتنونى فى الرحلة الحجازية ص ٢٤٠ أن طول الروضة الشريفة ٢٢ مترا وعرضها ١٥ مترا وأيده فى ذلك ابراهيم رفعت باشا فى مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٥١ .

صف من صفوف عمد ها سبعة عشر عمودا "[١]، وليس لدى نص صريح يبين عدد بلاطات ظلة مؤخرة المسجد ، الا أن ما توصل اليه الدكتور أحمد فكرى يفيد بأنها أربع بلاطات[٢]، كما كانت عليه فى عمارة عمر وعثمان رضى الله عنهما. ولم يكن الجدار الشرقى للمسجد عموديا على جدار القبلة الجنوبى ، وذلك لأن مؤخرة المسجد كانت أقل عرضا من مقدمته بعشرين ذراعا[٣].

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ص ٢٥٢ .

(٢) ذكر أحمد فكرى فى الحاشية رقم ٣ من ص ١٧٧ من المدخل أن السمهودى ذكر " فى صفحة ٤٨٧ من الجزء الأول من " وفاء الوفا " عن ابن النجار أن الطاقات المحيطة بصحن المسجد ، أى البوائك أو العقود ، كانت جملتها ستين طاقة ، منها احدى عشرة فى القبلة ، ومثلها فى المؤخر ، وتسع عشرة فى كل من المشرق والمغرب. وكان قد ذكر فى صفحة ٣٨١ ، أن زيادة المهدى تقدر بست أساطين منها خمس فى السقائف الشامية ، أى فى مؤخر المسجد . ومعنى ذلك أن " الطاقات " التى كانت محيطة بالصحن فى كل من المشرق والمغرب كانت أربع عشرة فى عهد الوليد وهو ما رجحه السمهودى فى تلك الصفحة ، وفى صفحة ٣٦٩ التى أكد فيها أن الوليد جعل " جدار المسجد من جهة الشام بعد ١٨ اسطوانة من مربعة القبر" ، منها ٤ أساطين للسقايف الشامية " ومن هذا الاستنتاج يتبين أن عدد البلاطات فى الرواق الشمالى خمس بلاطات فقط.

(٣) ذكر ابن النجار فى الدرة الثمينة ص ١٠٠ أن عرض المسجد فى زمن الوليد " فى مقدمة مائتى ذراع وفى مؤخره مائة وثمانين" الا أنه عاد وقال فى ص ١٠٨ أنه ذرع المسجد بنفسه فكان طوله " من قبلته الى الشام مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعا وأربع أصابع ، ومن شرقيه الى غربيه مائة ذراع وسبعون ذراعا . . ". ومن المعروف أن مقدم المسجد لم يتعرض لأى زيادة منذ بناه الوليد حتى زمن ابن النجار وجزء من زمن السمهودى.

وكان هذا الذرع لمقدم المسجد قريبا من ذرع السمهودى الذى قال أنه ١٦٧,٥ ذراعا. ويبدو أن الاختلاف الواضح فيما رواه ابن النجار وما ذرعه بنفسه والذى يقدر بعشرين ذراعا على حسب ما رواه يمكن انتقاصها من ذرع السمهودى لمقدم المسجد. لأنه يبدو أنه ذرع المسجد من داخله وابن النجار ذرع المسجد من خارجه فكان الفرق بين الذرعين هو عرض الجدارين الشرقى والغربى. وبذلك يصبح طول مقدم المسجد ١٦٧,٥ ذراعا وطول جدار مؤخرته ١٤٧,٥ ذراعا.

وبتطبيق هذه المعلومات على المخطط الذى أعده أحمد فكرى ، شكل (٤٤) والذى خالف فيه مخطط سوفاجيه عن المسجد النبوى فى عهد الوليد ، ببعض النقاط التى حالفه التوفيق فى اثبات صحتها (١) . يجب التسليم بما جاء فيه بعد توضيح بعض النقاط المهمة فيما يلى :

١ - أن البعد الحقيقى **للاسطوانات** عن بعضها هو تسعة أذرع أى حوالى أربعة أمتار ونصف .

٢ - أن طول مقدم المسجد لم يتغير منذ ذرعه ابن النجار وقال انه ١٧٠ ذراعا وكذلك السمهودى الذى ذكر انه ١٦٧،٥ ذراعا . وهو ذرع موحد اذ يبدو أن ابن النجار ذرع مقدم المسجد من خارجه بينما ذرعه السمهودى من داخله ، أو أن الاختلاف كان فى نوع الذراع .

---

(١) ذكر أحمد فكرى فى المدخل ص ١٩١ ومابعدها عدة اعتراضات على مخطط سوفاجيه فيما يلى ملخص لها ، وابداء رأيى حول بعضها :

أ - ذكر أن سوفاجيه اعتبر بلاطة المحراب هى المقصورة ، والحقيقة أنه فرق بين المقصورة والمجاز . أنظر ص ٨٢ من المسجد الأموى فى المدينة . كما انه عد الباب الذى فتحه سوفاجيه فى الجدار الشمالى من الأخطاء المتعمدة .

ب - اعتبر جعل سوفاجيه طول الجدار الغربى ١٩٠ ذراعا أول الأخطاء التى لم يتعمدها بينما طوله مائتى ذراع .

جـ - أنه جعل طول جدار المؤخر مساو لطول جدار القبلة وهو ١٦٠ ذراعا .

د - انتقد وضعه للحجرة الشريفة شمال موضعها الحقيقى بعشرة أذرع . وهو خطأ جسيم لا أدرى كيف وقع فيه سوفاجيه .

و - أنه حدد الجدار الشامى بعد أربع عشرة اسطوانة من مربعة القبر . بينما الصواب أنه بعد ١٨ اسطوانة ، كما انه جعل عدد بلاطات مؤخر المسجد خمس بلاطات معترضة بينما عددها كما توصل اليه أحمد فكرى أربع بلاطات . كما أن عدد الاسطوانات المطلة على جانبى الصحن من الجهة الشرقية والغربية قد نقص أربع اسطوانات اذ أن عددها كما أثبته أحمد فكرى ١٣ اسطوانة .

٣ - ان طول مؤخر المسجد فى عمارة الوليد لم يكن ١٤٠ ذراعا كما افترضه الدكتور أحمد فكرى ، وانما طوله النسبى كما توصلت اليه هو حوالى ١٤٧ ذراعا [١].

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات البسيطة حول مخطط المسجد النبوى فى عمارة الوليد ، فان الاختلاف بين المؤرخين حول هذه العمارة ، واهمال الروايات لبعض الجوانب المهمة هى التى أوجبت هذا الاختلاف بين الباحثين المحدثين عند محاولتهم استعادة ترسم وضع المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك . وقد حاولت تطبيق ما توصلت اليه من نتائج فيما سبق ، على الشكل رقم (٤٥) . بعد أن تلافيت فيه ما اقتنعت بصحته مما وجه الى المخططات السابقة من نقد ، لاسيما مخطط سوفاجيه .

وكان لابد لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، بعد انتهاء العمارة ، من فرش المسجد بالرمل كما هو المتبع بعد كل عمارة . ولم أجد أحدا من مؤرخى المدينة القدامى قد ذكر مصدر هذا الرمل . وكان يغلب على الظن أن الرمل الأحمر الذى كان يجلب عادة من وادى العقيق المبارك هو ما فرش به المسجد النبوى ، الا أن ابن فرحون يصف ما وجد سنة ٧٠٦ هـ من رمل عند حفر كافور المظفرى لأساس المئذنة الجنوبية الغربية عند بنائها لأول مرة ، فيقول انهم وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة ، وانهم " وجدوا تحصيب المسجد فى أيام مروان بالرمل الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع وذلك التحصيب عام فى ساير مسجدهم القديم ، لأنهم لما أسسوا الرواقين (البلاطتين) اللذين زادهما الملك الناصر بشمالى الروضة المقدسة فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة،

---

(١) أنظر أعلاه الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٤٨ .

وجدوا ذلك التحصيب فوقفت عليه فوجدته يشبه ما وجد فى أساس المأذنة".(١)

وذكر المؤرخون اهتمام عمر بعمل الميازيب من الرصاص ، وذكروا أن أحدهما كان يصب في موضع الجنائز ، وأن الآخر كان على باب عاتكة.(٢) ولم يغفل المسئولون عن عمارة المسجد النبوى من تزويده بماء للشرب والوضوء ، فقد جاء أن الوليد كتب " الى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التى عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم (فى زمن الطبرى) فعملها وأجرى ماءها فلما حج الوليد وقف عليها فنظر الى بيت الماء والفوارة فأعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ، ففعل ذلك".(٣) وجاء أيضا أن الوليد حضر معه الى المدينة بطيب(٤) " مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمرة وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على حبال فى المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط".(٥) وبقى المسجد النبوى على ما عمره الوليد ، لم يحدث فيه أحد من بنى أمية شيئا ، الا ما نقله السمهودى عن ابن زبالة عن ابن عجلان من أن عمر بن عبد العزيز" كتب الى عامله على المدينة أن لا يخلق الا القبلة ، وأن يغسل الأساطين ، فقال :فلم تكن الأساطين تخلق فى سلطانه ".(٦)

.. .. ..

---

(١) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص٣٣ ، غير أن تأكيد ابن فرحون الذى شاهد الرمل سنة ٧٠٦ هـ بأنه رمل المسجد فى العصر الأموى يمكن الاعتراض عليه بأن دار مروان وكذلك المسجد قد فرشت مرارا عديدة بالرمل ، وطرأت على المسجد عمائر أهمها عمارة المهدى وعمارة ما بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ.

(٢) ابن اسحاق :كتاب المناسك ص ٣٨٥ ، السمهودى :وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١١٩٦ .

(٤) " هو الأفضل من كل شىء ، وكل ما يتطيب به من عطر ونحوه " أنظر : المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى وآخرين جـ ٢ ص ٥٧٩ .

(٥) الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٣٣ .

(٦) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٦١ .

المبحث الرابع

عمارة المسجد النبوي في عهد الدولة العباسية

المبحث الرابع

عمارة المسجد النبوى فى عهد الدولة العباسية

١- المسجد النبوى فى أوائل الدولة العباسية

كانت حاجة المسجد النبوى الشريف الى التوسعة قائمة منذ بداية الدولة العباسية ، وبالتحديد فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) ، الذى فكر فى أمر الزيادة وشاور الناس فيها ، غير أنه صرف عزمه عنها آخر الأمر ، وان كان ما ذكره بعض المؤرخين عن ذلك يبدو غير مقنع.(١) فقد كان بامكانه وضع الزيادة فى مؤخر المسجد دون التعرض لدار عثمان كما فعل المهدى . وقد يظن أن لهذا الاحجام من قبل المنصور علاقة بما عرف عنه من حرص على نفقة الأموال ، وتقتيره فيها حتى عرف بالدوانيقى. الا أن عمارته الكبيرة فى المسجد الحرام سنة ١٣٧ هـ ، التى ضاعفت من مساحة المسجد آنذاك ، وتزيينه له بالفسيفساء والرخام وأنواع النقوش،(٢) مما يزكى أيضا اهتمامه بأمر المسجد النبوى ، ومع ذلك يبدو أنه وجد أن تظليل صحن المسجد النبوى بالستور أيام الجمع والمواسم يفى بالغرض فاكتفى بذلك .

---

(١) ذكر السمهودى فى الوفا جـ ٢ ص ٥٣٦ نقلا عن ابن زبالة أن أبا جعفر المنصور شاور الناس فى أمر الزيادة " فكتب اليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ، ويقول ان زيد فى ناحيته الشرقية توسط قبر النبى (ص) ، فكتب اليه أبو جعفر انى قد عرفت الذى أردت ، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه ...". وأنظر: ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٢ ، ابن النجار: الدرة الثمينة ص١٠٣

(٢) الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧٣ ، حسين باسلامة :عمارة المسجد الحرام ص ٥١ .

فقد روى ابن اسحاق الحربى عن يحيى بن حسن الطالبى عن محمد بن اسماعيل أنه قال : " أدركت المسجد صغيرا يعجز عن الناس يوم الجمعة حتى يصلى فى دار القضاء (١) وهى يومئذ مبنية ، وفى دار ابن مكمل ، وفى دار النجامين ، وفى دار عاتكة (٢) ، قال : وكنت ربما صليت فى بعض تلك الدور وأنا غلام ، قال : فقدم أبو جعفر المدينة سنة أربعين ومائة فأمر بستور يستر بها صحن المسجد ، على عمد لها رؤوس كهيئات الفساطيط ، وجعلت فى الطيقان فكانت الريح تدخل تحتها فلا يزال العمود يسقط على الانسان فغيرها ، وأمر بستور أكثف من تلك الستور ، وحبال فأتى بها من جدة ، من حبال السفن . . . فكانت تعمل على الناس كل جمعة فلم تزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فأمر بها فقطعت دراريع (٣) لمن كان يقاتل معه . . . " (٤) .

---

(١) قال المراغى : تحقيق النصرة ص ٩٩ ، أن دار القضاء " كانت غربى المسجد الشريف ، قريبا من باب السلام " وذكر بأن سبب تسميتها بدار القضاء هو بيعها فى قضاء دين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موته .

(٢) ذكر المراغى فى المصدر السابق ص ٩٧ أن دار عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تقع فى جهة الغرب من المسجد، ونسب اليها باب عاتكة ، وهو المعروف حاليا بباب الرحمة .

(٣) صحة جمع كلمة درع كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ٨ ص ٨٠ أدرع وأدراع وفى الكثير دروع .

(٤) كتاب المناسك ، ص ٣٧١ وما بعدها ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٥ وما بعدها .

وبعد هذا لم يحاول المنصور استبدال الستور مرة ثانية ، بل وجد الحل هذه المرة فى هدم دار القضاء سنة ١٥١ هـ ، وأضافها رحبة للمسجد يصلى فيها ، وفتح للمسجد بابا ينفذ اليها سمى باب زياد. (١) وكتب عليه فى لوح من ساج مضروب بمسامير من خارج المسجد ومن داخله كتاب هذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله الا هو - الآية - محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببناء مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمارة هذه الرحبة وتوسعة مسجد رسول الله ، (٢) ولمن حضره من المسلمين فى سنة احدى وخمسين ومائة ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة . وكان أمير المؤمنين أكرمه الله أولى بالنظر فى ذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما اختصه به من خلافته ، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين وأحسن ثوابه " . (٣)

ويدل تغيير بعض نصوص المسجد على ماكان من عداء سياسى بين بنى أمية وبن العباس ، وقد يشير اليه أن نصا للمهدى نقش فى أحد جدران صحن المسجد ، مكان نقش قديم . (٤) ويؤيده أن داود بن على نقض النص المكتوب فى جدار صحن المسجد النبوى حين قدم واليا لأبى العباس

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٠٠ وقد ذكر فى ص ٦٩٦ نقلا عن ابن زبالة أن زياد بن عبيد الله " هدم اذ كان واليا لأبى العباس على المدينة فى سنة ثمان وثلاثين ومائة دار القضاء وكانت تكرى من تجار أهل المدينة فهدمها وجعلها رحبة للمسجد وفتح الباب الذى الى جنب الخوخة ". فى الجانب الغربى من المسجد النبوى ، أنظر شكل (٤٦) .

(٢) ذكر محقق كتاب المناسك أن هنا نقص وأنا أعتقد ذلك أيضا ، لأن المعنى مختل ولا يستقيم مع هذه الصيغة .

(٣) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٠٠ .

(٤) أنظر أعلاه ص ١٣٩ .

سنة اثنين وثلاثين ومائة ، ولكنه توفى دون أن يتمه ، فأتمه زياد بن عبد الله الحارثى[(١)] ، الذى استبدل اسم الوليد بن عبد الملك باسم عبد الله[(٢)] ، الذى يطلق على كل من السفاح والمنصور ، وهما الخليفتان العباسيان اللذان يحملان فقط اسم عبد الله[(٣)] .

. . . . . .

---

(١) ، (٢) أنظر أعلاه ص ١٣٨ .
(٣) سوفاجيه : المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٥٨ وأنظر أدناه ص ١٧١ .

٢ - زيادة المهدى وأسبابهـــا

أتت زيادة المهدى للمسجد النبوى الشريف ، كما هى العادة فـى الزيادات السابقة استجابة لتطور المجتمع الاسلامى . فقد أدرك المهدى حاجة الناس الى توسعة المسجد عند زيارته للمدينة سنة ١٦٠ هـ عقـب انصرافه من الحج . وكان قد لمس هذا الضيق فى سنة ١٥٣ هـ عندما أمّره والده على الحج ، خاصة وأن والده لم يعاود تظليل صحن المسجد بعـد سنة ١٤٥ هـ . وعندما استعمل على المدينة جعفر بن سليمان بن علـى سنة احدى وستين ومائة " أمره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولى بناءه عمر بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام ".(١)(٢)

وبعد أن تدارس معهم أمر الزيادة وموضعها " أمر أن يشترى ما حول المسجد من المنازل والدور فيوسع به المسجد ".(٣) وقال وهو فى المدينة للامام مالك " انى أريد أن أعيد منبر النبى صلى الله عليه وسلم على حالـه ، فقال له مالك : انما هو من طرفاء ، وقد سمر الى هذه العيدان وشدّ ، فمتى نزعته خفت أن يتهافت ويهلك ، فلا أرى أن تغيره ".(٤) ثم أمر بخفض

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٩ ص ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ .

(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٧٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤
وقد ذكر ابن رسته فى الأعلاق النفيسة ص ٧٢ أن عبد الله بن موسـى الخطى تولى بناء المسجد مع عبد الملك الغسانى بعد موت عمر بـن عاصم .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٤ .

(٤) ابن النجار : نفس المصدر ص ٨٢ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٩٩ .

المقصورة الى مستوى الأرض ، وقد كانت مرتفعة عن أرض المسجد قدر ذراعين[(١)] . وجاء أنه أراد مساواة المساجد الاسلامية جميعا بالمسجد النبوى فقد ذكر الأزدى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ان المهدى فى سنة ١٦١ هـ أخرج " المقاصير من مساجد الجماعات ، وأمر بتقصير المنابر وتصييرها على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب بذلك الى الأمصار"[(٢)] . الا أنه قد عاد وسمح باعادة المقصورة فى المسجد النبوى الى ما كانت عليه ،واقامتها على امتداد البلاط الأول من مقدم المسجد[(٣)] . ويؤيد ذلك ما نقله الدينورى فى حوادث سنة ١٥٨ هـ من أن المهدى أمر " باتخاذ المقاصير فى جميع مساجد الجماعات "[(٤)] .

ويذكر ابن اسحاق الحربى نصا من النصوص المكتوبة فى المسجد جاء فيه " وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه ، عمله فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة . ."[(٥)] ، مما يدل على أن الزيادة تمت فى سنة ١٦٥ هـ . ويبدو أنها لم تقتصر على نقل الجدار الشمالى الى شمال الموضع الذى تحددت اضافته الى مؤخرة المسجد ثم وصل الجدارين الشرقى والغربى به ، ووصل ظلتيهما بالظلة الشمالية ، بيد أن التسليم بذلك دون سند تاريخى أمر يعتوره الشك . فلنحاول اذن تلمس الدليل من خلال عمارة الوليد السابقة التى استخدمت فيها القطع الحجرية المدورة والمحشية بعمد الحديد والرصاص ، فى تكوين اسطوانات المسجد كله . ويقصر ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وجود هذه الأعمدة على رواق القبلة فقط ،

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص١٤ ؛ ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٤ .
(٢) تاريخ الموصل ، ص ٢٤٠ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٣ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧١ .
(٤) الأخبار الطوال ، ص ٣٨٦ .
(٥) كتاب المناسك ، ص ٣٨٨ .

حيث يقول : والعمد التى فى البلاط (الرواق ، الظلة) القبلية بيض مجصصة شاطة[١] جدا ، وسائر عمد المسجد رخام . والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ".[٢] ومن هذا يتضح أن اسطوانات الرخام التى فى الضلات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية هى ما أضيف الى المسجد فى هذه العمارة . كما أن اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ ، قد ذكر استخدام اسطوانات الرخام فى عمارة المهدى هذه فقال : " انه حمل اليه عمد الرخام والفسيفساء والذهب "[٣] ، والواقع أن استخدام اسطوانات الرخام يتفق والطابع المميز لعمارة المهدى فى المسجد الحرام ، التى استخدمت فيها اسطوانات الرخام التى جاء عنها أنها " نقلت فى السفن من الشام حتى أنزلت بجدة على عجل من جدة الى مكة ".[٤]

هذا ويبدو أن تلبيس اسطوانات القبلة بالجص أو الجيار[٥] ، كما يسميه ابن جبير ، كان فى عمارة المهدى هذه ، وقد بولغ فى صقله حتى أشكل الأمر على ابن جبير ، فاعتبر اسطوانات المسجد كلها مؤلفة من قطع " ململمة مثقبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب الى أن تتصل عمودا قائما ، وتكسى بغلالة جيار ، ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض ".[٦] ويظهر من طريقة توزيع الشرافات على جدران المسجد

---

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب ، ج ٧ ص ٣٣٩ ان من معانى شاط الاستواء والنضوج ، ويقصد بها فى هذا النص مستوية البياض أو ناصعة البياض .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ص ٢٥٢ .
(٣) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٣٩٦ .
(٤) الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٧٦ .
(٥) ذكر ابن منظور فى المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٦ أن الرماد اذا اختلط بالنورة والجص كان الجيار .
(٦) رحلة ابن جبير ص ١٧١ ، وأنظر كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، لمجهول ، ص ٣٧ .

ما يدل على بقاء جدار رواق القبلة المطل على الصحن، على ما كان عليه في عهد الوليد ، اذ اقتصر الهدم على سقوف الظلات الجانبية . ويؤيد ذلك ما يذكره ابن رستة من أن " عدد شرفات المسجد مما يلي القبلة ثنتان وعشرون شرفة ومما يلي الشام ثمان وعشرون شرفة ، ومما يلي المشرق ثمان وأربعون شرفة ، ومما يلي المغرب خمس وأربعون شرفة "[(١)] . فاقتصار ضلع الصحن الجنوبي على اثنتين وعشرين شرفة ، بينما أنه يزيد في الطول على الضلع الشمالي المبني في عهد المهدي والذي به ثمان وعشرون شرفة ، دليل على اختلاف بناء الجدارين بالرغم من أن عدد العقود في كل منهما ١١ عقدا[(٢)] . وقد وصف كاتب مراكشي من القرن السادس هذه العقود بأنها " أقواس معقودة وجوهها منزلة بالفسيفساء[(٣)] على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار . والأعمدة التي الى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء المسجد[(٤)] ، وتلك الأقواس التي الى صحن المسجد مغلقة بشراجب[(٥)] الساج ".[(٦)] وأعيدت عقود الجدار الشمالي المطل على الصحن على ماكانت

---

(١) الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ .

(٢) أنظر رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، لمجهول ص ٣٥٠ ، الهروي : الارشادات الى معرفة الزيارات ، ص ٩١ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٨ ، وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول ، ص ٣٧ ، على أن ابن رستة : في الأعلاق النفيسة ص ٧٦ يذكر أن عدد العقود هو ١٢ قوسا ، ويبدو أنه خلط بين عدد الأعمدة وعدد الأقواس .

(٣) قال ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٢ ان جداري الصحن الشرقي والغربي مقرنصان ، فلعل المقصود هنا هو المقرنصات .

(٤) سقف المسجد .

(٥) قال دوزي في المعجم المضاف على القواميس العربية ، ج ١ ص ٧٤٢ ، انها دربزينات من الخشب المخروط .

(٦) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٣٧ .

عليه فى عهد الوليد ، ووصلت بما اقتطع من الجدارين الشرقى والغربى بحيث أن أحدا من المؤرخين لم يلاحظ فوارق البناء التى أعيدت بدقة كبيرة. ويغلب على الظن أن ارتفاع السقف لم يزد عما كان عليه فى عهد الوليد (١).

واذا كان قد اتضح الدليل على انكشاف سقف المجنبتين الشرقية والغربية فى هذه العمارة ، فان ما استحدثه المهدى من أبواب ، عدّها بعض المؤرخين عشرين بابا ، فتحت فى الجدار الشرقى والشمالى والغربى قد ساعدت هى الأخرى فى كشف سقف المجنبتين . وهو ما أشار اليه ابن المحجوب بقوله : " ثم شيد أساطينه وأقواس مجنباته وجدد سقفها " (٢). وقد اختلف المؤرخون فى عدد الأبواب (٣)، بيد أنه لا يصح نسبتها الى عمارة المهدى دون تثبت. فالسمهودى يقول : " لم يذكر ابن زبالة ولا يحيى ولا رزين ما زاده الوليد من الأبواب ولا ما زاده المهدى حين زاد فى المسجد ، الا أن ابن النجار قال : وأما أبواب المسجد فكانت بعد زيادة المهدى فيه ، وذكر تسعة عشر بابا غير باب خوخة أبى بكر رضى الله عنه " (٤). ثم ذكر أن المطرى وتبعه المراغى والفيروزبادى (٥) ذكروا أحداث

---

(١) أنظر أعلاه ص ١١٨ ، ١٤٦ وقد ذكر ابن النجار فى الدرة الثمينة ، ص١٠٨ أن ارتفاع سقف المسجد فى عهد المهدى خمسة وعشرين ذراعا .

(٢) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ أ .

(٣) عدها ابن النجار وابن جبير تسعة عشر بابا ، وهى عشرون بابا عند ابن اسحاق فى كتاب المناسك وكذلك عند كل من صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، ص ٢٥٠ ، وصاحب كتاب الاستبصار ، ص ٤١ . أما ابن رستة فى الأعلاق النفيسة ، ص ٧٧ فقد عدها اثنين وعشرون بابا وهذا الاختلاف الذى يتراوح بين ١٩ وبين ٢٢ بابا يمكن تأويله بأن من عدها تسعة عشر أهمل ذكر خوخة الصديق ومن عدها عشرين أضافها ومن عدها اثنين وعشرين أضاف باب المقصورة وباب خوخة آل عمر .

(٤) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٦ .

(٥) وتبعهم الاسفرائينى والعباسى . أنظر زبدة الأعمال ص ٨٥ ، وعمدة الأخبار ص ١٠٩ وما بعدها .

الوليد لهذه الأبواب ، وقد اعتبر السمهودى " هذا وهم ، لأن المنقول فى هذه الأبواب أنها انما كانت فى زيادة المهدى ".[(١)] ومما يؤيد نسبة بعض هذه الأبواب الى المهدى دون الوليد أن أحدها وهو باب زياد الواقع فى الجدار الغربى بين خوخة أبى بكر رضى الله عنه وبين باب الرحمة لم يفتح الا فى ولاية زياد بن عبد الله الحارثى على مكة والمدينة والطائف سنة ١٣٨ هـ ،[(٢)] وانه أول من جعل " الستور على الأبواب الأربعة : باب مروان أى المعروف بباب السلام ، والخوخة أى المجعولة فى محاذاة خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وباب زياد أى المذكور ، وباب السوق أى وهو باب الرحمة كما يؤخذ من كلام يحيى "[(٣)] وهذه الأبواب تتفق وما ذكره كاتب مراكشى من القرن السادس الهجرى عشرون بابا " منها فى الجانب الشرقى ٧ أبواب مربعة بمصاريع مشرجبة ، وفى الجانب الغربى كذلك منها باب صغير بدفة ،[(٤)] وهو قوس ليس للمسجد باب بقوس غيره ، وفى الجانب الجوفى ٤ أبواب أيضا كبار ، وباب فى القبلة ، وباب تحت المقصورة " ،[(٥)] أى باب خوخة آل عمر . وقد أسقط مما ذكره ابن النجار والسمهودى بابين أحدهما فى الجانب الشرقى والآخر فى الجانب الغربى ، ولعلهما سدا فى زمنه ولذلك لم يذكرهما .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٦ .

(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٤ ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٠٠ . وعن ولاية زياد بن عبد الله الحارثى ، أنظر العقد الثمين جـ ٤ ص ٤٥٤ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٨٩ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٠٠ .

(٤) مصراع واحد .

(٥) كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٤٠ - ٤١ .

وقد حاولت من خلال تتبعى لما ذكره ابن اسحاق الحربى وابن النجار والسمهودى عن هذه الأبواب (١) أن أبين مواقعها فى الشكل رقم (٤٦) ،على أن المسافات فيما بينها تقديرية لعدم وجود مصادر يعتمد عليها فيها ، ويؤخذ مما ذكره أبو عبيد البكرى عن تركيب المقتدر العباسى سنة ٣١٠ هـ أبواب الساج على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المداخل التى كانت فى عهد المهدى لم يكن بها أبواب حتى استحدثها المقتدر سنة ٣١٠ هـ (٢) .

... ...

---

(١) كتاب المناسك ، ص ٣٨٩ - ٣٩٥ ، الدرة الثمينة ، ص ١٠٩ ، التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣١ - ٣٣ تحقيق النصرة ، ص ٧٥ - ٨٠ ، وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٦ - ٧٠٦ .

(٢) جزيرة العرب (من كتاب الممالك والمسالك) ، ص ٨٦ .

٣ - مقدار زيادة المهـــدى

أختلف فى هذه الزيادة اختلافا كبيرا ، كما هى العادة فى جميـــع زيادات المسجد ، وأغلب الروايات تتفق على أنها كانت مائة ذراع فـــى الشمال فقط .(١) وقد قدر مكتب التوسعة السعودية هذه الزيادة بــــــ ٢٤٥٠ م٢ .(٢) ويذكر السمهودى أنه أدرك فى المسقف الشرقى " اسطوانـة هى التاسعة من جدار المسجد الشامى مربع أسفلها مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة وهى محاذية لما وصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليـــد(٣)، الذى كان منقوشا عليه وعلى الباب الذى بعده فى الشمال " زيادة المهدى(٤)". ثم قال السمهودى بعد أن ذكر ما رواه يحيى من طريق ابن زبالة منـــن أن المهدى زاد مؤخر المسجد مائة ذراع(٥) ، "فان صحت هذه الرواية فهـــى علامة على ابتداء زيادة المهدى"(٦). ولكن هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها للأسباب التالية :

١ - ان السمهودى نفسه شك فى صحتها لأنها تناقض الاجماع الذى عليـــه غالبية المؤرخين بأن الوليد زاد فى مؤخر المسجد أربعين ذراعــــا ،

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٧٣ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٢ ، ابن النجار: الدرة الثمينة ، ص ١٠٤ ، الفيروزبادى :المغانم المطابة ، ورقة ٨٨ أ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٣٧ .

(٢) ابراهيم الشورى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين جـ ١ ص ٤٣ .

(٣) ، (٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٣٧ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٣٨ .

فبلغ طول المسجد فى عهده مائتى ذراع .(١)

٢ - ان مربع أسفل الاسطوانة التى شاهدها السمهودى ، يرجع الى عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ . وقد ربعت من أسفلها آنذاك بناءا على احدى الروايات المذكورة فى حدود المسجد النبوى .

٣ - ان الخلاف بين المؤرخين فى تحديد زيادة المهدى ينحصر فيما ذكره المؤرخان الأولان للمدينة وهما : ابن زبالة المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، ويحيى بن حسين المتوفى سنة ٢٧٧ هـ ، اللذان أوردا روايات مختلفة عن مقدار زيادة الوليد ومقدار زيادة المهدى .(٢)

٤ - ان مكتب التوسعة السعودية قدر هذه الزيادة بـ ٢٤٥٠م٢ أى أنها تزيد بعض الشوء عن زيادة الوليد التى قدرت هى الأخرى بـ ٢٣٦٩م٢ .

٥ - ان ما اعتمد عليه السمهودى من نقش كان على الباب المقابل لدار خالد بن الوليد ، وهو الباب الثالث فى الجدار الشرقى مما يلى الشمال ، يمكن الاعتراض عليه فى أن جدران المسجد ، التى أعيد بناؤها فى عهد المهدى ، اتصلت ببناء الجدران القديمة عند فتح

---

(١) ذكر السمهودى : فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٧ ، أن ما رواه يحيى عن ابن زبالة ، من أن المهدى زاد " فى مؤخر المسجد مائة ذراع ، يخالفه ما تقدم فى زيادة الوليد أنه جعل طوله مائتى ذراع ، لأنه يقتضى أن يكون طول المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع ، وطول المسجد اليوم على ما صرح به ابن زبالة مائتا ذراع وأربعون ذراعا ، وقد اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعا " . ويغلب على الظن أن الاسطوانات فيما زاده المهدى لم تحافظ على البعد التقليدى لما بين الاسطوانات فى العمائر السابقة .

(٢) أنظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ الفصل السادس عشر ، الثامن عشر .

هذا الباب والذى يليه ، لأن من المعروف أن هدم جدار مبنى بالحجارة بارتفاع عشرين أو خمسة وعشرين ذراعا ، لا يمكن أن يحدث بشكل عمودى دون تعدى الحد المطلوب هدمه بأذرع عديدة ، وعلى ذلك فبان زيادة المهدى التى حددها ابن النجار ، الذى كتب تاريخه فى المدينة المنورة معتمدا على ذاكرته (١)، وعلى ما وجده من نقوش فى جدران المسجد النبوى ، بمائة ذراع يعارضها كما يقول المطرى (٢): ما وافق فيه رزين من أن طول المسجد بعد عمارة عمر رضى الله عنه مائة وأربعين ذراعا ، ومائة وستين ذراعا فى عهد عثمان رضى الله عنه (٣).

كما أن ابن النجار قد صرح فى موضع آخر بأن طول المسجد بعد عمارة الوليد من الشمال الى الجنوب مائتى ذراع (٤). وكان طوله فى عهده كما ذرعه بنفسه ١٧٠ ذراعا (٥)، وكما ذرعه السمهودى بنفسه ٢٥٣ ذراعا (٦). فاذا استبعدنا زيادة الوليد المقدرة بمائتين ، فان الثلاثة والخمسين الباقية هى زيادة المهدى.

---

(١) الدرة الثمينة ، ص ١٠ .

(٢) قال السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٦٢ وما بعدها . أن رزين بن معاوية العبدرى السرقطى توفى سنة ٥٣٥ هـ جاور بمكة والمدينة وألف فيهما كتابان آخرهما يعرف " بأخبار المدينة ".

(٣) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٨٢.

(٤) الدرة الثمينة ، ص ١٠٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٠٨ .

(٦) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٤.

وكما ذرع السمهودى طول المسجد ، فقد ذرع عرضه أيضا من مقدمه ومؤخره ، " فكان عرضه من مقدمه فى القبلة مائة ذراع وسبعة وستين ذراعا ونصفا ، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين ونصفا ، وذلك لاختلاف الأذرعة أو لرخاوة الحبل الذى وقع القياس به ، ونحو ذلك ، وكان عرضه من مؤخره فى الشام مائة وخمسة وثلاثين ذراعا ، فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع ".(١) أنظر الجدول المرفق شكل (٤٧).

واذا كان مقدم المسجد قد احتفظ ببلاطاته الخمس كما هى فى عمارة الوليد فان عدد الاسطوانات التى كانت به غير التى فى الطيقان " ثمان وستون اسطوانة منها فى القبر صلى الله على ساكنه وسلم أربع وفى الشام مثلها ".(٢) وكانت كما ذكر ابن عبد ربه من حجر ملبسه بالجبس بخلاف اسطوانات الرخام المنتشرة فى بقية المسجد.(٣) وكانت تشرف على الصحن بأحد عشر عقدا. ويقدم لنا ابن جبير وصفا شاملا لأروقة المسجد وبلاطاته ، اذ يقول : المسجد المبارك مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به. ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ، فالجهة القبلية منها لها خمسة بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق ، والجهة الجوفية الغربية لها أربعة (هكذا) بلاطات ".(٤) وقد أعيدت عقود الجدار الشمالى المطل على الصحن مساوية لعقود الجدار الجنوبى الذى كان به

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٨٩ ، ٦٨٤.
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٨ ، القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٧.
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٧ ص ٢٥٢.
(٤) رحلة ابن جبير ، ص ١٦٨ ، وأنظر كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، لمجهول ، ص ٣٧.

أحد عشر عقدا ، أما الجداران الشرقي والغربي فكان بكل منهما " تسع عشرة طاقة ".(١) ويذكر ابن النجار أن اسطوانات الظلة الشمالية ٦٨ اسطوانة كما هي في رواق القبلة ، وفي الشرق " أربعون منها اثنتان في الحجرة وفي الغرب ستون اسطوانا ، وبين كل اسطوانين تسعة أذرع ".(٢) وباضافة أسطوانات العقود المطلة على الصحن من جوانبه الأربعة ، الى ما ورد في رواية ابن النجار السابقة لا تتضح أن عدد اسطوانات المسجد ٢٩٦ اسطوانة.(٣) وتوزيعها على أروقة المسجد موافق لما ذكره عفيف الدين القرطبي الذي قال : " وأما الأساطين غير التي في الطيقان ففي القبلة ثمانية وستون ، منها في القبر المقدس أربعة (هكذا) ، وفي الشام مثلها (وفي) المشرق

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٨ ، كتاب الاستبصار ، ص ٣٧ ، وقد اختلف المؤرخون في عدد العقود المطلة على الصحن من جهاته الأربع. فخالف ابن رستة غيره في عدد العقود المشرفة على الصحن من الجهة الشمالية والجنوبية وقال انها ١٢ عقدا بينما اتفق مع ابن النجار والهروى في أن عدد العقود الشرقية ١٩ عقدا . وخالفهما صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، اذ اعتبر عقود الجدار الشرقي والغربي ١٨ عقدا . وقد أحس صاحب كتاب الاستبصار بهذا الاختلاف فلم يتعرض له . ويبدو ان هذا الاختلاف يرجع الى اللبس بين عدد الاسطوانات وعدد العقود . فان الاسطوانات تزيد على العقود باسطوانة واحدة في كل جانب.

(٢) ابن النجار ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) اختلف في عدد اسطوانات المسجد ، فابن اسحاق في كتاب المناسك ص ٣٨٣ يعدها ٢٩٧ اسطوانة وابن رستة في الأعلاق النفيسة ص ٧٦ يعدها ٢٩٦ اسطوانة ، وصاحب رسالة وصف مكة والمدينة ص ٢٥ يعدها ٢٧٦ عمودا ، وتبعه صاحب كتاب الاستبصار الذي نقل في ص ٣٧ الرقم المغلوط ، ومع أن صحة العدد هو ٢٩٦ اسطوانة . واهمال عشرين اسطوانة غير معقول اطلاقا . أما ابن جبير فعدها ٢٩٠ اسطوانة (=)

أربعون ، منها اثنتان فى الحجرة المعظمة وفى الغرب ستون". [١]

هذا عن اسطوانات المسجد وأروقته وبلاطاته وبوائكه ، أنظر شكل (٤٦)

أما مناراته ، فلم يبق مما كان فى عهد الوليد من المنارات التى وصفها ابن زبالة بأنها تتراوح فى الطول بين " ثلاثة وخمسين ذراعا ، وخمسة وخمسين ذراعا ، وعرضها ثمانية أذرع فى مثلها" [٢] ، الا المنارة التى فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة والتى لم تمتد اليها توسعة المهدى . وقد استبدلت المنارتان الشاميتان بمنارتين صغيرتين " على هيئة برجين " [٣] أما المنارة التى فى مقدم المسجد فهى كما يقول ابن جبير " على هيئة الصوامع " [٤] ، وهى المنارة الوحيدة التى ثبت وجودها فى مقدم المسجد فى عمارة الوليد [٥] ، وكان طولها كما ذرعها ابن زبالة خمسة وخمسون ذراعا .

. . ..

(*) ويبدو أنه هو أيضا قد أهمل عد الاسطوانات التى كانت داخل الحجرة الشريفة آنذاك وهى ست ، ولذلك فان عده لما هو ظاهر من الاسطوانات يعتبر صحيحا .

(١) بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن اسحاق ، كتاب المناسك ص ٣٨٣ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٨ .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٧٣ .

(٥) أنظر أعلاه ، منارات المسجد النبوى فى عمارة الوليد ، ص ١٢٦ ومابعدها

٤ ـ نقوش المسجد النبوى وزخرفتـــه

استخدمت الفسيفساء فى زخرفة المسجد النبوى فى هذه العمـارة [(١)]، وكانت تحلى " جدران المسجد وأقواسه " [(٢)]. ويذكر السمهودى انه " يؤخذ مما ذكره ابن زبالة من الكتابة على أبواب المسجد فى زمن المهدى ، أنه زخرفة بالفسيفساء كما فعل الوليد ، ويشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت فيما زاده من مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية وفيما يقرب منها مــن الحائط الغربى " [(٣)]. ولم يقتصر فى زخرفة المسجد الشريف على الفسيفســاء وانما استخدمت فيه أيضا ألواح الرخام [(٤)]، التى أبدع فى وضعها وأن لـم تأت مشابهة لجدار القبلة ، التى يقول عنها ابن جبير ان " الصنعة فـى جدار القبلة أحفل " [(٥)]. ويذكر أيضا أن الجدار الشمالى المطل على الصحن مشابها فى الزخرفة " للجدار الناظر الى الصحن من جهة القبلة كذلك " [(٦)].

أما الجداران الشرقى والغربى فهما " مجردان أبيضان ومقرنصان قـد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة " [(٧)]، ويبدو أن خلوهما من الفسيفساء فى عهد ابن جبير كان نتيجة ترميمات وتجديدات لهذين الجدارين ، بدليل وجود نقش للمعتضد العباسى على أحدهما [(٨)]. وكما أبقى على سقف مقـدم

---

(١) تاريخ اليعقوبى ، ص ٣٩٦ .
(٢) ابن المجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .
(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٤٠ .
(٤) اليعقوبى : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ .
(٥) ، (٦) ، (٧) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ .
(٨) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٤ .

المسجد من الساج فى عهد الوليد ، الذى بيد و من وصف ابن عبد ربه له انه كان على هيئة جميلة ، فقد كانت بقية الأسقف فى عمارة المهدى "بالخشب الرفيعة المدهونة "[١] التى روعى فيها أن تكون مشابهة لأسقف المسجد النبوى فى عهد الوليد ، والتى كانت مؤلفة من سقفين[٢].

ولقد بقيت زخارف مقدم المسجد ونقوشه الكتابية التى تخلو من اسم الوليد ابن عبد الملك على حالها فى عمارة المهدى للمسجد النبوى سنة ١٦٤ هـ ، ولذلك فان الوصف الذى أورده ابن عبد ربه لمقدم المسجد، وما به من أنواع الرخام وأشرطة كتابية وزخرفية ، يعتبر فى الحقيقة وصفا لحالة المسجد فى عمارة الوليد[٣]. بيد أن العداء السياسى امتد أيضا الى بعض نقوش المسجد الكتابية بالتعديل والتغيير من أول خلافة بنى العباس ، اذ من النقوش ما أقحم فيه اسم السفاح والمنصور بدلا من اسم الوليد بن عبد الملك.

وكان المهدى يسوؤه جدا أن يرى بقية لاسم الوليد فى المسجد النبوى كما ذكر المقريزى[٤]. ومن النقوش ما يصرح بتاريخ عمارة المهدى ويقع فى الجزء

---

(١) ابن المحجوب: قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٧ ب .
(٢) ذكر الأزرقى فى أخبار مكة ، جـ ٢ ص ٩٧ صفة سقوف المسجد الحرام بعد عمارة المهدى له فقال : "وللمسجد الحرام سقفان أحدهما فوق الآخر، فأما الأعلى منهما فمسقف بالدوم اليمانى ، وأما الأسفل فمسقف بالساج والسيلح الجيد وبين السقفين فرجة قدر ذراعين ونصف ، والسقف الساج مزخرف بالذهب ، مكتوب فى دوارات من خشب ، فيه قوارع القرآن وغير ذلك من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء للمهدى" ولا شك أن سقوف المسجد النبوى كانت كذلك أيضا . أما خشب السيلح المذكور فى نص الأزرقى فلم أجد من عرفه أو أشار الى الموضع الذى ينمو فيه .
(٣) العقد الفريد ، جـ ٧ ص ٢٥٢ .
(٤) أنظر أعلاه الحاشية رقم ٢ من ص ١٣٩ .

الذى لم تمتد اليه هذه العمارة ، فقد ذكر ابن اسحاق الحربى أن علـى الباب الذى عند دار مروان (المعروف بباب السلام) من الداخل منقوش.

بسم الله الرحمن الرحيم ان الله وملائكته يصلون على النبى ، ، ، ، أمر بعمل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، سنة ستين ومائة ، كرامة من الله ، أكرم بهـا خليفته ، وذخيرة أذخرها له ، من كان قبله ، ونافلة نفلـه اياها على من بعده ، فالحمد لله الذى ولى أمير المؤمنين بعد غيره ، وأكرمه بنصر ملته ونشر سنته وتطهيره ، وأعظم الله لأمير المؤمنين أجره وكثر حسناته (١).

وعلى الرغم من أن هذا النص يسجل التاريخ الذى بدأت فيه عمـارة المهدى وهو سنة ١٦٠ هـ ، الا أنه لم يصرح باسم المهدى ، وانما اكتفى بذكر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، وهو اسم لم يتسم به كما يقول سوفاجيه الا السفاح والمنصور (٢). وعلى هذا فان النص المذكور قد حرف على ما يبدو مرتين : مرة فى عهد السفاح أو المنصور ، وأخرى فى عهد المهدى ، وقد اكتفى فى هذه المرة بتغيير السنة فقط ، والابقاء على عبد الله عبد اللـه الذى لا يمكن أن يكون المقصود به المهدى الذى يدعى محمد بن عبد الله . ومما سهل التغيير ، كتابة النصوص بمكعبات الفسيفساء التى يمكن بسهولـة نزع الاسم المراد استبداله بآخر مساوى له فى الحجم (٣). ومن المهم ونحـن نتحدث عن نقوش المسجد وزخرفته أن نذكر ماكان فى المسجد من نصـوص كتابية نقلها لنا بعض المؤرخين القدامى . بيد أنه يلاحظ أن السمهـودى

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٤.
(٢) المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٥٨.
(٣) سوفاجيه ، نفس المرجع ، ص ٦٥.

الذى يعتبر فى الحقيقة مؤرخ المدينة حسا ومعنى ، كما يقول السخاوى (١) ، قد أهمل نقلها لأنها أزيلت من المسجد فى عهده بسبب الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ ، فلم ير ضرورة لنقلها (٢) . ويرجع بعض هذه النصوص الى الوليد بن عبد الملك مع بعض تغيير وتبديل فى اسمه وهى كما يلى :

أ - نقوش صحن المسجد :

تحتل الكتابات التى حول الصحن على ما ذكره ابن رستة الجزء الضيق الذى ينحصر فوق الطاقات ودون الشرفات (٣) . ويبدو من ضيق المساحة التى تشغلها وكثرة هذه النصوص أنها كانت على شكل أشرطة كتابية تدور حول صحن المسجد (٤) ، وقد رأى سوفاجيه أنها خمسة نصوص رمز اليها بالحروف أ ، ب ، جـ ، د ، هـ شكل (٤٨) . ويذكر أن النص الذى يحتل واجهة الصحن الشرقى قد رمز اليه بحرف أ ، هو نص أموى محرف (٥) . وقد أورده ابن اسحاق الحربى نقلا عن يحيى

---

(١) التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٢١ .
(٢) وفاء الوفاء ، جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(٣) الأعلاق النفيسة ، ص ٧٣ .
(٤) ذكر ابراهيم جمعة فى تطور الكتابات الكوفية ، ص ٧٧ ، أنواع الخط التذكارى فقال : انها تشمل أولا : النقوش الكبيرة على العمائر ، وهى أفاريز خطية أو أشرطة تحلى الحيطان أو بواطن العقود ، أو رقاب القباب ، أو تدور حول المحاريب والمشاهد وأبدان المآذن ، محفورة فى مواد صلبة أهمها الحجر والجص والخشب وغالبها آيات قرآنية وعبارات دعائية أو تأسيسية . ثانيا : النقوش التأسيسية التى تؤرخ لاقامة أثر أو تشير الى تجديده ، وكلها عادة منقورة فى الحجر أو الرخام ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الكتابات ظلت حتى أواخر العصر الأيوبى تكتب بالخط الكوفى . . . " .
(٥) المسجد الاموى فى المدينة ، ص ٦٢ - ٦٤ .

بن حسين كما ذكرت من قبل (١).

ويلى هذا النص فى الجدار الشرقى للصحن نقش للمهدى بتاريخ سنة ١٦٢ هـ رمز اليه سوفاجيه بحرف (ب) ونصه كما أورده ابن اسحاق الحربى كمايلى :

" أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه واحكام عطه ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، فأحسن الله ثوابه بأحسن الثواب ، والتوسعة لمن صلى فيه (٢) أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسن نية فى ذلك وأحسن ثوابه (٣) ".

ويلى هذا النص بالقرب من مؤخر المسجد نص متأخر عن عمارة المهدى يعود الى أيام المعتضد بالله العباسى ، وقد رمز اليه سوفاجيه بحرف (جـ) ونصه :

" أمر أبو العباس الامام المعتضد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بتجديد عمارته فى سنة ٢٨٢ هـ " (٤).

وموضعه من المسجد " يدعو الى الاعتقاد بأنه حل مكان جزء من نقش أقدم بسبب أحد التجديدات " (٥).

---

(١) أنظر نقوش المسجد النبوى فى عهد الوليد ص ١٣٤ وما بعدها .
(٢) يبدو أن هنا نقص بالنص يمكن أن يكون (من) .
(٣) كتاب المناسك ، ص ٣٨٧ ، وأنظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٣ وسوفاجيه : المسجد الاموى فى المدينة ص ٥٦ .
(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٧٤ ، سوفاجيه : المرجع السابق ص ٥٧ .
(٥) سوفاجيه : نفس المرجع ، ص ٥٨ ، ويذكر فى نفس الصفحة " أن ابن النجار ، الذى نقل هو أيضا نقوش الصحن كما قرأها على الجدار ، أهمل هذه الوثيقة التى باسم المعتضد ، وبما أن هذا النص يقطع التتابع المنطقى للنصوص ، فانه يظن أنه لم يتبع (ب) مباشرة على البناء وانما فوق النص أو تحته على نفس الجدار الذى يسجل اعادة بنائه والذى جعله ابن رسته بين (ب) ، (د) .

وفى مؤخر المسجد على الجدار الذى يقابل مُقدمه نقش رمز اليه سوفاجيه بحرف (د) ، وهو يعتقد أنه يحتل كامل الجدار الشمالى وجزءا من الجدار الغربى ،(١) ونصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم - ثم أم القرآن كلها ، ثم على أثرها - انما يعمر مساجد الله - الآية بكاملها ، ثم ، وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمله فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة ، وأمير المؤمنين - أصلحه الله ، يحمد الله على ما أذن له ، وما اختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه ، وتوسعته ، حمدا كثيرا ونحمد الله رب العالمين على كل حال ".(٢)

وعلى أثر هذا النص فى آخر الجدار الغربى مما يلى القبلة نص رمز اليه سوفاجيه بحرف(هـ) وذكر أن تاريخه يعود الى سنة ١٦٢هـ معتمدا فى ذلك على ابن رسته . وقد ناقش الخلاف بين تاريخ النص الذى يوافق عمارة المهدى وبين اسم عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين الذى أورده ابن رسته ، والذى " لا يمكن بأية حال أن يختلط باسم المهدى ".(٣) على أن صحة التاريخ الذى أخطأ فى نقله ابن رستة هو سنة ١٣٢ هـ كما أورده ابن اسحاق الحربى اذ يقول " ثم الى جنب

---

(١) أنظر خارطة توزيع النقوش على جدار الصحن ، شكل (٤٨).

(٢) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٨ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ ، سوفاجيه : المسجد الأموى فى المدينة ، ص ٥٨ .

(٣) سوفاجيه : نفس المرجع ص ٥٨ .

هذا الكتاب كتب فى ولاية أبى العباس ، وصل هذا الكتاب اليه (١) ، وهو :

" أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وترتيبه وتوسعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ابتغاء رضوان الله وثواب الله ، وأن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة . وكان الله سميعا بصيرا " (٢) .

وبهذا النص تكون نقوش الصحن قد اتضحت وتحددت أماكنها .

ب - نقوش مقدم المسجد :

بقيت نقوش جدار القبلة على حالها الأول تحلى جدار القبلة من حذاء يمين الداخل الى المسجد من الباب الذى يلى دار مروان حتى ينتهى الى باب على (٣) وكانت تبدأ :

" بأم القرآن حتى ختمها ، والشمس وضحاها الى خاتمة قل أعوذ برب الناس " (٤) .

وقد خلا هذا الجدار من الكتابات التذكارية الأموية ، فترك بنو العباس النقوش القرآنية على حالها .

---

(١) يقصد أن آخر النقش المذكور قد اتصل بأول النقش الأول الذى يعود الى السفاح .

(٢) كتاب المناسك لابن اسحاق ، ص ٣٨٨ ، وأنظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٦ .

(٣) ، (٤) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٨٥ ، وأنظر رسالة فى وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، لمجهول من القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٥١ وأنظر أيضا كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، لمجهول من القرن السادس الهجرى ، ص ٤٠ .

جـ - نقوش الجدار الشرقي من المسجد :

كانت تحلى هذا الجدار النقوش ابتداء من أوله مما يلى الحجرة الشريفة ، ولا غنى عن الاعتماد فيها على ابن اسحاق الحربى ، وابن رسته . فقد ذكر ابن اسحاق الحربى أول هذه النصوص اذ يقول : " وفى الزاوية الشرقية فى جوف المسجد مكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ان عبدك وخليفتك عبد الله بن أمير المؤمنين يحمدك على ما أذنت له فى عمارة هذا المسجد وتزيينه ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه ، وتوسعة مسجد رسول الله صلى الله عليه سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ابتغاء رضوان الله وثوابه ، وكرامة الله فان الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، تبارك الله تعالى ، ثم تبارك الله وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم "(١).

وبين باب النبى وباب عثمان نقش يعود الى هارون الرشيد الذى أصلح المسجد عند ميله من هذه الناحية فى ولاية محمد بن عبد الله بن سليمان الربعى للمدينة سنة ١٧٣ هـ(٢)، وهو " مكتوب فى صفحة الجدار بالفسيفسا " ونصه :

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٨٩ . وهذا النص مما لم يطلع عليه سوفاجيه ، ذلك لأن ابن اسحاق الذى انفرد بذكره ، ليس من مصادره . ويبدو أنه نص أموى محرف . لأن التاريخ الذى يشيد به النص وهو سنة ١٣٣ هـ يقع فى خلافة السفاح الذى لم يتعرض - بناء على ما اطلعت عليه من مصادر لعمارة المسجد النبوى بأى حال من الأحوال.

(٢) ابن اسحاق : المصدر السابق ص ٣٧٢ ، السمهودى : وفاء الوفا ص ٦٨٤ .

" مما أمر به عبد الله ، عبد الله هارون أمير المؤمنين أطال اللـه بقاه على يدى ابراهيم بن محمد أصلحه الله ، عمل أهل بيـــــت المقدس" (١) .

وعلى يسار طاقة باب النبي صلى الله عليه وسلم :

" هذا ما انتهى (٢) عمل أهل بيت المقدس" (٣) .

" وفى القبلة من خارج ، فى موضع الجنائز ، حيث يصلى على الموتى عند باب على بن أبى طالب رضى الله عنه " منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صلى على محمد صلى الله عليه ورحمة الله وبركاته " (٤) .

وعن يمين باب عثمان منقوش :

" عمل أهل حمص " (٥) .

وعن يساره منقوش أيضا :

" عمل أهل حمص " (٦) .

وعلى باب عثمان من الخارج منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم - الى آخر السورة " (٧) .

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٨٩ ، وأنظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٧٤ .
(٢) يبدو أن هنا نقص لعله (اليه) .
(٣) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .
(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ابن اسحاق : المصدر السابق ص ٣٩٠ .

وعلى الباب المستقبل لباب دار ريطة [١]، من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم - الى - سميع عليم " [٢].

وعلى الباب المستقبل لدار ريطة من خارج :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله - الآية " [٣].

وعلى الباب المستقبل باب أسماء بنت الحسن من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما - الى آخر السورة " [٤].

وعليه من الخارج منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا " [٥].

وعلى الباب المقابل لدار خالد بن الوليد [٦] من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم. والهكم اله واحد - الآيتان " [٧].

وعلى أثرها :

" واذا سألك عبادى عنى . الآية " [٨].

وعليه من خارج منقوش :

" وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . الآية " [٩]

وفى حاف الباب منقوش من الداخل :

" اللهم صلى على محمد النبي صلى الله عليه ، مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين وستين ومائة [١٠].

---

(١) هى ريطة بنت أبى العباس السفاح ، أنظر السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٩١.

(٢) ، (٣) ، (٤) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٠.

(٥) نفس المصدر ص ٣٩١.

(٦) ، (٧) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧٢٣.

(٨) ، (٩) ، (١٠) ابن اسحاق : المصدر السابق ص ٣٩١.

ومنقوش أيضا :

" مبتدى زيادة المهدى فى المسجد ".(١)

وعلى الباب المستقبل زقاق المناصع من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض - الآيتان ".(٢)

وعليه من خارج : منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم، الهاكم التكاثر - الى آخر السورة ".(٣)

وعلى الباب مما يلى الصوافى من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، أول آل عمران الى قوله : كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ".(٤)

وعليه من الخارج منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات والأرض - الآيتان ".(٥)

د - نقوش جدار مؤخر المسجد :

كان على هذا الجدار نقوش عديدة غالبها آيات قرآنية كريمة ، وأولها ما كان على الباب الأول مما يلى المشرق من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا - الى آخر السورة ".(٦)

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩١ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٨٤.

(٢) ، (٣) ، (٤) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩١.

(٥) ، (٦) نفس المصدر ص ٣٩١.

ومن خارج الباب منقوش :

" الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة - الآية - اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك ، امام المتقين وخاتم النبيين ".(١)

وفى الباب الثانى مكتوب عليه من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ، الى منتهى ثلاث آيات ".(٢)

وعليه من خارج :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وأجزه خير ما تجزى النبيين ، وافضل ما تعطى المرسلين ، أمر بعمارة هذا المسجد وأن يبنيه ويوسعه عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ".(٣)

وفى الباب الثالث من الداخل منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، قد أفلح المؤمنون - الى - هم الوارثون".(٤)

وعليه من خارج :

" لا اله الا هو الحى الذى لا يموت وسبحان الله وتعالى عما يشركون علوا كبيرا ، هو الذى لم يتخذ ولدا وهو العلى الكبير".(٥)

وفى الباب الرابع من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون - الى - وتعالى عما يشركون".(٦)

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩١ .
(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ابن اسحاق : نفس المصدر ص ٣٩٢ .

وعليه من الخارج :

" الله العزيز الحكيم ، أذن بنعمته وفضله لعبد الله وخليفته المهدى محمد أمير المؤمنين ، بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه ، وتوسيعه وتزيينه ، فأعظم الله أجره وأتم عليه نعمته ، وهناه كرامته وأعز نصره ". (١)

هـ - نقوش الجدار الغربي من المسجد :

كانت تحلى هذا الجدار من الداخل نقوش عدة ، وأولها ماكان على الباب الأول مما يلى مؤخر المسجد وعليه من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ان فى خلق السموات والأرض - الى - لا يخلف الميعاد ". (٢)

وفى نجاف الباب من داخل المسجد :

" اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ، عمل أهل البصرة ". (٣)

وعليه من الخارج :

" القارعة الى آخرها ". (٤)

وعلى الباب الثانى الذى يستقبل دار منيرة (٥) منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول الله - الى خاتمة السورة ". (٦)

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ابن اسحاق : كتاب المناسك ، ص ٣٩٢ .

(٥) قال السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٧٢٦ انها منيرة مولاة أم موسى .

(٦) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

وعليه من خارج الجدار :

" ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم"[(١)].

وعلى الباب الثالث الذى يستقبل دار نصير صاحب الموصل من الداخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كم لبثتم فى الأرض عدد سنين - الى خاتمة السورة - اللهم صل على محمد عبدك ونبيك "[(٢)].

وعليه من الخارج :

" الحمد لله الذى صدقنا وعده - الآيتان"[(٣)].

وعلى الباب الرابع من أبواب هذا الجانب الذى يستقبل دار جعفر بن يحى من داخل المسجد :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا - الآية - اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من أنبيائك ورسلك ، اللهم أبعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه عليه الأولون والآخرون ، كما بلغ رسالاتك ، ونصح لعبادك ، وتلا آياتك "[(٤)].

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٣ ، بيد أن هذا جزء من الآية رقم ٥٣ من سورة الزمر ويبدو أنها كانت مكتوبة كلها نظرا لما ذكر من أنها منقوشة فوق الباب من الخارج ونصها " قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم".

(٢) ، (٣) ، (٤) ابن اسحاق : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

وفى أسفل الطاق (١) منقوش :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ان ربكم الذى - الى - رب العالمين صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته " . (٢)

وعليه من الخارج :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم نشرح لك صدرك الى آخرها " . (٣)

وعلى باب عاتكة من داخل :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، آمن الرسول - الى خاتمة السورة " . (٤)

وعلى الطاق الذى على باب عاتكة :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم - الايتان - وقل هو الله أحد الى آخرها - وصلى الله على محمد النبى ، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته " . (٥)

وعليه من خارج :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ان الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وايتاء ذى القربى - الآية - أمر عبد الله ، عبد الله ، أمير المؤمنين بعمل هذا المسجد " . (٦)

---

(١) عن الطاق ، أنظر أدناه ص ٥٠ الحاشية رقم ٣ .
(٢) ، (٣) ، (٤) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٣ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٩٤ .
(٦) نفس المصدر، ص ٣٩٤ ، بما أن هذا النقش على الأجزاء التى لم تمتد اليها عمارة المهدى فان الظن يذهب الى أنه أموى محرف ، استبدل فيه اسم الوليد ، باسم عبد الله الذى يمكن أن يكون المقصود به المنصور، لأنه اهتم بعمارة رحبة القضاء وفتح لها باب من هذا الجانب .

٢ - صفة العمارة التي أتمها الظاهر بيبرس :

أ - سقوف المسجد وجدرانه :

وجد المشرفون على عمارة المسجد النبوى الشريف أنفسهم امام خيارات صعبة بشأن صفة السقوف التى ينوون اكمال عمارتها ، فاما أن يتموها على هيئة سقف مقدم المسجد الذى عمر من قبل فى عهد الخليفة العباسى وعلى ابن أيبك ويوسف بن رسول بسقفين يعلو أحدهما الاخر ، واما ان يتموهما بسقف واحد تجتمع فيه ميزات السقفين معا . ويبدو أن الرغبة كانت كبيرة لدى المشرفين على هذه العمارة فى عمل سقف المسجد كله أو على الاقل سقفى المجنبتين (الشرقية والغربية) وسقف مؤخر المسجد بسقف واحد ، وهى الصفة التى ترجحت لدى المشرفين على العمارة لاسباب غير معروفة ، الا أنهم وجدوا أنفسهم مضطرين لاكمال عمارة ماتبقى من سقفى المجنبتين على الصفة التى عمر بها السلطان سيف الدين قطز الاجزاء التى تلى رواق القبلة ، انظر شكل (٤٩) . وقد وصفهما المطرى بانهما عادا كما كانا " قبل الحريق سقفا فوق سقف "(١) وبينهما مسافة تسمح أن يمر الشخص بينهما قايما "(٢) .

وقد كان السقف المزدوج مستخدما فى المسجد النبوى قبل الحريق(٣) واعادته فى العمارة المملوكية فى المسجد النبوى يشير الى انتشاره فى العمائر المملوكية ، وتتكون السقوف المزدوجة من مستويين " أحدهما يعلو الاخر ، والعلوى ، وهو ذو الصفة البنائية فى تحمل ضغط البناء ، ويتكون من كتل

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ .
(٢) ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار الى قبر النبى المختار ، ص ٩١ .
(٣) المطرى : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

وعلى الباب نفسه من خارج المسجد :

" لا اله الا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق - الآية - اللهم اغفر لأنبيائك وخلفاء المؤمنين حيهم وميتهم ، اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ، أنت وملائكتك والمؤمنون جميعا ، أمر عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين بعمل مسجد رسول الله ، واصلاح ما أفسد منه ، وعمارته فى سنة اثنتين وخمسين ومائة ". (١)

هذا عن أهم نقوش المسجد النبوى التى اعتمدت فى نقلها على كتاب المناسك لابن اسحاق الحربى ، وبعضها يعود الى السفاح ومن بعده المنصور ثم المهدى والرشيد والمعتضد العباسى ، وذلك خلاف ما بقى من نقوش المسجد فى العصر الأموى . ويخلو من اسم خليفة أو وال أموى. وأغلب النقوش آيات قرآنية وعبارات دعائية .

. . . . . .

(=) فى كتاب المناسك ، ص ٣٨٨ ، والذى يصرح ببدء عمارة المهدى سنة ١٦٢ هـ وانتهت سنة ١٦٥ هـ. وبما أن الموضع الذى يحتله رقم السنة التى عمر فيها المسجد النبوى فى عهد الوليد ، وهو مابين ٨٨ أو ٩١ من الهجرة ، لا يسمح بحلول الرقم الذى بدىء فيه بعمارة المهدى وهو سنة ١٦٢ هـ ، فقد اكتفى بوضع سنة ١٦٠ هـ كما انه استبدل اسم الوليد بوضع عبد الله مكانه مما يدعو الى الاعتقاد بأن هذا النص قد حرف فى العصر العباسى مرتين .

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٩٥ . ومما لا شك فيه ان هذا النص أموى محرف لأن أبا جعفر المنصور الذى يقع تاريخ النص المحرف فى عهده ، لم يعمر الا رحبة القضاء وباب زياد ، أنظر أعلاه ص ١٥٤ من الرسالة .

٥ - المسجد فى أواخر الدولة العباسية

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارة المهدى له حتى نهاية الدولة العباسية ، ما خلا بعض ترميمات وتجديدات لم تغير من جوهر عمارته شيئا . وكان أول هذه الأعمال ما تم فى خلافة هرون الرشيد ، عند ما مال بعض جدار" المسجد من ناحية المشرق مما يلى موضع الجنائز".(١) فى ولاية محمد بن عبد الله بن سليمان الربعى للمدينة سنة ١٧٣ هـ ، فأمر به فبنى ، وقد دل على عمل هرون الرشيد نص كتابى بين باب النبى صلى الله عليه وسلم ، وباب عثمان رضى الله عنه ، فى عرض الجدار ، منقوش بالفسيفساء من داخل ، وقد سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن نقوش المسجد النبوى فى عمارة المهدى .(٢)

وربما كان لميلان الجدار الشرقى فى هذه الناحية أثر على ما تكسر فيما بعد من خشب المسجد فى ولاية أبى البحترى وهب بن منبه للمدينة فى عهد هرون الرشيد سنة ١٩٣ هـ . وقد تمكن آنذاك أحد علماء المدينة المعروف بأبى غسان(٣)، من معاينة الحظار(٤)، " الذى يحيط بالحجرة الشريفة " وذلك حين انكسر خشب سقف المسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته ، وأبو البحترى بن وهب بن رشيد يومئذ على المدينة ،

---

(١) ابن اسحاق : كتاب المناسك ص ٣٧٢ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص٦٨٤.
(٢) أنظر أعلاه ص ١٧٦.
(٣) قال حمد الجاسر فى مقدمته للجزء المحقق من المغانم المطابة ، أن عمر بن شبه النميرى (١٧١ - ٢١٢ هـ) قد استقى جل معلوماته من عالم مدنى مشهور هو أبو غسان محمد بن أحمد بن يحيى الكنانى . أنظر ص (ز) .
(٤) قال ابن منظور فى لسان العرب جـ ٤ ص ٢٠٣ ، الحظار كل ما حال بينك وبين الشىء وكل شىء حجز بين شيئين فهو حظار . ويقصد به هنا الفراغ الذى يقع بين جدران الحجرة وحائز عمر بن عبد العزيز .

وذلك في جمادى الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائة".(١)

وأعيد السقف على ماكان عليه بعد اصلاح مافسد منه . وفي ولاية أبي البحتري أيضا حجز ماء الصحن بحجارة مربعة مما يلي القبلة ،(٢) "فمنع ماء الصحن ومنع حصباء القبلة أن يصل الى الصحن".(٣) وكان عمل أبي البحتري هذا سببا في ارتفاع أرض السقف القبلي فيما بعد ، مما أدى الى خفض مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك موضع المنبر.(٤) وقد دعا ذلك الى أستحداث بلاعات عديدة في صحن المسجد لتصريف مياه الصحن الى خارج المسجد ، عدها ابن زبالة ويحيى أربعة وستين بالوعة،(٥) وأدرك السمهودي بالوعة واحدة لها فوهتان غير أنه يعتقد ان هذه البالوعة مما أحدث في عمارة المسجد الشريف بعد الحريق الأول .

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٦٠ ، وذكر ابن اسحاق الحربي في كتاب المناسك ص ٣٨٤ نقلا عن يحيى بن حسين" أن عدد الخشب التالف الذي وجد بسقف المسجد سبعون خشبة " وتبعه في ذلك ابن النجار في الدرة الثمينة ص ١٠٥ ، ولكنه زاد عدد الخشب التالف ثلاثا . وذكر ابن اسحاق الحربي في المصدر ان ذلك كان فوق المنبر وما يليه .

(٢) ابن اسحاق : المصدرالسابق ص ٣٨٤ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٠٥ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٧٦ - ٦٧٧ .

(٣) ابن النجار : المصدر السابق ص ١٠٥ ، ويقصد بماء الصحن المذكور ماء المطر الذي يتجمع في صحن المسجد .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٧ ص ٢٥٢ ، ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٠ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٧٦ . كان سبب خفض مصلى النبي عليه السلام وكذلك المنبر الشريف ، هو أن هناك من يرى أنه لا يجوز تغيير موضع مصلى النبي عليه السلام أو وضع الخشب عليهما حتى تستوي بأرض المسجد فعارضه أهل المدينة وأدى الأمر الى عزله عن القضاء . أنظر أدناه ص ٢٤٦ .

(٥) ابن اسحاق : المصدرالسابق ص ٣٨٤ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٧٥ ، السمهودي : المصدرالسابق ص جـ ٢ ص ٦٧٧ .

وبدأ عهد المأمون بثورة للعلويين ، قادها محمد بن جعفر الصادق سنة ٢٠٠ هـ ،[١] وتعرضت بعض نقوش المسجد من جراء هذه الثورة لبعض التغيير والتبديل . فقد أورد ابن اسحاق الحربى نقلا عن يحيى بن حسين الطالبى نصا جاء فيه أنه لما " قام آل أبى طالب فى سنة مائتين ، وكان فى آخر أمرهم حكوا اسم المهدى من المسجد ، وقلعوا الفسيفساء الذى كان مكتوبا فيه ،[٢] اسم محمد بن جعفر بن محمد حين دعا الى نفسه ، فأقام ثلاثة أيام مكتوبا ، ثم قدم المسودة[٣] المدينة فحكوا ذلك الكتاب من ساعته ".[٤] وذكر ابن قتيبة أن المأمون زاد فى المسجد زيادة كثيرة ووسعه وذكر انه قرأ على موضع زيادة المأمون النص التالى :

" أمر عبد الله ، عبد الله بعمارة مسجد رسول الله سنة اثنين ومائتين طلب ثواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فان الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا ".[٥]

ونقل عنه ذلك كل من ياقوت الحموى والمراغى ، والسمهودى .[٦]

---

(١) أنظر ترجمته عند السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ص ٥٥٣ .

(٢) يبدو من سياق المعنى أن هنا نقص صحته " وقلعوا الفسيفساء الذى كان مكتوبا فيه اسم المهدى ، ووضعوا مكانه اسم محمد بن جعفر ... ".

(٣) نسبة الى السواد الذى اتخذه العباسيون شعارا لهم .

(٤) كتاب المناسك ص ٣٧٢ .

(٥) كتاب المعارف ، ص ٢٤٥ ، وقد أعقبه بالنص الذى قال عنه سوفاجيه أنه أموى محرف ، أنظر نصه فى ص ١٣٦ من الرسالة ، الحاشية رقم ٥ .

(٦) معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٨٧ ، تحقيق النصرة ، ص ٥٤ ، ووفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٤٠ .

ولكن رزين ينكر كما يقول السمهودى أن يكون للمأمون أى عمل فى المسجد النبوى ،[١] وكذلك ابن المحجوب الذى قال : " وذكر السهيلى أن المأمون زاد فى هذا المسجد المبارك فى عام اثنين ومائتين ، وقد أنكر حذاق العلماء هذا النقل ووهموا السهيلى فيه لاتفاق أوائلهم على انه لم يزل على ما تركه عليه المهدى ".[٢]

ويذكر السمهودى أنه لم ير " فى كلام أحد من مؤرخى المدينة أن المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدى "[٣] على أن سوفاجيه استطاع من خلال دراسته لنقوش صحن المسجد التى أوردها ابن رستة وابن النجار وغيرهما أن يبين الخطأ الذى وقع فيه ابن قتيبة وذلك بدراسته للنص الذى أورده ومقارنته بما ذكره غيره من المؤرخين . وقد خلص من ذلك الى القول ان " أبا قتيبة وجد نفسه ، كما نجد أنفسنا نحن ، أمام نقش لا يبرز فيه اسم ولا تاريخ ، ونسى أن اسم عبد الله يمكن أن يعنى أول العباسيين (المعروف أكثر بكنيته أبى العباس ولقبه السفاح)، فعمد ببساطة الى تصحيح الرقمين الأولين من التاريخ ليجعله فى مدة حكم الخليفة المسمى عبد الله المعروف له ، وهو المأمون . وقد فاته أنه مامن مصدر تاريخى ينسب اليه أعمالا قام بها فى مسجد المدينة ".[٤]

وفى خلافة المتوكل على الله العباسى ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ تم تأزير وفرش الحجرة الشريفة بالرخام على يد اسحاق بن سلمة.[٥] غير أن أعمال المتوكل

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٤٠.
(٢) قرة العيون فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ أ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٤٠.
(٤) المسجد الأموى فى المدينة ص ٦١.
(٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٣٨ ، السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٧٣.

لم تكن كما يبدو قاصرة على ترخيم الحجرة الشريفة ، فقد ذكر البلاذرى أنه أمر فى سنة ٢٤٦ هـ " بمرمة مسجد المدينة فحمل اليه فسيفساء كثير وفرغ منه فى سنة ٢٤٧ هـ ".(١)

وذكر ابن رستة نقشا للمعتضد العباسى (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) فى الجدار الشرقى للصحن سبق ذكر نصه عند الحديث عن نقوش صحن المسجد .(٢) وهذا النقش وأمثاله من النقوش المتأخرة كانت تنقش عادة فى الجزء الذى أعيد تجديدة وترميمه . وفى خلافة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) أمر سنة ٣١٠ هـ بتركيب " أبواب الساج على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ".(٣) ويبدو أن معظم أبواب المسجد ، التى يقول عنها ابن جبير انه " لم يبق منها مفتحا سوى أربعة " ،(٤) قد سدت فى عهد هذا الخليفة أو قبله اذ لا يعقل أن يكون قد ركب أبواب الساج على الأبواب التى كانت فى عهد المهدى كلها .

وفى أوائل القرن الخامس توالت على المسجد الشريف عدة أحداث أحدثت به بعض الأضرار البسيطة ، ومنها ما ذكره ابن كثير فى سنة ٤٠٧هـ من سقوط " جدار بين يدى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ".(٥) بيد أنه لا تعرف الصفة التى أعيد عليها بناء هذا الجدار ، كما لا يعرف اسم من قام على بنائه ، ولكن مثل هذه الأعمال البسيطة كانت مما يقوم به

---

(١) فتوح البلدان ص ١٤ .
(٢) أنظر أعلاه ص ١٧٣ .
(٣) أبو عبيد البكرى جـ : جزيرة العرب ، ص ٨٦ .
(٤) رحلة ابن جبير ، ص ٢٧٢ .
(٥) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ٥ .

شاد[١] عمائر الحرمين الذى كان يبعث به الخليفة العباسى كل عام[٢]. وقد كثرت فى أواخر الدولة العباسية الترميمات البسيطة التى كان يقوم بها الشادى ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى أنه فى سنة ٤٦٠ هـ " وفى جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ودمت شرافتين[٣] من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٤] وفى سنة ٥١٥ هـ حدث أيضا " زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليمانى ، وتهدم بعضه وتهدم شىء من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم". بيد أن ما تهدم من المسجد غير معروف على وجه التحديد ، كما لا يعرف مقدار ما أصابه من الأضرار ولا الصفة التى بنى عليها ، غير أن هذه الأعمال البسيطة هى مما اهتم باصلاحه بعض الخلفاء العباسيين كما يذكر ابن النجار[٥].

وفى سنة ٥٤٨ هـ من خلافة المقتفى (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ) احتاج رخام الحجرة الشريفة الى التجديد ، فقام به " جمال الدين وزير بنى زنكى ، وجعل الرخام حولها قامة وبسطة "،[٦] وكان ذلك كما يصفه ابن جبير برخام " بديع النحت رائع النعت " ، ثم يقول بعد ذلك : " وينتهى الازار منها الى نحو الثلث أو أقل يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر ،

---

(١) الشاد هو اسم وظيفة كانت تسند الى أحد العارفين بالبناء والهندسة للاشراف عليها ومراقبة سير العمل منها . أنظر حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ ٢ ص ٦١٦ . وقيل أنه كان أحيانا من طبقة أرباب السيوف يعين لمساعدة القائم على تنفيذ مشروع من المشروعات أو جزئية من جزئياتها . انظر النويرى : نهاية الارب جـ ٨ ص ٢٩٨.

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) وردت عند ابن الجوزى شرافتين ونقل عنه ابن كثير شراريف .

(٤) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ ٨ ص ٢٤٨ ، وابن كثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٩٦ . وانى أشك فى أن المقصود بذلك هو مسجد المدينة ولعل ذلك يعنى المسجد الأقصى بالقدس .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٤٢ .

(٦) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٧٣ .

قد علاه تضميخ المسك والطيب بمقدار نصف شبر مسودا مشققا (١)، متراكما مع طول الأزمنة والأيام ". (٢) ثم جعل لها شباكا من خشب الصندل والأبنوس وأحاطها (٣) بالحجرة الشريفة مما يلي السقف فوق حائز عمر بن عبد العزيز وقيل " ان أبا الغنائم النجار البغدادي عمله اروانكا (٤) وفي دورانه مكتوب على اقطاع الخشب الاروانك سورة الاخلاص في صنعة بديعة ". (٥)

وتعاقبت على الحجرة الشريفة في أواخر الدولة العباسية أحداث عدة، أهمها ما وقع في سنة ٥٤٨ هـ حين أمر أحد الشيوخ المجاورين بالمدينة ويدعى عمر النساى بالنزول " الى الحظير الذى بناه عمر بن عبد العزيز ودخل منه الى الحجرة، ومعه شمعة يستضيء بها، فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور فأزاله ". (٦) وفي شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة نزل " أحد خدام الحجرة الشريفة ومعه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد (٧)، ونزل معهما هرون الشادى بعد

---

(١) يقصد بذلك أن الطيب المدهون به جدران الحجرة قد تشقق من كثرته.
(٢) رحلة ابن جبير، ص ١٦٩.
(٣) صوابها واحاطه كما يقتضى سياق المعنى.
(٤) بحثت عن هذه الكلمة في القواميس العربية فلم أجد لها معنى وكذلك في المعجم المضاف على القواميس العربية لدوزي. وكذلك في الألفاظ الفارسية المعربة لادى شير الكلدانى ويبدو أنه اصطلاح فنى لبعض أنواع الخشب المخروط.
(٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٣٩، وأنظر السبكى : تنزيل السكينة على قناديل المدينة جـ ١ ص ٢٩٣.
(٦) ابن النجار : المصدر السابق ص ١٤٢. وذكر الفاسى فى العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٩١ أن اسمه عمر بن الحسين النسوى وانه وجد اسمه مكتوبا فى حجر قبره بالمعلاه، وأنه توفى فى المحرم سنة ٥٧١ هـ.
(٧) يستدل مما ذكره ابن النجار عن الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد النبوى أن اقامته فى مكة والمدينة كانت بصفة دائمة.

أن سأل الأمير فى ذلك[١] ، وبذل له جملة من المال "[٢] ، للبحث عن مصدر رائحة كريهة كانت تنبعث من الحجرة الشريفة . وقد تبين لهم أن مصدر هذه الرائحة هرة سقطت بين الحائز وبين الحجرة الشريفة ، فأخرجت وطيب مكانها . ونقل السمهودى عن الأقشهرى[٣] أن بدرا الضعيف وهو أحد فتيان بنى العباس وأحد خدام المسجد أختير فى حدود سنة سبعين وخمسمائة للنزول الى الحجرة الشريفة حين سمعت هدة داخلها فوجد جدار الحجرة الغربى قد سقط فأعاده بلبن من طين المسجد[٤] .

هذا عن أهم أحداث الحجرة الشريفة التى ثبت صحتها . أما ما ذكر عن قدوم نور الدين زنكى الى المدينة بسبب رؤى رآها فاننى أرجىء الحديث عنها الى الفصل الخاص بعمارة السلطان المملوكى ، الملك الناصر محمد بن قلاوون لوجود قصة فى زمنه مشابهة لهذه القصة .

أما صحن المسجد فقد أحدث به فى سنة ٥٧٦ هـ قبة كبيرة عمرها الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) . وقد شاهدها ابن جبير بعد عمارتها بأربعة أعوام عندما زار المدينة سنة ٥٨٠ هـ ، وقال عنها " انها قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت ، هى مخزن لجميع

---

(١) ذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٤٠٤ ، أن أمير المدينة فى ذلك الوقت هو قاسم بن مهنا الحسينى .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٤٢ .

(٣) قال السخاوى : فى المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٦٠ أن اسمه محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى وقد توفى سنة ٧٣٩ هـ وله كتاب أسماه " الروضة الفردوسية فى أسماء من دفن فى البقيع " .

(٤) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٦٩ ومابعدها ، السخاوى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٦٤ .

آلات[1] المسجد المبارك وما يحتاج اليه فيه "[2] وقد سد الباب الرابع الواقع في الجدار الشرقي الى الشمال من باب النساء" وذلك عند تجديد الحايط الشرقي من المنارة الشرقية الشمالية الى هذا الباب في أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة "[3] .

وكان العباسيون يولون المسجد النبوى اهتمامهم باستمرار ويقول ابن النجار : " ولم تزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة ويمدونهم بالأموال لتجديد ما يتهدم من المسجد . ولم يزل ذلك متصلا الى أيام الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، فانه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الأمامى ألف دينار لأجل عمارة المسجد وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين والجصاصين والحراقين[4] ، والحدادين والدوجانة[5] ، والحمالين ، ويكون مادتهم ما يأخذونه من الديوان من غير هذه الألف المذكورة . وينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والآلات شيئا كثيرا " .

وظلت العمارة متصلة في المسجد ليلا ونهارا[6] ، على أنه ليس بـــه

---

(١) كالقناديل والزيوت وأنواع الطيب والمجامر والشموع وغير ذلك .
(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ وأنظر المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٥ .
(٣) الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٨٣ أ .
(٤) لعل المقصود بهم الذين يحرقون الجص والجير .
(٥) وردت في النسخة المنشورة وفي آخر الجزء الثانى من شفاء الغرام للفاسى " الدوجارية " وقد حاولت أن أجد معنى لها في القواميس المذكورة في ص ١٩٢ الحاشية رقم ٤ فلم أوفق وقد سألت بعض العارفين باللغة الفارسية فذكروا أن دوز تعنى الخياطة فلعل الكلمة المذكورة تعنى العمال الذين يصنعون كسوة الحجرة الشريفة وكسوة المنبر وستائر الأبواب .
(٦) هذا يدل على أن ابن النجار أدرك في المسجد بعض الترميمات والتجديدات الا أنه لم يشر اليها .

أصبح الا عامر وينفذ من القناديل والشيرج[1]، والشمع عدة أحمال لأجل المسجد ، وينفذ من الند والغالية المركبة والعود لأجل تجمير المسجد شيئا كثيرا"[2].

وهكذا بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارة المهدى له مع مداومة الخلفاء بعده على الترميم والتجديد حتى حدثت به كارثة الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ .

. . . . . .

---

(١) هو نوع من الزيت ويسمى باللغة المصرية العامية (السيرج) . أنظر : نسخة الدرة الثمينة لابن النجار ، الملحقة بالجزء الثانى من شفاء الغرام للفاسى ، حاشية رقم ٢ من صفحة ٣٧٨ .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٠٩ - ١١٠ . وأنظر السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٧ .

الفصل الثاني

عمارة المسجد النبوي في عهد المماليك البحرية

٦٤٨ - ٧٨٤ هـ

الفصل الثانـى

عمارة المسجد النبوى فى عهد المماليك البحريـة

٦٤٨ - ٧٧٨هـ

مقدمة : نار الحجاز وما قيل عن علاقتها بحريق المسجد النبوى الاول سنـة ٦٥٤ هـ :

حفت بالمدينة المنورة فى سنة ٦٥٤ هـ أحداث لم يسبق لها مثيل من قبل ، كان أولها وأعظمها خروج نار الحجاز التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا تقوم الساعة حتى تظهر نار من أرض الحجاز تضئ أعناق الأبل ببصرى "(١) ، وكان خروجها بوادى شطا (٢) شرقى المدينـة (٣) بعد زلازل وهزات أرضية فى ثالث جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ هـ ، " رجفت منها المدينة ، والحيطان والسقوف ، والاخشاب والابواب ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة فى الحرة قريبا من قريضة "(٤) .

---

(١) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩١ ، انظر ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ١ القسم الاول ص ٢٩٨ .

(٣) قيل أن اسم الوادى " حبس سيل " كما جاء فى الحديث الذى اورده : الطبرانى فقال ان عاصم بن عدى الانصارى قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثان ماقدم فقال : " أين حبس سيل ؟ " قلنا لا ندرى ، فمر بى رجل من بنى سليم فقلت : من أين جئت ؟ فقال : من حبس سيل : فدعوت بنعلى ، فانحدرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يارسول الله سألتنا عن حبس سيل فقلنا : لاعلم لنا به ، وانه مر بى هذا الرجل فسألته فزعم ان به أهله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أين أهلك ؟ " فقال : بحبس سيل ، فقال " أخرج أهلك منها فانه يوشك أن تخرج منه نار تضئ اعناق الابل ببصرى " . انظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ١٤٠ .
وذكر ابن منظور فى لسان العرب جـ ٦ ص ٤٥ ان حبس سيل " هو فلوق فى الحرة يجتمع فيها ماء لو وردت علية أمة لوسعهم . وحبس سيل اسم موضع بحرة بنى سليم بينها وبين السوارقية (قرية من قرى المدينة) مسيرة يوم .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

وكان منبعها من واد يقال له "أحيلين "(١) فى الحرة الشرقية ، وسارت من مخرجها الى جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر تدب دبيب النمل تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر (٢) كعادة الحمم البركانية المنصهرة . وتصديقا لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فقد رؤيت هذه النار من بصرى كما أخبر به " صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها هذه النار ممن كان يحاضره ببلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء تلك النار" (٣) . وقال القطب القسطلانى وهو ممن أدرك نار الحجاز " ان جاء من أخبر برؤيتها ببصرى فلا كلام وإلا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك فى الحديث على وجه المبالغة فى ظهورها ، وأنها بحيث ترى ، وقد جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى منها مثل ماهى من المدينة فى البعد "(٤) . وقال أيضا " ان ضوءها

---

(١) بحثت عنه فى معجم البلدان للحموى فلم أجده وكذلك فى المغانم المطابة للفيروزبادى .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٥٧ ، المراغى ، تحقيق النصرة ص ١٩٠ ، وقال المطرى فى نفس الصفحة "أخبرنى الشيخ صالح علم الدين سنجر العربى من عتقاء الامير عز الدين منيف بن شيحة صاحب المدينة رحمه الله قال : أرسلنى مولاى الامير المذكور بعد ظهور النار بأيام ومعى شخص من العرب يسمى حطيب بن سنان وقال لنا ونحن فارسان : أقربا من هذه النار فانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ، فان الناس هابوها لعظمها . فخرجت أنا وصاحبى الى أن قربنا منها فلم نجد لها حرا فنزلت عن فرسى وسرت الى أن وصل النصل (هو قطعة الحديد التى توضع فى رأس السهم " اليها فلم أجد لذلك ألما ولا حرا فحرق النصل ولم يحترق العود . فأدرت السهم فأدخلت فيها الريش فاحترق ولم يؤثر فى العود " ويظهر انه اقترب مما خمد من الحمم لان السمهودى نقل عن القطب القسطلانى المعاصر لها ان امير المدينة أرسل أحد خواصه فوقف منها على قدر "غلوتين بالحجر ولم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض" أنظر وفاء الوفا ، جـ١ ص ١٤٦ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر ، جـ١ ص ١٤٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ١ ، القسم الاول ، ص ٢٩٨ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ١ ص ١٤٨ ، ولكن تيماء اقرب الى المدينة بكثير من بصرى التى تقع فى بلاد الشام .

استوى على مابطن من القيعان ، وظهر امن القلاع ، حتى كأن الحرم النبوى عليه الشمس مشرقة ، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة ، ودام على ذلك لهبها حتى تأثر له النيران "(١) . وعلى هذا فقد كان لها شهرة كبيرة " وتواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام "(٢) بل وصل خبرها الى ولاة الأمر فيها (٣) عاشر شعبان من سنة ٦٥٤ هـ ، أى بعد وقوعها بشهر وخمسة أيام (٤) .

وليست هذه النار المخبر عنها سلفا من قبل الرسول عليه السلام ، الا نوعا مما عرف حديثا بالبراكين الثائرة . وكانت حممها المحترقة " كالفحم لونا وخفة "(٥) . ولم يكن هذا أول بركان فى الجزيرة العربية ، بل سبقه بركان عدن بعامين كما يقول سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ٦٥٢ هـ من أن " نارا ظهرت فى أرض عدن فى بعض جبالها بحيث أنه يطير شررها الى البحر فى الليل ، ويصعد منها دخان عظيم فى أثناء النهار فما شكوا أنها النار التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنها تظهر فى آخر الزمان "(٦) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ١ ص ١٤٧ ، وقال ابوشامة فى تراجم رجال القرنين السادس والسابع " ص ١٩٢ أنه بان عندهم " بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى أن جاءنا الخبر عن هذه النار " .

(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ١ ص ١٤٣ .

(٣) كانت دمشق فى ذلك الوقت تحت حكم الناصر صلاح الدين يوسف ٦٤٨ - ٦٥٨ هـ .

(٤) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٠ - ١٩٢ . وابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ص ١٩٢ . الذى نقل عن ابن الساعى " أن وصول الخبر الى دمشق فى يوم الجمعة ثامن عشر رجب " .

(٥) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ١٣ ص ١٩٢ .

(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ص ٧٩٠ ، وانظر ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ص ١٨٥ .

وكعادة البراكين فى الثوران من آن لاخر فقد عادت نار الحجاز الى الظهور سنة ٦٩٢ هـ كما نقله ابن كثير من تاريخ ظهير الدين الكازرونى من أن نارا ظهرت " بأرض المدينة النبوية فى هذه السنة نظير ماكان فى سنة أربع وخمسين على صفتها الا أن هذه النار كان يعلو لهيبها كثيرا ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام "(١) .

وقد عد الفيروزبادى ماشاهده ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ فى البحر الأبيض المتوسط المعروف قديما ببحر رومة من براكين (٢) . " مما يناسب هذه الواقعة ويضا هيها "(٣) . وقد عزا على بن حسين السليمان السبب فى حريق المسجد النبوى الى نار سنة ٦٥٤ هـ . فقال : " وكان سبب الحريق الثورة البركانية فى أحد وديان المدينة تلقاء جبل أحد التى سببت زلازل هدمت كثيرا من الدور ونشبت النار فى الحرم النبوى "(٤) ، معتمدا فى ذلك على مخطوط قطب الدين قدس سره ، الذى تبين لى بعد مراجعة نسخة معهد المخطوطات العربية المصورة من مكتبة رضا برامبور بالهند (٥) ، أن ما ذكره المؤلف ليس فيه مايشير الى ماعزى اليه (٦) . ونص كلامه " واحترق مسجد

---

(١) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٣ ص ٣٣٢ ، ولم أجد تاريخ الكازرونى أبدا .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٣٠١ .

(٣) المغانم المطابة ، ورقة ٩٤ ب ، وانظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ١٤٣ .

(٤) العلاقات الحجازية المصرية ص ١١٥ .

(٥) رقمها من مكتبة رضا برامبور بالهند ٣٦١٨ ، ورقم الفلم فى معهد المخطوطات ٣٠٢٣ .

(٦) تاريخ المدينة المنورة ، ورقة ١٢٥ ويبدو ان النسخة التى اعتمد عليها غير النسخة التى رجعت اليها لانه ذكر رقمها بمعهد المخطوطات ٩٦٥ تاريخ . وقد عاد فذكر فى حاشية ص ١١٦ ان النار لم تسببها زلازل البركان بل أحد الخدام فى المسجد النبوى معتمدا على طه حافظ فى كتاب فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة احدى وخمسين وستمائة بعد خروج نار الحرة الآتى ذكرها " (١).

والحقيقة أنه ليس هناك من مأخذ فيما ذكر قطب الدين سوى تاريخ احتراق المسجد الذى جعله فى عام أحد وخمسين وستمائة بدلا من أربعة وخمسين الذى يعتبر عاما مشهورا لا أظن قطب الدين يجهل ما وقع فيه ، فلعل الخطأ من الناسخ . وكان بين آخر ظهور لهذه النار وهو السابع والعشرين من رجب كما حدده أحد المعاصرين (٢) ، وبين حريق المسجد النبوى فى أول يوم من شهر رمضان المبارك شهر وشىء ولذلك فلا أظن أنه كان لها تأثير مباشر على حريق المسجد الشريف ، ولم يقل بذلك أحد من المؤرخين الذين أرخوا لهذا الحدث سوى ما ذكره على بن حسين السليمان عن احدى المخطوطات التى بيده وأنه تسرب اليها الخطأ.

ويؤيد هذا ما أجمعت عليه كتب التاريخ التى تعرضت لهذا الحادث من وقوف السيل المصرق من حمى البراكين عند وادى الشظاة المعروف حاليا بوادى قناة الذى " يبعد عن المدينة نحو ٤ كم شمالا " (٣) ، مكونة بذلك سدا منيعا لحجز المياه شاهده المطرى سنة ٧٢٧ هـ وقال انها قطعت " فى وسط وادى الشظاة المذكور الى جهة جبل وعيرة فسدت الوادى المذكور بسد بالحجر المسبوك بالنار " (٤) ومع أنه لم يكن للبركان أثر فى حريق المسجد الا أنه لابد أن تكون الزلازل والهزات العنيفة قد أحدثت بجدران المسجد

---

(١) قطب الدين قدس سره : تاريخ المدينة المنورة ، ورقة ١٢٥ .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ١ ص ١٤٥ .
(٣) عمر الفاروق رجب : المدينة المنورة ، ص ٦٠ .
(٤) التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٥٨ . وقال الفيروزبادى عن وادى قناة " انه واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة ، عليه حرث ومال ، بين أحد والمدينة . وقال المدائنى " وقناة واد يأتى من الطائف ويصب فى الارضية وقرقرة الكدر ، ثم يأتى بئر معاوية ، ثم يمر على طرف القدوم ، فى أصل قبور الشهداء بأحد . . " المغانم المطابة ، قسم المواضع ، ص ٣٥١ . وقال عمر الفاروق رجب فى " المدينة المنورة " ص ٦٠ " أما =

وصوامعه بعض الاثر . فقاضي المدينة آنذاك يقول : " لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطرب لها المنبر الى أن أوجسنا منه صوتا للحديد الذى فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف النبوى "(١) واضطرب أيضا " منار المسجد بعضه ببعض وسمع لسقف المسجد صرير عظيم "(٢) . وقد تكون هناك آثار أخرى لم تذكر بسبب قصر الوقت بين هذه الزلازل التى أصابت المدينة وبين حريق المسجد النبوى الذى أتى بعدها بقليل ، وبسبب خلو المدينة آنذاك من مؤرخ أو مهتم بتسجيل ما حدث سوى القطب القسطلانى الذى سجل الأخبار التى كانت تصله فى مكة المكرمة (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد كان لهذا الحادث أثره الكبير فى نفوس أهل المدينة الذين تجمعوا داخل الحرم النبوى ، وكفوا عن المعاصى ورد عليهم أميرهم مظالمهم(٤) واعتبروا هذه المعجزة التى أكرم الله بها نبيه آية من آيات

= وادى قناة فالمرجح أن مصدره من " وج الطائف " ويعرف محليا باسم سيدنا حمزة ، ويبعد عن المدينة نحو ٤ كم شمالا ، يفصل بينها وبين جبل أحد الذى يقع شمال الوادى بنحو ٥ر١ كم ، ويتجمع فى وادى قناة مايسيل من الأودية النجدية أو يدخل منطقة المدينة منحدرا من جبل تيم ثم يملأ حوض العاقول ، ويتجه شمالا فى موازاة الحرة حتى يرجع الى اتجاهه الغربى وتتصل به أودية " نقمى ، النعمان ، القدوم ، الضيقة " والاخير ينحصر بين سلسلة " غربيات " من الغرب وضليعات الحرسى من الشرق ، وعند هذا الاخير ينتهى وادى العقيق أيضا " .

(١) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع " ص ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٩٣ .

(٣) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٥٩٨ أن القطب القسطلانى صنف فى هذه النار وفى حريق المسجد كتابا سماه " عروة التوثيق فى النار والحريق " .

(٤) قيل هى المكوس والضرائب غير الشرعية . وجاء فى لسان العرب لابن منظور جـ١٢ ص ٣٧٥ ان الظليمة أو المظلمة هى ماتطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك .

الله الكبرى وظنوا أنها القيامة ، وضجوا الى الله بالدعاء (١) ، ونظموا الشعر في هذا المعنى (٢) وازدادت علاقتهم بالله قوة فكفوا عن المعاصي وقال قاضي المدينة آنذاك وهو يصف حال أهلها لأحد أصدقائه في دمشق : ان" المدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقى تسمع فيها رباب ، ولا دف ، ولا شرب" (٣) . وحق لهم أن يعتبروا وان يصدقوا بأن الله تعالى قال : " وما نرسل بالآيات الا تخويفا " (٤)

---

(١) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٥ ص ٢١٥ .

(٢) ومن ذلك قول قائلهم كما ينقله السمهودي في وفاء الوفا ، جـ ١ ، ص ١٤٩ :

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا	لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو اليك خطوبا لا نطيق لها	حملا ونحن بها حقا أحقاء
زلازل تخشع الصم الصلاب لها	وكيف تقوى على الزلزال شماء
أقام سبعا يرج الارض فانصدعت	عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن	من الهضاب لها في الارض ارساء
ترى لها شررا كالقصر طائشة	كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها بيوت الصخران زفرت	رعبا وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان الى	أن عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سعفة في البدر لفحتها	فليلة التم بعد النور عمياء

ونقل ابن الوردي في تاريخه ، جـ٢ ، ص ١٩٤ من نظم سيف الدين عمر بن قزل :

ولما نفى عنى الكرا خبر التى	أضلت بأحد ثم رضوى ويذبل
ولاح سناها من حيال قريظة	لسكان تيماء فاللوى فالعقيقل
وأخبرت عنها في زمانك منذرا	بيوم عبوس قمطرير مطول
ستظهر نار بالحجاز مضيئة	لاعناق عيس نحو بصرى لمجتلى
فكانت كما قد قلت حقا بلا مرا	صدقت وكم كذبت كل معطل

(٣) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩١ .

(٤) سورة الاسراء : الآية ٥٩ .

وقال أيضا : " أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف ، فان ربكم لرؤوف رحيم "(١) .

...

---

(١) سورة النحل : الاية ٤٥ - ٤٧ .

المبحث الأول

الحريق الأول للمسجد النبوي سنة ٦٥٤هـ

المبحث الأول

الحريق الأول للمسجد النبوى سنة ٦٥٤هـ

١ - أسباب الحريق :

كانت الزلازل والبراكين التى روعت سكان المدينة المنورة سنة ٦٥٤ هـ قد تركت فى نفوس أهلها أثرا قويا بضرورة الصلة بالله تعالى فى كل زمان ومكان . وكان هذا حالهم حتى اذا كان شهر رمضان المبارك من العام نفسه ، اهتم القومة بتنظيف قناديل المسجد وصب الزيت فيها استعدادا لأحياء ليالى الشهر الكريم بالصلاة وتلاوة القرآن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعادتهم فى كل عام . بل قد يكون لقرب العهد من ظهور النار فى جمادى الآخرة من ذلك العام ، أثر فى زيادة الاهتمام وكثرة المتعبدين ، ولحكمة ارتآها الله تعالى . فقد حدث حريق المسجد الشريف فى ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة (١) ،نتيجة اهمال أحد القائمين على خدمة المسجد النبوى الشريف كما ذكر القطب القسطلانى ، أحد المعاصرين لذلك الحريق ان قال : " وكتب الىّ الصادق فى الخبر ، وشافهنى من شاهد الأثر ، أن السبب فى حريق المسجد الشريف دخول أحد قومة المسجد فى المخزن الذى فى الجانب الغربى من آخر باب لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، فاستخرج منها ما احتاج اليهَ ، ثم ترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق (٢) فاشتعل فيه ، وبادر لأن يطفئه فغلبه وعلق بحصر وبسط وأقفاص وقصب فى المخزن ثم تزايد الالتهاب وتضاعف الى أن علا الى سقف المسجد " (٣).

---

(١) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٤ .

(٢) قال دوزى فى المعجم المصناف على القواميس العربية ، جـ١ ص ٥٩٥ ، انها خيوط من الكتان او الصوف تستخدم لاشعال القناديل .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٥٩٨ - ٥٩٩ .

ولم يكن لذلك المخزن وجود فى زمن ابن جبير الذى زار المدينة سنة ٥٨٠ هـ ، ولعله استحدث بعده ، وكان بالقرب من المخزن الذى انبثق الحريق منه منجنيق (سلم) لتنظيف سقوف المسجد وجدرانه ، حدد موضعه ابن اسحاق الحربى بين آخر بابين من أبواب الجدار الغربى مما يلى الشمال (١) . ويبدو أن ماكان يحتويه ذلك المخزن من أثاث المسجد وأدواته كان كثيرا ، مما ساعد النار على التغلب على محاولات القيم داخل المخزن فى اطفائها ولكنها أودت بحياته (٢) .

وانتقلت النار الى سقف المسجد مباشرة بعد التهامها لمحتويات المخزن ويستنتج من ذلك أن المخزن كان من داخل المسجد وربما كان مبنيا من الخشب مما أعجز القيم عن اطفاء النار . ويذكر السمهودى نقلا عن الذهبى والسبكى أن حريق المسجد كان ليلة الجمعة قبل أن ينام الناس (٣) كما يذكر ابن العماد الحنبلى أنه كان بعد صلاة التراويح (٤) .

ومهما يكن من أمر فقد علقت النار من هذا المخزن بما يليها من سقوف المسجد متجهة الى جدار القبلة ، فعجز أمير المدينة ومن معه عن اطفاء النار أو حصرها ولعل ارتفاع السقف الذى جاء أنه كان فى عمارة المهدى حوالى خمسة وعشرين ذراعا (٥) ، أى مايعادل اثنى عشر مترا (٦) ، مما ساعد النار على التنقل بين سقوف المسجد الشريف بسهولة ويسر . وكان لكبر مساحة الجزء المسقوف فى المسجد أثر فى بقاء النار ملتهبة فى محتويات المسجد من أول الليل حتى ساعة متأخرة منه (٧) ، بحيث لم تبق على خشبة

---

(١) كتاب المناسك ، ص ٣٩٢ .
(٢) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٢٣ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٨ .
(٣) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٨ ، ٦٠١ .
(٤) شذرات الذهب ، جـ ٥ ص ٢٦٣ .
(٥) انظر اعلاه ص ١٦٠ الحاشية رقم ١ .
(٦) انظر أعلاه ص ٢٠٥ .
(٧) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ .

كاملة (١) مما أذهل أهل المدينة جميعا حتى انهم عدوا هذا الحريق عقابا لتسلط الامامية (٢) على المدينة . وقال شاعرهم فى ذلك :

لم يحترق حرم النبى لحادث | يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست | ذاك الجناب فطهرته النار

٢ - آثار الحريق :

لعل من المهم عند الحديث عن الخسارة الجسيمة التى سببها هذا الحريق للمسجد النبوى الشريف ومحتوياته أن نستحضر حال المسجد قبل الحريق من خلال ماذكره الرحالة والمؤرخون (٣) ، لندرك مدى الخسارة العظيمة التى لحقت بانجازات الفن الاسلامى خلال خمسة قرون ونصف (٩١ - ٦٥٤ هـ) . أى منذ بناه الوليد الى أن عفت النار خلال ساعات على تلك الروائع الاسلامية المختلفة ، فأصبحت أثرا بعد عين .

---

(١) علق السمهودى فى الوفا جـ٢ ص ٥٩٩ ، على ماذكره المؤرخون من أن المسجد "احترق جميعه حتى لم تبق خشبة واحدة" بأن مرادهم لم لم تبق خشبة كاملة وذلك لانه شاهد "بقايا خشب كثير عند اخراج الهدم الذى كان بالحجرة" ويناسب ذلك مشاهدة البلوى الذى زار المدينة سنة ٧٣٧ هـ اثار خشب المقصورة التى كانت تمتد محيطة بالبلاط الاول الذى به المحراب العثمانى "مفروز فى رواق القبلة (بلاط القبلة) ، وكذلك العود الذى كان فى مصلى النبى عليه السلام".

(٢) الامامية طائفة تنسب الى على بن أبى طالب وهى احدى فرق الشيعة الذين يرون أن الامامة يجب أن تكون لعلى ثم لبنيه من بعده . ومنهم الغلاة الذين يتبرؤون من الشيخين ، أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وقد افترقت الامامية الى فرقتين هما الاسماعلية والاثنا عشرية . انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٧٩ . وحسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، جـ١ ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) انظر الوصف الجميل الذى وصف به ابن عبد ربه جدران مقدم المسجد وسقوفه فى الجزء السابع من العقد الفريد ص ٢٥٢ ومابعدها ، وكذلك ابن جبير فى رحلته ، ص ١٦٨ ومابعدها . وانظر الجزء الذى خصصته لزخرفة المسجد ونقوشه بعد عمارة المهدى ، ص ١٦٩ وما بعدها .

فمن أهم ما أتلفته النار ، منبر المسجد النبوى الشريف(١) الذى كان بسيط الصفة ، الا أن ما يتمثل فيه من ذكريات جليلة لمما يثير لدى المسلمين مشاعر الحزن والأسى على فقدان هذا الاثر الجليل (٢) . مضاف الى ذلك تلف سقف المسجد ، وما كان يشتمل عليه من خشب مزخرف(٢) ، كان من أروع ما أنتجته يد الفنان المسلم . وكان يتدلى من سقوف المسجد قناديل كان حكام العالم الاسلامى خلال عدة قرون يتنافسون فى اهداء أجمل وأثمن ما يصنعه الصناع فيها للمسجد النبوى الشريف . وكان عددها كما ذكر ابن رسته مائتين وتسعين قنديلا موزعة على أجزاء المسجد النبوى الشريف (٣) .

وكانت الزخارف المتنوعة تحلى كوشات العقود المطلة على صحن المسجد وتزين جدرانه الداخلية والخارجية وقد أتلفها الحريق حتى انه لم يبق من فسيفساء المسجد الا شىء قليل شاهده السمهودى وقال عنه انه " شىء يسير

---

(١) ذكر المطرى فى التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٣ - ٢٤ أن منبر النبى عليه السلام " الذى زاده معاوية ورفع منبر النبى صلى الله عليه وسلم تهافت على طول الزمان وأن بعض خلفاء بنى العباس جدده واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك بها وعمل المنبر الذى ذكره ابن النجار اولا " . ومعنى هذا ان منبر النبى عليه السلام قد فقد قبل حريق المسجد الاول سنة ٦٥٤هـ .

(٢) قال صاحب رسالة وصف مكة والمدينة وبيت المقدس " وسماء المسجد منقوش مداهن محفورة ، ومذهب كله على عتب منقوشة على أعمدة من خرز أسود بعضه على بعض ، ملبسة بالجيار " انظر مجلة العرب ، السنة الثامنة ، ج ٥، ٦ ١٣٩٣ / ١٩٧٣ م ص ٣٥٠ . انظر اعلاه ص ١٤٦ .

(٣) ذكر ابن رسته : الاعلاق النفسية ، ص ٧٦ أن توزيعها فى المسجد كالتالى : " ثمانية وثمانون قنديلا مع ثريا القبلة وعدد قناديله مما يلى الشام خمسة وثمانون قنديلا ، ومما يلى المشرق خمس واربعون قنديلا ، ومما يلى المغرب اثنان وسبعون قنديلا فذلك مائتان وتسعون قنديلا " . وذكر أبو عبيد البكرى : فى جزيرة العرب ، ص ٨٩ ان عددها ٢٧٠ قنديلا وذكر ابن النجار فى الدرة الثمينة ص ١٠٤ ان " فى سقف المسجد الذى بين القبلة والحجرة على رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها اثنان بلور وواحد ذهب" .

فى مؤخر السقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك (١) ، وشىء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلى بابها فيه شىء من الفسيفساء . وأما جدار القبلة فليس به اليوم الا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف وهو من الآثار القديمة ، وكان يقابله فى جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا ، ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى " (٢) . أما المقصورة التى كانت تحتل البلاط الاول من رواق القبلة ممتدة " من السور الغربى لاصقة بالباب الى الفصيل اللاصق بالسور الشرقى " (٣) فقد راحت هى الاخرى ضحية الحريق ولم يبق منها الا بعض قطع خشبية كانت مفروزة فى ركن المسجد الشريف ، أدركها ابن فرحون وقال : " ان منها بقية أثر الى الان " (٤) .

وتلفت أيضا أبواب المسجد ، التى كانت تغلق " بمصاريع مشرجبة " (٥) من خشب الساج وكذلك الفواصل الخشبية المعمولة من الخشب المخروط ، التى كانت تملأ فتحات العقود المحيطة بالصحن من جوانبه الأربعة (٦) . وكانت أسطوانات الرخام التى ثبت استخدامها فى عمارة المهدى للمسجد النبوى فى

---

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب ، جـ١ ص ٤٢٥ ان " الدكة بناء يسطح أعلاه " والدك والدكة (ما استوى من الرمل وسهل وجمعها دكاك) ويقصد بها هنا الاجزاء المرتفعة من مؤخر المسجد الشريف فى عهد السمهودى

(٢) وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٧٣ .

(٣) انظر اعلاه ص ١٢١ .

(٤) نصيحة الشاور وتعزية المجاور ، ص ١٣ .

(٥) كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار ، لمجهول ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٦) نفس المصدر ، لمجهول ، ص ٣٧ ، ابن المحجوب قرة العين فى اوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ أ .

الرواق الشرقي والغربي والشمالي (١) ، والتي يسرع تأثرها بالنار (٢) ، مما تلف في هذا الحريق .

واحترقت خزائن الكتب والمصاحف التي ذكر ابن النجار أنها " عدة مصاحف موقوفة ، بخطوط ملاح مخزونة في خزائن من ساج بين يدي المقصورة خلف مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك كرسي كبير فيه مصحف مقفل عليه أنفذ به من مصر وهو عند الأسطوانة التي في صف مقام النبي صلى الله عليه وسلم محاذي الحجرة الشريفة والى جانبه مصحفان على كرسي يقرأ الناس فيهما " (٣) . ولم يسلم من هذه الكنوز الثمينة الا ماكان في قبة صحن المسجد الشريف التي عمرها الخليفة العباسي الناصر لدين الله " لحفظ حواصل الحرم والمصحف الكريم العثماني وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت بعد الثلاثمائة وكانت عمارتها سنة ٥٧٦ هـ وجميع مافيها سالم الى اليوم " (٤) .

ولم تسلم كذلك الحجرة الشريفة من الحريق ، فتلفت كسوتها المتراكمة

---

(١) انظر اعلاه ص ١٥٨ .

(٢) قيل ان ابن طولون قال عندما أراد بناء جامعه في القاهرة " أريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بقي وان غرقت بقي " فقيل له . " يبني بالجير والرماد والآجر الاحمر القوى النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام ، فانه لاصبر لها على النار " . انظر بحث جامع ابن طولون لحسن الباشا المنشور في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها واثارها ص ٤٣٨ .

(٣) الدرة الثمينة ص ١٠٧ .

(٤) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص ١٣ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٠ ، والمقصود بكلمة اليوم في النص زمن ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ .

عليها (١) ومشبكها الذى كان يحيط بها فوق حائز عمر بن عبد العزيز المعمول من خشب الصندل والابنوس سنة ٥٤٨ هـ فى خلافة المقتفى العباسى (٢). وعلى هذا فانه ما من جانب من جوانب المسجد الا وقد امتدت اليه النار وشملته بالدمار ، الامر الذى يحزن عشاق الفن الاسلامى لفقدان ذلك المتحف الكامل لانواع عديدة من الصناعات الاسلامية التى كانت تعبر عن خصائص الفنون الاسلامية فى العصور التى ترجع اليها تلك الصناعات الفنية . ويمكن تقدير فداحة الخسارة البالغة من خلال تلخيص القطب القسطلانى بقوله أن النار دمرت " جميع ما احتوى المسجد الشريف من المنبر ، والابواب ، والخزائن ، والشبابيك والمقاصير والصناعات ، وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها احدى عشرة ستارة " (٣) . وهذه ولا شك خسارة كبيرة جدا ذهبت نتيجة اهمال غير مقصود .

٣ - موقف أهل المدينة من حريق المسجد النبوى الأول :

اختلفت وجهات نظر أهل المدينة بخصوص هذا الحريق ، ففئة ترى أن ذلك كان انتقاما من غلو حكام المدينة المنورة آنذاك ، وذلك لأن أمرها كان بأيدى الشيعة الأمامية " فالقاضى والخطيب منهم " (٤) وكانت سلطتهم

---

(١) ذكر السمهودى فى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٥٩٩ ، أن عددها كان احدى عشرة ستارة .
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٣٩ .
(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٩٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٠٠ .

المدعومة من حكام المدينة الروافض أيضا ، قوية على أهل السنة حتى أن أحدا منهم لم يكن يجرؤ على التظاهر " بقراءة كتب أهل السنة "(١) مما جعل أحد الشعراء يسند سبب الحريق الى عملهم فقال :

لم يحترق حرم النبى لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار(٢)

وقال معين الدين بن تولوا المغربى :

قل للروافض بالمدينة مالكم ... يقتادكم للذم كل سفيه
ما أصبح الحرم الشريف محرقا ... الا لسبكم الصحابة فيه(٣)

أما الفئة الثانية وهى التى تمثل وجهة النظر الأسلامية التقليدية فترى أن الحريق

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٠ .

(٢) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ ، قطب الدين اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، جـ ١ ص ١٠ ، ابن حبيب : درة الاسلاك فى دولة الاتراك ، جـ١ ورقة ٩ ب . وذكر السمهودى نقلا عن الاقشهرى المتوفى ٧٩٦ هـ قوله " وانشدنى الحافظ الصالح الشيخ ابراهيم بن محمد الكنانى رئيس المؤذنين هو وأبوه قال : وجد بعد الحريق فى بعض جدران المسجد بيتان هما :
لم يحترق حرم النبى لريبة ... يخشى عليه وما به من عار
لكنه أيدى الروافض لامست ... تلك الرسوم فطهرت بالنار"
انظر وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٠ . وقد قال ابوشامة فى المصدر السابق ص ١٩٤ " ونظمت فى حريق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البيتين ، ولكن ابن بهادر فى فتوح النصر جـ ١ ص ٨٢ ينسبهما الى سبط بن الجوزى ونسبهما السخاوى فى الضوء اللامع ، جـ ٤ ص ٢٦٨ الى عبد القادر بن شعبان المغربى .

(٣) قطب الدين اليونينى : المصدر السابق ، جـ١ ص ١٠ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، جـ ١ ص ٣٦ .

لاسيما في البعد عن زينة الدنيا والفرار من زخرفها (١) .

ومهما يكن من أمر اختلاف وجهتي النظر هاتين الا أن الاجماع منعقد على التألم لما أصاب المسجد النبوي بما حوى من آثار نبوية غالية على كل مسلم، وفي مقدمتها المنبر الشريف والحجرة المقدسة الحاوية للقبور الشريفة ، لذلك اجتمع أهل المدينة عند مطلع فجر يوم الجمعة "فعزلوا مواضع للصلاة" (٢) من الاروقة المحروقة واستخدموها مع صحن المسجد في أداء فروضهم وكتبوا "بذلك الى الخليفة المعتصم بالله (٣) أبي أحمد عبد الله الامام المستنصر من المدينة في شهر رمضان" (٤) الذي وقع فيه الحريق .

...

---

(١) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ ب.

(٢) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٤ .

(٣) بعض المصادر تذكر ان اسمه المستعصم بالله والبعض الاخر يذكر ان اسمه المعتصم بالله.

(٤) المطري : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٤ .

المبحث الثاني

عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الأول

المبحث الثاني

"عمارة المسجد النبوى بعد الحريق الأول"

أولا : أعمال الخليفة العباسي المستعصم بالله في سنة ٦٥٥ هـ :

لم تكن الظروف التى كانت تعيشها بغداد فى ذلك الوقت مؤاتية لان يهتم الخليفة العباسى المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦ هـ) بعمارة المسجد النبوى الشريف على النحو الذى قام به المهدى سنة ١٦٠ هـ وذلك بسبب الاخطار التى كانت تحيط بدار الخلافة العباسية فى بغداد (١) فضلا عن الضعف المادى الذى كان يعانى منه بلاط الخليفة فى ذلك الوقت (٢) . ولكن الخليفة استطاع أن يتدبر للمسجد الشريف من الآلات والعمال مايتفق وامكانيات الدولة العباسية المحتضرة . "فوصل الصناع والآلات صحبة حجاج العراق وابتدىء فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائة" (٣) .

وكان لابد لهم قبل الشروع فى العمارة من تنظيف المسجد من آثار الحريق الذى أتى على كل شىء وهو عمل كبير لا يمكن انجازه فى وقت قصير، الأمر الذى يجعل ما أنجز من عمارة المسجد الشريف سنة ٦٥٥ هـ قاصرا على

---

(١) كانت معظم البلاد التابعة للخلافة العباسية قد استقلت عن بغداد ، بالاضافة الى تحكم بنو بوية فى البلاط العباسى (ثم السلاجقة) وما تبقى له من بلاد ،كما قام النزاع بين القواد داخل بغداد بسبب مطالبتهم بزيادة أرزاقهم بالاضافة الى تفاقم العداوة بين الشيعة وأهل السنة . انظر حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ١٣٤ ومابعدها .

(٢) فقد البلاط العباسى ماكان يرد عليه من الاقاليم التابعة له بسبب استقلالها بالاضافة الى اشتداد فيضان نهر دجلة واثره السىء على اراضى العراق كما ان نظام الرى فى العراق قد "اهمل منذ بداية العصر العباسى الثانى ٢٣٢ هـ حتى تحولت اجزاء كثيرة من جنوبى العراق الى مستنقعات" انظر حسن ابراهيم : المرجع السابق جـ٤ ص ١٣٥ ومابعدها .

(٣) القرطبى : بهجة النفوس والاسرار ، ص ١٣٢ ،الاسفرائيني : زبدة الاعمال وخلاصة الافعال ورقة ١٨٦ أ ،السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص٦٠١ .

تسقيف " الحجرة الشريفة وما حولها الى الحايط القبلى والى الحايط الشرقى الى باب جبريل عليه السلام .. ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها الى المنبر الشريف "(١) . ويبدو من اقتصار الامر آنذاك على التسقيف فقط، انهم ، ولا شك ، استفادوا من اسطوانات المسجد المحترق فى دعم السقف وذلك بعد اصلاح ماسقط منها نتيجة ذوبان الرصاص من بعضها (٢) وتأثير سقوط السطح على البعض الاخر . وقد كانت جميع اسطوانات مقدم المسجد مؤلفة من قطع حجرية مدورة مركب بعضها فوق بعض تربطها أعمدة الحديد والرصاص ولم يذكر جمال الدين المطرى أو غيره ممن تعرضوا لذكر هذه العمارة نوع الخشب المستخدم فى تسقيف المسجد ومصدره . الا ان المطرى ذكر أنهم عندما ابتدؤوا بالعمارة " قصدوا ازالة ماوقع من السقوف على القبور المقدسة فلم يجسروا على ذلك واتفق رأى صاحب المدينة يومئذ وهو الامير منيف بن شيحة بن هاشم بن القاسم بن المهنا ، ورأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين والخدام أن يطالع الأمام المستعصم بذلك ويفصل فيه مايصل به أمره ورأيه ، فأرسلوا بذلك وانتظروا الجواب فلم يصل اليهم الجواب وحصل للخليفة شغل ولأرباب الدولة بازعاج التتار لهم واستيلائهم على البلاد تلك السنة فترك الردم على ماكان عليه (٣) ، ولم ينزل أحد هناك ولا حركوه وأعادوا سقفا

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، الاسفرائيين : زبدة الاعمال وخلاصة الافعال ، ورقة ١٨٦ أ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٣ .

(٢) أبوشامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٤ ، المطرى : التعريف بما انست الهجرة ص ٢٤ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، جـ ٥ ص ٢١٦ ، السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٠ .

(٣) ذكر السمهودى : فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠١ أنه شاهد هذا الهدم عند انكشاف سطح الحجرة بعد الحريق الثانى وأنه خلف الحجرة الشريفة بين الجدارين (جدار الحجرة وحائز عمر بن عبد العزيز) ثم ذكر أنه نحو القامة وان " معظمه ردم سقف المسجد الأعلى ومابين السقفين من البناء الذى على رؤوس السوارى وغير ذلك ".

فوقه على رؤوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة "(١) .

وعلى الرغم من تأييد المؤرخين الذين أتوا بعد المطرى لما ذكره فان ما شاهده السمهودى فى العمارة التى أدركها فى المسجد النبوى سنة ٨٨١ هـ يخالف ما ذكره المطرى ومن تبعه وذلك أن العمال " وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل ، ويتصل بالخارج من المشرق والمغرب ، دوين (٢) رأس الجدار الخارج بنحو شبر ، ثم تبين عند كشفه آثار السقف المنهدم ، وأن أخشابه كانت فى الجدار الداخل ولم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الاول لأنه لا يتأتى الا بهدم سترته واصلاح أماكن لرؤوس الخشب ، فتركوا ذلك تأدبا واحتراما ، ووضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار ، وبنوا فوقه سترة لطيفة وجعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس (٣) اليمنية المبطنة بقماش أزرق ، مربوط بمقط فى الشباك الذى بأعلى الحائز الظاهر ، وليس ذلك السقف مطينا ، وهو سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى وسمروا بعضها الى بعض تكليبا (٤) محكما ، وجعلوا تحته ثلاث جزم (٥) من الساج الهندى تحمله

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٢٤ ، وذكر ان الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله حول بيت النبى صلى الله عليه وسلم بين هذه السوارى التى حول بيت النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ به السقف الأعلى بل جعلوا فوق الحائط وبين السوارى شباكا من خشب من الحائط الى السقف الاعلى . وانظر الفيروزبادى : المغانم المطابة فى معالم طابة ورقة ٨٨ ب .

(٢) تصغير كلمة دون .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب جـ ٦ ص ٤٤ ان المحابس نوع من البسط التى توضع على وجه الفراش للنوم وتعرف ايضا بالمقرمة .

(٤) اى شد بعضها الى بعض بمسامير معطوفة لان الكلاب " حديدة معطوفة كالخطاف وكلاليب الباز مخالبه كل ذلك على التشبيه بمخالب الكلاب والسباع وكلاليب الشجر شوكه كذلك " . انظر ابن منظور : المصدر السابق جـ ١ ص ٧٢٥ .

(٥) هى قطعة من خشب الساج وقد اخذت من الجزم بمعنى القطع كما يذكر ابن منظور فى المصدر السابق جـ ١٢ ص ٩٧ .

وأوصلوا اطراف تلك الالواح بالجدار الظاهر كما تقدم ، ولم يجعلوا فى تلك الالواح دهانا ولا نقوشا ولا كتابة ، غير ان النجار الذى صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقرا ، وكذلك سقف المسجد المحاذى للحجرة الشريفة مما يلى هذا السقف جميعه من الساج النقى ليس عليه دهان ولا نقوش وفى وسطه طابق عليه قفل فوقه أنطاع (١) ومشمع ، ولم يزل موجودا الى أن عطت القبة الثانية بعد الحريق الثانى ، وجعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار الى سقف المسجد "(٢) .

وكان المشرف على عمارة المسجد الشريف قاضى المدينة آنذاك (٣) ويبدو أن الدور المنوط به من قبل الخليفة العباسى هو تولى أمر الصرف على هذه العمارة بالاضافة الى الاشراف عليها . ولكن ذلك لم يدم طويلا لان ماكان يصل الى المدينة من دعم مادى لهذه العمارة انقطع قبل سقوط عاصمة الخلافة العباسية فى المحرم من سنة ٦٥٦ هـ فى يد التتار . فأدى ذلك بالمشرفين على العمارة التى تمونها دار الخلافة فى بغداد ، أن يستعيضوا عن كسوة الحجرة التى لم يتمكن الخليفة من ارسالها فى موسم عام ٦٥٥ هـ بأن اشتروا "من بنى شيبة ستارة الكعبة وعلقوها على الضريح الشريف "(٤) . وهذه أول مرة يلجأ فيها الى استخدام الكسوة القديمة للكعبة المعظمة فى تغطية الحجرة الشريفة بدل الكسوة التى كانت تصلها من الخلفاء والتى ادرك ابن النجار منها ثلاث ستائر بعضها فوق بعض (٥) . ثم زاد عدد هذه الستائر حتى بلغت

---

(١) النطع بساط من الاديم جمعه انطاع ونطوع . انظر ابن منظور فى لسان العرب جـ ٨ ص ٣٥٧ . والفيروزبادى فى القاموس المحيط جـ ٣ ص ٩٢ .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا : جـ ٢ ص ٦٠٣ .
(٣) الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٠ .
(٤) الخزرجى : نفس المصدر ص ٢٣٠ .
(٥) الدرة الثمينة ، ص ١٤٠ .

قبل حريق عام ٦٥٤ هـ احدى عشرة ستارة (١) . ولم تكن كسوة الحجرة الشريفة والكعبة المعظمة هي ما افتقده أهل الحجاز من عاصمة الخلافة العباسية بل " ان الحاج انقطع من العراق عن مكة في سنة خمس وخمسين وستمائة الى سنة ست وستين ، فلم يرد من هناك حاج في هذه المدة " (٢) لان ما حصل ببغداد كان أعظم كارثة في تاريخ الاسلام وحضارته وفي ذلك يقول الشاعر :

ياعصبة الاسلام نوحي واندبي	حزنا على ماتم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه	لابن الفرات فصار لابن العلقمي (٣)

* * *

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٩٩ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ص ٤٨ .

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٧١ .

ثانيا : عمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ

(فى عهد الملك نورالدين ايبك ، ويوسف بن رسول ، وسيف الدين قطز .) .

كان النزاع من أجل السيطرة على الحجاز قائما على أشده بين الايوبيين فى مصر والرسوليين فى اليمن منذ وفاة الملك الكامل سنة ٦٢٥ هـ . وظل الامر مذبذبا بينهما فيدعى "لهذا حينا ولذلك حينا آخر" (١) ،على منابر الحرمين الشريفين ، وهو مكسب سياسى عظيم طالما حرص الولاة والحكام والمتنافسون على الفوز به ، حتى عد لقب خادم الحرمين الشريفين من اهم الالقاب فى الدولة المملوكية الاولى (٢) ، التى ورثت السلطة على الحجاز من الايوبيين بعد مقتل الملك المعظم توران شاة سنة ٦٤٨ هـ .

والحقيقة أن الفترة التى صاحبت قيام الدولة المملوكية الناشئة كانت مليئة بالاحداث الداخلية والخارجية (٣) ، هذا فضلا عن الضعف الكبير فى الموارد الرئيسية لهذه الدولة الحديثة نتيجة الاحداث التى صاحبت قيامها . ولذلك فان الملك المنصور نورالدين على بن المعز ايبك (٦٥٥ - ٦٥٦ هـ) بارك التعاون مع الدولة الرسولية فى اتمام عمارة الحرم النبوى الشريف التى بدأها الخليفة العباس رحمه الله .

---

(١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٢ .

(٢) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وقد ذكر ان صلاح الدين الايوبى قد تلقب بهذا اللقب كما ورد فى نص تعمير بتاريخ ٥٨٧ هـ فى قبة يوسف فى بيت المقدس .

(٣) كان التنافس بين الامراء المماليك يهدد الدولة الناشئة من الداخل وتحرك التتار نحو البلاد الاسلامية يهددها من الخارج .

وإذا كانت المؤلفات التي اطلعت عليها لم تمكنني من معرفة كيفية ذلك التعاون وأول من أقره ، الا أنه يمكن القول بان الظروف التي كان يمر بها العالم الاسلامي آنذاك ، وما للحرم النبوي الشريف من قدسية يعظمها الطرفان ويحترمانها ،أملت عليهما ذلك التعاون المشترك وانستهما اطماعهما وأحقادهما كشأن المسلمين عندما يحسون بخطر يتهدد امنهم وكيانهم .

لذلك فقد وصلت في سنة ٦٥٦ هـ بعد موت الخليفة العباسي "الآلات من مصر وكان المتولي تلك السنة الملك المنصور نور الدين علي بن أيبك المعز عمز الدين أيبك الصالحي،ووصل ايضا من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول آلات وأخشاب" (١) وبدئ في اتمام العمارة المشتركة ، بيد أن الكثير من تفاصيلها غير معروف لنا ، ان لا يعرف على وجه اكيد مصير العمال الذين انجزوا ماتم من عمارة المسجد الشريف في عهد الخليفة العباسي،وهل أسند اليهم العمل في تسقيف المسجد هذه المرة أيضا أم أن صناعا وعمالا " اتوا من الدولتين المتعاونتين قاموا بذلك؟ . بيد أنه يبدو من الأعمال التي أنجزت نتيجة هذا التعاون خلال سنة ٦٥٦ هـ والتي حددها المطري بانها اكمال سقف المسجد " الى باب السلام المعروف قديما بباب مروان بن الحكم " (٢) أن العمارة قد اسندت اليهم أيضا ، وذلك لحرص المسئولين على ان تكون الصفة في مقدم المسجد واحدة . وقد حرص الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول من أول يوم بدأ فيه هذا التعاون على

---

(١) المطري : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، السبكي : تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، جـ١ ص ٢٩٣ ، من فتاوى السبكي ، الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ورقة ٨٩ أ .

(٢) المطري : المصدر السابق ،ص ٢٥ ، الفيروزبادي : المصدر السابق ، ورقة ٨٩ أ .

عمل منبر يحل مكان المنبر المحترق فعمل منبرا رمانتاه من الصندل وأرسله " فى سنة ست وخمسين ونصب فى موضع منبر النبى صلى الله عليه وسلم "(١) . ورغم الاهتمام الكبير الذى بذله ملك اليمن فى انجاز عمارة المسجد النبوى بالاشتراك مع الملك المنصور نور الدين على بن أيبك ، الا انه ليس لدى من المعلومات مايبين الانجازات اليمنية فى تلك العمارة التى شملت تسقيف المسجد الشريف فى تلك السنة " الى باب السلام المعروف قديما بباب مروان بن الحكم "(٢) . ولم يذكر المطرى أو من تبعه من المؤرخين المتأخرين (٣) شيئا عن الاسهام اليمنى فى الجزء اليسير الذى أنجز من عمارة المسجد النبوى ، وكل ماذكروه هو فى الحقيقة تكرار لما أوجزه المطرى الذى لم يعاصر العمارة وانما كان يكتب معتمدا على مايسمعه من شيوخ المدينة فى عصره ، وقد خلا ذلك الزمن مع الاسف من مؤرخ معاصر أو رحالة يصف لنا المراحل الدقيقة لهذه العمارة .

وترتب على ماحل بمصر فى اواخر سنة ٦٥٦ هـ من أحداث جسام أتت بالملك المظفر سيف الدين قطز (٦٥٧ - ٦٥٨ هـ) على رأس السلطة فيها ، أن توقف التعاون المصرى اليمنى ، وانفرد سيف الدين قطز باكمال عمارة المسجد

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، وانظر وجيه الدين الوصابى : الإعتبار فى التواريخ والاثار (المعروف بتاريخ وصاب) ص ١١٧ ؛ الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ١٠١ أ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٠٧ .

(٢) المطرى : المصدر السابق ص ٢٥ .

(٣) أمثال الاسفرائينى فى زبدة الاعمال ، والفيروزبادى : المصدر السابق ، والخوارزمى فى اثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة ، والمراغى فى تحقيق النصرة ، بيد ان الخزرجى ذكر فى مخطوط العسجد المسبوك ، ص ٢٣٤ فى حوادث سنة ٦٥٧ هـ أن الملك المظفر يوسف بن رسول تولى " أمر الحرم وعمارته واقامة منايره وخدمته وجوامك خدامه " وقد يكون المقصود بذلك الحرم المكى لا المدنى .

النبوى الشريف رغم الجهود المكثفة التى كان يقوم بها فى اعداد الجيوش المصرية لصد الزحف المدمر من قبل التتار على شرق العالم الاسلامى وما أنجز من عمارة المسجد فى عهده فهو اكمال تسقيف المسجد الشريف " من باب السلام الى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة . . . ومن باب جبريل الى باب النساء"(١) وهو عمل كبير يعادل ما أنجز من عمارة المسجد ابان التعاون المصرى اليمنى الذى سبقه . ومن المؤكد أن معظم احتياجات المسجد الشريف من اخشاب الساج ، وهى المادة الاساسية فى تلك العمارة قد تكفل بها بعد سقوط الخلافة سنة ٦٥٦ هـ ملكا اليمن ومصر(٢) ، وأن ماقام به السلطان قطز لايعد وتأمين الاجور البسيطة للقائمين بعمارة المسجد ، وبعض المواد اللازمة للعمارة . ومهما يكن من أمر فان ما انجز من هذه العمارة فى عهد المستعصم بالله العباسى ٦٥٠ - ٦٥٦ هـ ونور الدين على بن ايبك . ويوسف بن رسول ٦٥٦ - ٦٥٧ هـ وسيف الدين قطز ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ - وكان مقتصرا على تجديد سقف المسجد بطبقتيه(٣) - لم ترجعه " الى الصفة التى كان عليها ولا الى قريب منها بل صار الى السذاجة وصفات مساجد الاسلام "(٤) المجردة من النقوش والزخارف انظر شكل (٤٩) .

---

(١) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ص ٢٥ .

(٢) كانت النية عند ملكا مصر واليمن معقودة على اتمام عمارة المسجد النبوى بعد سقوط الخلافة العباسية ولذلك فطنى ان تامين الاخشاب اللازمة لاكمال هذه العمارة قد سبق بدء العمل المشترك الذى قاما به اوخلال قيام اعمال العمارة لأنهما بالطبع لم يكونا يتوقعا ما يخفيه لهما الدهر من زوال ملك قطز وانفراد بيبرس بعمارة المسجد بعده .

(٣) أعيد سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفان يعلو احدهما الاخر ، واعلاهما ذو صفة بنائية وعلية العمدة فى تحمل السطح وهو فى العادة يتكون من قطع خشبية كبيرة . اما السقف الاسفل فهو ذو صفة جمالية وهو من ألواح الخشب المنتظمة الجميلة .

(٤) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٦ ب .

ومع طول المدة التى استغرقتها هذه العمارة فى ظل أربعة حكــــام لفترات مختلفة من تاريخ العالم الأسلامى فأنها تنبىء عما كان للتمــــزق السياسى والضعف المادى من آثار سيئة فى حياة المسلمين على نقيض ماتدل عليه العمارات السابقة للحرمين فى العصور الذهبية للأسلام ، وبصفة خاصة فــى عهد الوليد بن عبد الملك والمهدى العباسى من ازدهار وقوة سلطان .

• • •

ثالثا : عمارة الظاهر بيبرس :

١ - أعمال السلطان الملك الظاهر بيبرس فى المسجد النبوى :

اعتلى الملك الظاهر بيبرس عرش مصر فى أواخر سنة ٦٥٨ هـ بعد مقتل سيف الدين قطز وهو على مشارف مصر عائدا بالنصر من أكبر لقاء بين المسلمين والتتار فى عين جالوت . واذا كان قطز قد جوزى جزاء سنمار فان بيبرس استفاد سياسيا من انتصار قطز فى دعم سلطانه . وماكاد يستتب له الامر سنة ٦٥٩ هـ حتى أخذ يتطلع الى السيطرة على الحجاز وبسط سيادته على الحرمين ، ليقوى بذلك نقله الخلافة العباسية الى مصر(١) ، التى كان قد أقامها فيها منذ عهد قريب ليدعم أن أمير المؤمنين الحقيقى هو من كان صاحب الحرمين (٢) وقد شهدت مصر فى عهده استقرارا سياسيا صاحبه ازدهار مالى بسبب النشاط التجارى عبر البحر الاحمر بعد " تعطل الطريق التجارى البرى عبر وسط آسيا " (٣) ، على أثر غزوات المغول لغرب آسيا فى القرن السابع الهجرى (٤) .

ورغبة فى اضفاء الشرعية على الخلافة العباسية التى أحياها الظاهر بيبرس تحت كنفه فى مصر ، فقد اهتم باكمال ماتبقى من عمارة الحرم النبوى الشريف ، فأرسل فى سنة ٦٥٩ هـ " الاموال والاصناف صحبة الامير علم الدين اليغمورى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة " (٥) ويبدو أن مهمة الامير اليغمورى كانت استطلاعا لاحوال المسجد وما يحتاج اليه فان المواد اللازمة لهذه العمارة

---

(١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، جـ٢ ص ٢٣٨ ، حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٢٦٧ ومابعدها .

(٣) على بن حسين السليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٤) نفس المرجع ص ١٥٧ .

(٥) المقريزى : كتاب السلوك ، جـ١ ، القسم الثانى ص ٤٤٥ .

لم ترسل من القاهرة الا في رمضان سنة ٦٦١ هـ(١) ، وبقاء المسجد الشريف من سنة ٦٥٩ هـ الى سنة ٦٦١ هـ دون اكمال لسقوفه يثير افتراضات عدة منها :

١ - ان شدة الاهتمام بأمر المسجد النبوي الشريف قد خفت نوعا ما بعد اكمال سقف ظلة القبلة التي تحتوي على المسجد الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ان ما أعده الظاهر بيبرس لهذه العمارة من مواد وآلات ، يختلف عما أعد للمسجد النبوي في المراحل السابقة بدليل اختلاف سقف مؤخر المسجد الذي عمر في عهده عن بقية سقوف المسجد التي عمرت من قبل ، فقد جعل مؤخر المسجد الشريف سقف واحد (٢) بالاضافة الى أن تلف ما كان بالاروقة التي عمرها بيبرس من اسطوانات الرخام(٣) ، قد أخذ وقتا وجهدا كبيرين عند استبدالها بقطع حجرية منحوتة ، ولعل هذه احدى مهام الامير اليغموري الذي قدم المدينة سنة ٦٥٩ هـ .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ص ٢٣٨ ، المقريزي : كتاب السلوك ، جـ ١ القسم الثاني ص ٥٠٢ .

(٢) انظر أدناه ص ٢٣١ .

(٣) كان مقدم المسجد محتفظا بعمارته من عهد الوليد حتى الحريق الأول ، وكانت اسطواناته مؤلفة من قطع حجرية مدورة كما سبق ذكره في عمارة الوليد والمهدي . ولابد ان اغلبها قد سلم من التلف في هذا الحريق . مما ساعد القائمين بعمارة مقدم المسجد على الاستفادة منها ، اما الرواق الشرقي والغربي والشمالي فكان المهدي قد استبدلها باسطوانات الرخام ، ويبدو أنها قد تلفت كلها في الحريق الاول مما جعل بيبرس يستبدلها باسطوانات مشابهة لما كان في مقدم المسجد .

٣ - ان ما أعد من أخشاب المسجد وأدوات بنائه من عام ٦٥٥ الى ٦٥٨ هـ (فى عهد المستعصم بالله ونور الدين على بن ايبك ، والملك المظفر يوسف بن رسول ، وسيف الدين قطز) لم يعد كافياً وربما غير صالح لأتمام هذه العمارة .

٤ - ان بعض أجزاء (أو ملحقات) المسجد كالمنارات مثلا (١) عمرت فى الدولة المملوكية الأولى ، ولم تذكر كتب التاريخ التى رجعت اليها اسم من عمرها ، لذلك أظن انها عمرت فى زمن الظاهر بيبرس استنتاجا من طول المدة التى استغرقتها هذه العمارة التى بدأت من سنة ٦٦١ هـ وانتهت سنة ٦٦٨ هـ .

ومهما يكن من أمر ، فما كادت تتوفر لدى الظاهر بيبرس الاخشاب والأدوات اللازمة لبناء المسجد الشريف ، حتى عمد الى أن يتخذ من ذلك ذريعة لتأليف القلوب حوله ، وظهوره بمظهر الحاكم الحريص على خدمة الحرمين الشريفين ، فطيف فى شهر رمضان من سنة ٦٦١ هـ "بتلك الاخشاب والآلات بمصر فرحة وتعظيما لشأنها ، ثم ساروا بها الى المدينة النبوية" (٢) . وفى نفس السنة كما يقول المقريزى احتفل بيبرس بارسال كسوة الكعبة المعظمة ، وقد

---

(١) ذكر ابن المحجوب فى مخطوط قرة العين فى اوصاف الحرمين ، ورقة ٦٨ أ . أنه شاهد صوامع المسجد النبوى ، على صفة صوامع مصر ، ثم ذكر انها من تجديد ملوك الترك وان " طول هذه الصوامع الموجودة الان هناك فى هذه المائة التاسعة يقرب من مائة ذراع " . ولم تكن هذه المنارات مما عمر فى عهد السلطان قايتباى لأن المؤلف لم يذكر فى مخطوطه اى شىء من اعمال قايتباى فى المسجد النبوى ، وذلك لان زيارته للمدينة كانت قبل الحريق الثانى . كما ان ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ أشار الى بعض التغييرات الحادثة بهذه المنائر فى زمنه . انظر أدناه ص ٢٣٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٨ .

حملت * على البغال وطيف بها فى القاهرة ومصر ، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والأئمة ، وسفرت الى مكة فى العشر الأوسط من شوال ، وفوضت عمارة الحرم لزين الدين بن البوروى (١) . وفى شهر رمضان من سنة ٦٦٢ هـ جهزت كسوة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعيين سفرها مع الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ومعها الشمع والبخور والزيت والطيب (٢) .

وهذه الطريقة التى اتبعها بيبرس فى الأحتفال بارسال الأدوات اللازمة للمسجد النبوى (٣) ، وكذلك الاحتفال بارسال كسوة الكعبة ، اتبعها أيضا سلاطين المماليك الذين أتوا بعده ، وخاصة عند ارسالهم كسوة الكعبة التى كانت تخرج من القاهرة كل عام (٤) .

ويبدو لى أن اهتمام الظاهر بيبرس بعمارة المسجد النبوى منذ أن تولى عرش مصر فى أواخر سنة ٦٥٨ هـ حتى عام ٦٦٣ هـ كان يتركز على اصلاح مقدم المسجد وازالة آثار الحريق من الجدران والاسطوانات ، وذلك بالتبييض والدهان ، وغير ذلك من الأعمال ، وهى أعمال لم يتمكن المسئولون عن العمائر السابقة من انجازها بسبب ضيق الوقت ، ولأنهم كانوا يعتزمون تجهيزه للمصلين

---

(١) المقريزى : كتاب السلوك ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ٥٠٢ ، ابن بهادر : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، جـ ١ ص ١٠٥ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ٥١٢ .

(٣) لم تذكر المصادر أن بيبرس احتفل بارسال الأدوات اللازمة للعمارة القائمة فى المسجد النبوى الا مرة واحدة وتفسير ذلك أن الأدوات المذكورة ، والحرفيين قد أرسلوا من مصر الى المدينة بعد الاحتفال المذكور ، أما الأخشاب فكان مصدرها الهند ، ولذلك فلم يتمكن بيبرس من الاحتفال بوصولها .

(٤) على بن حسين السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٧ .

والزائرين حتى يتمكنوا من اكمال عمارة مؤخر المسجد وجوانبه ، وبذلك يتسنى لهم اخلاء مقدم المسجد حتى يتم تبييضه ودهنه .

ويعتبر الذهبى سنة ٦٦٣ هـ هى السنة التى بدئ فيها "بعمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم "(١) ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير من ان الظاهر بيبرس بعث سنة ٦٦٣ هـ "بأخشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٢) . وزاد ابن حبيب الأمر تفصيلا فقال فى حوادث السنة المذكورة ان السلطان المذكور عزم على "عمارة الحرم النبوى ، وجهز اليه البنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وأهل الاعمال على اختلافها ، والآلات مع تباين أنواعها وأصنافها ، وأرسل معهم أميرين وناظرا وطيلسا ومباشرين وسائر ما يحتاجون اليه من المؤن والكلف والاشربة والادوية "(٣) . وقد جرت العادة بارسال شخص أو أكثر من أصحاب المراكز الممتازة ليكون لهم الاشراف الاعلى على العمل . ومن أجل ذلك فقد أرسل الاميران "جمال الدين محسن الصالحى وشهاب الدين غازى اليغمورى"(٤) ، مع الناظر المسؤول عن عمارة الحرم الشريف الذى كان بصحبته من الصناع "ثلاثة وخمسين صانعا "(٥) وهم الذين شيدوا بقية سقف المسجد بعد أن توفرت لهم الأخشاب اللازمة خلال المدة المذكورة . وقد ظل العمل فى

---

(١) العبر فى خبر من ذهب جـ٥ ص ٢٧٣ .

(٢) البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٤٥ .

(٣) ابن حبيب : درة الاسلاك فى دورة الاتراك ، جـ١ ورقة ٢٨ ب .

(٤) الفيروزبادى : المغانم المطابة فى معالم طابة ، ورقة ٨٩ أ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٤ .

(٥) الفيروزبادى : المصدر السابق ورقة ٨٩ أ .

المسجد النبوى مستمرا حتى كملت عمارة السقف المتبقى وذلك مدة أربعة أعوام على ما صرح به الأمام الذهبى[١]، وكان الظاهر بيبرس يمدهم خلالها بالأموال والالات اللازمة[٢]. ومن ذلك ما ذكره المقريزى من أن الظاهر بيبرس أرسل فى سنة ٦٦٤ هـ مع الأمير جمال الدين نائب دار العدل "مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسير الغلال لجرايات الصناع"[٣] ولم تتم عمارة المسجد النبوى الشريف الا فى سنة ٦٦٨ هـ وليس فى سنة ٦٦٢ هـ كما ذهب اليه على بن حسين السليمان[٤].

. . . . . .

---

(١) العبر فى خبر من ذهب ، جـ ٥ ص ٢٧٣ ، ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك جـ ١ ورقة ٢٨ ب .

(٢) ذكر الفيروزبادى فى المغانم المطابة ورقة ٧٩ أ ، بعد كلامه عن ارسال بيبرس للأميرين وناظر الحرم أنه " كلما عارضهم شىء من الالات والنفقات جهزها اليهم لعطلما تبقى من المسجد ".

(٣) كتاب السلوك ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ٥٤٤ .

(٤) العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠ .

خشبية ضخمة ، أما السفلى وهو الذى نراه فقد اهتم به المعمار من الناحية الفنية الجمالية "[١]. وقد قلل هذا النوع من السقوف من الارتفاع الكبير الذى تميزت به جدران المسجد النبوى التى بلغ ارتفاعها فى عمارة المهدى خمسة وعشرين ذراعا[٢]، وقد احتفظ أيضا بنفس هذا الارتفاع فى عمارة بيبرس للرواقين الشرقى والغربى ، أما الرواق الشمالى فقد انخفض مستوى السطح فيه بسبب استخدام السقف الواحد فى عمارته . وذلك لأنه استقر الرأى على أن يكون سقف الرواق الشمالى على صفة تخالف بقية سقوف المسجد ، الأمر الذى أدى بالمشرفين على عمارة المسجد الى اعداد الأخشاب اللازمة لهذا السقف ، وكانت تلك الأخشاب تختلف من حيث القوة والسمك عن الأخشاب المستخدمة فى بقية سقوف المسجد . وذلك لأنها عملت لتؤدى الوظيفتين اللتين يقوم بهما السقف المزدوج . وهما : تحمل ضغط البناء الذى كان يقوم به السقف العلوى ثم ايفاء الناحية الجمالية حقها التى كان يؤديها السقف الأسفل . ومن الملاحظ أن سقوف العمائر المملوكية كانت تمتاز باهتمام الفنانين بزخرفة السقف الأسفل وتقسيمه" الى مناطق مستطيلة تحيط بها مربعات صغيرة أو قصع مقعرة مستديرة ، وكل هذه المساحات مزخرفة بالزخارف النباتية المحورة (أرابسك) مموهة بالذهب واللازورد "[٣].

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة فى عصر المماليك ، ص ٢٣٦ .
(٢) أنظر أعلاه ص ١٠٦ .
(٣) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق ص ٢٣٧ . وقال البيرونى فى كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ١٩٥ ، أن اللازورد نوع من الجواهر " يبرد ويجلى ويطحن ويستعمل فى الأصباغ ومادام صحيحا فانه يضرب الى لون النيل وربما مال الى السواد . . . واذا سحق وهو برخاوته مؤاتى للطحن أشرق لونه وجاء منه صبغ مؤنق لا يدانيه شىء من أشباهه".

ويغلب على الظن أن ذلك روعى أيضا فى سقوف المسجد النبوى وان لم يشر اليه أحد من المؤرخين . ومن حيث ارتفاع هذا السقف فان الأمر لا يخلو من احتمالين : اما أن يكون السقف المفرد كان فى مستوى السقف الأسفل فى كل من المجنبتين ، وفى هذه الحالة يكون البناء قد استخدم أسطوانات بطول الاسطوانات المستخدمة فى مقدم المسجد ومجنبتيه ، ويكون سطح المسجد كان على مستويين مختلفين كما يبدو فى الشكل (٥٠) نموذج أ. والاحتمال الثانى أن يكون البناء قد جعل السقف المفرد فى مستوى السقف العلوى للسقف المزدوج فى مقدم المسجد والمجنبتين ، وفى هذه الحالة يقتضى الامر زيادة ارتفاع الاسطوانات ويكون سطح المسجد كان على مستوى واحد بينما يكون سقف الرواق الشمالى أعلى بقامة رجل من سقفى المجنبتين شكل (٥٠) نموذج ب ، مما يترتب عليه أثر فنى غير جميل ، خاصة اذا كان قد روعى زخرفة كل من هذه السقوف ، فضلا عما ينجم عن زيادة ارتفاع الاسطوانات من نفقة ووقت عمل . وقد كان ارتفاع جدران المسجد خمسة وعشرين ذراعا (١) . ويؤيد الاحتمال الاول مايذكره السمهودى من أنه شاهد قبل الحريق الثانى سقفى الظلتين الشرقية والغربية ، أى سقفى المجنبتين ، على مستوى سقف الظلة الشمالية وانها جميعا كانت على مستوى سقف مقدم المسجد (٢) .

أما عدد البلاطات التى يتكون منها مؤخر المسجد الذى عمر فى عهد الملك الظاهر بيبرس على صفة تخالف بقية سقوف المسجد ، فقد انتقص منها بلاطة واحدة فأصبح عددها أربع بلاطات بدلا من الخمس التى كان يتألف منها قبل الحريق الأول . ويذكر السمهودى أن انتقاص البلاطة المذكورة كان

---

(١) احتفظ المسجد النبوى الشريف فى هذه العمارة بالارتفاع الذى كان عليه فى عمارة المهدى وهو خمسة وعشرون ذراعا اى مايعادل ١٢ مترا . انظر الفصل الخاص بعمارة المهدى ، ص ١٦٠ .

(٢) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٥ .

في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما زاد في مقدم المسجد بلاطتين في سنة ٧٢٩ هـ (١) ، أما العبدرى الذي زار المسجد النبوي الشريف سنة ٦٨٩ هـ ، فيذكر أن في مؤخر المسجد النبوي الشريف اى في ناحية الشمال أربعة صفوف (٢) .

وكان اهتمام الظاهر بيبرس بجمال السقف الاسفل كبيرا اذ جاء أنه طلاه بماء الذهب (٣) ، ومن البديهي ألا تقتصر الزخرفة على ما أنجز من عمارة المسجد في عهده وانما شملت جميع سقوفه (٤) ، كما جددت بعض الاسطوانات وأصلح البعض الآخر من آثار الحريق (٥) وبيضت حيطان المسجد (٦) واسطواناته بالفضة (٧) ، وقد استغرقت هذه الأعمال الكثيرة جزءا من المدة التي استغرقتها عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوي من

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٧١ .
(٢) رحلة العبدري (الرحلة المغربية) ورقة ١٠٦ أ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ص ٢٧٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ١٩٤ .
(٤) ابن تغرى بردى : نفس المصدر جـ ٧ ص ١٩٤ .
(٥) عن اسطوانات الرخام التي قام بيبرس باستبدالها نظرا لتلفها باسطوانات الحجر المنحوتة . انظر اعلاه ص ٢٢٥ وما بعدها .
(٦) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩٤ .
(٧) ذكر العبدري الذي زار المدينة بعد انتهاء عمارة الظاهر بيبرس بواحد وعشرين عاما في ورقة ١٠٦ أ من رحلته " أن اساطينه مبيضة بالفضة " ولا يعقل أن يكون التبييض الذي أشار اليه ابن تغرى بردى في جدران المسجد بالفضة ايضا فلعل التبييض في جدران المسجد بالقصة وفي أساطينه بالفضة .

سنة ٦٥٩ - ٦٦٨ هـ . وهى فترة لم تستغرقها أية عمارة سابقة . ومع هذا كله لم يعد المسجد النبوى الشريف الى ماكان عليه ولا الى قريب منه،ولم تدخل الفسيفساء هذه المرة فى عناصر زخرفته الا أنه قد حوفظ على مابقى منها سالما من الحريق . وكانت اجزاء صغيرة موزعة فى بعض أنحاء المسجد الشريف ، وقد بقيت حتى شاهدها السمهودى فى القرن التاسع وقال عنها " انها شئ يسير فى مؤخر السقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك(١) ، وشئ يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلى بابها فيه شئ من الفسيفساء ، وأما جدار القبلة فليس به اليوم (زمن السمهودى) الا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف ، وهو من الاثار القديمة ، وكان يقابله فى جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا ، ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى "(٢) .

واذا كانت القناديل التى كانت تحلى سقوف المسجد النبوى ، قد تلفت فى الحريق المذكور ، فان ماكان يختزن فى قبة صحن المسجد الشريف

---

(١) انظر أعلاه ص٢٠٨.

(٢) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٢ - ٦٧٣ . ذكر البلوى الذى زار المدينة المنورة سنة ٧٣٧ هـ فى رحلته الموسومة بتاج المفرق ، جـ ١ ص ٢٨٧ . وصفا لجدار القبلة يظن لاول مرة انه تجسيد لواقع المسجد اثناء زيارته للمدينة ، غير انه يتبين من مقارنة مايذكره بما اورده ابن جبير فى رحلته ص ١٧٢ ، انه استقاه منه اذ يقول : " ونصف جدار القبلة الاسفل رخام موضوع ازار على ازار مختلف الصنعة مجزع ابدع تجزيع والنصف الاعلى من الجدار منزل كله بالذهب قد انتج فيه نتائج غريبة من الصنعة فيها تصاوير اشجار مختلفات الصنعة مائلات الاغصان فيه بثمرها . والمسجد المكرم كله على تلك الصفة ، لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل " .

من أمثالها قد قلل من حجم الخسارة ، وقد أستعين بهذه القناديل في اثارة جزء من المسجد الشريف بالاضافة الى ما ورد من مصر من شماعد ومشكوات زجاجية ، وقناديل كانت تصل دائما للمسجد الشريف عند الانتهاء من كمل عمارة (١) .

ب - منبر المسجد النبوى الشريف :

أتلف الحريق الاول سنة ٦٥٤ هـ المنبر الشريف الذى كان يزين المسجد النبوى الشريف (٢) . وبقى المسجد بعده دون منبر يخطب عليه حتى أخذ الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول على عاتقه عمل منبر جميل الصنعة طيب العود وصفت رمانتاه بانها من الصندل ، ونصب فى موضع المنبر الاول سنة ٦٥٦ هـ (٣) . وظل يخطب عليه عشرة اعوام حتى استبدله الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ بمنبر جميل امتاز بدقة الصنعة التى ميزت المنابر المملوكية المصنوعة من الخشب آنذاك (٤) ، ويصفه البلوى الذى زار المدينة فى موسم ٧٣٧ هـ وشاهده انه " فى أدق نمنمة (٥) وأوضحها رقم (٦) من رفيع الابنوس

---

(١) تعرضت هذه القناديل المصنوعة من الذهب والفضة لسرقات عديدة من أمراء المدينة مما سأشير اليه عند الكلام عن اثاث المسجد الشريف .

(٢) انظر مانقلته عن المطرى بخصوص تشككه فى بقاء منبر الرسول عليه السلام حتى زمن الحريق فى حاشية ص ٢٠٧ .

(٣) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ .

(٤) اعتبر زكى محمد حسن فى فنون الاسلام ص ٤٦٧ ، المنابر المملوكية من التحف الدقيقة وذلك لان النجارين استطاعوا " أن يبدعوا فى زخرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة واصبح العنصر الزخرفى السائد فى ترتيب الحشوات تجميعها بحيث تؤلف اطباقا نجمية واجزاء من أطباق .

(٥) يعنى أدق صنعة . والنمنمة كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ، جـ ١٢ ص ٥٩٣ " خطوط متقاربة قصار شبه ماتنمنم الريح دقاق التراب ، ولكل شىء نمنمة : وكتاب منمنم منقش ونمنم الشىء نمنمه اى نقشه وزخرفه . وثوب مرقوم موشى .

(٦) يعنى طعم .

ونفيس الصندل الأحمر والأصفر والبقس واللبع والبقم والشوحط والقيقب[١] ، بأحكم تصنيف وأبدع تركيب "[٢] . ورغم جدوى هذا الوصف الذى أورده البلوى عن أنواع الخشب التى طعم بها هذا المنبر ، الا أنه لا يغنى عما اورده الفيروزبادى المتوفى سنة ٨١٠ هـ من معلومات مفيدة عن حال هذا المنبر الذى قال عنه ان " طوله أربعة اذرع فى السماء ومن رأسه الى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلا . وعدد درجاته سبع بالمقعد وفى جانبه الشرقى تجاه الحجرة الشريفة طاقة صغيرة مفتوحة مثمنة دورها[٣] يزيد على ذراع ويقال انه مثال الطاقة التى كانت فى المنبر الذى كان غشيا[٤] لمنبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الزايرون يدخلون أيديهم من تلك الطاقة فيتمسحون بالمنبر الشريف من داخله[٥] .. وللمنبر باب بمصراعين فى كل مصراع رمانة من فضة وتاريخ المنبر مكتوب فى عتبة الباب بنقر فى الخشب صورته فى سنة ست وستين وستمائة ، وكتب على جانبه اسم صانعه أبوبكر بن يوسف النجار "[٦] .

---

(١) البقس واللبع أو النبع والبقم والشوحط والقيقب ، أنواع من الاشجار معروفة يصبغ بطبخها ، والبقس شجر معروف كالاس ورقا وحبا ، صلب تتخذ منه المغالق والأبواب والمعالق والاوانى ، والبقم شجر يصبغ به قيل هو العندم (دخيل معرب) ورقه كاللوز وساقه احمر والشوحط ضرب من النبع تتخذ منه القسى وهو ما ينبت فى الحضيض والنبع ما ينبت فى الاعالى " . انظر البلوى : تاج المفرق جـ ١ حاشية ص ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٨٦ .

(٣) يقصد طول ضلعها .

(٤) يعنى غطاء لمقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو المنبر الذى صنعه معاوية رضى الله عنه ، ووضعه فوق منبر الرسول عليه السلام لكى يخطب عليه ويصان منبر رسول الله من الجلوس عليه . انظر شكل (٤١) .

(٥) هذه من البدع التى شاع العمل بها فى زمن المؤلف .

(٦) الفيروزبادى : المغانم المطابة فى معالم طابة ، ورقم ١٠١ أ ، وقد ذكر ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ فى نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ١٦٠ . انه أدرك هذا النجار فقال : " وكان ممن أدركناه من الاكابر الصلحاء المتقدمين فى عمارة الحرم بالنجارة الشيخ أبوبكر بن يوسف المعروف بالمحجوب النجار . قدم المدينة بعد حريق الحرم بالمنبر الشريف الموجود اليوم فوضعه فاحسن فى وضعه وفى نجارته وكتب اسمه عليه . وذلك فى سنة ست وستين وستمائة ، انقطع بالمدينة الى ان توفى بها رحمه الله ".

وكما اهتم الظاهر بيبرس بالمنبر الذى رأينا من وصفه مدى عنايته به ، فقد اهتم أيضا بالمحراب النبوى الشريف الذى عده الفيروزبادى والسمهودى عملا فنيا يليق بالمقام الشريف ، وقد أدركاه قبل أن يدمره الحريق الثانى ولكنهما لم يصرحا بنسبته الى الملك الظاهر بيبرس أو غيره من ملوك المماليك الترك. بيد انى من خلال الوصف الذى تقدم عن حال المنبر الذى أرسل به الى المسجد النبوى وللاهتمام الكبير الذى أولاه لعمارة المسجد الشريف ، أعتقد انه عمل فى عهده اذ لا يعقل أن يهتم بالمنبر دون المحراب ؛ وقد وصفه الفيروزبادى (١) فقال : أن فى موضع جدار القبلة الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " محراب خشبى قد انتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة ، وفيه حجرة صغيرة مكتوب فى داخلها بنقر فى الخشب قبل وجه الامام بعد البسملة آية الكرسى ، وقد قنطر على بابها بالخشب المشجور البديع الصنعة المرسوم بانواع من الاصبغة ، مكتوب عليه بعد البسملة " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها " (٢) .

وجاء أنه مطلى بالذهب واللازورد ، ومكسو من داخله بكسوة من الحرير" من جنس كسوة الحجرة الشريفة ذات طراز منسوج " (٣). وبما أنه لا يرتكز على جدار كشأن المحراب العثمانى فقد ادعم من ورائه " بدعامة شبه التاج العظيم " (٤) ، ثم وضع درابزين الخشب عن يمين المحراب وشماله فى موضع جدار القبلة الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمييزا لجدار القبلة الأولى عن الجدار الذى استحدث بعد زيادة عثمان رضى الله عنه ، والذى يقع بعد بلاطتين من الدرابزين المذكور ، وجاء انه وضع بأعلى المحراب المذكور

---

(١) المغانم المطابة فى معالم طابة ، ورقة ٩٥ أ ، ب .

(٢) سورة البقرة : الاية ١٤٤ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

" وعن يمينه وشماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل (١) المسماة بالبزاقات تسرج فى ليالى الزيارات "(٢) . ويبدو ان بيبرس اول من أقام المحراب بشكله المجوف فى موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ أننى لم أقف من خلال المصادر التى اطلعت عليها الى من يشير انه عمل بشكله المجوف قبل عمارة بيبرس له (٣) بل كان يكتفى للدلالة على موضع المصلى الشريف بالمحافظة على المستوى الذى كان عليه المصلى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تشكل من ذلك شبه حوض مربع مرخم طوله ستة أشبار وعرضه اقل من ذلك بنحو شبر (٤) .

وعلى اية حال فان هذا العمل وغيره من الاعمال التى قام بها الملك الظاهر بيبرس فى المسجد النبوى تكشف بوضوح عن مدى العناية التى أولاها هذا الملك لعمارة الاماكن المقدسة .

---

(١) المقصود بها صغار القناديل . وقد ذكر ابن منظور فى لسان العرب ج ٣ ص ٤٢ أن كلمة فرخ تستعمل " فى كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها ، والجمع افرخ وافراخ وافرخة ".

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جا ص ٣٧٧.

(٣) ان الروايات التى تناقلها المؤرخون العرب وغيرهم منصبة على المحراب المجوف الذى عمل فى عمارة الوليد بن عبد الملك فى موضع المحراب العثمانى .

(٤) رسالة فى وصف مكة والمدينة وبيت المقدس لمجهول من القرن الرابع الهجرى - مجلة العرب - السنة الثانية ، العدد ٥ ، ٦ سنة ١٣٩٣ هـ ص ٣٥٠.

ج - منارات المسجد النبوى :

لم أجد من المؤرخين الذين تيسر لى الاطلاع على مصنفاتهم من ذكر أن أحدا من ملوك المماليك البحرية ، أو ممن سبقوهم عمر أى منارة من منائر المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الأول ، خلا ماذكره ابن فرحون من تعمير شيخ الحرم كافور المظفرى لمنارة باب السلام سنة ٧٠٦ هـ في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية سنة ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ وكان المسجد النبوى يحتفظ بثلاث منائر منذ عمارة الوليد بن عبد الملك له في حدود سنة ٩١ هـ ثم قام المهدى العباسى بتجديد المنارتين الشماليتين فقط اثناء عمارته للمسجد النبوى الشريف . وقد شاهد ابن جبير الذى زار المسجد سنة ٥٨٠ هـ هذه المنائر وقال أنها "ثلاث صوامع احداها في الركن الشرقى المتصل بالقبلة والاثنتان في ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين ، والصومعة الاولى المذكورة على هيئة الصوامع"(١) . وزار العبدرى المدينة سنة ٦٨٩ هـ ، بيد أن وصفه للمنائر التى شاهدها في المسجد النبوى قاصر لا يفى بالغرض(٢) . وذكر ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ في اشارة يسيرة يستدل منها على تجديد المنارتين الشماليتين في زمن سابق وقد اعترض على ما أحدث بهما اذ يقول : ان احق شئ بالازالة " ما أحدث بالمنارتين الشماليتين قد هاياهما على بابيهما الاصليين ، وجعل مابين البابين في كل منارة خلوة اقتطع فيهما جانب كبير من المسجد "(٣) .

---

(١) انظر اعلاه ص ١٦٨ .

(٢) رحلة العبدرى : ورقة ١٦ ب ، حيث يذكر ان " في المسجد ثلاث صوامع اثنتان على الركنين الجنوبين (صحته الشماليين) وواحدة في مؤخر المسجد (صحته مقدم المسجد " .

(٣) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ١٥ .

ومن المعروف أن عمارة الظاهر بيبرس المجمع عليها كانت في هذا الجانب من المسجد ، ولذلك فان المنارتين المذكورتين كانتا مما عمر آنذاك . الا أنه يؤخذ مما ذكره السمهودي من ادراكه لبعض فسيفساء المسجد في عهد المهدي بجدار "المنارة الغربية الشمالية مما يلي بابها "(١) ، أن المنارتين اللتين كانتا في مؤخر المسجد على شكل برجين لم تهدما الى أساسهما ،بل زيد فيهما فقط في مستوى سطح المسجد في عهد الظاهر بيبرس ، ويزكي ذلك أن المؤرخين الذين تعرضوا لتاريخ المسجد النبوي يذكرون أن منائر المسجد الشريف لم يحدث بها تجديد أو بناء بعد اكتمال عمارة المسجد في عهد الظاهر بيبرس الا في سنة ٧٠٦ هـ ، عندما أعاد شيخ الحرم آنذاك بناء المنارة الجنوبية الغربية (منارة باب السلام) وعندما هدمت الصاعقة المنارة الرئيسية (الجنوبية الشرقية) وسببت الحريق الثاني سنة ٨٨٦ هـ .

ويزيد ذلك تأكيدا مايذكره ابن المحجوب ، الذي زار المسجد النبوي في القرن التاسع(٢) ، عن هذه الصوامع الاربع من أنها "على صفة صوامع مصر وهي من تجديد ملوك الترك "(٣) ، وقد أضاف الى ذلك ان ابن زبالة ذكر ان طولها في زمنه كان خمسة وخمسين ذراعا . وعنده "أن طول هذه الصوامع الموجودة الآن هنالك في هذه المائة التاسعة يقرب من مائة ذراع"(٤)

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٧٣ .

(٢) ذكر سوفاجيه في تحليله لمصادر كتابه ، المسجد الاموي في المدينة ، ص ٢٧ ان وصفه للمسجد كان ينبئ بأنه كان حيا في سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦م .

(٣) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٨ أ .

(٤) نفس المصدر ، ورقة ٦٨ أ .

وهو تقدير يختلف عما اثبته السمهودى عند ذرعه لهذه المنائر قبل الحريق الثانى ، اذ يقول معقبا على كلام ابن جبير " فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير فانهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية ، لاختصاص الرئيس بها ، وكان طول المنارة الرئيسية فى زماننا أولا (قبل الحريق الثانى) من رأس هلالها الى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعا . . وطول المنارة الشرقية الشامية وهى المعروفة بالسنجارية تسعة وسبعون ذراعا . وطول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا ، كل ذلك من أعلى الهلال الى الأرض الخارجية عن المسجد وبه يعلم أن المنارات التى كانت فى زمن ابن زبالة ليست هى الموجودة اليوم "(١) .

كما أن ماذكره السمهودى من مشاهدته لاسم الظاهر بيبرس على خشب السقف القريب من المنارة الرئيسية فى مقدم المسجد عند انكشافه فى العمارة التى أدركها سنة ٨٨١ هـ(٢) . وهو ما عمر فى عهد الخليفة العباسى المستعصم بالله (أى قبل عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوى) ، دليل آخر على كشف السقف ما يلى المنارة الرئيسية التى أعيد تجديدها فى عهد الظاهر أيضا . الا أن نسبة تجديد هذه المنائر الى الظاهر بيبرس يعتمد على طول المدة التى استغرقتها عمارة المسجد فى زمنه ، وعلى الاختلاف الملحوظ بين أرباب الصنائع الذين بعث بهم الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣ هـ الى المدينة ، والذين كان منهم بناؤون وحجارون وقطاعون وطينون أى أصحاب

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٧ ، ويقصد بكلمة اليوم المتكررة فى الكلام المنقول عنه زمن السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٠٨ .

حرف متخصصة فى البناء لم يكن مايدعو الى قدومهم الى المدينة اذا كـــان الامر قد اقتصر على تسقيف المسجد النبوى الشريف .

د - د رابزين الحجرة الشريفة :

تعتبر حجة الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ ، كدليل آخر على عنايتـــه بالحرمين الشريفين، واهتمامه بمشاهدة العمارة القائمة فى المسجد النبـــوى الشريف ، التى أشرفت على الانتهاء عند ما زار المدينة المنورة فى ذلك العام وأخذ يتفقد ما أنجز منها مما أولاه كل اهتمامه . وكان لما اقترحه أثنـــاء حجته من احاطة الحجرة الشريفة بدرابزين من الخشب المخروط ، ذو فصل مختلفة لم تتضح آثارها الا بعد ما نصب الدرابزين على الحجرة الشريفـــة فى سنة ٦٦٨ هـ ، فحجز " طائفة من الروضة الكريمة مما يلى بيت النبى صلـى الله عليه وسلم ومنع الصلاة فيها مع فضلها وفضل الصلاة فيها "(١) . وبلـــغ

---

(١) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٣٥ ، البلوى : تـــاج المفرق فى تحليله علماء المشرق جـ ١ ص ٢٨٦ ، الاسفرائيني : زبـدة الاعمال وخلاصة الافعال ورقة ١٨٨ أ ، السمهودى وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٣ . وذكر ابن المحجوب ما سمعه " من زعم بعض النـــاس أن سبب ذلك خرقة حيث وجدها خدام المسجد المرفع (المقدس) عنـــد رأس النبى صلى الله عليه وسلم فأنكر ذلك السلطان بيبرس وامر بجعـــل الشباك ليكون حاجزا بين الناس وبين القرب من الحجرة الكريمة ، لان بينه وبين جدارها قريب من سبعة أذرع أو ثمانية . . " قرة العين فـــى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ أ .

وقد ظل هذا الدرابزين موضع جدل ونقاش بين بعض العلماء والسلاطين تارة وبين العلماء انفسهم تارة اخرى . فقد ذكر ابن جماعة فيما ينقلـــه عنه السمهودى ان الظاهر بيبرس حدث فى امر هذا الدرابزين وما حجز من الروضة الشريفة فلم يلتفت لشىء من ذلك وذكر انه تحدث شخصيا مع الملك الناصر عند ما زار المدينة سنة ٧٣٢ هـ فى غلق الدرابزيـــن ايام المواسم فسكت ولم يجبه . وذكر السمهودى ما دار بين النجم ابـــن =

من اهتمام بيبرس باقامة الدرابزين توليه شخصيا أمر قياسه بيده وحمل القياس معه الى القاهرة (١) ، حيث صُنع الدرابزين بايدى أمهر الصناع .

وكان من وصفه أنه كان عاليا وقد قدره بعض المؤرخين بقامتين (٢) ، وله ثلاثة ابواب ، أحدها فى الجانب القبلى والثانى فى الجانب الشرقى والثالث فى الجانب الغربى ولهذه الابواب مصاريع " تغلق بأقفال وثيقة ثم يفتحها خدمة وقود القناديل الدايرة بالحجرة الكريمة عند دخولهم لوقود القناديل "(٣) وعلى كل باب منها نص تذكارى يؤرخ لاقامتها اورده البلوى الذى زار المدينة سنة ٧٣٧ هـ ونصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار بزينة للحرم (٤) الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبى الفتح بيبرس الصالحى ،

= حجى قاضى الشام والولى العراقى بخصوص اغلاق ابواب الدرابزين ، وان اغلاقها لم يتم الا عندما تولى النجم ابن حجى ديوان الانشاء فتسبب فى بروز المراسيم السلطانية سنة ٨٢٨ هـ بالامر بغلقها ، ثم ذكر السمهودى انه عزم على مفاتحة الاشرف قايتباى سنة ٨٨٤ هـ بشأن فتح بعض ابواب الدرابزين فى غير ايام المواسم . الا انه تراجع عندما تبين له اعراض الاشرف من دخول الحجرة الشريفة . ويستدل على وجوب فتحه بما ذكره شرف الدين المناوى : " من ان ذلك المحل من المسجد فان كان وجود القذر فيه مقتضيا لتعطيله وصيانته بالغلق فليغلق المسجد بأجمعه . فان حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه واختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه " انظر وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٤ - ٦١٧ .

(١) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٣٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ٨٥ .

(٣) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ ب .

(٤) صحتها بزينة الحرم .

قسيم أمير المؤمنين (١) ، فى سنة ثمان وستين وستمائة (٢) .

ولابد أن كان هذا الدرابزين دقيق الصنعة متناسبا مع عظمة المكان الذى جىء به من أجله وجديرا باهتمام السلطان به شخصيا ، خاصة وأن فن خرط الخشب ونمنمته قد بلغ أوج عظمته فى العصر المملوكى (٣) ، ويؤكد ذلك المنبر الذى أرسله الظاهر بيبرس الى المسجد النبوى سنة ٦٦٦ هـ ، والذى كانت تتمثل فيه الاساليب الفنية فى خرط الخشب وحشواته الدقيقة .

ولعل من المفيد وانا بصدد الحديث عن الحجرة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام أن اذكر ما ورد فى سيرة الظاهر بيبرس من تعليق الكوكب الدرى على المقام الشريف عندما زار المدينة الشريفة (٤) ، وكان قد غنم هذا الكوكب كما يقول مؤلف السيرة من بعض ملوك الهند ، ووصفه بأن له نورا يأخذ البصر فهو كالشمس فى وضح النهار وكالقمر فى سناه (٥) . وقد بالغ مؤلف السيرة فى وصف هذا الكوكب وفى سرور السلطان بيبرس بالحصول عليه ، ومع ذلك لا أجد له ذكر عند العبدرى ، الذى زار المدينة سنة ٦٨٩ هـ ، ولا عند المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ ، الذى هو أقدم من أرخ لتلك الفترة فى شىء من

---

(١) من الالقاب الرفيعة المضافة الى أمير المؤمنين ومعناه مقاسم امير المؤمنين فى سلطانه . وتلقب به بنو بويه فى فارس والعراق والسلاجقة فى اواخر عهدهم . وفى القرن السابع الهجرى عم اطلاقه على كبار سلاطين العالم الاسلامى ، ثم تلقب به الظاهر بيبرس عند ما نقل الخلافة الى مصر ، وتابعه ملوك المماليك الترك فى التلقب به . انظر حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٢) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق جـ ١ ص ٢٨٦ .

(٣) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤٦٧ .

(٤) لم يحج الظاهر بيبرس الا مرة واحدة كانت فى سنة ٦٦٧ هـ . انظر على ابن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٢٩ .

(٥) سيرة الظاهر بيبرس ، لمجهول ، جـ ٣ ص ٤٨٧ .

الوضوح ، وعنده ان علامة الوجه الشريف " مسمار فضة مضروب فى رخامة حمراء" (١) ولعل هذا المسمار هو ما عناه ا مؤلف السيرة الذى أسرف فى المبالغة والخيال فيما ذكره من حوادث وشخصيات تضمنتها السيرة التى حاكها عن الظاهر بيبرس .

هـ - **فرش المسجد النبوى :**

كان لابد للمسجد الشريف بعد هذه العمارة من تغيير رمل المسجد القديم بما علاه من آثار الحريق وفرش أروقته برمل جديد كما كان متبعا بعد كل عمارة . وكان وادى العقيق هو مصدر الرمل دائما (٢) ، كلما دعا الأمر الى فرش المسجد وتجديده . ورغم افتقارى الى دليل صريح عن مصدر الرمل الذى فرش به المسجد بعد اكمال عمارة الظاهر بيبرس ، الا ان ما اورده العبدرى عند زيارته للمسجد سنة ٦٨٩ هـ من أنه " مفروش برمل أحمر" (٣) . قد يشير الى أن مصدره كان من وادى العقيق المشهور بحمرة رمله ، بيد أنه يحتمل ان يكون الرمل قد جدد بعد الظاهر بيبرس ، وذلك لانه طرأ على مقدم المسجد بعد هذه العمارة انخفاض ملحوظ فى الحفرة المحيطة بالمقام النبوى الشريف مما يكون قد " تجدد بعد الحريق الاول " (٤) بالاضافة الى احتمال بقاء رمل

---

(١) المطرى : التعريف بما انست الهجرة ، ص ٢٢ ، البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، جـ ١ ص ٢٨٥ ، الاسفرائينى : زبدة الاعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٥٩ أ .

(٢) ذكر المطرى فى المصدر السابق ص ٥٩ - ٦٢ عدة احاديث وردت فى فضل وادى العقيق المبارك ولذلك كان الحرص شديدا على فرش المسجد برمل منه تبركا به ولان لونه أحمر جميل .

(٣) رحلة العبدرى : ورقة ١٠٦ أ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٣٧٦ .

المسجد الاول وآثار سقفه المتهدم ، تحرجا من اخراجه من المسجد (١) ، أو لأن تفاوت مراحل تعمير مقدم المسجد بعد الحريق فيما بينها (٢) ، سبب ارتفاع أرض رواق القبلة عن مستوى موضع مصلى النبى عليه السلام ، وقد أدرك ابن فرحون هذا العلو فى ارض رواق القبلة عن مصلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال انه ذراع وانه كان يرى دائما " الشيوخ من اهل الخير ينفضون الرمل من الروضة (٣) ، فينسفونها نسفا بالمساحى حتى يعلو ما حول المحراب من الرخام محافظة على قرب المأموم من الامام فى العلو" (٤) .

وقد حاول قاضى المدينة محمد بن سليمان الحكرى المتولى لقضاء المدينة فى حدود سنة ٧٦٠ هـ " ازالة الحفرة التى فى المحراب اما بسدها بحصى او تطبيقها بأخشاب فعارضه الخدام ، فلم يكترث بهم وصنع لها لوحا

---

(١) نقل السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٥٦ ما رواه الاقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين بن عبد الله الاشرفى قال اتانى عام خمسة عشر وسبعمائة رجل من الشام فى موسم الحاج وقال : كنت حججت عام أول ، وحملت شيئا من تراب المسجد وحصبائه فلم ازل اراه فى المنام يقول لى : ردنى الى موضعى عذبتنى عذبك الله ، فها أنا أتيت به . قال : فاخرج صرة فيها ما ذكره فصببناه فى المسجد . وقد أورد السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٦٥٥ احاديث يمتنع اخراج رمل المسجد منه، الا انه نقل ايضا عن الامام مالك ما يفيد بجواز اخراج رمل المسجد منه . كما ذكر فى ص ٦٢٤ انهم عطلوا من الردم الذى أخرجوه من الحجرة الشريفة فى عمارة قايتباى الاولى دكتبا رزة فى مؤخرة المسجد النبوى .

(٢) لم يعمر مقدم المسجد فى عهد ملك واحد، وانما عمر المستعصم العباسى الحجرة الشريفة وما حولها وعمر نور الدين أيبك ويوسف بن رسول من الروضة الى باب السلام . وعمر قطز الى باب الرحمة والى باب جبريل. انظر اعلاه الشكل (٤٩)

(٣) يقصد تقليل ارتفاع رمل مقدم المسجد وذلك بقطع جزء منه .

(٤) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ص ٢ ، وقد زاد ابن المحجوب فى قرة العين فى اوصاف الحرمين ورقة ٧٨ ب " أن حصباءه تعوض فى كل عام عند انقضاء موسم الزيارة لاجل تلويثه باوساخ الجهلاء وعدم تعظيم العوام" .

يقف عليه الامام "(١) . ولكن ذلك لم يدم لعزل القاضي المذكور عن قضاء المدينة بعد ذلك بقليل (٢) . وبقي هذا الانخفاض في موضع المصلى حتى قطعت ارض المسجد بعد الحريق الثاني (٣) فاستوى مع بلاط المصلى الشريف .

وفي صحن المسجد احتفظ بالقبة التي عملها الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٧٦ هـ والتي سلمت من الحريق لخلوها من الأخشاب وبعدها عن سقوف المسجد ، ويعتقد أن الستائر التي كان يستر بها صحن المسجد أيام الجمع والمواسم ، والتي كان أبو جعفر المنصور أول من استحدثها ثم جددها الرشيد في خلافته (٤) ، قد احترقت داخل الخزانة التي شبت فيها النار أول الأمر . ويرجح ان الظاهر بيبرس قد استحدثها من جديد اعتمادا على مايذكره القرطبي من أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لم يستخدمها عندما جدد البلاطتين اللتين في مقدم المسجد مما يلي صحنه سنة ٧٢٩ هـ (٥) ، مما يشير الى أنها كانت مما استحدث بعد الحريق الأول .

واحتفظ المسجد الشريف في عمارة بيبرس بأبوابه الأربعة التي كانت قبل الحريق وهي : باب السلام وباب الرحمة من ناحية المغرب ، وباب جبريل وباب النساء من ناحية الشرق "(٦) ، وكان ذلك مما أدركه المطري المتوفى

---

(١) الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ورقة ١٦١ ب .
(٢) ذكر الفيروزبادي في نفس المصدر ان الخدام عارضوه فلم يكترث لهم ، فوافق ذلك قدوم ابن جماعة الى المدينة فانكر عليه ذلك وكتب الى السلطان يطلب عزله . أنظر ورقة ١٦١ ب .
(٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ١ ص ٣٧٦ .
(٤) انظر اعلاه ، ص ١٥٣ .
(٥) القرطبي : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٢١ ، وانظر ابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ورقة ١٤٤ ب .
(٦) رحلة العبدري : ورقة ١٠٦ ب ، الاسفرائيني : زبدة الاعمال وخلاصة الافعال ورقة ١٨٦ ب .

سنة ٧٤١ هـ .

ومن المفيد ان أختم الحديث عن العمارة التى أتمها الظاهر بيبرس للمسجد النبوى الشريف بما ذكره أحد الرحالة الذين زاروا المسجد بعد انتهاء عمارته بواحد وعشرين عاما فقد وصفه بأنه " عالى السمك مبيض مدور بالسقايف(1) ، عجيب المنظر ، ووسطه فضاء مفروش برمل أحمر ، وأساطينه مبيضة بالفضة عالية متسع ما بينها وأوسع سقايفه ناحية الجنوب ، وفيها المحراب وهى خمسة صفوف ، وفى مؤخر المسجد وهى ناحية الشمال أربعة صفوف(2) ، وفى ناحية الشرق ثلاثة صفوف وفى الغرب أربعة صفوف ، وفى الناحية الشمالية فى فضاء المسجد بيت مربع مليح هو مخزن المسجد (3) ، وبالقرب منه نخلات صغار(4) ، فاخرات "(5) . انظر شكل (٤٩) .

ولم يغفل الظاهر بيبرس بعد هذه العمارة عن الأهتمام بأمر سكان الحرمين الشريفين فجدد بيمارستان المدينة المنورة " الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر بالله سنة سبع وعشرين وستمائة "(6) ، وقد اهتم به كثيرا بأن نقل اليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة وبعث اليه طبيبا من الديار المصرية"(7) .

---

(1) يقصد الاروقة المحيطة بالصحن ، او ما يسميه البعض الظلات .

(2) هذا دليل قوى على مخالفة ما ذكر من ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو الذى انقص الظلة الشمالية الى اربعة صفوف بعد زيادته للبلاطتين اللتين فى مقدم المسجد مما يلى الصحن .

(3) ان ما يقصده المؤلف بالمخزن هى القبة التى بناها الخليفة العباسى سنة ٥٧٦ هـ . انظر شكل (٦١) .

(4) يقصد حديثة الغرس لم تكبر بعد .

(5) رحلة العبدرى (الرحلة المغربية) ، ورقة ١٠٦ أ ، ب .

(6) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٩٥ .

(7) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص ١٩٤ ، ابن بهادر : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر جـ ٧ ص ١٣٦ .

وأجرى على أهل الحرمين من الخدام والمجاورين بصفة خاصة وسكان الحجاز من أهل بدر وغيرهم بصفة عامة " ماكان انقطع فى أيام غيره من الملوك "(١) من جرايات . وظل يهتم بامر شيوخ المسجد وخدامه ، ومن ذلك انه عندما قدم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية الشريفة الى القاهرة سنة ٦٦٧ هـ ، فانه أكرمه وقربه ودفع له " زيادة على مائتى ألف درهم "(٢) .

بهذه الاعمال التى أداها الملك الظاهر بيبرس للحرمين الشريفين ، وبما كان له من دهاء وحنكة سياسية ، استطاع أن يفرض زعامة الدولة المملوكية فى مصر على العالم الاسلامى آنذاك . وكان أول من أقر بذلك خصمه الاول يوسف بن عمر بن رسول الذى أبى فى حج سنة ٦٥٩ هـ أن تظهر أعلامه الى قرن عرفه قبل أعلام ملك مصر وقد قال لمن أشار عليه بذلك " أتؤانى أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامى لأجل حضورى ومغنيه ؟ لا أفعل هذا أبدا "(٣) ، ثم قام بكسوة الكعبة وبعض لوازم الحرم المكى(٤) ، بيد أنه يبدو أن ماقام به الملك المظفر فى سنتى ٦٥٩ ، ٦٦١ هـ

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ١٨٠ .
(٢) المقريزى : كتاب السلوك ، جـ ١ القسم الثانى ، ص ٥٨٠ .
(٣) الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٨ . وقد كانت الاولوية فى ظهور أعلام المحمل الى رأس جبل عرفة فى يوم الوقفة - التاسع من شهر ذى الحجة - مخصصة لمن كانت له السلطة على الحرمين الشريفين ، كما ان ذكر اسم السلطان فى الخطبة بالحرمين كان دليلا على الولاء والتبعية لذلك الملك .
(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

من ارسال كسوة " البيت المعظم وكسوة الحجرة النبوية على صاحبهـــا أفضل الصلاة والسلام "(١) ، كان باذن من الظاهر بيبرس ، وذلك لأنــه قد تابع هذا الولاء بارسال الهدايا فى سنة ٦٦٦ هـ ، وطلب من الظاهـر مماضدته له وشرط له أن يخطب له ببلاده .(٢)

• • •

---

(١) الخزرجى : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ١٤١ .

رابعا : أعمال الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الناصر محمد :

١ - أعمال الملك المنصور قلاوون :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بعمارته التى أتمها الملك الظاهر بيبرس حتى تولى عرش مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الذى أبقى المسجد النبوى على حالته فيما عدا اقامة قبة على الحجرة الشريفة سنة ٦٧٨ هـ . وقد صاحبت ظروف غريبة بناءه لهذه القبة التى عرفت بالزرقاء تمييزا لها عن القبة الخضراء التى اتخذت فيما بعد ، اذ جاء أن ناظر قوص ورئيسها كمال الدين أحمد بن عبد القوى الربعى " هو الذى بنى على الضريح النبوى هذه القبة الموجودة الآن (١) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقصد خيرا وتحصيل ثواب " (٢). واقدام شخص على عمل مثل هذا لابد وأن يكون مسبوقا بموافقة المسئولين فى القاهرة أو المدينة على الأقل . غير أن ما ذكره المؤلف من وقوع خصام بينه وبين بعض الولاة فى تلك السنة أدى فى النهاية الى وصول " مرسوم بضرب الكمال " (٣) أحمد بن عبد القوى الربعى ، واتهام البعض له بأنه أساء الأدب ، بعلو النجارين فوق القبور الشريفة . ومن هذا يستنتج أن منشأ معارضتهم له كان لأسباب منها :

١ - حسده بعض المقربين للسلطان ، فأثاروا عليه حفيظته مما دعاه الى أن يعهد الى الأمير علم الدين الشجاعى بمصادرته وتخريب داره وأخذ رخامها وخزائنها لاستخدامها فى بناء المدرسة المنصورية بالقاهرة (٤).

---

(١) زمن المؤلف المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

(٢) كمال الدين الأدفورى : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ص ٨٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(٤) نفس المصدر ص ٨٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٩ .

٢ - قد يكون منشأ غضب السلطان عليه هو اقتصاره على أخذ موافقة حكام المدينة دون الرجوع الى السلطان ، وذلك بعد بذل الأموال لهم اذ كثيرا ما كان ذلك يكفل موافقتهم.

٣ - وقد تكون صرامته فى مجابهة المعارضين له بحرمة علو النجارين فوق القبور الشريفة قد أثار غضب الخدام وكبار المجاورين ، فأبلغوا السلطان بأمره ، مما أدى الى مصادرته وعقابه . وقد رأينا من قبل ما حصل لقاضى المدينة محمد بن سليمان الحكرى فى حدود سنة ٧٦٠ هـ من عزل وانتصار للخدام الذين عارضوه فى محاولته ردم حفرة المصلى الشريف(١) وقبل ذلك بقليل أخذ الخدام وعلى رأسهم شيخ الحرم الشريف يزيدون من ضغطهم على أشراف المدينة وبعض المجاورين(٢) . بسبب علو مكانتهم عند السلاطين ، ومن ذلك مثلا

---

(١) أنظر أعلاه ص ٢٤٦.

(٢) ذكر الفيروزبادى فى المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٤ أ أن شيخ الحرم النبوى كافور المظفرى الذى ولى مشيخة الحرم من سنة ٧٠٠ الى سنة ٧١١ هـ قام فى وجه الشريف منصور بن جماز عندما أراد اخراج جميع المجاورين من المدينة وذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ١ص ٣٥٧، أن اينال شيخ الذى ولى مشيخة الحرم النبوى سنة ٨٨٠ هـ " كان شديدا سريع المبادرة بالضرب فضلا عن غيره حتى للفقهاء، وللسلطان اليه ميل تام ، ومبالغة فى الثناء على دينه وسيرته " وذكر فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢١ أن شفيع الطواشى أحد الخدام فى المسجد النبوى فى القرن الثامن كان " من أقدرهم على مخالطة الناس وله صولة عظيمة فى المسجد على من يرى منه أدنى مخالفة ، خصوصا من يراه يخالط أهل الشر . . . ويبطش ببأسه من خالط أحدا من المبتدعة والفه ".

كما ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢١ أن مثقال الحبشى كان قبل أن يتولى مشيخة الحرم النبوى سنة ٨٧٣ هـ " عشير الناس، كثير الانهماك على شرب الراح ، فمقته السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب".

ما قوبل به أحد شيوخ الحرم المدنى من اهتمام وعناية عند زيارته للظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ فى القاهرة . ولقد نسب جميع مؤرخى المسجد النبوى هذه القبة الى المنصور سيف الدين قلاوون (١) ، وان كان لا يعرف على وجه التحديد متى بدأ اهتمام السلطان بهذه القبة ، وهل كان ذلك قبل انتهاء ناظر قوص من عمارتها أو أثناء العمارة المذكورة ؟ بيد أنه يبدو من الاعتراض على اعتلاء النجارين فوق القبور الشريفة أن السلطان قلاوون قد أوقفه قبل اتمامها وبذلك وجد نفسه ملزما باتمام القبة التى صنعت من " أخشاب أقيمت ، وسمرر على الألواح الخشب بألواح الرصاص " (٢) وجاء أنها كانت مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها كما وصفها الاسفرائينى (٣) غير أن وصفه مقتصر على الشكل الخارجي للقبة دون أن يذكر شيئا عن طول أضلاع ما ربع منها . وقد وجدت السمهودى يحدد طول أضلاع حايز عمر بن عبد العزيز كما قاسه بنفسه عند بناء الحجرة الشريفة فى عمارة قايتباى الأولى سنة ٨٨١ هـ ، ومن المؤكد أن القبة قد أقيمت فوق هذه الجدران مرتكزه على الاسطوانات التى كانت بأركان الحجرة التى كانت أضلاعها كالتالى : الضلع الجنوبى ١٧ ذراعا والشمالى كذلك ، والغربى فى حدود ١٩ ذراعا والشرقى ١٨ ذراعا (٤) . ومعنى هذا أن الأذرع المذكورة هى أبعاد الجزء الأسفل من القبة وهو المعروف بالرقبة ويليها الجزء المثمن الذى به يبدأ تكوين سطح القبة .

---

(١) أمثال المطرى ، القرطبى ، الخوارزمى ، الاسفرائينى ، الفيروزبادى ، المراغى ، السمهودى .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٣ .

(٣) زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٧ أ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٦٦ وما بعدها .

وكانت هذه القبة خالية من النقوش والزخرفة كشأن قباب العصر المملوكي الأول.[1] وقد شاهدها الرحالة المغربي أبو عبد الله العبدري سنة ٦٨٩ هـ أي بعد انشائها بأحد عشر عاما ، وقال انها " قبة بيضاء[2] الى الزرقة[3] مصمته أيضا ، مليحة عجيبة[4]". وقد استبدل السور (الحظير) الذي كان فوق سطح المسجد بعد الحريق الأول تمييزا للحجرة الشريفة وصيانة لها ، بدرابزين من الخشب يحيط بالقبة ، " وتحته بين السقفين أيضا شباك خشب يحكيه ".[5] وجاء في نص آخر أن " حول هذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيما يقرب منها"[6] ، وكان القصد من ذلك حماية الحجرة الشريفة مما يصيبها من تسرب مياه الأمطار اليها كما حدث للمدينة سنة ٦٨٦ هـ عندما أصابتها الأمطار بأضرار جسيمة ورد ذكرها في الكتاب الذي وصل منها الى مصر عقب ذلك وفيه أنه " لما كان ليلة الرابع من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة أصاب المدينة مطر عظيم وسيول كثيرة ولحق الحرم الشريف لذلك ضرر عظيم ووكف أكثر سطوحاته وأشدها السقف الشمالي وتصرف المطر جميعه الى وسط الحرم والحجرة الشريفة ووكف الماء الى باطنها من

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ص ١٩ ، وأنظر كمال الدين سامح : تطور القبة في العمارة الاسلامية ص ١٩ وما بعدها .
(٢) يبدو من هذا الوصف أنها لم تطل باللون الأزرق الذى عرفت به الا فيما بعد .
(٣) أى مقدار ارتفاع رقبتها عن سطح المسجد .
(٤) رحلة العبدرى ، ورقة ١٠٧ أ .
(٥) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٣ ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٨ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٠٨ .

جوانب القبة من تحت الرصاص وليس تحت الرصاص الا الخشب لا جبس ولا غيره ، فيخرج الماء من الرصاص الى الخشب ويتسلط الماء الى باطن الحجرة والقبة على عودين (١) متى لحقهما الماء خيف عليهما من الأرضة تأكلهما" (٢).

وكانت الأمطار سببا فى استحداث المنصور قلاوون للميضأة التى كانت عند باب السلال وذلك لأن " الأعين قد أتلفها السيل ، وخرب عين الأزرق حتى عادت ملحا أجاجا فكتب بذلك الى السلطان " (٣)، الذى بادر فى نفس السنة الى تأمين الماء لرواد المسجد وزائريه اذ أمر ببناء دار للوضوء فى الجانب الغربى من المسجد عند باب السلام. وقد شاهدها العبدرى الذى زار المدينة سنة ٦٨٩ هـ أى بعد انشائها بعامين ، وقال عنها انها دار متسعة متقنة مزودة بالماء بها عدة مرافق للوضوء ، ثم ذكر أن الناس وجدوا فيها كثيرا من الرفق والراحة (٤). وكان المتولى لعمارتها الأمير علاء الدين الأعمى (٥) الذى قدم المدينة لهذا الغرض.

---

(١) ذكر المطرى فى التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٧ وصفا لسقف الحجرة الشريفة فقال ان بين السقفين " ألواح قد سمر بعضها الى بعض وسمر عليها ثوب مشمع وفيه طابق يقفل اذا فتح كان النزول منه الى ما بين حائط بيت النبى صلى الله عليه وسلم وبين الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله " وما ذكره النص من أن القبة على عودين يشير الى أنه قد وضع عتبتين كبيرتين فوق رؤوس الاسطوانات التى بأركان الحجرة ثم عقدت عليهما القبة .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، جـ ٨ ص ٥٢ ، المقريزى : كتاب السلوك جـ ١ القسم الثانى ص ٧٣٧.

(٣) نفس المصدر جـ ١ ص القسم الثانى ص ٧٣٧.

(٤) رحلة العبدرى ، ورقة ١١٤ أ .

(٥) نفس المصدر ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٣٧.

٢ - أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون :

لم يتمكن الملك الناصر خلال سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ من القيام بأى عمل يذكر فى المسجد النبوى ، وذلك لأن المسجد الشريف كان لا يزال فى حالة جيدة ، ولأن الفترة التى قضاها فى السلطنة كانت قصيرة جدا ، لم يتمكن خلالها من الحج أو تقصى أخبار الحجاز ومطالب الحرمين الشريفين ، فضلا عن صغر سنه آنذاك . بيد أن الفرصة قد واتت الملك العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ الذى استولى على السلطنة بعد خلع الملك الناصر محمد ، اذ بدأ فى أول سنة تولى فيها ملك مصر فى زيادة ارتفاع الدرابزين الذى أحدثه الظاهر بيبرس على الحجرة الشريفة. وكان ، كما تذكر كتب التاريخ ، نحو القامتين فزاد عليه " الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه ورفعه حتى وصله بسقف الحجرة الشريفة ".(١) وكان قدوم هذا المشبك الخشبى الى المدينة فى موسم سنة ٦٩٤ هـ صحبة ولده الذى حج على رأس ركب محمل تلك السنة .

ورغم ندرة المعلومات التى بين أيدينا عن الأسباب التى حدت به الى هذا العمل ، الا أنه لا يخلو من مغزى سياسى ، أراد به تأليف القلوب حوله ، فقد جاء أنه اهتم بأمر الحجاز وبذل العطاء السخى لأهله رغبة منه فى كسب مشاعر الناس وولائهم ، فضلا عما كان يراوده من رغبة فى جعل ابنه ، الذى حمل المشبك الى المدينة ومعه الكثير من الهبات والصدقات ، وليا للعهد من بعده.(٢) بيد أن الأمور لم تسر فى صالحه ووفق تقديره ، فسرعان ما خلعه لاجين عن العرش سنة ٦٩٦ هـ ، ثم عاد

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ص ٣٥ ، الاسفرائينى : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٨ ب ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦١٢ .

(٢) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٣٥ .

السلطان الملك الناصر محمد مرة ثانية الى عرش مصر ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ ، فأتاحت له مدة سلطنته الثانية الالتفات الى الحرمين الشريفين ، لاسيما الحرم النبوى الشريف ، الذى حظى منه بالكثير من أعمال العمارة والترميم ، وهو ما أعرضه فيما يلى حسب ترتيبه الزمنى :

أ - تسقيف الروضة الشريفة سنة ٧٠١ هـ :

كان أول عمل للسلطان الناصر محمد بن قلاوون فى الحرم النبوى الشريف فى سلطنته الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ تجديده فى سنة ٧٠١ هـ "لسقف الرواق (البلاط) الذى فوق الروضة الشريفة "(١). ولعل السبب فى تجديد هذا البلاط وحده دون بقية المسجد الشريف ، اصابة بعض خشبه بتلف من جراء المطر الذى تسرب من قبة الحجرة الشريفة وما يليها فى سنة ٦٨٦ هـ (٢).

ويبدو أنه لصغر المساحة التى جددت ، ولما للروضة الشريفة من قدسية على بقية أنحاء المسجد النبوى(٣) ، فقد أولاها السلطان مزيدا من العناية والاهتمام ، فظهرت فيها الصنعة مختلفة عن بقية أنحاء المسجد الشريف ، رغم صغر الفترة التى استغرقتها عمارتها . فقد كان ابتداء العمل كما ذكر فى النص التذكارى المحفور فى السقف " فى شهر ربيع الأول ، وانتهاؤه فى جمادى مستهل الأخير سنة احدى وسبعمائة للهجرة النبوية "(٤) ، وذلك حرصا على عدم تعطيل الصلاة فى الروضة الشريفة فترة طويلة . واستخدمت

---

(١) الاسفرائينى : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٦ ب .
(٢) أنظر أعلاه ص ٢٥٤ .
(٣) اختصها رسول الله (ص) بالتعظيم فقال فيها حديثه المشهور " مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة " .
(٤) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، جـ ١ ص ٢٨٥ .

فى تزيينها النقوش الكتابية المنقورة فى خشب السقف الأسفل من هذا البلاط ، وقد شاهدها الرحالة المغربى خالد بن عيسى البلوى سنة ٧٣٧ هـ وانفرد دون بقية المؤرخين بذكر مابها من كتابات اذ يذكر أن من أبدع ما رآه وأبرعه " قصيدة فريدة كتبت بالخط المذهب الرائق البديع وأثبتت فى ألوان الأزهار (١) التي تخجل زهر الربيع ، ورفعت أمام المقدسة (٢) فى سقف المسجد الشريف الرفيع فنحلت القراطيس لؤلؤها ، ونقلت كل ماكان قبلها وبعدها ، وهاهى تسفر عن غرتها الواضحة ، وتعبق عن نسمتها النافحة وتشهد لناظمها بالقريحة الراجحة والعقيدة الصالحة " (٣).

ثم أورد نص القصيدة مسبوقة بالبسملة والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام على النحو التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

سلام كنشر الورد من مسقط الندا ... عليك رسول الله يامنزل الهدى
ويامهبط الأملاك والوحى لم تزل ... أنيسا بزوراء (٤) الرسول ممجدا
ويا تربة المختار أفديك تربة ... بنفسى وان كانت أقل من الفدا
ويا بيته حيا ومثواه ميتا ... لك الفخر فى حاليك بيتا ومشهدا
تضمنت أعضاء الرسول مبوءا ... مهادا من الفردوس فيك ممهدا
سقى الله منك الترب أفضل ما سقى ... وصلى على من حل فيك موسدا
فيا منزل الأبرار حييت منزلا ... ويا مسجد الأبرار شرفت مسجدا

---

(١) وردت فى النسخة المحققة الأذهان ، وهى كلمة لا يستقيم معها المعنى .
(٢) يقصد بها الحجرة الشريفة .
(٣) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق جـ ١ ص ٢٨٣ .
(٤) يقصد بها الحجرة الشريفة التى عرفت بالزوراء بعد تحريف عمر بن عبد العزيز لجانب الحائط الشمالى خوفا من الصلاة اليها تشبيها بالكعبة الشريفة ، أنظر أعلاه ص ١١٥ .

كأنى أرى صحب النبى محمد … بأرجائك انبثوا ركوعا وسجدا
ففيك بدت من جنة الخلد روضة … تطوف بها الأملاك مثنى ومفردا
سلام من الرحمن يذكو أريجه … أخص به خير الأنام محمدا
سلام ورضوان وروح ورحمة … على روحه ما راح ساع وما غدا
فيا خير أهل الأرض بيتا وعنصرا … وأشرف خلق الله نفسا ومحتدا
وأوسعهم خلقا وأزكى خلائقا … وأطيبهم خيما (١) وأطيب مولدا
ويا صفوة الرحمن من خير خلقه … وأطولهم حولا وأعظم سؤددا
شهدت بأن الله لا رب غيره … وأن رسول الله خلقا محمدا
وأشهد أن الله أهداك رحمة … الى خلقه واختارك الله سيدا
فصلى عليك الله يا خير مرسل … ويا خير من بالمعجزات تفردا
وصلى عليك الله ما لاح بارق … وما ناح طير فى الغصون مفردا
وصلى على الأبرار أهلك أنهم … بنورهم يأتم من قد تزهدا
هم القوم عنهم أذهب الرجس كله … وركب فيهم كل خير وأوجدا
وصلى على أصحابك الغر انهم … نجوم بها ينجو غدا من بها اهتدى
صلاة الا هى والسلام مضاعف … على المصطفى المختار ما اتصل المدى (٢)

وقد ذكر انه بعد هذه القصيدة الجيدة النظم والمعنى مكتوب بالسقف نفسه نص دعائى وتأسيسى هذا نصه :

" اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين لعبدك المسكين الذى أوليته أمور المسلمين واخترته على كثير من العالمين السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، وأبو المعالى محمد قسيم أمير المؤمنين (٣) سلطان الاسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، قاهر الفجرة والمتمردين ، حامى حوزة

---

(١) الخيم الطبيعة والسجية .
(٢) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق جـ ١ ص ٨٣ - ٢٨٤ .
(٣) أنظر أعلاه ص ٢٤٤ الحاشية رقم ١ .

الدين سلطان الديار المصرية والعراقية ، والبلاد الشامية مالك البحرين (١) خادم الحرمين الشريفين (٢) ولد السلطان المرحوم الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى أدام الله أيامه ، ونشر فى الخافقين رايته وأعلامه ، وجعل السعد والاقبال حيثما توجه أمامه ، وكان ابتداء العمل فى شهر ربيع وانتهاؤه فى جمادى مستهل الأخير سنة احدى وسبعمائة للهجرة النبوية " (٣).

ومع احتفاظ البلوى بهذا النص التاريخى فان نوع الخط وزخرفة الخشب ونفقات العمارة لم يتوفر لى معرفته من أى مصدر آخر . ومع ذلك لابد من الافتراض أن الخط لم يخرج على أية حال عما نقشت به النصوص التذكارية فى العصر المملوكى ، الذى كانت فيه " للخط التذكارى اللين السيادة المطلقة " (٤) ، بعد أن تقلصت مكانة الخط الكوفى التذكارى فى أواخر العصر الأيوبى .

أما زخرفة الخشب فيبدو أن الغلبة فيها كانت للسمة التى ميزت سقوف العمائر المملوكية وهى تقسيم السقف " الى مناطق مستطيلة تحيط بها مربعات

---

(١) يقصد بالبحرين البحر الأبيض والأحمر . وهو لقب كان يراد فه ملك البرين فى معظم الأحيان ، وقد تلقب به نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ وكذلك قلاوون الصالحى وابنه الناصر محمد فى هذا النص . أنظر حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) هو لقب تسمى به صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٧ هـ ثم بيبرس عندما سيطر على مكة والمدينة حيث يقع الحرمان الشريفان . ثم احتفظ بقية السلاطين المماليك بهذا اللقب الذى أصبح من مميزات السيادة عندهم . أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٣) البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق جـ ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٥ .

(٤) ابراهيم جمعة ، دراسة فى تطور الكتابات الكوفية ، ص ٧٧ .

صغيرة ، أو قصع مقعرة مستديرة ... مموهة بالذهب واللازورد"(١).

ب - تجديد سقفي الرواقين الشرقي والغربي سنة ٧٠٥ - ٧٠٦ هـ :

بقي سقفا المجنبتين الشرقية والغربية محتفظين بتجديد الملك الظاهر بيبرس لهما ، وكل منهما سقف فوق سقف على صفة سقف مقدم المسجد كله ، وما أنجز منهما في عهد الملك المظفر سيف الدين قطز . ولم يطرأ عليهما أي تغيير حتى كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، وبتحديد أدق حتى سنة خمس وسبعمائة ، عندما عزم هذا الملك لأسباب نجهلها على اعادة سقفي هاتين الظلتين على هيئة السقف الشمالي للمسجد النبوي ، الذي جعله الظاهر بيبرس كما عرفنا من قبل سقفا واحدا .(٢)

ومع غموض الدوافع التي حدت بهذا السلطان الى تجديد السقفين المذكورين دون غيرهما ، فاننا نستطيع من خلال استقراء الأحداث التي عاشتها مصر في تلك الفترة أن نضع أيدينا على بعض هذه الأسباب وفي مقدمتها السببان التاليان :

١ - رغبة السلطان في كسب ود الرأي العام والظهور أمام العامة - الذين سروا لعودته الى الحكم مرة ثانية - بالمظهر التقليدي الذي يلجأ اليه السلاطين عادة عندما تهتز عروشهم ، وهو حماية الحرمين

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ، ص ٢٣٧.

(٢) الأسفرائيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٦ ب ، الفيروزبادي : المغانم المطابة ، ورقة ٨٩ ب ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ١ ص ٦٠٥ .

الشريفين والاهتمام بشئونهما (١) ، وقد رأينا كتبغا يلجأ الى هـذه الوسيلة فى أول سنة من سلطنته عند ما كان يمهد الأمور بجعل ولاية العهد لابنه .

٢ - ظهور بعض الخلل فى بعض هذين السقفين من جراء المطر الـذى أصاب المدينة المنورة سنة ٦٨٦ هـ ، والذى يقول عنه ابن الفرات انه " لحق الحرم الشريف لذلك ضرر عظيم ووكف أكثر سطوحاتـه " (٢) .

---

(١) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١١٥ . ومما يناسب هذا ، حرص السلاطين على اختيار أصلح الأمراء وأفضلهم لقيادة ركب المحمل المتوجه الى الحجاز وحثه على الرفق بالناس ومساعدتهم وملاحظة ذلك من سيرته مع الحجاج عند عودتهم ومن هذا ما حدث فى سنة ٧٠١ هـ عندما قابل السلطان الملك الناصر أمير الحج المصرى عند بركة الحاج خارج القاهرة ، " وهو الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار فنزل عنده ثم طلع الى القلعة ودخل المحمل الى القاهرة ، وشكروا الحجاج من الجوكندار (هكذا) ودعوا له على ما فعله وذكروا من احسانه وبره وصدقته على جميع الناس ، وأنه أنعم على أبو نمى (هكذا) وعلى أولاده بماية ألف درهم وأنه أعطا (هكذا) جميع المجاورين بمكة ولما وصل الى مدينة الرسول (ص) خلع على صاحبها وعلى أولاده وأعطاه شىء كثير وحكا (هكذا) الشيخ الأمام سيف الدين على الأملى بالقاهرة وكان الجوكندار قد أخذه معه . أن الأمير سيف الدين الجوكندار لما دخل الى الحرم النبوى أخلاه وأخذ أولاده وعياله وماله وجميع ماكان معه وأتا (هكذا) الى الحجرة النبوية وقدم الجميع بين يدى الرسول (ص) وسأل الرسول قبول ذلك وعاهده على أشياء من فعل الخير والمعروف بقية عمره . وذكروا أن جملة ما أنفقه خمسة وثمانين ألف دينار مصرية وأنه عندما ينزل فى المنزلة يحضر الوازنين ويزن من الزاد ويعطى لكل انسان ما يكفيه هو وجماعته من أهل المركب من المحتاجين وغيرهم وكل ذلك يباشره بنفسه ولا يتكبر ولا يكرهه بل هو مقبل على فعل الخير مستبشرا بذلك " . أنظر : تاريخ سلاطين المماليك ، لمجهول ، ص ١٠٤ .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، جـ ٨ ص ٥٢ .

ومن المعروف أن الأرضة تصيب الأجزاء التى يصلها الماء من السقف، وأن أثرها لا يظهر الا بعد فترة ، الأمر الذى يؤكد ظهور بعض هذه الأضرار فى زمن الملك الناصر الذى بادر الى استغلالها فى تدعيم الأهداف المذكورة أولا .

وكعادة المصادر فى اجمال الكلام عن معظم الأعمال التى تمت فى المسجد النبوى الشريف فى عهد المماليك البحرية ، فانها أجملت كذلك فيما ذكرته عن عمارة هذين السقفين اذ لم تزد فى وصفهما على أن كلا منهما جعل " سقفا واحدا شبه السقف الشمالى فانه جعل فى أيام الملك الظاهر كذلك ".(١) ويغلب على الظن أن يكون على شاكلته فى نوع الخشب والطلاء المستخدم فى عهد الظاهر بيبرس ، وهو كما سبق وصفه خشب النبزان المدهون بالذهب واللازورد .

وعلى أية حال فان الأعمال التى صاحبت تجديد هاتين الظلتين كانت كثيرة وهامة وقد تطلبت من الملك الناصر محمد بن قلاوون اعداد الأموال الكثيرة للصرف عليها وعلى القائمين بها ، وذلك لأن تجديدهما اقتضى نزع الأخشاب القديمة ، واستبدالها بأخشاب جديدة تجمع بين الصفتين اللتين كانت تتميز بهما الأخشاب القديمة ، وهما القدرة على تحمل ضغط البناء وجمال المنظر مما يلى أرض المسجد . وتسقيف هذا الجزء من المسجد فى المدة الزمنية التى حددها بعض المؤرخين بسنتى خمس وست وسبعمائة،(٢) وهو فى الحقيقة زمن يتناسب مع كبر المساحة التى تغطيها هذه السقوف والتى تقدر بـ ١٠٧٧٣ ذراعا مربعا على رأى من قال ان المسافة بين

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٢٥ ، الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٨٩ ب ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٢) المطرى : المصدر السابق ص ٢٥ .

الأعمدة تسعة أذرع ، و ١٣٣٠٠ ذراعا مربعا على رأى من قال ان المسافة عشرة أذرع .(١)

جـ - بناء منارة باب السلام سنة ٧٠٦ هـ :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بمنائره الثلاث منذ تأسيس عمر بن عبد العزيز لها أول مرة فيما بين ٨٨ - ٩١ هـ عندما كان واليا للوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة . وقد جاء بناء منارة باب السلام فى بداية القرن الثامن ليضع نهاية لما تناقله المؤرخون من أن سليمان بن عبد الملك هدم المنارة الرابعة المطلة على دار الامارة أثناء حجه سنة ٩٧ هـ . وفى حديثى عن العمارة الأموية أبديت تشككى فى صحة ذلك ، مستعينا بما ذكره ابن فرحون ، الذى عاصر حفر أساس هذه المنارة سنة ٧٠٦ هـ ، من عدم وجود أى دليل على أثر هذه المنارة فى الموقع المذكور.(٢)

والحديث عن بناء هذه المنارة أثناء الكلام عن أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون لا يعنى بالضرورة أنه هو الذى فكر فى انشائها وقام بالنفقة عليها ، وانما يرجع ذلك الى شيخ الخدام(٣) آنذاك كافور المظفرى(٤) ، الذى أخذ مصاريف عمارتها من حواصل الحرم النبوى الشريف وبيع بعض قناديله .

---

(١) عن الذراع ومقداره من المتر أنظر حاشية رقم ١ ص ٢٨ من الرسالة .
(٢) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ . وقد رد عليه السمهودى باحتمال وجودها فوق سطح المسجد دون عمل أساس لها فى الأرض . ولكن سوفاجيه يعارض السمهودى بأدلة قوية . أنظر أعلاه ص ١٢٨ .
(٣) وجدت بعض المصادر تذكر شيخ الخدام وأخرى تذكر شيخ الحرم المدنى ولا أعرف هل هما اسمان لوظيفة واحدة أم هما وظيفتان مختلفتان .
(٤) ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة ، جـ ٣ ص ٣٤٧ فقال انه : " ولى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة سنة سبعمائة فأثر آثارا حسنة منها المنارة التى على باب السلام فى سنة ٧٠٦هـ وكانوا يأخذون سعف الجريد كل ليلة بعد العشاء فى المسجد ، ويخرجون بها ، فجعل بدل ذلك الفوانيس ، ومات سنة ٧١١ هـ " .

وسبب الحديث عنها ضمن أعمال الملك الناصر هو وقوع تاريخ عمارتها فى سلطنته الثانية ، ثم لوصول المراسيم من قبله بالاذن لكافور فى بنائها ، خاصة وأن الحجاز كله كان يدين بالولاء منذ زمن طويل للدولة المملوكية التركية التى كان على رأسها فى ذلك الزمن الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وكان بين التفكير فى انشاء هذه المنارة وبين اقامتها وقت كبير ، فابن فرحون يقول ان كافور المظفرى استغل وصول الأميرين بيبرس وسلار الى المدينة لأداء فريضة الحج وكان له عليهما فضل فى صغرهما " فكلمهما فى بناء المنارة التى بباب السلام اليوم فأنعما ".(١) وحجة الأمير سلار المشار اليها كانت سنة ٧٠٣ هـ(٢) ويبدو أن الأمر بقى معلقا حتى اضطر شيخ الخدام الى أن يكتب الى السلطان سنة ٧٠٥ هـ يستأذنه كما يقول ابن كثير " فى بيع طائفة من قناديل الحرم النبوى لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام عند المطهرة فرسم له بذلك "(٣) وعند ذاك شرع شيخ الخدام

---

(١) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ ويقصد بكلمة اليوم ، زمن ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ .

(٢) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص١٣٦ ، وسبب سؤال شيخ الخدام لهما دون السلطان هو أنهما كانا سيطران على أمور الملك الناصر فى ذلك الوقت . أنظر أدناه ص ٢٧٧ الحاشية رقم ٢ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٤ ص ٣٨ . وأنظر العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٥ ص ٢٤ . ويبدو أن التفكير فى أمر بيع قناديل الحجرة الشريفة قد أثار جدلا كبيرا بين العلماء فى مصر الأمر الذى أخر السماح لشيخ الحرم فى الشروع فى بيع القناديل وبناء منارة باب السلام فى سنة ٧٠٣ هـ الى سنة ٧٠٥ هـ وهو ما يشير اليه السبكى المتوفى ٧٥٦ هـ عندما يقول فى تنزيل السكينة على قناديل المدينة ص ٢٧٥ " انه بلغنى أنه وقع كلام فى بيع القناديل الذهب التى هى بحجرته المقدسة التى هى على الخير والتقوى مؤسسة ليصرف ثمنها على عمارة الحرم ، فحصل لى من ذلك هم وغم فأردت أن أكتب ما عندى من ذلك فأقدم حديثا صحيحا يكون فى الاستدلال من أوضح المسالك" ثم قال بعد ذلك :" وسبب كلامى فى ذلك أننى سئلت عن بيع القناديل الذهب التى بالحجرة الشريفة المعظمة ، وان بعض الناس قصد بيعها لعمارة الحرم الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام والرحمة . فأنكرته واستقبحته" . ويبدو أن السؤال قد وجه اليه من قبل السلطان الملك الناصر أو من بيبرس وسلار .

فور موافقة السلطان فى اعداد المواد اللازمة لبناء المنارة ، ومنها الأحجار المنحوتة وهى المادة الأساسية فيها[١] ، وبدأ أيضا فى بيع بعض القناديل ، التى قيل ان من جملتها " قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار "[٢] وصرف من قيمتها على حفر أساس المنارة وتجهيز مؤنتها . وعندما تأخر قدوم العمال الذين وعده بهم السلطان شرع فى وضع الأساس بمن " كان بالمدينة يتمانا (هكذا) البناية "[٣] ، وقد دعاهم للاستعانة بخبرتهم وتجربتهم ، ولكن رئيس العمال ، الذين بعث بهم السلطان من مصر لمباشرة البناء ، رأى عدم بقاء هذا الأساس لأنه لا يأمن عاقبته وأن واجب الصنعة يقتضى هدمه[٤] ، بيد أن اصرار كل منهما على موقفه ، اضطر الأخير الى العودة الى مصر تاركا بقية العمال تحت تصرف شيخ الخدام ، الذى ثابر على الاشراف عليهم وتزويدهم بما يحتاجون اليه فجاء العمل " وثيق المبنى رشيق الصورة والمعنى يفاخر القرائن من المآذن حسنا "[٥].

وكانت أطول منارات المسجد آنذاك ، وقال عنها السمهودى " وقد ذرعتها من أعلى هلالها الى الأرض ، فكان ذلك خمسة وتسعين ذراعا "[٦].

---

(١) يقول توفيق أحمد عبد الجواد فى تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، ص ٥٥ ، ان " استعمال المواد فى بناء المآذن يتوقف على مادة البناء المستعملة فى الأقاليم ، ففى أسبانيا مثلا استعمل الحجر ، وفى المغرب الطوب ، وفى مصر الحجر ، وكذلك فى الشام وآسيا الصغرى ، واستعمل الطوب فى ايران وأفغانستان ".

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ص ٣٨ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٥ ، ص ٢٤ .

(٣) ابن فرحون : نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٤ .

(٥) الفيروزبادى : المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٣ ب .

(٦) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٩ .

ومن المسلم به أن يكون هؤلاء العمال الذين قدموا من مصر قد اتبعوا فيها الطراز الفني السائد في تحلية المنائر المملوكية في مصر ، التي تمتاز " برشاقتها وتناسب أجزائها "(١) ويؤيد ذلك ما يذكره ابن المحجوب ، الذي شاهد منائر المسجد النبوي في أوائل القرن التاسع اذ يذكر أنها " على صفة منائر مصر "(٢). أنظر موقعها من الشكل (٥١)

ومما يدل على ما كان لهذه المنارة من أهمية آنذاك في ابلاغ نداء الحق الى احياء المدينة وخاصة في الغرب منها ما يذكره ابن فرحون من أن " العمل اليوم (في زمنه) عليها لأنها متوسطة المدينة "(٣). وقد شرح قول رئيس المؤذنين حينذاك من أنه لو تركت له هذه المأذنة لكفى بها المدينة بأن " المدينة من جهة الشمال قليلة العرض وانما امتدادها وقوة عمارتها وكثرة أبياتها من جهة الغرب "(٤).

ولم يقتصر عمل شيخ الخدام كافور المظفري على ذلك وانما ينسب اليه كذلك أنه استحدث طريقة جديدة في اخراج الناس من المسجد بعد صلاة

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ، ص ٢٣٨ .
(٢) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٦٨ أ . وقد ذكر محمد مصطفى نجيب في . **المرجع السابق** ص ٢٣٨ . أن المنائر المملوكية " تتكون من قاعدة مربعة مرتفعة " وضرب لذلك مثلا من المنائر القائمة الآن في القاهرة كمئذنة المنصور قلاوون بالنحاسين ومئذنة قوصون بالقرافة الصغرى ثم قال : " أما الأدوار التي تعلو القاعدة فهي على شكل مثمن فتحت فيه شرفات (بلكونات) ثم يلي هذا بدن مستدير تحيط به دورة تعتمد على حطات من المقرنصات ، ثم يعلو هذا جوسق يرتكز على أعمدة حجرية أو رخامية يحمل الخوذة العلوية للمئذنة ، وهي ذات أشكال مختلفة اما على شكل مبخرة أو قلة وهو النظام السائد " . وأنظر ما ذكره أحمد توفيق عبد الجواد في تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ص ٥٥ وما بعدها .
(٣) نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٣٤ .
(٤) نفس المصدر ص ٣٤ .

العشاء حلت محل الطريقة القديمة التي قال عنها البعض انها كانت بدعة سيئة ، " وذلك أنهم كانوا قبل الحريرى وصدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام وبعض الفراشين شملا من سعف فيطوفون بها عوض الفوانيس يجرون بها كأشد ما يكون من الجرى فاذا وصلوا باب النساء خرجوا بها وخبطوا بما تبقى معهم منها فكانت تسود المسجد وتسود بابه أيضا وفيها من البشاعة ما لا يخفى فأمر بالفوانيس عوضها ".(١) ويتم عمل شيخ الخدام عن ذوق وحرص على خدمة المسجد وحسن ادارته على أحسن وجه ، وقد ظل يؤدى ذلك طوال خدمته التي استمرت من سنة ٧٠٠ هـ الى سنة ٧١١ هـ.(٢)

د - زيادة بلاطتى رواق القبلة سنة ٧٢٩ هـ :

روعى فى جميع عمائر المسجد النبوى الشريف التي تلت عمارة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، المحافظة على عدد البلاطات التي تتكون منها ظلة القبلة (مقدم المسجد ، رواق القبلة) فلم يجرؤ الوليد بن عبد الملك أو المهدى العباسى على زيادة عدد هذه البلاطات التي تتكون منها ظلة القبلة فى المسجد الشريف . وقد وجدا السبيل لتوسعة المسجد بزيادة عرضه الى الشرق والغرب وبذلك زاد بهذا الامتداد الجزء المسقوف من

---

(١) ابن فرحون : المصدر السابق ص ٣٥ . وقد زاد الفيروزبادى فى المغانم المطابة ، ورقة ٢٥٣ ب فى وصف الطريقة الجديدة فقال : " وأمر كافور أن تبدل بالشموع الزواهر أحسن ابدال ويحملها فتيان من الصقالبة الحاكين فى الانتظام سلك الآلى ، ومن سمتهم أنهم اذا وصلوا حذاء باب كافور وضعوا الفوانيس لحظة ثم رفعوها ايذانا بهذا الحال ".

(٢) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ص ٣٤٧.

المسجد ، هذا بالأضافة الى زيادة المسجد فى مؤخره ، وهو ما تم فى العمارة التى قام بها الوليد والمهدى .

وبقى هذا التقليد محافظا عليه حتى أمر الملك الناصر فى سنة ٧٢٩هـ بزيادة بلاطتين معترضتين فى مؤخرة مقدم المسجد مما يلى الصحن" فاتسع ظل السقف القبلى بهما وعم نفعهما" (١) (أنظر شكل ٤٩) ، وكان فى بنائهما غنى عن الستور التى كانت تنصب على صحن المسجد أيام الجمع والمواسم منذ جددها هارون الرشيد فى خلافته بعد أن تركها المنصور سنة ١٤٥ هـ (٢) حتى أقام الملك الناصر محمد بن قلاوون هاتين البلاطتين فتركت هذه الستور (٣).

ويذكر السمهودى أنه أدرك مؤخر المسجد به أربع بلاطات فقط ثم يقول : " فكأنه لما زيد بعد الحريق الأول الرواقان (البلاطتان) فى مسقف القبلة ، اختصروا رواقا (بلاطة) من السقف الشامى فأدخلوه فى صحن المسجد " (٤) ثم يضيف الى ذلك " ولم أر من نبه على ذلك من المؤرخين (٥) .

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٥ ، السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٥ .

(٢) كان أبو جعفر المنصور أول من استحدثها سنة ١٤٠ هـ بيد أن محمد بن عبد الله العلوى قطعها حين خرج على العباسيين سنة ١٤٥ هـ . ثم جددها الرشيد وظلت تستخدم الى أن أبطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٣) القرطبى : بهجة النفوس والأسرار ، ص ١٣١ ، ابن الضياء : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف ، ورقة ١٤٤ ب .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٧١ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٧١ .

بيد أن ما يذهب اليه السمهودى لا يعتمد على أساس صحيح ، وذلك لأن الرحالة المغربى أبو عبد الله العبدرى ، الذى زار المدينة المنورة سنة ٦٨٩ هـ ، ولم يكن ما كتبه من المصادر التى اعتمد عليها السمهودى ، يقول عند وصفه للمسجد الشريف " وأوسع سقايفه ناحية الجنوب وفيها المحراب وهى خمسة صفوف ، وفى ناحية الشمال أربعة صفوف (١) .

ويدل هذا الوصف لبلاطات مؤخر المسجد فى وقت قريب من اتمام عمارة الظاهر بيبرس له سنة ٦٦٨ هـ على أن انتقاص البلاطة الخامسة من المسقف الشامى أى مؤخر المسجد ، كان فى العمارة التى قام بها الظاهر بيبرس لهذا الجزء من المسجد ، وينفى أيضا ما ذهب اليه السمهودى من اسناد انتقاص الرواق الى الملك الناصر محمد بن قلاوون اذ أنه لو كان الأمر كذلك لما خفى على أحد من المؤرخين ، خاصة وانهم ذكروا فى شىء من التفصيل عمارة الناصر لبلاطتين اللتين كان اتجاه بوائك العقود فيهما عموديا على جدار القبلة ، كما تقتضى القواعد الهندسية .

وقد يذهب الظن الى أن انتقاص البلاطة المذكورة من المسقف الشامى كان بعد عمارة الظاهر بيبرس للمسجد النبوى الشريف ، وذلك بسبب المطر الذى أصاب المدينة المنورة سنة ٦٨٦ هـ بأضرار جسيمة ، كان منها اصابة سقوف المسجد بوكف شديد وأشدها ما أصاب " السقف الشمالى (٢) كما يقول ابن الفرات . بيد أن أحدا من المؤرخين لم يذكر أدنى اشارة الى ذلك ، فضلا عن أن انتقاص البلاطة المذكورة يقتضى القيام ببعض الأعمال

---

(١) رحلة العبدرى ، ورقة ١٠٦ أ .
(٢) أنظر أعلاه ص ٢٥٤ .

المعمارية الضرورية ومنها اصلاح السقف والواجهة المطلة على صحن المسجد بحيث يتسقا مع بقية عمارة المسجد الشريف ، وهى أعمال تقتضى وقتا ومالا ، ولا يظن أن تسجيل ذلك يفوت على أحد من المؤرخين .

ومهما يكن من أمر فان أحدا من المؤرخين لم يشر الى ارتفاع سقفى البلاطتين اللتين زادهما الناصر محمد ، سوى ما أشار اليه السمهودى ، عند ذكره تجديد الأشرف برسباى سنة ٨٣١ هـ لهاتين البلاطتين من أنه " سقف واحد فى موازاة سقف المسجد الأسفل" (١) لذلك يبدو أن سقفى البلاطتين المذكورتين كانا فى سنة ٧٢٩ هـ أى فى عمارة الناصر محمد ، على مستوى سقف ما جدده برسباى (٢) بيد أن هذا المستوى ينخفض قليلا عن مستوى سقفى المجنبتين ، اللذين جعل كل منهما فى سنة ٧٠٦ هـ سقفا واحدا بارتفاع سقف مؤخر المسجد. (٣) بذلك لم تكن سقوف المسجد النبوى على مستوى واحد . أما اذا كانت سقوف المجنبتين ومؤخر المسجد كانت فى مستوى السقف الأسفل لمقدم المسجد ، الذى جعل على مستواه سقفا البلاطتين اللتين استحدثهما الناصر محمد سنة ٧٢٩ هـ فتكون بذلك جميع سقوف المسجد على مستوى واحد ، وتكون سطوحه من قبل السماء متباينة المستوى ، بحيث كان سطح مقدم المسجد ببلاطاته الخمس يعلو على مستوى بقية السطوح (٤) . أنظر شكل (٥٢) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٥ ، ويقصد بسقف المسجد الأسفل ، السقف السفلى الذى يلى أرض المسجد الشريف .

(٢) أنظر أدناه ص ٢٩٥ وما بعدها .

(٣) أنظر أعلاه ص ٢٦١ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٥ حيث ذكر أن سقف مقدم المسجد أصبح بعد تجديد الأشرف برسباى للبلاطتين اللتين استحدثهما الملك الناصر " مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين (البلاطتين) وغيرهما من بقية المسجد " .

ولم يلبث أن استغل بعض أهل السنة من سكان المدينة بناء الناصر محمد للبلاطتين المذكورتين ، فعمدوا الى هدم المقصورة التى شيدها كبار الشيعة مما يلى الجهة الشمالية للحجرة الشريفة لأنها تعوق امتداد الصفوف ولأن البلاطتين تغنيان عنها (١) فى حماية الحجرة الشريفة من الشمس اذا غربت . (٢) وكانت على شكل مقصورة كبيرة استحدثها الشيعة (٣) وقاموا بالصلاة والتدريس فيها . (٤) وجاء أن المحرض على هدمها امام المسجد النبوى الشيخ شرف الدين الأسيوطى وذلك فى أواخر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (٥) أى بعد أن حد الملك المنصور قلاوون من تحكم قضاة الشيعة في المدينة المنورة . عندما أسند الخطابة والقضاء سنة ٦٨٢ هـ الى الشيخ سراج

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة ، ص ٣٥ .

(٢) ابن فرحون ، نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص ٥١ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٢ .

(٣) كان الهدف الظاهر عند بناء الشيعة لهذه المقصورة حماية الحجرة من حرارة الشمس .

(٤) ابن فرحون : المصدر السابق ، ص ٥١ . حيث يقول : " ولقد كنت أسمع الشريف اعزاز يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته من غير خوف ولا خجل حى على خير العمل . وكانت مواطن تدريسهم وخلوة علمائهم ، حتى قيض الله لها من سعى فيها فأصبحت ليلة مخلعة أبوابها معوجة أخشابها متصلة صفوفها ، وأدخل بعضها فى الحجرة الشريفة وجعل فيها الباب الشامى . وكان مع زيادة الرواقين (البلاطتين) اللذين زادهما الملك الناصر" . وحدد السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٢ ... موضعها فقال : " وذكر لى بعض مشايخ المدينة نقلا عمن أدركه من المشايخ أن هذه المقصورة كانت فى شامى اسطوان الوفود الى جهة باب الحجرة الشامى " .

(٥) قطب الدين قدسى سره : تاريخ المدينة المنورة ، ص ٢٢٥ .

الدين عمر بن أحمد بن الخضر بن طراد المصرى (١)، فارتفع بذلك أمر أهل السنة واقتصرت أحكام قضاة الشيعة على اتباع المذهب من أهل المدينة .

هـ - تحصين الحجرة الشريفة بالرصاص :

اختلف المؤرخون الذين تعرضوا لتأريخ المسجد النبوى الشريف فى شأن ما تعرضت له الحجرة الشريفة من محاولة بعض الأعداء ، ممن تظاهروا بالاسلام ، للوصول الى القبور الشريفة من رباط قريب من المسجد النبوى الشريف (٢)، ونسب المطرى ومن تبعه من المؤرخين (٣)، ذلك الى زمن الشهيد نور الدين محمود زنكى سنة ٥٥٧ هـ ، بيد أن ابن المحجوب نسبه الى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون دون أن يحدد السنة التى وقع فيها، ولما لروايته من أهمية فأني أوردها كما رواها ، قال : " أعلم أن هذه الحكاية أوثق من نقلها الفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله محمد

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ص ٣١٣ وما بعدها . وقد ذكر أنه قدم سنة ٦٨٢ هـ متوليا للخطابة وكانت بأيدى آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الشريف الحسنى . بالاضافة الى منصب القضاء . ثم ذكر أنه عندما " استقر فى الخطابة عمل معه الأمامية من الأذى مالا يصبر عليه غيره . فصبر واحتسب ، حتى أنهم كانوا يرجمونه بالحصباء وهو يخطب على المنبر . فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام ، وجلسوا بين يديه فذلك هو السبب فى اقامة صف الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم وعبيدهم خدمة وحماية للقضاء وتكثيرا للقلة ، ونصرا للشريعة ". ثم ذكر أنه أضيف له القضاء فيما بعد .

(٢) حدد جمال الدين الاسنوى فيما ينقله عنه السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٥٠ هذا الموضع بأنه " فى الناحية التى قبلة حجرة النبى (ص) من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التى تعرف ، اليوم (فى زمنه) بدار العشرة .

(٣) أمثال المراغى ، والفيروزبادى ، وابن الضياء ، والسمهودى ، وقطب الدين قدس سره ، وعبد الحميد العباسى وغيرهم من المتأخرين .

بن مرزوق التلمساني[١] في شرحه للبردة.[٢] ثم ذكر قول ابن مرزوق انه سمع ذلك من " الامام المحدث أبي الحسن على النويري[٣] امام مقام المالكية بمسجد مكة الحرام ومن غير واحد من أهل العلم والخير قالوا ان يهود يا جاور بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأظهر الاسلام والتنسك الفائق حتى أسكنوه برباط بقرب من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزل في بيت من الرباط بعض زواياه يلي قبر المصطفى الكريم ثم قصد لعنه الله بالحفر تحت الأرض نحو القبر وجعل يحفر قليلا قليلا ويخرج كل يوم زفة[٤] تراب تحت ثيابه ، فيرميها خارج المدينة حتى بقي لوصوله الى الجسد الكريم مقدار ما يحفر ثلاثة أيام[٥] فرأى صاحب مصر يومئذ وهو المعروف بالملك الناصر في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالقصة وصفة

---

(١) قال بدر الدين العيني في عقد الجمان جـ ٢٦ ص ٢٥٤ في ترجمة ابن مرزوق أنه " كان من ظرفاء دهره ونادرة عصره ترقى عند السلطان حسن الى أن صار صاحب سره وامام جمعته ومنبره وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة توجه الى الأندلس خوفا من النكبة فأقبل عليه سلطانها وتولى الخطابة وتدريس المدرسة ، وفي عام أربعة وخمسين انتهز الفرصة وانصرف عزيز الرحلة ؛ واستقر بباب أمير المؤمنين بن عنان ، وأقام عنده مقبول القول ومسكه بنو يغمر اسن وجعلوه في مطبق حديد مقفل ثم خلصه الله تعالى وقدم الى الديار المصرية وتولى درس المنصورية في الحديث ، ودرس الفقه بالشيخونية ودرس الحديث بالصرغتشمية وغير ذلك. وتوفي بالقاهرة يوم الجمعة النصف الأول من ربيع الأول من هذه السنة (؟) رحمة الله عليه".

(٢) ابن المحجوب : قرة العين في أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٠ أ .

(٣) أنظر ترجمته عند الفاسي في العقد الثمين ، جـ ٦ ص ١٣٢-١٣٤ ، حيث يذكر أنه عاش في الفترة ٧٢٤ - ٧٩٨ هـ وأنه تولى نيابة القضاء في مكة عن أخيه . وولي تدريس الحديث بالمنصورية ودرس الفقه للأشرف شعبان.

(٤) زفة أي مجموعة من التراب وهي مأخوذة من زفا كما يقول ابن منظور في لسان العرب جـ ١٤ ص ٣٥٧ أن معنى أزفى اذا نقل الشيء من مكان الى مكان . ومنه أزفيت العروس اذا نقلت من بيت أبوها الى بيت زوجها .

(٥) هذه المدة لا تكفي لسفر السلطان من مصر الى المدينة في ذلك الوقت فلعلها وضعت بقصد المبالغة .

اليهودى وقال له أدركنى فالهمه الله الى السفر الى المدينة من حينه فركب نجب الخيل الفارهة فى جماعة من خواص دولته ومعهم أخراج بالمال والذهب ثم بلغوا المدينة فى مدة قريبة فجلس الملك الناصر بالمسجد الكريم وأمر باعطاء الصدقة لجميع سكان المدينة فجاءه جميع أهلها وهو يتأملهم فلا يرى للصفة التى رآها فى منامه حتى قيل له لم يبق أحد من سكان المدينة لم يأخذ من هذه الصدقة الا رجل ناسك زاهد وأثنوا عليه وقال لابد من حضوره فأحضروه فاذا هو بالصفة التى رآها فى نومه فأخذه وتهدده فأقر فى حينه بأنه يهودى وأطلعهم على المكان والحفر فقتلوه شر قتلة واحتاطوا بعد ذلك على جوانب الروضة الكريمة[1] ، وحفروا أساسها الى أبعد ما أمكنهم ثم رفعوه بالبناء المرصص المحكم (حتى) لا يطمع أحد فى مثل تلك الفعلة التى فعلها اليهودى لعنه الله ، ومن ذلك الوقت لا يمكن من سكنا ذلك البيت ، الا من يعرف نسبه فى الاسلام ويوثق بدينه وأمانته ".[2]

وأخذ ابن المحجوب يذكر رواية أخرى غير رواية ابن مرزوق التلمسانى اذ يقول : " وذكر غيره أن الملك الناصر محمد بن قلاوون رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يؤكد عليه بقوله أدركنى فقد أذانى هذا ويطلعه على شخص اليهودى حتى ارتسمت صورته فى ذهنه".[3] ثم ذكر بقية القصة على النحو الذى ذكره ابن مرزوق وزاد " أن هذا السلطان رحمه الله ما برح من المدينة حتى أمر بنقض جميع جدرات الحجرة الكريمة وأمر بحفر أساسها الى الماء ثم رفعه بعد الركن المتيسر مبنيا بالحجارة العظيمة مثبتة فى الرصاص حتى بلغ وجه الأرض فبنى فوق الأساس بالرخام

---

(١) يقصد بها الحجرة الشريفة كما أن البعض يسميها المقدسة .

(٢) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٠ ب .

(٣) نفس المصدر ، ورقة ٧٠ ب .

البديع الجنس والصفة حتى بلغ به سقف المسجد الكريم ، فنقض السقف هنالك وأكب على (الحجرة) قبة رصاص كبيرة رفيعة"[١] ولم يذكر المراغى شيئا عن اليهودى المذكور فى القصة التى ذكرها ابن المحجوب بيد أنه علق على ذلك بقوله : " وأنا أظن أن المراغى لم يدرك قصة اليهودى مع كونه متأخرا[٢] وانما قصة تشبهها عن السلطان نورالدين بن زنكى صاحب ملك الشام فى أواسط المائة السادسة"[٣].

---

(١) ابن المحجوب : ثمرة الصين ، ورقة ٧١ أ . والقبة التى ذكرها المؤلف لم يستحدثها الملك الناصر وانما هى تجديد للقبة التى كان الملك المنصور قلاوون قد بناها سنة ٦٧٨ هـ كما أشار الى ذلك ابن المحجوب نفسه .

(٢) عاش المراغى فى الفترة الواقعة بين سنة ٧٢٧-٨١٦هـ وقد ألف كتابه تحقيق النصرة سنة ٧٦٦ هـ .

(٣) ابن المحجوب : المصدر السابق ، ورقة ٧١ أ . ونظرا لأهمية القصة التى ذكرها المراغى ومن قبله المطرى الذى يبدو أنه نقلها عنه فاننى سوف أنقلها بنصها لأهميتها فقد ذكر المطرى فى التعريف بما أنست الهجرة ص ٧١ ومابعدها أن السلطان نورالدين محمود زنكى قدم الى المدينة فى سنة ٥٥٧ هـ " بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمود المذكور رأى النبى (ص) ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول له فى كل واحدة منها يامحمود أنقذنى من هذين الشخصين ، أشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له هذا أمر حدث فى مدينة النبى (ص) ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها . . . فطلب الناس عامة للصدقة وفرق عليهم ذهبا كثيرا وفضة وقال لا يبقين أحد بالمدينة الا جاء فلم يبق الا رجلين مجاورين من أهل الأندلس نازلين فى الناحية التى قبلة حجرة النبى (ص) من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى تعرف اليوم بدار العشرة فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا نحن على كفاية ما نقبل شيئا فجد فى طلبهما فجىء بهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبى (ص) فقال أصدقانى وتكرر السؤال حتى أفضى الى معاقبتهما فأقرا أنهما من النصارى وانهما وصلا لكى ينقلا من فى هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى وهما قاصدان الى جهة الحجرة (=)

وبمقارنة القصتين يتضح أنهما صياغتتان لحادثين مختلفين ، مما يقوى الاعتقاد بتكرر وقوع محاولة الاعتداء على الحجرة الشريفة في عهد كل من السلطان نورالدين بن زنكي والملك الناصر محمد بن قلاوون للأسباب التالية :

١ - ان ما يذكره المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ عن " علم الدين يعقوب بن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد سنة ٦٥٤ هـ عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمود المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة ... "(١) يدل على أن هذه القصة وقعت في عهد نورالدين محمود زنكي ، وذلك لأن معرفة شيوخ المدينة ومنهم علم الدين يعقوب بن أبى بكر بها أقدم بكثير من تولى السلطان الملك الناصر حكم مصر .(٢)

(=) الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذى هما فيه . هكذا حدثني عمن حدثه فضرب أعناقهما عند الشباك الذى في شرقي حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب متوجها الى الشام " وأنظر المراغي في تحقيق النصرة ص ١٤٦ .

(١) التعريف بما أنست الهجرة ص ٧٢ .

(٢) ذكر السخاوى في التحفة اللطيفة ج ٣ ص ٧١٥ وما بعدها ان الملك الناصر " بويع بالسلطنة بعد قتل أخيه الأشرف خليل ، في المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهو ابن تسع سنين . ولم يلبث أن خلع في المحرم التي تليها بنائب السلطنة العادل كتبغا المنصورى مملوك أبيه . وبعث بالناصر الى الكرك ليتعلم به القرآن والخط . فدام حتى قتل المنصور حسام الدين لاجين المنصورى المنتزع الملكة من كتبغا . فبويع للناصر ، وخطب له بالديار المصرية مع كونه بالكرك في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين . ثم أحضر واستمر حتى أظهر التخلى عن الملك آنفا ، من كثرة حجر نائبه سلار واستاداره بيبرس الجاشنكير ... في آخر سنة ثمان وسبعين ... واستمر بالكرك الى أثناء سنة تسع ، فتوجه الى دمشق وجاء العود ، وتقوى بمن وافقه من النواب وغيرهم ... وتمهد له الأمر حتى مات في ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة بقلعة الجبل عن ثمان وخمسين ... بعد أن حج في سنة اثنتي عشرة ، ثم سنة تسع عشرة ، ثم سنة اثنين وثلاثين ".

٢ - يبدو أن الأمر فى عهد نورالدين محمود زنكى اقتصر فقط على اكتشاف أمر الرجلين اللذين قدما من الأندلس (١) وعقابهما دون ذكر شىء عن صب الرصاص فى الخندق . (٢) ولم يذكر أحد من المؤرخين الذين عاصروا نورالدين وأرخوا لسيرته شيئا عن هذه الحادثة العظيمة التى قيل انه قدم الى المدينة من أجلها (٣)، ومن هؤلاء المؤرخين ابن النجار (٥٧٣ - ٦٤٣ هـ) ، الذى ألم بالكثر من أخبار المدينة المنورة وأحداثها ومع ذلك لم يتكلم فى كثير أو قليل عن الحادث .

٣ - ان ما حدث فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من عمارة فى المسجد النبوى الشريف بصفة عامة والحجرة الشريفة بصفة خاصة ، يدعو الى الاعتقاد بصحة القصة فى عهده ، أو خوفه من تكرار حدوثها مستقبلا ، خاصة وأن تفوق الناصر محمد على سلاطين المماليك فى عدد الحجات التى قام بها (٤) يساعد على قبول القصة . كما أن النويرى وهو أهم مصدر للحدث المذكور قد عاش فترة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ، اذ عاش من سنة ٧٢٤ الى ٧٩٨ هـ. (٥)

---

(١) أنظر رواية المطرى والمراغى المتقدمة .

(٢) ان احاطة الحجرة الشريفة بخندق مملوء بالرصاص أمر مبالغ فيه نظرا لثقل الرصاص وصعوبة نقل ما يكفى منه الى المدينة لملء الخندق ، الذى قيل انه حفر بعمق كبير. كما ذكره ابن المحجوب .

(٣) قال السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٥٢ : " والعجب أنى لم أقف على هذه القصة فى كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها".

(٤) كان قد حج سنة ٧١٢ هـ وسنة ٧١٩ هـ ، وسنة ٧٣٢ هـ . أنظر : السخاوى : التحفة اللطيفة، جـ ٣ ص ٧١٥ ، وعلى بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٠ ، وما بعدها .

(٥) أنظر ترجمة النويرى عند الفاسى : العقد الثمين ، جـ ٦ ص ١٣٢ .

٤ - ان اغفال المصادر التى أرخت للعصر المملوكى لهذه الحادثة لا ينفى وقوعها وذلك لأن من المراسيم التى أصدرها السلاطين فى مناسبات عديدة من تاريخ المسجد وأحداثه ماليس له ذكر فى هذه المصادر المتخصصة ، وهو عيب يضاف الى ما تتسم به هذه المصادر من اعتماد على النقل من غيرها دون بحث أو تمحيص .

وقد اختلفت الروايات فى عدد المعتدين على الحجرة الشريفة وفى ديانتهم ونوع عقابهم ، فمن الروايات أنهما نصرانيان أشقران وأنهما قتلا ثم حرقا بالنار ، وهو أمر لم يأمر به الاسلام ولا أظن نورالدين الذى وصف بالملك العادل (١) يقدم عليه وهو يعرف حرمته . وهما عند الأسنوى الذى نقل عنه السمهودى كذلك الا أن عذابهما اقتصر على القتل دون التحريق بالنار . وفى القصة المنسوبة الى الملك الناصر هو يهودى واحد اقتصر عقابه على القتل فقط .

وكان مما قام به السلطان الملك الناصر محمد من تجديد الدرابزين الذى استحدثه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ ، على أنه جعله يقل فى ارتفاعه عن سابقه بحيث اقتصر ارتفاعه هذه المرة على ستة أذرع أو سبعة . وقد نقش اسمه فى أعلاه وبقى حتى شاهده ابن المحجوب فى القرن التاسع وذكر أنه " قصد بقصر الشباك (الدرابزين) أن يظهر شامخ بناء جدران الحجرة وبراعة رخامها وبهجة منظرها " (٢). وزاد عدد أبواب الدرابزين بابا رابعا ، وذلك بعد ازالة المقصورة التى كانت تظلل الحجرة الشريفة من الشمال سنة ٧٢٩ هـ.

---

(١) قال السمهودى : فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٥٢ نقلا عن ابن الأثير " طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا ، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا ، أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين .

(٢) ابن المحجوب : قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٣ ب .

ولم يلق الناصر محمد بالا الى ما طلبه منه بعض العلماء المعاصرين من ازالة هذا الدرابزين الذى حجز جزءا من الروضة الشريفة (١)، وكانت هذه الأعمال مزامنة لبناء البلاطتين اللتين استحدثهما الملك الناصر. ويغلب على الظن أن لهذه الأعمال علاقة كبيرة بحادثة اليهودى التى نسبها ابن المحجوب الى الملك الناصر محمد بن قلاوون. (٢) وقد يزكى ذلك أيضا أنه حدث فى زمن الناصر محمد بعد تلك الحادثة تحول واضح فيما كان يحظى به اليهود والنصارى من معاملة. (٣)

وتتسم الأعمال التى قام بها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المسجد النبوى الشريف بسمات لا تشاركها فيها أعمال ملك سابق، فهى لا ترتبط بزمن واحد ولا تتصف فى مراحلها المختلفة بصفة واحدة، فالسقوف فى البلاطات المجددة من الروضة أحفل منها فى سقوف الظلتين الشرقية والغربية، والعقود المستخدمة فى البلاطتين المضافتين الى مقدم المسجد هى فى الحقيقة حدث جديد وهام فى عمارة المسجد النبوى الشريف، وذلك بالاضافة الى منارة باب السلام التى كانت أطول منارات المسجد آنذاك.

---

(١) ذكر السمهودى فى الوفا جـ ٢ ص ٦١٤ نقلا عن ابن فرحون فى ترجمة الشيخ على الواسطى أنه بعث الى الملك الناصر يقول له : " أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج ان قضيت لى حاجة واحدة، وهى ازالة هذا الشباك (الدرابزين) الذى على الحجرة الشريفة يعنى هذه المقصورة، فبلغه ذلك، فتوقف ولم يفعل" ثم ذكر السمهودى فى ص ٦١٥ من المصدر السابق أن ابن جماعة قال : " وقد تحدثت مع الملك الناصر رحمه الله لما حج وزار سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فى غلق الدرابزين أيام المواسم، فسكت لما ذكرته، ولم يجبنى بشىء". ثم ذكر السمهودى أن أبواب الدرابزين المذكورة أغلقت بعد ذلك. ولا يدخلها الا بعض الخدام والفراشين. ومن هذا يتبين أن أمر الملك الناصر باغلاقها فى أوقات السنة كلها كان بعد سنة ٧٣٢ هـ وهى آخر حجة له.

(٢) **قرة العين فى أوصاف الحرمين**، ورقة ٧٠ أ.

(٣) وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر، ص ٨٤ وما بعدها.

خامسا : عمارة المسجد النبوي في أواخر عصر المماليك البحرية :

لم يكن للسلاطين الذين تولوا بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون كبير أثر فى عمارة المسجد النبوي الشريف ، وذلك لأن ما تم فى عهدهم من أعمال اقتصر على تجديد جوانب يسيرة من بعض العناصر المعمارية .

وكان أول هذه الأعمال ما قام به السلطان حسن بن قلاوون (٧٤٨ - ٧٥٢ هـ ، ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ) من تجديد القبة الزرقاء التى بناها جده المنصور قلاوون على الحجرة الشريفة سنة ٧٥١ هـ (١) على أن المصادر التى بين يدى لم تشر الى أسباب تجديد هذه القبة التى لم يمض على عمارتها وقت طويل ، خاصة وأن ابن المحجوب قد أشار الى تجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون لها عند ذكره لحادثة اليهودى المشهورة . وسواء صح ما ذكره ابن المحجوب أم لم يصح فان الوقت الذى مر على بناء هذه القبة فى سنة ٦٧٨ هـ فى عهد الملك المنصور أو على تجديدها فى حدود سنة ٧٢٩ هـ فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون كفيل بتعرضها لآثار المطر ومضاعفاته . وندرة الأخبار عن هذا التجديد لا تمكن من معرفة حجمه وموضوعه . ومع ذلك فان اعادة تجديدها سنة ٧٦٥ هـ فى عهد الأشرف شعبان يفيد بأن تجديد السلطان حسن بن قلاوون لها كان بالخشب والرصاص أيضا على نسق عمارتها فى عهد جده المنصور قلاوون أو والده

---

(١) الاسفرائيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٧ أ ، الخوارزمى : اثارة الترغيب والتشويق ، ص ٣٣٤ ، السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٩ . وقد ذكر المراغى فى تحقيق النصرة ص ١٤٧ "تجديد سور المدينة المنورة سنة ٧٥١ هـ فى أيام السلطان الشهيد الملك الناصر حسن بن قلاوون". ومع أنه لا يعرف أن السلطان حسن قد قام بعمل فى المدينة المنورة فى وقت آخر ، فانه لا يبعد استنتاجا أن يكون تجديد القبة الزرقاء قد صاحب تجديد سور المدينة .

الملك الناصر[(١)] مع الاستفادة بما جد من أساليب فنية فى عمارة القباب المطلوكة آنذاك[(٢)].

وقد عرفت هذه القبة بالقبة الزرقاء فى ذلك الوقت أو قبله بقليل ، وذلك لأن العبدرى الذى شاهدها بعد انشائها بقليل فى عهد الملك المنصور قلاوون وبالتحديد فى سنة ٦٨٩ هـ ، قال انها قبة مليحة بيضاء[(٣)] وفي هذا اشارة الى أنها لم تعرف بالزرقاء الا فيما بعد . ومع حرصى الشديد فى البحث فى المصادر المختلفة من كتب ومخطوطات عن السلطان حسن فانني لم أجد من ذكر له عملا آخر فى المسجد النبوى .

ويبدو أن تجديد السلطان حسن لهذه القبة لم يكن محكما مما دعا الى تجديدها بعد أربعة عشر عاما فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) عندما تبين خروج ألواح الرصاص عن مواضعها بسبب الأمطار وتسرب مياهها الى أخشاب القبة[(٤)]. وقد حرص المسئولون عن عمارتها هذه المرة على أن يكون تجديدها قويا ومحكما ، كما أشار الى ذلك من ذكرها من المؤرخين ، حتى انها بقيت سليمة مدى ١١٦ سنة عندما دب اليها شيء من الخلل فى سنة ٨٨١ هـ[(٥)].

---

(١) ليس لدىّ من النصوص ما يذكر تجديد الملك الناصر لهذه القبة سوى ما ذكره ابن المحجوب فى قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧١ أ .

(٢) يذكر الدكتور كمال الدين سامح فى بحثه " تطور القبة فى العمارة الاسلامية " ص ١٩ " أن كبر القباب وخلوها من الزخارف فى عصر المماليك البحرية هو من أهم مميزاتها" ثم يذكر " انها قبة كبيرة من الخشب تغطى حوالى ثلاث بلاطات مربعة ".

(٣) أنظره أعلاه ص ٢٥٤ .

(٤) الاسفرائيني : زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال ، ورقة ١٨٧ أ ، المراغى : تحقيق النصرة ص ١٨ .

(٥) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٠

والى جانب اعتناء الأشرف شعبان بأحكام تجديد هذه القبة ، فقد اهتم بعد ذلك بعامين بتجديد شرافات المسجد الشريف التي أتلفها حريق سنة ٦٥٤ هـ اذ لم يكن "للمسجد شرافات منذ حريقه".(١) ولم يفكر أحد من الملوك الذين اهتموا بالعمائر السابقة باعادة هذه الشرافات التي كانت تزين المسجد النبوي فجددها السلطان شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة ،(٢) على هيئة الشرافات التي كانت تزين العمائر المملوكية في ذلك الوقت ، وكانت قطعا حجرية منحوتة على شكل الورقة النباتية الثلاثية ، أو المركبة أو المسننة.(٣)

وقد اختتم الأشرف شعبان أعماله هذه بما قام به مدبر مملكته الأمير يلبغا الخاصكي من الغاء للمكوس التي كانت تجبى "بمكة والمدينة المشرفتين ورتب على بيت المال المعمور في كل سنة مائتي ألف وستين ألفا".(٤)

---

(١) المراغي : تحقيق النصرة ، ص٤٢ ، السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ .
(٢) المراغي : المصدر السابق ص ٤٢ .
(٣) مصطفى نجيب : بحث العمارة في عصر المماليك ص ٢٣٨ .
(٤) بدر الدين العيني : عقد الجمان جـ٢٦ ص١٤٨ . ولكن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٤٢ قد جعلها في سنة ٧٦٤ هـ في حين أن المؤلفين لم يذكرا ما المقصود بالعدد المذكور في النص هل هو دراهم ودنانير . أم دنانير وحبوب؟ الا أنه يبدو من مقارنة ما ذكره العيني وابن تغري بردي أن الأخير قد نقل عن العيني خلاصة النص المذكور أعلاه . أما الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ فقد ذكر أن الأشرف شعبان قد ألغى مكوس مكة دون أن يشير الى المدينة . ولكن ابن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ قد ذكر في اتحاف الورى حوادث سنة ٧٦٦هـ أنه اتفق مع الشريف عجلان على أن يرتب له من المال في كل سنة ماية وسبعون (وفي نسخة أخرى ستون) ألف درهم وألف أردب قمح . مقابل ترك الجبا . وأنه " كتب له بذلك مثال شريف من مصر وكتب عليه بذلك محاضر اثبت منها بمكة واحد وفي المدينة النبوية واحد وعند صاحب مصر في القلعة واحد" . وفي المبالغ التي ذكرها ابن فهد مخالفة لما ذكره الفاسي في شفاء الغرام ، جـ ٢ ص ٢٤٩ وما بعدها اذ أنه يجعل الدراهم ١٧٠٠٠٠ درهم بدلا من ٦٨٠٠٠ درهم . أما القمح فمقداره ألف أردب عند المؤلفين .

الفصل الثالث

المسجد النبوي في عصر المماليك الجراكسة

٧٨٤ - ٩٢٣هـ

المبحث الأول

الأعمال المعمارية في المسجد النبوي قبل السلطان الأشرف قايتباي

المبحث الأول

الأعمال المعمارية فى المسجد النبوى قبل الاشرف قايتباى :

اكتفى سلاطين المماليك الجراكسة بالمحافظة على عمارة المسجد النبوى الشريف التى تمت بعد حريقه الأول سنة ٦٥٤ هـ . وأخذوا يتعهدونه بالترميم والتجديد كلما دعت الى ذلك ضرورة ملحة ، مدفوعين الى هذه المحافظة التقليدية بأمور كثيرة لعل أهمها ، التمسك بما جرت عليه العادة فى جميع عمائر المسجد النبوى من عدم احداث مالا ضرورة له ، وأخذ الحذر والحيطة عند ادخال عنصر معمارى جديد لم يألفه الناس بعد . يضاف الى ذلك انعكاس الفتن والأحداث التى صاحبت قيام دولة المماليك الجراكسة على اهتمام سلاطينها بالحرمين الشريفين ، فلم يتكفلوا بعمارتها الا عند الضرورة ، كما ذكرت آنفا (١) . وعلى ذلك فان غالب الأعمال التى تمت فى المسجد الشريف قبل سنة ٨٧٢ هـ ، هى فى الحقيقة اعمال بسيطة لم تتجاوز الترميم والتجديد الا فى عهد السلطان الأشرف قايتباى .

ويغلب على الأعمال التى تمت قبل عمارة هذا السلطان ، كثرة المنابر المرسلة من مصر الى الحرم النبوى الشريف . وأولها منبر الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١ هـ) الذى أرسل به فى سنة ٧٩٨ هـ ليحل محل منبر الظاهر بيبرس الذى ظل يخطب عليه فى المسجد النبوى مائة واثنين وثلاثين سنة " حتى أن

---

(١) ذكر على بن حسين السليمان فى العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٤٢ ، أن المظهر التجارى كان قد تغلب فى الظهور على المظهر الدينى فى دولة المماليك الجراكسة الذين اهتموا باحتكار السلع وايجاد الاسواق لها .

الارضية كانت قد أثرت فيه كثيرا فنقل ذلك للسلطان ، فأمر بعمل منبر جديد وجهزه فى هذه السنة "(١) ، أى سنة ٧٩٨ هـ صحبة أمير الحج المصرى الامير أيتمش(٢) ، فاهتم بوضعه فى موضع منبر الظاهر بيبرس الذى نقل الى حاصل الحرم الشريف(٣) كما فعل من قبل بمنبر ملك اليمن فى عهد الظاهر بيبرس .

ومن المسلم به أن يكون هذا المنبر مضاهيا فى الصنعة والمنظر للمنبر الذى كان قبله (٤) وانه كان يتحلى بالدقة والجمال اللذين اشتهرت بهما عموم المنابر المملوكية فى ذلك الوقت(٥) مدفوعين الى ذلك بسبب قداسة المكان الذى سوف يتبوأه المنبر من المسجد النبوى ، وتبنى السلطان شخصيا لفكرة اهدائه . ولكن لسوء الحظ لم يتيسر لى من المعلومات مايكفى للالمام ببعض التفاصيل الهامة من حيث ارتفاعه وطوله ونوع الخشب المصنوع منه ، وغير ذلك

---

(١) ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر بابناء العمر جـ ١ ص ٧٩٧ ، وانظر السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٤٠٧ ، حيث نقل عن المراغى خبر وصول هذا المنبر من قبل الظاهر برقوق الى المدينة سنة ٧٩٨ هـ . وقد بحثت فى النسخة المحققة من كتاب المراغى المسمى تحقيق النصرة عما أسنده اليه السمهودى فلم أجد لذلك ذكرا ، فلعل ذلك اضيف الى احدى النسخ التى وقعت للسمهودى لان تاليف الكتاب كما نص عليه المؤلف فى ص ١٤٦ من النسخة المحققة هو سنة ٧٦٦ هـ . وانظر السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٣٦٧ .

(٢) قال السخاوى فى نفس المصدر جـ١ ص ٣٥١ فى ترجمته له انه " صاحب المدرسة بباب الوزير له درس للحنفية بالمدينة " .

(٣) ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر بأنباء العمر ، جـ ١ ص ٧٩٧ .

(٤) يتبين من الوصف الذى أورده البلوى فى رحلته جـ١ ص ٢٨٦ ، والفيروزبادى فى المغانم المطابة ورقة ١٠١ أ . أن منبر الظاهر بيبرس كان على درجة كبيرة من الدقة والجمال شانه فى ذلك شأن المنابر المملوكية عموما .

(٥) عن صناعة المنابر فى العصر المملوكى ، انظر زكى محمد حسن ، فنون الاسلام ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، وعبد الرؤف على يوسف فى بحث له عن الخشب والعاج ، ص ٣٦٧ - ٣٥٨ .

من الصفات التى تعتبر ضرورية فى مثل هذه الحالة ، ومع ذلك يمكن الاستنتاج من خلال ماذكر عن ابلاغ السلطان عن آثار الارضة المنتشرة فى أجزاء المنبر السابق ، ومن واقع الحرص المتناهى على المحافظة على الشكل التقليدى الذى اتخذته المنابر السابقة ، أن هذا المنبر كان مساويا فى الطول والعرض والارتفاع للمنبر الذى كان قبله أو قريبا منه (١) .

وكما لم يصلنا الكثير عن تفاصيل هذا المنبر فان المصادر التى أمكننى الاطلاع عليها لم تنسب على كثرتها الى السلطان برقوق أعمالا أخرى فى المسجد النبوى الشريف أو المدينة المنورة (٢) . ومن الجدير بالذكر أن مدة الخطابة على هذا المنبر كانت قصيرة نسبيا فلم يكتب له البقاء فى المسجد النبوى كثيرا ، كما تم لمنبر الظاهر بيبرس ، وذلك لأن السلطان المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥ - ٨٢٤ هـ) كان قد أمر بعض النجارين من أهل الشام (٣) بعمل منبر لمدرسته التى بناها فى القاهرة ، والمعروفة بالمؤيدية

---

(١) قال الفيروزبادى فى وصفه لمنبر الظاهر بيبرس ورقة ١٠١ أ أن " طوله أربع أذرع فى السماء ومن رأسه الى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلا ، وعدد درجاته سبع بالمقعد ... وللمنبر باب بمصراعين فى كل مصراع رمانة من فضة .. " .

(٢) ذكر الصيرفى فى نزهة النفوس والأبدان ، جـ١ ص ٢١٢ ، أن هذا السلطان " بنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريبا من المدينة الشريفة" ويبدو أن ذلك كان بقصد خدمة الحجاج والأعراب .

(٣) يذكر غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى فى زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ١٤ أن هذا المنبر هو من بعلبكى ، ولعل مقصده انه من خشب بعلبك الواقعة حاليا فى لبنان ، التى تعد جزء من بلاد الشام التى كانت تضم لبنان وفلسطين وسوريا قديما .

" فوجدوا أهل مصر قد صنعوا لها منبرا ، فجهز المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة الشريفة "(١) . وينقل السمهودى عن ابن حجر " أن المنبر الموجود اليوم (فى زمن ابن حجر) أرسله المؤيد سنة عشرين وثمان مائة "(٢) خلافا للقول الشائع بأنه أرسله سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة(٣) ، وعلى هذا فمدة بقاء منبر الظاهر برقوق فى الحرم النبوى الشريف تكون من سنة ٧٩٨ هـ الى ٨٢٠ هـ ، أى اثنان وعشرون عاما . ولذلك يبدو أن استبداله لم يكن لسبب من الاسباب سوى أن المؤيد شيخ وجد نفسه أمام تحفة فنية نادرة تفنن فيها أمهر النجارين من أهل الشام فأشار هو أو ربما أحد خواصه بوضعه فى المسجد النبوى الشريف ، فأرسل به الى المدينة سنة ٨٢٠ هـ ليحل مكان منبر الظاهر برقوق . وظل يخطب عليه فى المسجد الشريف قرابة " سبع وستين سنة "(٤) حتى دمره الحريق المروع الذى حل بالمسجد النبوى الشريف فى شهر رمضان من عام ستة وثمانين وثمان مائة(٥) .

وعلى أية حال فان بعض التفاصيل الهامة عن هذا المنبر قد أتتنا لحسن الحظ هذه المرة من مؤرخ معاصر له شغف كبير فى تتبع آثار المسجد النبوى وتدوين تفاصيلها ، وهو مؤرخ المدينة المشهور على بن احمد السمهودى المتوفى ٩١١ هـ . فقد ذكر أن " طول هذا المنبر فى السماء سوى قبته وقوائمها ، بل من الأرض الى محل الجلوس ، ستة أذرع وثلث ، وارتفاع الحافتين اللتين يمين المجلس وشماله ذراع وثلث ، وامتداد المنبر فى

---

(١) و (٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٠٨ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٤٠٨ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٤١٠ .

(٥) نفس المصدر جـ٢ ص ٤١٠ .

الارض من جهة بابه الى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة ، وعدد درجه ثمانية ، وبعدها مجلس ارتفاعه نحو ذراع ونصف (١) ، وقبته مرتفعة ، ولها هلال قائم مرتفع أيضا "(٢) ، وأضاف الى ذلك مشيرا الى ارتفاعه الكبير " وما أظن منبرا وضع مثله فى موضعه أرفع منه ، وله باب بصرعتين "(٣) وكان يرجى من السمهودى الذى أدرك هذا المنبر الاستفاضة بذكر تفاصيل اخرى هامة عن نوع الخشب وطريقة الزخرفة التى اتبعت فى حشوات المنبر المذكور. ومع ذلك فان ما ذكره عن قبة المنبر يعتبر فى الحقيقة أول اشارة الى صفة القبة فى المنابر السابقة .

ويتبين لنا من مقارنة هذا المنبر بالمنابر السابقة له (٤) أن السبب

---

(١) يقصد بالمجلس هنا موضع جلوس الامام بين خطبتى الجمعة .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٤١٠ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٨٦ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٤١٠ .

(٤) جدول مقارنة بين منبر المؤيد شيخ والمنابر السابقة له :

	المنبر الذى أدركه ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ	المنبر الذى أدركه ابن النجار فى القرن السابع الهجرى	منبر يوسف بن رسول عام ٦٦٦ هـ	منبر الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ	منبر الظاهر برقوق عام ٧٩٨ هـ	منبر المؤيد شيخ سنة ٨٢٠ هـ
ارتفاع المنبر	قامة أو يزيد	ثلاثة أذرع وشبر وثلاث اصابع	؟	اربعة اذرع	؟	ستة أذرع
سعته	خمسة أشبار	ذراع راجح	؟	—	؟	—
طوله	خمس خطوات	خمسة اذرع وشبر	؟	سبعة أذرع وشىء	؟	ثمانية أذرع ونصف
عدد درجه	ثمان درجات	تسع درجات بالمقعد	؟	سبع بالمقعد	؟	تسع بالمقعد
صفة بابه	على هيئة الشباك طوله ٤ أشبار	باب	؟	له باب رمانتاه من الفضة	؟	باب بصرعتين

فى اختلافه فى الطول والعرض والارتفاع هو أنه لم تراع فى صنعته الابعاد التقليدية التى حافظت عليها المنابر التى كانت قبله فى المسجد النبوى الشريف فلقد أعد كما عرفنا من قبل للمدرسة المؤيدية ، التى تمتاز كغيرها من المدارس المملوكية بارتفاع السقف وعمق ايوان القبلة (١) ، مما جعل هذا المنبر يتقدم فى موضعه "على الذى قبله من جهة القبلة بما يقرب من ذراع، وكذا ظهرت زيادته من جهة الشام أيضا على الدكة الأصلية المتقدم وصفها بقريب من ذراع "(٢) . وفى بقاء هذا المنبر فى المسجد النبوى الشريف الى أن دمره الحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ دون أن يتعرض له قايتباى فى عمارته الأولى بالتجديد او التبديل ، دليل على ما امتاز به من دقة فى الصنعة ومتانة فى التركيب . ويظهر أن هذا المنبر هو العمل الوحيد الذى قام به المؤيد شيخ فى المسجد النبوى الشريف .

أما أعمال الاشرف برسباى فتختلف فى شكلها ومضمونها عن أعمال الظاهر برقوق والمؤيد شيخ اللذين اقتصرت أعمال كل منهما على ارسال منبر الى المسجد الشريف . وقد افتتح السلطان برسباى أعماله بارسال القمح الى اهل الحرمين سنة ٨٢٩ هـ " وأمر على الصدقة الامير أقبغا التركمانى وبدا بالمدينة وفرق خمسمائة أردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والاشراف والايتام والارامل .." (٣) . ثم أقر فى حدود سنة ٨٣١ هـ ما قام به الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى فى الحرم النبوى

---

(١) محمد مصطفى نجيب : العمارة فى عصر المماليك ص ٢٤٥ ومابعدها .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤٠٩ ، وفى ص ٦١٢ يذكر انه كان مفرط الطول بحيث كان قاطعا للصف الباقى من الروضة الشريفة .
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ص ٣٦٤ . وقد ذكر فى نفس الصفحة أنه فرق فى مكة " خمسمائة اردب قمح على أهل الحرم كلهم وعلى الأربطة والمجاورين وعم بها أهل مكة " .

الشريف من تسمير لابواب الدرابزين المحيطة بالحجرة الشريفة (١) بقصد تعظيمها " وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالايدى " (٢) وغير ذلك من البدع المكروهة واصبح الجزء المحجوز من الروضة الشريفة معطلا (٣)

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٩ ص ٢٩٤ ، حيث ذكر فى ترجمته لهذا الشيخ مدى الحظوة والجاه اللذين لقيهما عند سلطان مصر بسبب ورعه وعلمه وقال انه قام فى حجة سنة ٨٣١ هـ باغلاق " ابواب المسجد الحرام بمكة مدة حجه فكانت لا تفتح الا اوقات الصلوات الخمس ومنع من نصب الخيام واقامة الناس فيه ايام المواسم واغلق أبواب مقصورة الحجرة الشريفة النبوية ومنع كافة الناس من الدخول اليها ".

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦١٦ ، وذكر محمد بن محمود بن خليل الحلبى المتوفى سنة ٨٦٠ هـ فى عمدة الناسك فى افعال الحج والمناسك ، ورقة ١٢ أ مايفعله الناس عند هذا الدرابزين فقال : " ولما دخلتها مع سيدى الوالد رحمه الله حين حججت معه فى سنة تسعة وعشرين وثمان ماية رأيت كثيرا من الناس يحصل منهم (اساءة) أدب عند زيارته ويعتقدون أن ذلك زيادة فى محبته صلى الله عليه وسلم وليس الامر كذلك . وبعد ذلك منعوا من الدخول وغلقوا أبواب الحجرة النبوية لامر اقتضى ذلك " . وعن ماذكره ابن المحجوب فى قرة العين فى اوصاف الحرمين ورقة ٧٣ أ عن سبب استحداث الظاهر بيبرس لهذه المقصورة . انظر اعلاه ص ٢٤٢ من الرسالة .

(٣) علق السمهودى فى الوفا جـ ٢ ص ٦١٦ على هذا العمل بانه يجب فتح بعض تلك الابواب ، خصوصا فى غير ايام المواسم ، وليس الطريق فى ازالة المفسدة المذكورة غلق تلك الابواب وتعطيل تلك البقعة ، بل وقوف الخدام عند ذلك المحل ومنع من يتعاطى فيه مالا يليق بالادب ، على أن ذلك لم يحسم المادة لان تلك الامور - اعنى لمس الجهال ووضعهم الظهور - يفعل اليوم (فى زمنه) بهذا الدرابزين ، ولا شك أن الجدار الذى كان يفعل به ذلك ليس هو نفس القبر ، بل ولا جدار الحجرة كما قدمناه . بل جدار اخر دائر به كما أن هذه المقصورة دائرة به ، فان كان ذلك يقتضى تعطيل ذلك المحل ، فليعطل من أجله المسجد بأجمعه ، وتعطيل المسجد او شىء منه حرام فلا يرتكب لدفع مكروه مع امكان دفعه بغيره " . ثم علق على ماقيل من أسباب اغلاق هذه الابواب فقال : " ومايقال من أنه ربما وجد فى بعض المواسم هناك قذر ، فقد كان شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر شرف الدين المناوى =

لا يصله الا الخدام عند اسراجهم لقناديل الحجرة الشريفة أو تنظيفهـــا ، وبقى هذا الدرابزين مسمرا حتى احترق سنة ٨٨٦ هـ (١) .

أما أكبر عمل قام به الاشرف برسباى فى المسجد النبوى الشريف فقد كان تجديده للبلاطتين اللتين أحدثهما الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩ هـ ، وذلك فى سنة ٨٣١ هـ عندما بعث السلطان " مع الرمحى (٢) الامير مقبل القديدى (٣) معمارا لما يحصل فى الحرمين فى الاماكن الضروريـــات

= يقول فى جوابه : ولا شك أن ذلك المحل من المسجد ، فان كـــان وجود القذر فيه مقتضيا لتعطيله وصيانته بالغلق فليغلق المسجـــد بأجمعه ، فان حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه . واختصـــاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه ".

(١) يذكر السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٧ انه حاول مفاتحة قايتباى عندما قدم المدينة " للزيارة سنة أربع وثمانين وثمانمائة واجتمعت بـــه بالروضة الشريفة ، أردت أن أتكلم معه فى مفاتحة بعض تلك الأبـــواب فى غير ايام المواسم ، فرأيته قد تعاظم دخول هذه المقصورة لما عرض عليه ذلك " ثم قال فعلمت أنه لا يوافق على ما أريده .

(٢) نسبة الى الرمح . وقال حسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائـــف على الاثار العربية ، جـ ٢ ص ٥٥٨ . ان الرماح " هو المحارب بالرمح والجمع رماحه ، وكان الرماحة او الرماحية يؤلفون احدى طبقـــات أو فرق الجيش فى عصر المماليك " .

(٣) ذكر قطب الدين النهروالى ، فى اعلام الاعلام ص ٩٦ ، أن الاميـــر مقبل القديدى قد تولى فى أول عهد الاشرف برسباى عمارة سقـــف الكعبة المشرفة وبعض سقوف المسجد الحرام . ثم أسند اليه أيضا فـــى سنة ٨٢٦ هـ تجديد رخام جدران الكعبة وبعض الاسطوانات الموجودة داخلها ، وأنه كتب اسم السلطان على لوح من رخام ونقشه بالذهـــب وركبه فى جدار الكعبة من الداخل .

فبدأ بعمارة الحرم النبوي" (١) . ويبدو أن ماقام به هذا المعمار الذي عرف بجمال الدين يوسف (٢) هو ارشاد العمال والصناع الى الاجزاء التي تحتاج الى ترميم وتجديد ، من المسجد الشريف وذلك لانه قد عاد الى مكة عندما وصل الركب الشامي اليها (٣) ، للاتصال بالامير مقبل القديدي الذي كان يقيم في مكة المكرمة . ويظهر ان ذلك كان باستدعاء منه للتشاور معه في الاعمال القائمة في المسجد النبوي في المدينة ، وأخذ رأيه في تصريف الاموال التي وصلت من السلطان صحبة الركب المصري ومقدارها كما يقول ابن فهد "عشرة آلاف افلوري (٤) ، خمسة آلاف صحبة أمير الاول (٥) اينال الششماني المحتسب ، أحد رؤوس نوبة النواب (٦) ، وخمسة الاف صحبة أمير المحمل قرا سنقر كاشف الجيزة ، ليعمر منها عين حنين بخمسة الاف ويتصدق على أهل الحرمين بخمسة الاف ، فتسلمها مقبل وعمل لمقتضى ذلك في السنة

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ص ٣٦٨ .

(٢) قطب الدين النهروالي : اعلام الاعلام ص ٢١٢ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ص ٣٦٨ .

(٤) ضربت فلورنسا نقودها الذهبية التي راجت في الأسواق الشرقية وعرفت باسم أفلوري سنة ١٢٥٢ م وقد امتازت هي والنقود البندقية عن النقود المملوكية بدقة سكها وارتفاع عيارها . انظر عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ص ٩٦ ومابعدها .

(٥) بحثت عن معنى هذا اللقب عند القلقشندي في صبح الاعشى وكذلك في الفنون الاسلامية والوظائف لحسن الباشا وكذلك في نظم دولة سلاطين المماليك لعبد المنعم ماجد فلم اعثر على من يذكر هذه الوظيفة بهذا الاسم الا أنهم جميعا يشيرون الى أن أمير مئة مقدم ألف هو أعلى لقب بين الامراء المماليك فلعلها المقصودة هنا . انظر صبح الاعشى ج٧ ص١٥٨ والفنون الاسلامية والوظائف ج١ ص ٢٤٩ ، نظم دولة سلاطين المماليك ج ١ ص ٤٥ (. الا أن الدكتور حسنين ربيع ذكر لي اثناء المناقشة انها تعني أمير الركب الأول معتمداً في ذلك على ماذكره السخاوي في الضوء اللامع ج٢ ص٣٢٧ من أن اسم هذا الأمير اينال الششماني ، وأنه تأمر على المحمل في سنة ست وثلاثين بل ومحمل الأول قبلها سنة سبع وعشرين » .

(٦) كانت هذه الوظيفة من الوظائف التي استحدثها الظاهر بيبرس وهي وظيفة رئيس المماليك المكلفين بحراسة حجرة السلطان او حراسته وقت خروجه في المواكب عددهم اكثر من خمسة وعشرين ، ونظرا لمكانة هذا =

التى تليها (١) " .

ومهما يكن من أمر فان التفاصيل الهامة عن الاعمال التى تمت فى المسجد النبوى الشريف فى عهد الاشرف برسباى تنحصر فيما أمدنا به السمهودى من معلومات بسيطة جاء فيها انه حصل فى البلاطتين اللتين تقع فى مقدم المسجد مما يلى الصحن " خلل فجددهما الملك الاشرف برسباى فى ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص (٢) ، على ما أخبرنى به بعض مشايخ الحرم ، ورأيته مكتوبا كذلك باللوح التى كانت بظاهر العقود من المسقف القبلى مما يلى رحبة المسجد " (٣) .

= الرئيس فانه كان يلقب بالأخ او الجناب الكبير وهو السفير بين المماليك والسلطان . انظر عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم ، جـ٢ ص ٥٣ وما بعدها .

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ص ٣٦٩ .

(٢) قال المقريزى فى خططه جـ ١ ص ١٧٣ " فاما الجزية وتعرف فى زماننا بالجوالى فانها تستخرج سلفا وتعجيلا فى غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى . وقال القلقشندى فى صبح الاعشى ، جـ ٣ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ انها " مايؤخذ من اهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم فى كل سنة ، وهى على قسمين ، مافى حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة وماهو خارج عن ذلك " وقال عن القسم الثانى : " واما ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلد انها فان جزية اهل الذمة فى كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من امير او غيره مجرى مال ذلك الاقطاع ، وان كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية كان مايتحصل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان " . وانظر عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جـ ١ ص ٧٥ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٥ ، وأنظر أيضا ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٦٦ .

وفى تخصيص السلطان برسباى للنفقة على هذه العمارة من الجزية المذكورة دليل على اهتمامه بتحرى الدقة فى نقاوة النفقة (١) على هذه العمارة وامعانا منه فى كيد النصارى والاقلال من شأنهم (٢)، كما ان هذا العمل يعتبر تتويجا للانتصار الساحق الذى حققه الاشرف برسباى سنة ٨٢٩ هـ فى غزوه لقبرص وأسر ملكها (٣).

ومع ذلك فاننى لم أجد رغم هذا الاهتمام الواضح من قبل السلطان من دون المراسيم الخاصة بذلك أو عنى بتسجيل التفاصيل الهامة عن صفة التجديد ونوع الخشب المستخدم فيه ومقدار النفقة وغير ذلك من المعلومات المفيدة .

ولابد لنا أمام الندرة الواضحة فى المعلومات الضرورية عن هذا العمل من الرجوع الى الوراء قليلا لتذكر ما تميزت به عمارة هاتين البلاطتين حين عمرهما الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩ هـ دون بقية أجزاء المسجد النبوى، فقد جاء أن العقود فيهما حلت محل الاعتاب الخشبية (٤) المربعة

---

(١) اعتاد بعض سلاطين المماليك أن يسألوا قضاة الشرع عن المورد المناسب للنفقة على عمارة الحرمين الشريفين . فقد ذكر ابن حجر العسقلانى فى أنباء الغمر بابناء العمر ، جـ ٣ ص ١٠٥ ، ان السلطان المؤيد شيخ سأل قضاة الشرع فى سنة ٨٢٢ هـ "عما أعلم به الحجاج من استهدام المسجد الحرام واحتياجه الى العمارة ، من أى جهة يكون المصروف على ذلك".

(٢) أشار السمهودى فى الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٩ الى فرح النصارى بالحريق الثانى فى المسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ حيث يذكر "ولما وصل خبر الحريق لروس فى بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحا واستبشارا ".

(٣) قطب الدين النهروالى : اعلام الأعلام ، ص ١٨٢ .

(٤) تعرف هذه الاعتاب بالعبارات كما يسميها السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٦ ، وتعرف ايضا بالكمرات فى اللغة الدارجة .

التى كانت تصل مابين الاسطوانات لحمل سقوف المسجد ، بيد أنه لا يعرف ما اذا كان الخلل آنذاك قد أصاب تلك العقود أم أصاب السقف المحمول عليها ؟ أم أصابهما معا ؟

وعلى اية حال فان السقف المجدد عاد كما كان أولا (١) سقفا واحدا "فى موازاة سقف المسجد الاسفل ، ولذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين (٢) وغيرهما من بقية المسجد ، وله باب يدخل اليه من بين السقفين شارع فى مبدأ الرواقين (٢) المذكورين مما يلى المشرق "(٣) . ولكن هذا التجديد البسيط لم يكن العمل الوحيد الذى أنجز فى عهد الاشرف برسباى بل أن التجديد قد شمل ايضا "شيئا من السقف الشامى مما يلى المنارة السنجارية "(٤) الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى من المسجد الشريف . ولم يذكر المؤرخون الاسباب الحقيقية التى أدت الى تلف هذه السقوف المجددة مما يسمح بالاعتقاد بأن طول الزمن الذى مر على عمارة هذه الاجزاء وهو نحو مائة عام ، وتعرضها للأمطار طوال هذه المدة (٥) كانت وراء هذا التلف الذى اصاب اجزاء متفرقة من سقوف المسجد .

---

(١) ذكرت عند حديثى عن هاتين البلاطتين فى عهد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩ هـ احتمال حرص القائمين بالعمل آنذاك على وضع سقوفهما بمستوى السقف السفلى للمسجد القديم .

(٢) يقصد البلاطتين فقد درج على تسمية البلاطة المعترضة بالرواق فى جميع النصوص المنقولة من كتابة وفاء الوفا .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٥ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩١ وانظر الشكل رقم (٥٢) .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٣٦٦ .

(٥) كان قد مضى على استحداث الملك الناصر محمد بن قلاوون لهاتين البلاطتين اكثر من مائة عام وعلى تجديد الظاهر بيبرس لسقف مؤخر المسجد الشريف قرابة مائة واثنين وستون عاما . انظر اعلاه ص ٢٣٢ .

وقد بدت آثار بعض التلف في عهد الاشرف برسباى ، وتأخر ظهور بعضه حتى زمن السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) ، الذى اهتم في حدود سنة ٨٥٣ هـ باصلاح الخلل الطارىء على " سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد "(١) النبوى الشريف على يد المعمار(٢) بردبك التاجي (٣) . ويظهر ان هذا الجزء المجدد من سقف الروضة هو ماسبق للملك الناصر محمد أن جدده سنة ٧٠٦ هـ ، وقد عرفنا آنذاك مدى العناية التي أولاها السلطان لهذا السقف بحكم صلته بجزء المسجد النبوى المشبه برياض الجنة . ولابد أن التجديد الذى قام به الظاهر جقمق لهذا الجزء من المسجد قد عاد به الى الصفة التي كان عليها قبل التجديد أو قريبا منها، وان كنت للاسف لم أجد بين المؤرخين من دون أعمال التجديد هذه أو عنى بذكر تفاصيلها الضرورية ، خلاف ماذكره السمهودى عن حال هذه السقوف التي شاهدها في عمارة الأشرف قايتباى الأولى اذ يذكر أن هذا " السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبارات من خشب موضوعة على أبنية فوق رؤوس السوارى بعرض تلك السوارى ، كما ان السقف الاسفل الشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رؤوس السوارى "(٤) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٠٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٤٤٢ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٢ .

(٢) يقول حسن الباشا في الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية جـ٣ ص ١١١١ وما بعدها ان هذه الصيغة وردت " على كثير من الاثار العربية ، ويبدو انها استخدمت بدلالتين احداهما البناء ، او المهندس ، الاخرى على من أشرف على العمارة او تولى أمرها .." .

(٣) يذكر السمهودى : في المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٥ ان اسم هذا المعمار هو بردبك الناصر ولكن السخاوى في التحفة اللطيفة جـ١ ص ٣٦٦ ترجم له بما يلى : " بردبك التاجي - كان معمارا ايام الظاهر جقمق لما حصل من الخلل في سقف الروضة وغيرها من اسقف المسجد في سنة ثلاث وخمسين وماقبلها " .

(٤) المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٠٦ .

ويؤخذ من كلام السمهودى أن البعد الذى كان بين السقفين اللذين جددهما الظاهر جقمق مساو للفرق بين سقفى مقدم المسجد وهو أقل من القامة المعتدلة (١) . بيد أن ذلك التجديد لم يكن محكما بما فيه الكفاية اذ أعيد تجديده بعد مضى ثمانية وعشرين سنة على الانتهاء منه . وقد يكون لقرب هذه السقوف من القبة الزرقاء أثر فى التبكير بتلفها لانه قد وجد بالقبة المذكورة فى سنة ٨٨١ هـ " أخشاب قد تآكلت من طول الزمان ونداوة مياه الأمطار " (٢) .

وقد جاء فيما ذكره السمهودى أن الخلل الطارئ على سقوف المسجد الشريف لن يكن محصورا فى سقف الروضة فقط بل جاء أنه " فى سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقوف المسجد " (٣) الاخرى التى لم تكن معروفة على وجه الدقة . الا أن فيما ذكره السخاوى عند حديثه عن فضل باب الرحمة مايشير الى أن الاعمال المذكورة قد امتدت اليه أيضا اذ يذكر " أنه فى أيام مباشرة بردبك التاجى لعمارة المسجد - أيام الظاهر جقمق - راموا اصلاح الاسطوانة ، المقابلة لدكة بواب الرحمة ، لخلل فيها . وراموا ذوب رصاص بجانبها لسكبه فيها ، فلم تؤثر النار فيه . فصاح عليهم الشيخ الجمال عبد الله بن الشمس محمد بن أحمد الششترى . . أن النار لا تؤثر فى باب الرحمة ،

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٧ .

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١٠ .

(٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٥ ، وانظر السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٣٦٦ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٢ .

فبادروا وتحولوا لمحل آخر خارج المسجد . فبمجرد أن أطلقت النـــار ذاب بعد يأسهم أولا ".(١)

ولا يبعد أن يكون ذلك التجديد قد شمل أيضا أجزاء أخرى من سقوف المسجد النبوى لم يذكرها أحد من المؤرخين الذين أمكننى الاطلاع علـــى مؤلفاتهم. وهكذا فان الأخبار التى ساقها لنا السمهودى والسخاوى لا تفـى برسم صورة واضحة عن هذه العمارة المجزأة ولولا غرابة القصة التى وقعـت لبعض عمال البناء عند باب الرحمة ، لما عرف شىء عن عمارة هذا الجانـب من المسجد .

ومن هذه الأعمال استحداث سقف لطيف طوله نحو ستة أذرع يحيط بـه رفرف للباب الشمالى لدرابزين الحجرة الشريفة لحمايتها من حرارة الشمـس(٢) وقد بسطت أرضه بالرخام الملون وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.(٣) وفى تلك السنة أيضا أمر الظاهر جقمق باحاطة جدار القبلة بأزار مـن الرخام جاء فى وصف ابن المحجوب له أنه عجيب سانج.(٤) وذكـر السمهودى عن هذه الوزرة أنها اتصلت ببقايا الرخام الموجود بالمحـراب

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٠ وكان يمكن عد ذلك من المبالغـات التى عرف بها ذلك العصر الا أن السخاوى يذكر بعد ذلك " وممن شهـد ذلك حسين بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الواحد ، ابراهيم الششترى المذكور وغيرهما . وقال لى أبو الفتح الشكيلى - أحد رؤوس نـواب الفراشين المجاور للباب المذكور أنه شاهد ذلك".

(٢) سبق أن بعض المصادر ذكرت عند الحديث عن عمارة الملك الناصر محمـد للبلاطتين اللتين أضافهما الى رواق القبلة أن بعض شيوخ أهل السنة هدم المقصورة التى وضعها بعض الشيعة على الباب الشمالى للحجرة الشريفـة بقصد حمايتها من حرارة الشمس. وأن وجود البلاطتين المذكورتين قد حمى الحجرة من الشمس فلاضرورة لبقاء المقصورة ، أنظر أعلاه ص ٢٧٢ من الرسالة .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦١١ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٩٧ .

(٤) قرة العين فى أوصاف الحرمين ، ورقة ٧٨ ب .

العثماني وما حوله من بقايا الحريق الأول ، وانه كان بأعلى الوزرة المذكورة طراز محمر بماء الذهب (١) .

ويستدل من كلامه عن وزرة الرخام الموضوعة في جدار القبلة على أن رخام هذا الجدار لم يعوض بعد تلفه في الحريق الأول الا في عهد السلطان جقمق ، الذي اهتم باعادته على الصفة التي كان عليها قبل الحريق او قريبا منها كما يتضح من وصف ابن المحجوب والسمهودي له . ومن الأعمال التي تعهدها معمار السلطان جقمق في المسجد النبوي الشريف في السنة المذكورة استحداث رحبات فسيحة (٢) أمام أبواب المسجد لتمكين الناس من خلع نعالهم قبل الدخول الى المسجد (٣) ، منعا للزحام الذي كان يحدث عند درابزين الأبواب . فقد " أقام " الامير بردبك المعمار أيام عمارته للظاهر جقمق هذه الأحجار المصفوفة افريزا عند طرف عقد باب السلام مما يلي الحصن العتيق (٤) ، وجعل ما أمام الباب مما يحاذي العقد المذكور رحبة ، وصار الناس ينزعون النعال عندها ، وعمل عند باب الرحمة مثل ذلك ، ورفع

---

(١) قرة العين في أوصاف الحرمين جـ ٢ ص ٥٧٤ .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب جـ١ ص ٤١٤ " ان الرحبة ما اتسع من الارض ، وجمعها رحب ، ورحبة المسجد والدار ، ساحتهما ومتسعهما ، ويقصد بها هنا تحديد جزء واسع من الأرض التي تقع عند باب المسجد بدرابزين أوغيره لكي يخلع الناس احذيتهم عنده منعا للزحام عند باب المسجد .

(٣) نقل المراغي من كتاب يحيى بن الحسين قول النبي صلى الله عليه وسلم " تفقدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم " انظر تحقيق النصرة ص ٨٨ .

(٤) ذكر السمهودي في وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٧٠٢ وما بعدها أن الحصن العتيق كان منزلا لأمراء المدينة . وقد اشتراه غياث الدين بن سلطان بنجالة وبناه مدرسة سنة ٨١٤ هـ ثم حوله متولي عمارة الأشرف قايتباي الثانية الى مدرسة ورباطا للسلطان قايتباي سنة ٨٨٧ هـ ويقع في الجانب الغربي من المسجد بالقرب من باب السلام .

ذلك الدرابزين ، وكان مابين الدرابزين وباب الرحمة منخفضا عن ارض المسجد فسواه بأرض المسجد كما هو اليوم ، فاحتاج الى رفع عتبته ، فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الاصلية ، وقصرشيئا من اسفل الباب ، وذلك ظاهر فيه اليوم ، وحصل بذلك صيانة للمسجد ، واتخذ ايضا الرحبة التى امام باب النساء ورفع الدرابزين الذى كان من داخله واتخذ لباب جبريل الرحبة التى أمامه ، ولم يرفع الدرابزين لان الناس لم يكونوا يمشون بنعالهم اليه "(١) .

ومع جدوى هذه الاعمال فى المحافظة على نظافة المسجد الشريف الا أن الابقاء على السلسلة التى وضعها عمر بن عبد العزيز بباب السلام بعد عمارة الوليد للمسجد النبوى ، قد سببت كما يذكر السمهودى ، فى سنة ٨٥٤ هـ هلاك كثير من الناس عند ازدحامهم عندها ، الامر الذى أوجب رفعها فى أيام المواسم التالية (٢) .

واذا كنا نفتقر الى الكثير من التفاصيل عن اعمال جقمق هذه ، فان ما أجمله لنا ابن المحجوب فيه دلالة على اهتمام هذا السلطان بأمر المسجد النبوى الشريف . فقد ذكر انه " تفقد جميع المسجد بالرم وجدد جميع سقفه بالخشب المربعة الرفيعة والدهان المنوع بالذهب (واللازورد) . الا أن سقف بعض مجنباته لم يتم تذهيبها لموت هذا الملك جقمق قبل تمام ذلك وقصور همم الملوك بعده عن اكماله "(٣) . وجاء فيما ذكره السخاوى فى

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٧٠٥ ، ويقصد بكلمة اليوم المتكررة فى الاقتباس المذكور زمن السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، ويبدو ان عدم رفع درابزين باب جبريل لان الداخلين الى المسجد كانوا ياتون غالبا من باب السلام ، بقصد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما صرح البرزنجى فى نزهة الناظرين ، ص ١٠٢ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٧٠٥ .

(٣) قرة العين فى اوصاف الحرمين ، ورقة ٧٨ ب .

ترجمته لهذا السلطان " أن له فى المدينة ربع(١) ودشيشة(٢) ومصحف وغير ذلك "(٣) . ونفقة مثل هذه الاعمال من أوقاف السلطان الخاصة(٤) .

وعلى أية حال فان ماقام به هذا السلطان يعتبر خاتمة الأعمال الهامة التى قام بها الملوك الجراكسة فى المسجد النبوى الشريف . وبعد التجديد المذكور فقد أصبح المسجد النبوى الشريف فى مأمن من الاضرار التى كانت تهدده ، بالاضافة الى أن السلاطين الجراكسة الذين أتوا بعد الظاهر جقمق كانوا على درجة كبيرة من الضعف وعدم الاستقرار السياسى(٥). وهو

---

(١) الربع هو " المنزل والدار بعينها " كما ذكر ابن منظور فى لسان العرب جـ ٨ ص ١٠٢ وهو هنا دار بها غرف كثيرة كالرباط يسكن فيها الفقراء والمساكين .

(٢) الدشيشة فهى الجشيشة وهى " ان تطحن الحنطة طحنا جليلا ثم تنصب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ " . ويقال ان الجشيش هو الحب حين يدق قبل ان يطبخ فاذا طبخ فهو جشيشة " انظر ابن منظور : المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٧٣ . وانظر ابراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط جـ٢ ص ٢٨٣ .

(٣) التحفة اللطيفة ، جـ١ ص ٤٢٢ .

(٤) محمد محمد أمين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، ص ١٩٨ .

(٥) يتبين من الجدول التالى الذى اعتمدت فيه على كتاب تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين للشرقاوى ومن كتاب محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ص ٢٩٠ - ٢٩١ . ان اغلب السلاطين الذين تولوا عرش مصر فى تلك الفترة خلعوا او قتلوا من قبل الامراء الاخرين المنافسين لهم .

- الظاهر جقمق ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ	استعفى لمرضه
- عثمان بن جقمق محرم سنة ٨٥٧ - ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ	خلعه الامراء
- الاشرف اينال ٨٥٨ - ٨٦٥ هـ	استعفى لمرضه
- المؤيد احمد بن اينال محرم سنة ٨٦٥ - رمضان سنة ٨٦٥ هـ	خلعه الامراء =

ماعبر عنه ابن المحجوب "بقصور همم الملوك بعده" (١) . ومع ذلك فان من المعلومات القليلة عن بعض الاعمال الفردية التى تمت فى المسجد النبوى الشريف فيما بين عهد السلطان جقمق والسلطان قايتباى ما أجد انه من الواجب التعرض له فى حدود ما تسمح به المعلومات المتوفرة عن هذه الاعمال .

وفى مقدمة هذه الاعمال مايذكره على بن حسين السليمان من أعمال تنسب الى زوجة الاشرف اينال (٨٥٨ - ٨٦٥ هـ) من أن لها بمكة والمدينة صدقات وميضأة ورباطا فى المدينتين (٢) ، ومن الضرورى أنه كان المقصود من هاتين الميضأتين خدمة الحرمين الشريفين . وفى عهد الاشرف اينال أيضا اجتهد الامير طوغان شيخ الاحمدى (٣) فى استحداث محراب خاص

= - الظاهر خشقدم ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ	توفى على عرشه
- بلبان المؤيدى ربيع الاول سنة ٨٧٢ هـ - جمادى الاولى سنة ٨٧٢ هـ	خلعه الامراء بعد ٥٦ يوما .
- الظاهر تمربغا جمادى الاول سنة ٨٧٢ هـ رجب ٨٧٢ هـ	خلعه الامراء بعد ٥٩ يوما .
- الظاهر خير بك تسلطن ليلة واحدة من سنة ٨٧٢ هـ	خلعه الامراء .
- الاشرف قايتباى ٨٧٢ - ٩٠١ هـ	توفى على عرشه .

(١) أنظر أعلاه ص ٣٠٠ .

(٢) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٧ .

(٣) ذكر السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ٢ ص ٢٦٧ فى ترجمته لهذا الامير انه " قد ولى نظر المسجد الحرام المكى مدة من الزمن وان كلمته فى مكة كانت نافذة . ثم يذكر انه توجه الى المدينة المنورة اميرا على الترك بها " واظهر مؤلفا اعين فيه ، عارض فيه السيد السمهودى فى امتهان البسط المكتوب عليها وعدم احترامها . كتب له عليه جماعة (ايدوه فيه) وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلادة وعدم معرفة " ويذكر انه مات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين وثمانمائة .

بالحنفية فى المسجد النبوى . وقد تمكن على مايبد و من أخذ موافقة السلطان اينال . الا انه قوبل بالمعارضة الشديدة من أهل المدينة الذين تعضدوا بمساعدة " أحد أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريف (١) تغمده الله برحمته ، فلم يتم لطوغان المذكور ذلك "(٢) . ولكن الامير طوغان لسوء حظ أهل المدينة ، استطاع تنفيذ رغبته بعد موت ناظر الخاص الجمالى ، اذ سعى فى الدولة التركية بمعونة الامين الاقصرائى (٣) " فبرزت المراسيم به بعد الستين وثمانمائة واستمر الى زماننا (زمن السمهودى) فيصلى إمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوى ، وهو إمام الشافعية ، الا فى التراويح فيصليان معا ، وهذا الامر دب الى المدينة الشريفة من مكة المشرفة "(٤) .

ويبد و مما أورده محمد بن خضر الرومى عن تجديد هذا المحراب وتقديمه فى محاذاة المحراب النبوى فى حدود سنة ٩٤٨ هـ ، انه كان متأخرا عن المحراب النبوى بقدر كبير (٥) . وقد أخذ هذا المحراب بعد هذا التجديد اسما جديدا لا يزال يعرف به الى اليوم وهو المحراب السليمانى .(٦)

---

(١) قال حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، جـ ٣ ص ١٢٠٧ ان وظيفة ناظر الخواص " من الوظائف الديوانية الجليلة التى كان يشغلها مدنيون ، وقد انشئت فى عهد السلطان محمد بن قلاوون وذلك حين ابطل الوزارة وقسم اعمالها بين ثلاثة موظفين هم ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السر" .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٨٣ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٦٧ .

(٣) السخاوى : نفس المصدر جـ٢ ص ٢٦٧ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٨٣ .

(٥) التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة ، ص ٩٢ .

(٦) البرزنجى : نزهة الناظرين ص ٤٩ ، ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ١ ص ٤٦٩ ، الانصارى : آثار المدينة المنورة ص ٩٥ .

أما العمل الثالث فهو ما ينسب الى القاضى زين الدين ابو الصدق المعروف بابن مزهر (٨٣١ - ٨٩٣ هـ) الذى ابتدأ بزيارة المدينة فى موسم سنة ٨٧١ هـ " وفصل هناك من المعروف ماعم به أهل المدينة بحسب مراتبهم ، وأمر باصلاح ماتهدم من الرخام بالحجرة الشريفة "(١) .

ويظهر أن عمل هذا القاضى اقتصر على قيامه بالنفقة فى اصلاح الرخام من ماله الخاص ، وذلك لأن اكتشافه لتلف الرخام كما يبدو ممّا سبق كان فى زيارته للمدينة . وكان الامر يقتضى احضار الرخام المذكور من غير المدينة ، اللهم الا اذا كان العمل مقصورا على اعادة ماتساقط من رخام الحجرة الشريفة ، فان عطه ميسور جدا .

ومهما يكن من أمر فان النصر الذى حققه الامير طوغان شيخ الاحمدى فى حدود سنة ٨٦١ هـ فى استحداث محراب للحنفية بالمسجد النبوى الشريف اغراه فى حدود سنة ٨٧٣ هـ بزيادة عدد النخل المغروس بصحن المسجد ، الا أن معارضة السمهودى له قد أحبطت ما أراد (٢) .

---

(١) السخاوى : الذيل على رفع الاصر المعروف (ببغية العلماء والرواة) ص ٤٨٢ .

(٢) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٢ . وأنظر السخاوى التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢٦٧ . وعن هذا النخل يذكر السمهودى انه لا يعلم شيئا عن أول من أحدثه سوى ماذكره ابن جبير فى رحلته عند ذكره للقبة التى بصحن المسجد من أن " بازائها فى الصحن خمس عشرة نخلة " ثم ذكر ان ابن فرحون ، الفيروزبادى قالوا ان شيخ الحرم النبوى عزيز الدولة قد زاد من غرس هذا النخل فى زمانه . وذكر من مساوئ هذا النخل ما حدث من سقوط " تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت فى أواخر مشيخة ياقوت الرسولى . ثم اعيد الغرس ووقع الأنكار من بعض الناس ولكن لم يصادف كلامه محلا من الاشارة والافادة ".
وذكر السيد محمد كبريت الحسينى فى الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة ص ٥١ بقاء هذا النخل حتى زمنه سنة ١٠٤٨ هـ وأن " مسألة غرسه مختلف فيها ، فمنهم من كرهه ومنهم من منع ومنهم من أباح
كما ذكر البرزنجى فى نزهة الناظرين ص ٩١ بقاء هذا النخل فى المسجد النبوى حتى بعد عمارة السلطان عبد المجيد

المبحث الثاني

عمارة السلطان الأشرف قايتباي الأولى
في المسجد النبوي سنة ٨٨١ هـ

المبحث الثانى

عمارة الاشرف قايتباى الاولى فى المسجد النبوى سنة ٨٨١ هـ

ذكرت عند الحديث عن عمارة المسجد النبوى الشريف فى عهد المملوك الجراكسة قبل السلطان قايتباى أنه قد أمن الاضرار التى كانت تتهدده بعد تعهد الأشرف برسباى ومن بعده الظاهر جقمق له بالترميم والتجديد فى أجزاء كثيرة من أروقته . وأشرت بعد ذلك الى قصور السلاطين الذين أتوا بعدهما عن الاهتمام بهذا المسجد الشريف معتمدا فى ذلك على ما ذكره ابن المحجوب من بقاء بعض مجنبات المسجد النبوى دون تذهيب بعد موت الظاهر جقمق (١) .

وعندما تولى الأشرف قايتباى الحكم التزم الطريقة التى سار عليها السلاطين من قبله من حيث عدم التعرض لعمارة المسجد الشريف الا عند الضرورة القصوى ، وهو ما يتضح من عمارتيه الأولى والثانية ، اللتين سوف أتعرض لهما فيما يلى معتمدا فى ذلك على ما أورده مؤرخ المدينة المعاصر لهما ، وهو نور الدين على بن أحمد السمهودى ، الذى كتب عنهما بتفصيل واف مزودا ببعض الرسوم الهامة والتواريخ اليومية والشهرية لاهم الاعمال التى شاهدها . وهو يذكر أن السبب فى هذه العمارة هو مطالعة المسئولين فى الحرم النبوى الشريف للامير شاهين الجمالى (٢) الذى ورد

---

(١) انظر أعلاه ص ٢٠٠

(٢) فذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٢١٠ ومابعدها فى ترجمته لهذا الامير أنه كان مندوبا للسلطان فى مكة للأشراف على عمائر مكة ونواحيهما كاجراء عين عرفة وعمارة مسجدى نمرة والخيف وانه استقر اخيرا فى مشيخة الحرم النبوى سنة ٨٩١ هـ .
كما جاء فى الضوء اللامع ، جـ٢ ص ٢٩٢ ومابعدها فى ترجمة هذا الأمير أنه كفؤ لكل ما يفوض إليه حسن النظر والتأمل، وأنه نادرة فى أبناء جنسه ، حسنة من حسنات الوقت ومحاضرته جيدة وأدبه كثير وعقله شهير ، وأهل طيبة مسرورون منه .

المدينة بعد منصرفه من جدة فى طريقه الى مصر ، فأروه بعض الأجزاء التالفة من سقف المسجد " وأروه الحائز المخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر إذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها الى الزاوية الشمالية " (١) ولأهمية الموضوع فقد اقتضى رأيه آنذاك استدعاء بعض أرباب الخبرة ممن كانوا فى صحبته لأخذ رايهم فى ذلك . الا أنهم لم يتفقوا على رأى واحد بشأن خطورة جدار الحجرة الشريفة ، مما أدى الى اجتماع السمهودى بالأمير شاهين لأخذ رأيه فى أمر الجدار فذكر له " انه ليس بضرورى ، لانه شق فى طول الحائط لا فى عرضه ، وهو قديم مملوء بالجص ، والحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه "(٢) . ويضيف السمهودي الى ذلك أن كلامه أعجبه (٣) .

ويبدو من ترجمة السخاوى لهذا الأمير أن مكانته عند الأشرف قايتباى كانت كبيرة جدا ، مما جعل المسئولين فى المدينة يعرضون عليه أمر المسجد الشريف ومايحتاج اليه من ترميم وتجديد ، فنقل فى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة الى الأشرف قايتباى " احتياج المسجد الشريف للعمارة ، وسقوط منارة مسجد قباء " (٤) . فاهتم قايتباى بالأمر غاية الاهتمام ، واختار للعمارة الامير الشمسى ابن الزمن الذى كان مغرما بمثل هذا العمل وقد " سبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية "(٥) . واختيار شخص له الالمام بالمدينة المنورة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٧ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦١٨

(٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦١٨ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٨ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٨ ، ومن هذه المدرسة فانه لم يرد فى المصادر التى اطلعت عليها مايحدد موقعها على وجه الدقة . الا أن السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ١ ص ٦٤ قد عدها من المدارس المجاورة للمسجد النبوى الشريف .

وأحوالها للقيام بعمارة المسجد النبوى يعتبر فى الحقيقة دليلا على شدة عناية السلطان بأمر هذه العمارة . غير أن تأخر حضور مندوب قايتباى الى المدينة " فى اثنا سنة تسع وسبعين "(١) . يدل على أن التفكير فى أمر هذه العمارة قد استغرق وقتا طويلا يقارب السنة أو أكثر . ومرد ذلك كما أعتقد الى أن العمارة المقترحة لم تكن من الخطورة بمكان يقتضى من السلطان التدخل فورا ، كما اتضح للأمير شاهين من قبل (٢) ، وعلى عكس ماحدث بعد الحريق الثانى للمسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ ، علاوة على ذلك فان مايذكره السمهودى عن ولع ابن الزمن بتولى العمارة فى المدينة ، وتفضيل السلطان له بحكم خبرته السابقة بالمدينة وأحوالها ، قد يشير الى كثرة الطامعين فى هذا الأمر ، كما أن اعداد الأموال وأدوات العمارة ولوازمها قد تطلب هو الآخر بعض الوقت .

وعلى أية حال فان بقاء ابن الزمن فى المدينة لم يدم طويلا ، فقد عاد الى مصر بعد ترتيبه لأمر العمارة (٣) ومع عدم وضوح الأسباب الحقيقية التى دعته الى العودة فى نفس السنة التى قدم فيها ، الا أن تعطيل العمارة فى سنة ثمانين وثمانمائة على ماصرح به السمهودى (٤) يوحى بوجود خلاف حول المقترحات التى حملها ابن الزمن معه الى القاهرة عن هذه العمارة ، على

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٢) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١٨ .
(٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٦ .

أن مهندس العمارة (١) الذى بقى فى المدينة أمر العمال الذين كانوا معه "فهدموا عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق وسقف البلاط الذى كان عليها لاقتضاء نظرهم ذلك ، ونقضوا بعض اساطينه فوجد بعضها لا رصاص فيه ، وبعضها فيه رصاص "(٢) وكان يرجى لو أشار السمهودى الى موضع تلك الاسطوانات الخالية من الرصاص بتحديد أكثر لان هذه المجنبة المعروفة بالرواق الشرقى قد عمر بعضها فى عهد الملك المظفر سيف الدين قطز ، وأكمل الباقى فى عهد الملك الظاهر بيبرس . وهذا التحديد الذى كان يرجى من السمهودى كان يلقى الضوء على نوعية العمارة فى عهد كل من السلطانين المذكورين وهو مالم أستطع الوصول الى معرفته عند تعرضى لعمارة المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الاول .

ومهما يكن من أمر فقد اعادوا تثبيت تلك الاسطوانات بالحديد والرصاص ثم أعادوا تسقيف ذلك البلاط كما كان أولا سقفا واحدا فى موازاة السطح الأسفل لمقدم المسجد ، وكان ذلك فى سنتهم الأولى (٣) . وانتقالهم فى

---

(١) ذكر النهروالى فى الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٢٥ ، بأن المهندس الذى كان يلازم الامير الشمس بن الزمن هو سنقر الجمالى . بيد أن السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ١٩٧ يذكر بان قدومه الى المدينة كان بعد الحريق الثانى عندما أرسله الشمس بن الزمن من مكة الى المدينة . ولم ترد ادنى اشارة الى المهندس الذى كان يتولى عمارة المسجد النبوى سنة ٨٧٩ هـ عقب عودة ابن الزمن الى القاهرة ، ومع ذلك لعله كان سنقر الجمالى وأنه فات السخاوى ذكر ذلك .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٦ وكانت هذه العمارة التى قام بها هذا المهندس كما يبدو مما ذكره السمهودى فى صفحات تالية هو فى سنة ٨٧٩ هـ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٠٦

تلك السنة الى هدم " سور المسجد الشريف مما يلى المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية "(١) دليل آخر على ان هذا الجانب من المسجد الشريف قد حظى بقدر كبير من الاهتمام فى هذه العمارة ، وهو ماسوف يتأكد لنا فى المراحل التالية . وكان الجزء المهدوم منه قد بدأ من " جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من باب سلمها ، وهو الباب الثانى جوف بابها الظاهر (٢) الى مايوازى حرف الدكاك من القبلة ، وذلك أخر المسقف الشامى ، ومقدار ذلك سبعة وعشرون ذراعا بذراع اليد "(٣) .

وكان السبب فى احتياج هذا الجدار وغيره من العقود التى تلى الصحن الى التجديد هو أنها كانت مبنية بالجص المسكوب فى الداميك من أساسها وهو مادة يسرع تأثرها بالسباخ (٤) التى تشكل معظم الارض التى بنى فيها المسجد ، مما دعا المهندسين الى استخدام مادة اخرى مؤلفة من " الطين والنورة المخلوطة بناعم الحصباء "(٥) عند اعادة البناء واستخدام الجص بعد انتهاء البناء فى تكحيل وجوه الاحجار من داخل المسجد وخارجه . وقد اقتضى هدم الجدار المذكور بطول سبعة وعشرين ذراعا ، كما صرح بذلك السمهودى ، بطبيعة الحال رفع " السقف الكائن أمام المنارة المذكورة الى جنب ماهدموه من الجدار المذكور " (٦) . وقد أعادوا ذلك فى نفس السنة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٠٦ .

(٢) كان للمنارات كما يبدو من هذا النقل بابان احدهما خارجى وهو الذى يشرع فى المسجد والاخر داخلى يؤدى الى سلم المنارة وكان يمكن غلقه لمنع من لا يراد صعوده الى اعلى المنارة . وفى هذا مايفيد بانهم استفادوا مما بين البابين لتخزين بعض لوازم المسجد الشريف .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٦ وطول الجدار المذكور حوالى ١٣ر٥ من المتر .

(٤) انظر ماذكره السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص٦٠٦ من مهندس العمارة بخصوص التأثير الذى تحدثه السباخ على مادة الجبس .

(٥) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٦ .

(٦) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٠٦ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٢ .

(أى سنة ٨٧٩ هـ) كما أنهم قاموا بفحص دقيق للمنارة السنجارية التى "كانت تضطرب عند الهدم بحيث خشى سقوطها "(١) . وأقتضى رايهم سد الشق الذى ظهر بجدار المنارة المذكورة بالجص المذاب، وقد اجدت هذه المعالجة حتى انها لم تجدد الا فى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى فى حدود سنة ٩٤٦ هـ(٢) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن العمارة التى تمت فى سنة ٨٧٩ هـ تنحصر فى هدم عقود الرواق الشرقى وتجديدها ، وهدم بعض جدار هذا الرواق ، واعادة بناء السقوف على نحو ماكانت عليه . وهى فى الحقيقة أعمال قليلة استخدمت فيها الأحجار التى كانت فى العمارة السابقة وربما بعض الاخشاب كذلك . ولم يذكر السمهودى او غيره اختلافا ملحوظا فى طول الجدران ،أو نوعية الخشب المستخدم هذه المرة ،بل ان ماصرح به السمهودى من أسباب قيام العمارة فى هذا الجانب يشير الى سلامة الاخشاب التى كانت فى الاجزاء المجددة من هذا الرواق مما يدل على الاستفادة من أغلبها عند اعادة تسقيف ما انكشف من الرواق المذكور .

وبعد انتهاء العمارة فى هذا الرواق توقف العمل فى المسجد كله حولا كاملا ، ولم أجد من أشار الى الأسباب الحقيقية لهذا التوقف . ولا الى مصير العمال الذين قاموا بعمارة المسجد سنة ٨٧٩ هـ على انه يغلب على الظن انهم عادوا الى مصر صحبة المهندس الذى كان يشرف عليهم(٣) . ويؤيد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٦

(٢) محمد بن خضر الرومى : التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة ص ٩١ .

(٣) تتبعت ماتيسر لى الاطلاع عليه من مصادر مختلفة عن الحجاز فى العصر المملوكى وما بعده فلم اجد من ذكر قيام أى عمارة للسلطان قايتباى فى الحجاز مما دعانى الى القول بعدم بقاء المهندس ومن معه من العمال فى الحجاز بعد توقف العمارة المذكورة .

ماذكرته من احتمال توقف هذه العمارة بسبب المقترحات التى حملها ابن الزمن معه الى القاهرة فى أول سنة ٨٧٩ هـ اختلاف العمارة التى باشرها بنفسه فى أول سنة ٨٨١ هـ عن سابقتها والتى شملت هدم معظم جدران الحجرة الشريفة واعادة تجديدها كما سنرى فيما بعد . وهو فى اعتقادى منشأ الخلاف الذى توقفت بسببه العمارة طوال عام ٨٨٠ هـ ، بدليل مخالفة ذلك لما استقر عليه رأى الامير شاهين الجمالى كما أوضحه السمهودى من قبل (١). ثم ان تفويض السلطان امر اكمال هذه العمارة أول الأمر الى المقر الشرفى شرف الدين الانصارى الذى حضر " صحبة الحجاج الى مكة واقام بها مدة حتى يتكامل حصول الآت العمارة فتوفى بها ليلة سابع عشر صفر عام احد وثمانين وثمانمائة "(٢) فيه مايشير الى اختلاف ابن الزمن - الذى اضطر السلطان قايتباى الى اسناد اشراف العمارة اليه بعد موت شرف الدين - مع المسئولين فى القاهرة .

ولكننى لم أتمكن من معرفة موقف ابن الزمن هذا على وجه الدقة ، ولكن قدومه الى المدينة الشريفة " صحبة شاد جدة فى جمادى الاولى سنة احدى وثمانين "(٣) بعد ورود المراسيم الشريفة بتفويض العمارة اليه يدل على موافقة السلطان على اقتراحاته السابقة أو بعضها، والتى كان منها تجديد جدران الحجرة الشريفة ، وهو الامر الذى حرص كما يقول السمهودى على ان يكون اتمامه على يديه (٤) .

---

(١) انظر اعلاه ص ٣٠٦ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٨ .

(٣) نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٨ .

(٤) يذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٩ أنهم عقدوا مجلسا " وطلبنى متولى العمارة للحضور فيه ، فترددت لأنه بلغنى أن بعض الناس اوغر صدره منى وقرر عنده أنى حريص على أن لا تكون هذه العمارة على يده . وكنت ارى منه محبة وميلا ثم تنكر بعض التنكر . " وفى ص ٦٢٠ يذكر انه لم يحضر للمجلس الثانى الذى عقد بسبب هدم الحجرة وانهم فسروا ذلك لابن الزمن بما يوافق ماذكروه له من قبل ".

وعلى أية حال فقد كان قدوم ابن الزمن الى المدينة هذه المرة مصحوبا بعدد " من أرباب الصنائع "(١) وكانت آلات العمارة ولوازمها قد اكتملت فى أوائل عام ٨٨١ هـ ، مما مكن ابن الزمن من الشروع فى العمارة فور وصوله المدينة فى شهر جمادى الأولى فى السنة المذكورة . وقد " أقام لمباشرة العمارة بنفسه ، فرفعوا سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء . . ورفعوا ايضا شيئا مما يلى ذلك من جهة ما يوازى غربى المنبر الشريف لتكسر كثير من أخشابه "(٢) .

وكان هذا الجزء من الروضة مما جدد فى عهد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ ، ويبدو أن الزمن والمطر كانا مما ساعدا على تلف السقوف خاصة وانه قد وجد فى السنة نفسها فى القبة الزرقاء " اخشاب قد تاكلت من طول الزمان ونداوة مياه الامطار "(٣) ولطالما تسببت هذه القبة فى تلف هذا الجزء من سقف الروضة منذ انشائها فى عهد المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ(٤) وذلك بسبب تجمع مايسقط عليها من أمطار فوق سقف الروضة . وقد اقتضى رأى متولى العمارة عند اعادة بناء السقف الأعلى للمسجد الشريف بناء عقود من الاجر " كهيئة القناطر التى حول رحبة المسجد ، ورأى أن ذلك أبقى وأحكم من الاخشاب "(٥) بما يكفل حفظ السقف مما يتعرض له من أمطار لقربه من القبة المذكورة . وفى الحقيقة كانت هذه الطريقة قد اثبتت جدواها فى البلاطتين اللتين أقامهما الملك الناصر سنة ٧٢٩ هـ فى مقدم المسجد مما يلى صحنه . بيد أنه لم يقدر لها البقاء طويلا فى عمارة ابن الزمن وذلك بسبب الحريق الثانى

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦١٨ .

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٦ .

(٣) انظر اعلاه ص ٢٩٧ .

(٤) جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠١ هـ ثم الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ وكان تجديد قايتباى لها فى سنة ٨٨١ هـ هو الثالث لهذا الجزء من المسجد خلال العصر المملوكى .

(٥) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٧

ومع ذلك فقد اتبعت طريقة البناء بالعقود في جميع سقوف مقدم المسجد بعد ذلك الحريق لجدواها .

وكان من نتيجة استخدام هذه العقود ارتفاع " ذلك المكان من السقف الأعلى على بقية ماحوله منه ، وصار الماشي بين السقفين في تلك الجهة يمشي منتصبا أو منحنيا قليلا ، وكان لا يتأتى قبل ذلك المشي هناك الا مع انحناء كثير "(١). ويتضح من هذا النص أن الأرتفاع لم يكن يتجاوز نصف المتر وهو الفرق بين القامة المنحنية كثيرا والقامة المعتدلة . ولم يخل ذلك بمنظر سطح المسجد من الخارج . وظل السقف الاسفل للمسجد على العبارات الموضوعة على رؤوس السواري بأصل تلك العقود ، كما أنه مامن شك في أن هذا الارتفاع البسيط في السقف الاعلى للمسجد قد جنب ذلك الجزء من سقف الروضة الشريفة مضار المياه المنحدرة من سطح القبة وتسربها عبر الواح الرصاص ، التي كانت تغطيها، الى اخشاب سقف الروضة .

وقد حدد السمهودي ذلك الجزء المجدد من سطح المسجد فقال : ان " تلك القناطر موضوعة على مايحاذى صف الاساطين التي هي قبلة الروضة والمصلى الشريف من أولها من جهة المشرق الى الاسطوانة التي تلي المنبر من جهة المغرب ، وعلى مايحاذى الصف الثاني وهو صف اسطوان عائشة رضي الله عنها في موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق الى المغرب، وعلى مايوازى الصف الثالث وهو صف اسطوان المحرس من المشرق الى المغرب أيضا ، واما مايوازى صف اسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز

---

(١) السمهودي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٧ .

لما بين السقف الأسفل والاعلى فيه باب يدخل منه الى ما بين السقفين فهدموا ذلك الحائط ، واحكموا بناءه وجعلوا اطراف الخشب عليه أيضا "(١) .

وعلى ذلك فان ذلك التجديد قد شمل الروضة ببلاطاتها الثلاث ابتداء من جدار الحجرة الشريفة وانتهاءً بالاسطوانات التى تلى المنبر ، وصار سقف البلاطتين اللتين زادهما عمر وعثمان رضى الله عنهما فى مقدم المسجد " مع سقف ما يحاذى الحجرة الشريفة الى الجدار الشرقى وسقف ما كان غربى المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك "(٢) الجزء . ومع اغفال السمهودى لذكر المدة التى استغرقتها عمارة ذلك السقف ، الا أنه يفهم مما ذكره عن الشروع فى هدم جدران الحجرة الشريفة فى الرابع عشر من شعبان سنة ٨٨١ هـ(٣) أن المدة التى استغرقها بناء سقف الروضة العلوى لم تتجاوز ثلاثة أشهر(٤) وهو وقت قصير جدا لا يتناسب مع عظم العمل الذى تم . وما من شك فى أنه كان يدفع القائمين بالعمل الى مضاعفة الجهد فى انجاز ذلك الجزء من سقف الروضة حتى أتى على صفة تخالف المألوف فى العمائر السابقة ، حرصهم الشديد على عدم تعطيل الروضة ، وحرمان الناس من الصلاة فيها بسبب الأعمال القائمة فى سقفها .

ويبدو أن انتقالهم الى أجزاء أخرى من سقوف المسجد الشريف حدث بعد الانتهاء من سقوف الروضة نظرا لاهميتها ، فقد ذكر السمهودى تتبعهم

---

(١) السمهودى : وفا الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٠٧ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢١ .
(٤) هى الفترة التى تقع بين قدوم ابن الزمن الى المدينة فى جمادى الاولى وبين البدء فى هدم الحجرة الشريفة فى شعبان سنة ٨٨١ هـ .

للأخشاب التالفة فى أنحاء متفرقة من المسجد اذ يذكر أنهم " وجدوا أخشابا كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضا قد تكسرت فزرقوا بدلها ، ووضعوا الى جانب بعضها أخشابا مزرقة وسمروها من غير كشف للسقف "(١) ونظرا لتفرقها فان السمهودى لم يحرص على تحديد مواضعها . وقد ذكر عقب ذلك ما حدث بالسقف الأسفل الذى يغطى امتداد بلاطات الروضة مما يلى المشرق فقال انهم " قلعوا السقف الأسفل الذى بالرواق (البلاط) الشرقى مما يلى الأرجل الشريفة ، وجانبا من سقف رواق (بلاط) باب جبريل الى باب النساء "(٢) .

وقد سبق ذكر عمارة هذه الأجزاء من السقف فى فترات مختلفة ، منها ما يعود الى الخليفة العباسى المستعصم بالله سنة ٦٥٥ هـ ، ومنها ما عمّر فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى جعل فى سنة ٧٠٦ هـ سقف المجنبتين الشرقية والغربية سقفا واحدا على هيئة السقف الشمالى(٣) . وعلى هذا فان الوقت الطويل الذى مضى على بناء هذه السقوف(٤) كان له أثره فى تلف أخشابها ، بالاضافة الى احتمال تعرضها لرطوبة مياه الأمطار التى تسقط على القبة الزرقاء فتنحدر الى السقوف المجاورة .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٧ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٠٧ . وأنظر ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٢ .

(٣) أنظر أعلاه ص ٢٦١ وما بعدها . وأنظر خارطة توزيع العمائر فى المسجد النبوى بعد الحريق الأول شكل (٤٩) .

(٤) مضى على الجزء المجدد من السقف فى عهد المستعصم بالله العباسى مما يلى مقدم المسجد الشريف قرابة ٢٢٣ سنة . وعلى ما جدده الملك الناصر فى هذا الرواق ١٧٥ سنة .

ويذكر السمهودى أيضا ما حدث بالرواق الشرقى من تجديد فى هـذه العمارة اذ يقول " أنهم سقفوا الرواق (البلاط) الأوسط الذى يلى الرواق (البلاط) الذى سبقت عمارتهم اياه فى العام الماضى (١) وأعادوا ذلك(٢) فى نفس العام . ولكن السمهودى لم يشر الى أسباب تجديد هذا السقف كما لم يذكر كعادته مقدار الخشب التالف به ، مع أن العمارة التى تمت فى هذا الرواق فى عام ٨٧٩ هـ قد شملت جوانب كثيرة منه (٣) ، ولكن يبدو أن الحرص الذى أولاه ابن الزمن لهذه العمارة قد شمل أيضا ما يمكن ان يكون مصدر خطر فى المستقبل القريب وفى ذلك كله يتضح ان اغلب سقوف هـذا الرواق قد جددت فى العمارة الأولى التى تعهدها الاشرف قايتباى بالتجديد فيما بين سنة ٨٧٩ هـ الى سنة ٨٨١ هـ .

واذا صح ان وصف السمهودى كان حسب مراحل العمل المختلفة التى انجزها القائمون بالعمل أثناء تجديد هذه السقوف فان عودتهم الى امتداد بلاطتى مقدم المسجد مما يلى المشرق عندما " قلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف "(٤) دليل على أن مراحل العمل لم تكن تسير وفق خطة مسبقة (٥) ، وأن الأمر كان متروكا لما يراه متولى العمارة ، الذى كان يلجأ فى المسائل الهامة الى أخذ راى مشائخ الحرم الشريف وكبار رجال المدينة المنورة .

---

(١) أى عام ٨٧٩ هـ لان العمارة فى عام ثمانين وثمانمائة كانت قد توقفت كما عرفنا من قبل .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) كانت هذه العمارة قد شملت تجديد جميع العقود المطلة منه على الصحن ، وتجديد جدار المسجد مما يلى المنارة الشمالية الشرقية وكذلك سقف البلاط الذى يلى جدار المسجد الشرقى ، والبلاط الذى يلى العقود المجددة . أولا أنظر أعلاه ص ٣٠٩ وخارطة توزيع الاعمال فى عمارة قايتباى الاولى شكل (٥٣) .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٠٨ .

ومن الجدير بالذكر ملاحظة ماذكره السمهودى عن متانة سقف مقدم المسجد مما يلى المشرق رغم قدمه ، اذ لاحظ أنهم "تعبوا فى قلعه اكثر من غيره لاتقانه وأحكامه فانه من عمل الاقدمين "(١) وكان يرجى لو أتبع هذا المنهج فى وصفه لبناء جميع السقوف المجددة،بما كان يساعد بشكل افضل على القاء الضوء على نوعية التجديد فى العمائر السابقة وماذكره السمهودى من وجود اسم الظاهر بيبرس على خشب هذا السقف افاد فى تحقيق ماسبق ان افترضته عن تجديد المنائر فى عهد هذا السلطان (٢) .

ولم يذكر السمهودى سببا لقلع السقف المذكور رغم اتقانه واحكام صنعه ثم اعادة بنائه . ثم يعود السمهودى فيذكر انهم انتقلوا هذه المرة الى مؤخر المسجد الشريف فاصلحوا "شيئا فى السقف الشامى وغيره"(٣) من سقوف المسجد ، ويظهر أنها أعمال بسيطة لاتتجاوز فى أغلب الاحيان استبدال بعض الاخشاب التالفة . وبعد الأنتهاء من تجديد السقوف على الصورة التى ذكرتها من قبل لابد وان يكون الأشرف قايتباى قد جدد دهان السقوف كلها - او ما تجدد منها على الاقل - بالذهب واللازورد ،كما كانت عليه أولا .

أما القبة الزرقاء التى كانت تعلو سطح المسجد الشريف ،والتى ذكرت انها تسببت اكثر من مرة فى تلف السطوح المجاورة لها ، ومنها سقفا الروضة الشريفة قبل هذه العمارة ، فانه قد تبين بعد الكشف عنها فى سنة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٠٨ .

(٢) انظر اعلاه ص ٢٤١ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٨ .

٨٨١ هـ وجود خلل في بعض أخشابها " فعضدها متولي العمارة الشمس بن الزمن باخشاب سمرت معها ، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التي على أعلى السطح (١) بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره (٢) فوجدوا تحت ذلك أخشابا قد تآكلت من طول الزمان ونداوة مياه الامطار" (٣) ويذكر السمهودي بعد ذلك انهم أصلحوا ذلك الخلل وأعادوا الرصاص بعد أن أضافوا اليه كثيرا من الرصاص المخزون في حاصل الحرم ومما أحضر من مصر ، كما أنهم جددوا الدرابزين المحيط بالقبة مما يلي سطح المسجد (٤) .

وأظن أن عدم التحام الرصاص الذي كان يكسو سطح القبة وما يليها من مقدم المسجد مع طبقة الطمي التي كانت فوق جميع سطوح المسجد الشريف (٥) ، وأثر المياه المنحدرة عند نزول المطر من سطح القبة ، بالاضافة

---

(١) كانت ألواح الرصاص المذكورة امتدادا للالواح التي كانت تغطي سطح القبة وقصد من مدها على السطوح المجاورة للقبة حماية سقوف المسجد من نزول الامطار اليها .

(٢) كان هذا الدرابزين قد حل محل السور الذي كان يحيط بسطح الحجرة الشريفة - تمييزا لها عن بقية سطوح المسجد ، وصيانة لها من المشي عليها - بعد استحداث القبة في عهد المنصور قلاوون . انظر اعلاه ص٥٤٢

(٣) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦١٠ .

(٤) نفس المصدر : جـ٢ ص ٦١٠ .

(٥) لا يزال الطمي يستخدم في سطوح كثير من منازل القرى في جنوب المملكة وكان قبل وجود الاسمنت هو المادة الاساسية في حماية سقوف المنازل من الامطار بالاضافة الى ان تحكمه في درجة الحرارة معروف في المناطق التي يسودها الجو الحار صيفا والبارد شتاء .

الى أثر جو المدينة الحار صيفا البارد شتاءا على ألواح الرصاص خلال المدة التى مضت على تجديد هذه القبة من سنة ٧٦٥ هـ الى سنة ٨٨١ هـ، قد ساعد ولا شك فى فتح مسام او فتحات تصل عبرها مياه الأمطار الى أخشاب السقف الاسفل لمقدم المسجد ، وقد امتدت هذه الاثار الناتجة عن الأمطار الى السقف الأسفل للحجرة الشريفة الذى قال عنه السمهودى انه "سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى "(١) ، فأثرت كما يقول فى جزء متين من الاخشاب التى تحته . كما أثرت فى الشباك الذى كان بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز(٢) . وفى الستارة التى تحيط بسقف الحجرة الشريفة(٣) مما دعا المشرف على العمارة الى تجديد ما تآكل من هذه الاخشاب(٤) .

وبعد ذلك عمل على تجديد بعض الدرابزين المصنوع من الخشب الذى سبق للظاهر بيبرس أن أحاط به الحجرة الشريفة ، وكان ذلك كما يذكر السمهودى مما يلى الروضة(٥) . وجدد دهان بعض السقف الأسفل الذى كان "حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف اليوم(٦) بالحجرة "(٧) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٠٣ .
(٢) نفس المصدر جـ٢ ص ٦٠٣ .
(٣) يبدو من هذا النص انه كان على حائز عمر بن عبد العزيز درابزينا وعلى الحجرة الشريفة درابزينا أيضا .
(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦١٠ .
(٥) نفس المصدر : جـ٢ ص ٦١٢ .
(٦) زمن السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ .
(٧) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٠٨ .

واهتم ابن الزمن كذلك بتجديد غالب الرخام الذى يلى جدار القبلة، وكان من تجديد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ(١) كما وابدل أيضا الطراز(٢) الاول الذى كان بأعلى الوزرة ، وكان محررا بماء الذهب بالطراز الموجود اليوم(٣) "(٤) .

وكان أجدى لو أن السمهودى وصف شكل الطرازين بتفصيل أكثر بما كان يفيد فى معرفة الزخارف التى كان يتحلى بها جدار القبلة .

.. .. ..

---

(١) انظر اعلاه ص ٢٩٨ .

(٢) ذكر ابن منظور فى لسان العرب جـ٥ ص ٣٦٨ عدة معان لكلمة طراز فمنها ماينسج للسلطان فى الثياب وذكر انها فارسى معرب . وذكر ايضا ان الطراز تاتى بمعنى الشكل . وذكر عبد العزيز مرزوق فى الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص ٦٩ ، انها "كلمة ايرانية معربة تعنى شغل الابرة اى البرود اى ثم اطلقت على الثوب الذى يزدان بشغل الابرة ان كانت هذه الزينة أشرطة من الكتابة ثم صارت تطلق على المصنع الذى تطرز فيه هذه الاشرطة . وهى هنا شريط مزخرف لا يعرف عرضه ولا نوع الزخارف التى كانت تحليه .

(٣) زمن السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٠٨ .

أ - تجديد الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ هـ :

لعل من التوفيق الذى صاحب العمارة التى قام بها الأشرف قايتباى فى المسجد النبوى الشريف ، معاصرة مؤرخ لها ، له إلمام واسع بتاريخ المسجد الشريف خاصة ، وتاريخ المدينة المنورة عامة . ذلك لأنه حرص لحسن الحظ عند تدوينه ماشاهده من أعمال على أن يتتبع مراحلها المختلفة ويفيها حقها من الدقة والوصف . من ذلك أنه عندما استقر الرأى على هدم بعض جدران الحجرة الشريفة ، لم يتوان عن ذرع جدرانها بنفسه ، ومقارنة ما اتضح له من ذرعها بما ذكره المؤرخون السابقون ، وفضلا عن ذلك فان ما سجله يدل على ان الشروع فى تجديد الحجرة الشريفة كان بعد الانتهاء من تجديد بعض سقوف المسجد التى مر ذكرها .

وسبب ذلك أنهم وجدوا عند تجديدهم لحلية الصندوق الذى كان يقابل الرأس الشريف مما يلى الروضة الشريفة (١) شقوقا وآثار تلف بأسفل الاسطوانة التى يرتكز اليها الصندوق والقائم الموضوع فوقه . وقد هالهم منظر الاسطوانة التالفة كما تأكد لهم خطورة الشق الذى لوحظ فى أوائل سنة ٨٧٨ هـ فى مؤخرة جدار الحائز الشرقى مما يلى الشمال . وقد عقدوا النية على استخراج الخرزات التالفة من الاسطوانة المذكورة (٢) ، وهى ست قطع

---

(١) لمزيد من المعلومات عن تاريخ هذا الصندوق وصفة صنعته ومقدار مايحليه من الذهب والفضة وكذلك القائم الموضوع فوقه انظر الفصل الرابع والعشرين من وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٧٤ .

(٢) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٩ أن أهل المدينة يسمون كل قطعة من الاسطوانة خرزة وأنهم يسمونها أيضا فلكة . وتتألف كل اسطوانة من عدد من القطع الحجرية المنحوتة بشكل دائرى مثقوبة فى وسطها ثم تركب فوق بعضها وتحشى بعمد الحديد ثم يصب الرصاص حول الاعمدة ليملأ الفراغ ويزيد من قوة تماسك القطع حتى تصبح كأنها قطعة واحدة .

تقع كلها فى اسفل الاسطوانة . وقد استبعد السمهودى قدرتهم على استخراجها من الاسطوانة دون الحاق الضرر ببقية أجزائها (١) . وقد ثبت أن توقع السمهودى كان فى محله اذ أعجزهم استخراج الخرزات التالفة ، مما أدى الى التفكير فى ابقاء الاسطوانة على حالها ، على أنه تيسر لهم ذلك "بعد كسر بعض الخرز واخراجه "(٢) . بيد أنه لم يكن لهم بدّ من نزع باقى الخرز، وهو ما أقره المجلس الذى عقده متولى العمارة لهذا الغرض ، وكان قد دعى اليه كبار شيوخ المدينة ومنهم السمهودى ، ولكنه لم يلب الدعوة (٣) . ونظر المجلس الى الأذى الناتج عن المعالجة القوية لخرزات الاسطوانة المذكورة ، ومجاورتها للحجرة الشريفة التى كانت جدرانها "تهتز له لاتصالها بالاسطوان المذكور "(٤) . لذلك لم يكن لهم خيار سوى التسليم

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦١٩ .

(٢) نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٩ .

(٣) أوضح السمهودى فى نفس المصدر جـ٢ ص ٦١٩ السبب فى عدم حضوره ذلك المجلس اذ يقول : "طلبنى متولى العمارة للحضور فيه فترددت لانه بلغنى أن بعض الناس اوغر صدره منى وقرر عنده انى حريص على ان لا تكون هذه العمارة على يده - وكنت ارى منه محبة وميلا ، ثم تنكر بعض التنكر، وعلمت ان الرجوع عن اصلاح الاسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها واخراجه . فعلمت فوات وقت النظر. فاجبت الرسول بذلك ولم أحضر" .

(٤) أورد السمهودى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٥٩ قول عمر رضى الله عنه "ان مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الاصوات" وقال ابوبكر رضى الله عنه : "لا ينبغى رفع الصوت على نبى حيا ولا ميتا " . وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد ، منهم عبد العزيز بن ابى حازم ونوفل بن عمارة قالوا : ان عائشة كانت "تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : وما عمل على مصراعى داره الا بالمناصع ، توقيا لذلك " . وذكر ابن منظور فى لسان العرب جـ ٨ ص ٣٥٦ ان المناصع موضع خارج المدينة . وهذا يعنى ان على نقل بابه الى هناك ثم سمره واعاده وهذا بعيد جدا . والصواب انه رضى الله عنه قد استعاض عن المسامير بسيور من الجلد تربط بها اجزاء الباب لان ابن منظور ذكر فى نفس الصفحة ان النصع هو ما يتخذ من الأدم .

بالأمر الواقع ، لأن وقت النظر ، كما ذكر السمهودى كان قد فات .

ولا بد هنا من تفصيل ما أتخذ من عمل فى هذا الصدد . فقد جاء على لسان السمهودى أن رأيهم اقتضى " تعميق (١) ماعلى رأس الأسطوان المذكور من أخشاب السقف ، فجعلوا مرمة (٢) من الأخشاب حول الأسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الأسطوان ، وهن ست ، ثم يعلقون ماصح من الأسطوان الى أن يدخلوا مكان ذلك بدله " (٣) وجاء أنهم ظلوا يحاولون اخراج الخرز التالف عدة أيام حتى تمكنوا من ذلك . ثم " أعادوا مكان تلك الخرزات الست مثلها من خرز اسطوان نقضوه من مسجد قباء ، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء (٤) وأحكموا اعادتها بالرصاص وعمد الحديد

---

(١) لعلها تحريف " تعميد " أى تدعيم العتبتين او العارضتين الخشبيتين اللتين تلتقيان فوق هذه الأسطوانة باعمدة من الخشب .

(٢) يقصد بذلك دعامات من الخشب تحيط بالجزء العلوى من الأسطوانة ، وهو الجزء السليم منها . وبذلك يبدو أنهم بدأوا علاج الاسطوانة من أسفلها بدليل تعليق الجزء السليم الى أن يتم ادخال خرزة بدل الخرزة التالفة وهكذا على التوالى ، مع احتمال حفر مجرى آخر فى آخر خرزة ركبت لسكب الرصاص منه الى الخرزات المركبة أولا .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦١٩ .

(٤) ذكر ابن النجار فى الدرة الثمينة ، ص ١١٣ ان عمر بن عبد العزيز عمر مسجد قباء ووسعه عند ما اشرف على عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوى وقال إنه " بناه بالحجارة والجص واقام فيه الاساطين من الحجارة داخلها عواميد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له منارة وسقفه بالساج " . ويمكن الاستنتاج من مزامنة هذه العمارة لعمارة المسجد النبوى الشريف ، زمن الوليد ، ومن تشابه الصفات المعمارية بين المسجدين ، بالاضافة الى وقوع ذلك فى ولاية عمر بن عبد العزيز القصيرة نسبيا للمدينة المنورة ، أن الحجر الذى قطعت منها أحجار الأسطوانات المستخدمة فى المسجدين كان واحدا ، كما =

أحسن احكام "[1]. وهنا تجب الاشادة بالنجاح الذى حققه العمال فى استبدال الخرزات المذكورة أولا ، رغم بساطة الاتهم المحدودة آنذاك ، مما أدهش السمهودى ، ودعاه الى الاعتراف بحسن " معرفة المعلم الجاشر لسبك الرصاص "[2]، وفضلا عن النجاح الذى اعترف به السمهودى فانهم أعادوا تجديد حلية القائم الذى كان فوق الصندوق الموجود بلصق الاسطوانة التى كان يستند اليها القائم[3] ، ومع العناية الواضحة بهذا القائم كما يبدو من وصفه قبل بعد العمارة ، فان حقيقته وسبب وجوده غير معروفين كما صرح بذلك الفيروزبادى والسمهودى[4] ، ومع ذلك فان

= يبدو من تساوى الخرز الذى فك من بعض اسطوانات مسجد قباء واستخدامه فى الاسطوانة الثالثة فى مقدم المسجد النبوى الذى لم تتغير اسطواناته منذ بناه الوليد بن عبد الملك حتى تلك العمارة الواقعة فى سنة ٨٨١هـ.

(١) ، (٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٩ .

(٣) يحسن ايراد ما ذكره السمهودى ، فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٥٧٥ - ٥٧٦ فى وصف هذا القائم بعد تجديد حليته فقد جاء أن طول القائم المذكور ثلاثة أذرع ، وهو خمس صفحات ألصقت بعضها على بعض وجعلت محيطة بما ظهر فى الاسطوانة التى الصندوق بأصلها فوقه (فوق الصندوق) فان بعض الاسطوانة فى البناء الملاصق لها من الحائز المذكور ، ولو أحاطت الصفحات بجميع الاسطوانة لكانت أكثر من خمس . (ولكان) شكلها مثمنا ، وهو مختم بالخشب الأسود الهندى ، معصب بصفائح الفضة المموهة طولا وعرضا بأحسن صناعة ، وصفائحه الطويلة من الفضة أربع ، والمقاطعة لها من جهة العرض خمس ، وفى رأسه من أعلاه حلية دقيقة كالزيق ، وزنة ما عليه من الفضة زيادة على ألفى قفلة (أى حوالى ٢٠٠٠ درهم وازن والدرهم الوازن ماكان وزنه ٩٨ر٢ جم) وأخذوا لأجل تمويهه من حاصل المسجد أربعين مثقالا من الذهب ".

أما الصندوق فقال انه لم يغير وانه مغشى كله بالفضة . وجاء فيما نقله عن وصف الفيروزبادى له أنه " صندوق أبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها ".

(٤) المغانم المطابة ، ورقة ٨٢ ب ، وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٧٥ ، ويعتقد البرزنجى فى نزهة الناظرين ص ٧٣ أن سبب حدوث هذا الصندوق أمام الرأس الشريف كان بهدف وضع " ماكان يرد لتجمير المسجد الشريف من العود والند والصندل والعنبر وغيرها . وابتداء ذلك من زمن =

وجوده فوق الصندوق الذى كان يدل على موضع الرأس الشريف من الحجرة النبوية الشريفة يفيد بأن الهدف منه هو تحديد موضع الرأس للنبى صلى الله عليه وسلم . بيد أن السمهودى ينفى أن يكون موضعه الذى كان فيه فى المواجهة الحقيقية للرأس الشريف ، وذلك بسبب ماتبين له عند انكشاف الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركها من أنه " فى محاذاة الجدار الداخل (١) القبلى "(٢) ، وأن الرأس الشريف " متأخر عن الصندوق المذكور يسيرا "(٣) ، كما بيد و فى الشكل رقم (٥٤) .

وبعد الانتهاء من اعادة الأسطوانة التى كانت سببا فى التوسع فى عمارة الحجرة الشريفة على النحو الموضح فى الصفحات التالية ، وعند تجديد رخام جدران الحجرة الشريفة " قلع رخام الصفحة الآخذة من الزاوية الشمالية الى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره (٤) ، وهو انشقاق قديم سد الأقدمون خلله بكسر الاجر وافرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فأنشق البياض من رأس وزرة الرخام الى رأس الجدار المذكور "(٥) . وقد أراد متولى العمارة اختبار هذا الشق فعمد الى استخراج ما بداخله من الاجر والجص فوجد أنه شق كبير يستطيع الانسان منه ان يرى البناء الداخل للحجرة الشريفة . وقد وجد به هو الاخر شق فى محاذاة الشق الأول وذلك " عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه ، وهو قديم أيضا ، وقد سده المتقدمون ، ثم اتسع قليلا على

= عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم صار ذلك سنة الخلفاء والملوك بعده غيرانه لما اتسعت الدوائر خصصوا الصندوق المذكور بوضع الصندل فيه ورفعوا ما يجمر به المسجد الى أماكن أخرى ".

(١) يقصد جدار الحجرة الداخلى وهو أحد جدرانها الأربعة التى تقع داخل حائز عمر بن عبد العزيز .

(٢)(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٧٥ .

(٤) انظر اعلاه ص ٣٠٦ .

(٥) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٢٠ .

دوام الأيام"(١) . وكان الشق الداخلى من الخطورة بحيث أكد للقائمين بالعمل حاجة الحجرة الشريفة الى تجديد بعض جدرانها ، بدليل شروعهم قبل ذلك فى تجديد رخام الحائز المذكور . ولو كان الأمير شاهين الجمالى قد تمكن سنة ٨٧٨ هـ من رؤية الشق الداخلى فى مبنى الحجرة ، وشاهد تلف الاسطوانة السالفة الذكر ، لتخلى مطلقا عن قناعته بعدم خطورة الشق الخارجى ، ولأوصى حينذاك بوجوب المسارعة بتجديد عمارته .

ولصدق احساس ابن الزمن وطمعه فى الفوز بان يكون تجديد الحجرة الشريفة على يديه ، فقد حرص على عقد مجلس آخر داخل المقصورة المحيطة بالحجرة الشريفة عند الجدار المتداعى للسقوط " حضره القضاة والمشايخ والخدام وشيخهم الأمير أينال "(٢) . وقد استطاع أن ينتزع من هذا المجلس موافقة شبه اجماعية(٣) على وجوب المسارعة فى تجديد الجدران التالفة ، وأكدوا اجماعهم هذا بمحضر وقع فيه بعض أهل المدينة وارسل الى مصر(٤) وتمكن السمهودى لحسن الحظ من رؤية الجدار قبل هدمه وقدم وصفا

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٢٠ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٠ .

(٣) اذا كان ما يذكره السمهودى فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٢١ خاليا من التحيز فان تهافت هؤلاء الأعضاء الذين شملهم المجلس فى جلستيه الأولى والثانية على ابن الزمن دعاهم الى الموافقة على ما كان يصبو اليه من الفوز بهذه العمارة كما صرح به احدهم وهو القاضى الزكوى الذى اوغر صدره على السمهودى بسبب مخالفته لأجماعهم ، ومرد ذلك الاجماع من هؤلاء الاعضاء يرجع فى اعتقادى الى أنهم أصحاب وظائف ونعم يخشون زوالها ، كما أن ما يمتلكه هذا الأمير من جاه وسلطة دعاهم الى السير فى ركابه وتبنى آراءه .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢٤ ، حيث يذكر تبنى القاضى الزكوى - قاضى المدينة آنذاك - لكتابة ذلك المحضر الذى وقع فيه بعض أهل المدينة ، ولم يوقع فيه السمهودى بحجة أنه لم يسبق أن وقع على مثل ذلك المحضر من قبل .

تحليليا عن أسباب التلف الذى أصابه وغيره من جدران الحجرة . فقد ثبت له أن " سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميلانه نحو الجدار الظاهر "[(١)]. وقد رأى احتمال ظهور الميلان بعد الحريق الأول ، ومحاولة الأقدمين دعم " الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل والخارج عند رأسهما فى شرقى الحجرة ، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوازى أسفله ، وخرج بسبب ذلك عن الاستقامة فحدث فيه الشق المذكور "[(٢)]. والى جانب اجماع المجلس السالف الذكر ، فقد استلهم ابن الزمن من الرؤيا[(٣)] التى رآها مساء ذلك اليوم الشجاعة على وجوب الشروع فى التجديد .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٢٠ .

(٢) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٠ ، وقد ذكر بعد ذلك أنه اقترح اقامة بناء ثالث يدعم الجدار المائل من الحائز المخمس ، وعندما رفض متولى العمارة اقتراحه ، سأل المهندس عن رأيه فى الترميم باعتباره أعرف الحاضرين ، فقال له السمهودى : " هل تحققت الآن اشراف هذا الجدار على السقوط وأنه لا يتأتى تأخيره ، أم يحتمل التأخير مدة اذا رم بالجص والآجر كما كان أولا فيؤخر الى أن يصير غير محتمل للتأخير فانه لا يفعل هنا الا ما تدعو اليه الضرورة فى الحال ؟ فقال : الترميم شىء وقطع الفرط شىء آخر " .

(٣) ذكر السمهودى : فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢١ ان متولى العمارة ذكر له " أنه رأى رؤيا فهم منها الهدم ، فصمم عليه " ثم ذكر السمهودى بعد ذلك انه رأى " عنده من شجاعة الجنان وثبات الجأش فى هذا الأمر ما لا يوصف " . وعن مثل هذه الرؤيا يقول علماء النفس انها انعكاسات للاهتمامات الشخصية بالأحداث الماضية . أنظر أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ص ٥٠٣ ، محمد عثمان نجاتى : علم النفس فى حياتنا اليومية ، ص ٢٥١ .

وبدأ العمل فى صبيحة اليوم الرابع عشر من شعبان سنة ٨٨١ هـ ، فهدم جزء من الضلع الشرقى من هذا المخمس، وما يليه من ضلع المثلث الشمالى (١) وكانت "سعة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد (٢) ، وذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض الى رأس الجدار المذكور" (٣) . وكان لخلو الحائز المذكور من سطح يرتكز عليه (٤) أثر فعال فى سهولة هدمه . وقد تبين لهم من خلاله أن بين الحائز وجدار الحجرة ردم كثير من مخلفات الحريق الاول تركه الاقدمون لكثرته وقدسية مكانه ، فاجتهدوا فى ازالته فى الخامس عشر من شهر شعبان وكان أغلبه بقايا "السقف الاعلى وجص وأجر من الجدار الذى كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها ، كما تقدم بيانه ، ومما كان على رؤوس الاساطين ، ومما احترق من أخشاب ذلك" (٥) السقف . ورغم جلال الموقف ، فان السمهودى بحاسته الاثرية حرص على أخذ مقاس الفراغ الذى كان بين الجدارين ومقدار انخفاضه عن أرض المسجد ظنا منه أن الامر سيقف عند ذلك الحد (٦) . الا أن فحص المسئول عن العمارة للشق الموجود

---

(١) انظر خريطة الحجرة الشريفة التى أعدها السمهودى بعد هذه العمارة شكل (٥٤) .

(٢) أى حوالى مترين ونصف .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٢١ .

(٤) قال المراغى فى تحقيق النصرة ، ص ٥٣ "أعلم أن الحائط الذى بناه عمر لم يوصله الى سقف المسجد بل د وين السقف بمقدار اربعة اذرع، وادار عليه شباكا من خشب من فوق الحائط الى السقف يراه من يتامله من تحت الكسوة التى على الحجرة الشريفة ، وقد اعيد بعد احتراق المسجد (الحريق الأول) على ماكان عليه قبل ذلك" .

(٥) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٢٢ .

(٦) يؤخذ من المعلومات التى ذكرها السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٦٥ - ٦٢٢ ، ٦٥٣ أن عمق الفراغ المذكور عن الأرض المرخمة والمحصورة بين ذلك الجدار ومقصورة الظاهر بيبرس ذراع وثلث ذراع . وكان جدار الحجرة الغربى ملاصقا لجدار الحائز الغربى ليس بينهما " قضاء أصلا =

بجدار الحجرة الشامى قد بين له وجود شق مماثل فى جدارها " القبلى مما يلى المشرق أيضا "(١) ، وأكدت له المحاولات القديمة لدعم هذا الجدار(٢) ضرورة تجديده ، فرفع القناديل التى كانت معلقة بسقف الحجرة الشريفة الى حاصل المسجد ثم أمر العمال بالبدء فى رفع سقف الحجرة الشريفة (٣) تمهيدا لهدم الجدران المتداعية . وقد شرعوا فى الحادى والعشرين من شعبان المذكور فى هدم الجدار الشامى والشرقى من البناء الداخل ، وتبين لهم فور الانتهاء من هدم الجدار الشامى فى اليوم الثانى والعشرين من شعبان ضخامة الردم الذى كان يعلو القبور الشريفة (٤) وقد استغرق رفع ذلك

= ولا مفرز ابرة " وكانت مساحة المثلث الشامى ثمانية أذرع . وجاء ان بين جدار الحجرة الشرقى وجدار الحائز الظاهر "فضاء" مختلف كالزقاق الرقيق ، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا ، فاذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه الا الصغير منحرفا ، وسعته نحو ثلث ذراع " وكان الفضاء المحصور بين الجدارين القبليين " كالزقاق الرقيق ، فاوله من جهة الشرقى نحو ذراع اليد فاذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك الى ملتقى الحائطين فى جهة المغرب ".

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٢٣ .

(٢) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٥٦٥ أن بحذاء الاسطوانة التى أمام وجه عمر رضى الله عنه فيما برز منها فى الفضاء الذى يقع بين الجدارين " بناء بنحو عرضها قد سد مابين الجدارين من الفضاء وكانه جعل لأدعام الجدار من اجل الانشقاق " المذكور . ثم ذكر فى ص ٦٢٣ انهم وجدوا محاولة مماثلة لدعم الجدار الشرقى بقطع الخشب الموضوعة باعلاه .

(٣) قدم السمهودى فى المصدر السابق جـ٢ ص ٦٠٣ وصفا دقيقا لنوع الخشب الذى كان بسقف الحجرة الشريفة وكيفية وضعه بعد الحريق الأول فى العمارة العباسية للمسجد النبوى .

(٤) قال السمهودى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٢٧ أن أثار الردم بلغت فى بعض الجدران ثلاثة أذرع وفى بعضها الاخر نحو ذراعين .

الردم منهم يوما كاملا رغم كثرة العاملين فيه (١) . ودعى السمهودى فى اليـــوم الخامس والعشرين لمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها ، فحضر وصحح اعتقاد الكثرة الحاضرة بوجود القبر الشريف فى وسط الحجرة الشريفـــة (٢) مستندا الى أصح الاقوال فى ذلك (٣) . ولم يغفل عن ذكر ملاحظة هامـــة

---

(١) ذكر السمهودى فى وفـــاء الوفـــا ، جـ ٢ ص ٦٢٤ ، أن ما أخـــرج من الردم فى يوم ٢٣ شعبان قد وضع فى مؤخرة الرواق الغربى مما يلـــى الرواق الشمالـــى حيث عملت منه دكة بارزة هناك .

(٢) انظر المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٢٦ .

(٣) تعرضت اكثر المصادر التى تتحدث عن تاريخ المسجد النبوى للروايات التى تتحدث عن القبور الشريفة حسب أوضاعها المختلفة ، ولكنها فـــى مجموعها تنقل ما تواتر من روايات دون ترجيح رواية على أخـــرى وقد تبين لى من المقارنة التى عقدتها بين هذه الاوضاع ترجيح الوضع التالى للاسباب التالية :

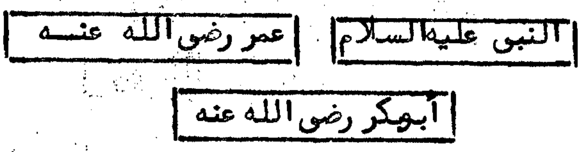

- أن الروايات التى ذكرت هذا الوضع صحيحة كما ذكره الحاكـــم وابوداود . انظر الوفا ، جـ ٢ ص ٥٥٢ .
- أن السمهودى ذكر فى ص ٥٦٦ من الوفا جـ ٢ ان ذرع الجدار الجنوبى من الداخل (بين الشرق والغرب) عشرة اذرع وثلثى ذراع وبتحويلها الى امتار على أساس أن الذراع كما حدده هنتس ٣ر٥٠ سم اى : ان مجموعها حوالى ٥ر٥ من الامتار . واستنادا الى ماذكره ابن اسحـــاق فى كتاب المناسك ص ٣٧٥ وابن النجار فى الدرة الثمينة ص ١٣٨ ، والسمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٥٤٥ من أن عمر بن عبد العزيز وجـــد اقدام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جدار الحجرة الشرقى وهـــو ما يتفق مع ماذكر من طوله رضى الله عنه .
- اذا فرضت أن طول الرسول عليه السلام ٥ر١ من الامتار استنادا الـــى الروايات التى ذكرها ابن الجوزى فى الوفا بأحوال المصطفى ، جـ ٢ ص ٦١ من أنه عليه السلام كان وسطا بين الرجال ، وانه لابد أن يبقـــى بين رأسه الشريف وجدار الحجرة الغربى مسافة قدرها السمهـــودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٠ بذراعين (أى حوالى متر) ثم قدرت طـــول =

تتعلـــق بحدوث ارتفاع ملحوظ فى أرض المسجد الشريف تضاعف مع الزمن اذ يذكر : " وقد تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة وبين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامى الداخل ، وزاوية الجدار الخارج فوجدت أرض الحجرة أنزل منه بنحو ذراع ونصف ، وتقدم أن أرض الفضاء المذكور أخفض مما حول الحجرة من المسجد بذراع وثلث ، فيكون التفاوت بين داخـــل أرض الحجرة وأرض المسجد نحو ثلاثة أذرع "(١) انظر شكل (٥٥) .

وبعد تنظيف أعمال الحجرة الشريفة تتبعوا الأجزاء المتداعية مـــن الجدار القبلى مما يلى الشرق فهدموا منه " نحو أربعة اذرع وشىء حتـــى بلغوا به أرض الحجرة "(٢) وهدموا من الجدار الغربى نحو خمسة أذرع مـــا يلى الشمال ، ثم انتقصوا من ارتفاع الجزء المتبقى من الجدار الغربـــى والجنوبى مقدار خمسة أذرع . ولهذا لم يبق من بناء الحجرة الاول ســـوى مافضل من هذين الجدارين ، وهو ارتفاع بسيط لا يزيد على الجزء المهـــدوم بشىء كثير .

= عمر رضى الله عنه ٧٠ر١ من الامتار فان حاصل هذا كله ٥٠ر١ + ١ + ٧٠ر١ = ٢٠ر٤ من الامتار والباقى ٣٠ر١ من الامتار هى المسافة بين موضع جثمان الرسول عليه الصلاة والسلام وعمر رضى الله عنه ، وفـــرق الاذرع وما يمكن ان ينتج من خطأ فى تقديرى لطول الاجساد الشريفة .

- ان على حافظ قد ايد هذا الوضع فى كتابه فصول فى تاريخ المدينـــة المنورة ص ١٠٦ وما بعدها .

(١) اى حوالى متر ونصف ، انظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٢٧ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٨ .

ب - وصف القبة المحدثة فوق الحجرة الشريفة :

يبد وأن المسئول عن العمارة كان ينوى اعادة الجدار الشرقى الـــتى وضعه الاول ،بعد اصلاح الخلل الذى كان به . الا أن تتابع الهدم فى جدران الحجرة الشريفة على النحو الذى سبق ذكره اقتضى بطبيعة الحـــال التفكير فى طريقة جديدة تجمع بين المتانة وجمال المنظر . فكان الأجمـــاع على عقد قبة صغيرة تكون بين سقف المسجد الأعلى وجدران الحجرة الشريفة(١) ولكن عدم تربيع جدران الحجرة(٢) دعا الى التفكير فى ايجاد طريقة يــتم بمقتضاها إقامة القبة المذكورة . وكان الفراغ الواقع بين جدران الحجـــرة الشريفة وجدران الحائز المحيط بها متفاوت الأبعاد (٣) مما ساعد علــى الاستفادة منه فى اقامة جدران مساندة لبعض جدران الحجرة الشريفة حتى يتيسر تربيعها . وكان من ذلك أن عقدوا قبوا " على نحو ثلث الحجرة الــذى يلى المشرق والأرجل الشريفة ، وجعلوا الجدار الخارج من جهة المشـــرق متصلا بجدار الحجرة الداخل ، فأدخلوا ماكان بينهما فى جدار القبـــو

---

(١) أى تحت السقف الذى أقيمت عليه القبة الزرقاء التى أقامها المنصـــور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ .

(٢) استخلصت من رسم السمهودى لجدران الحجرة فى الجزء الثانى مـــن الوفاء ، ص ٥٦٦ أن اضلاع الحجرة الشريفة كالتالى :

الظلع الجنوبى ١٣ر٨٣ من الذراع = ٦ر٩٥ من الامتار } الذراع = ٥ر٠٣ من المتر

الظلع الشمالى ١١ر٤٢ من الذراع = ٥ر٧٤ من الامتار)

الظلع الشرقى ٩ر٧٥ من الذراع = ٤ر٩٠ من الامتار)

الظلع الغربى ١٠ر٧٥ من الذراع = ٥ر٤٠ من الامتار)

(٣) انظر الرسم الذى اعده السمهودى عن الحجرة الشريفة قبل عمارتهـــا ، شكل) (٥٤) .

المذكور الى نهاية ارتفاعه "[١]. أما الفراغ الحادث فى الجهة القبلية بين الحائز وجدار الحجرة فقد سدوه بالبناء[٢]. ووصلوا الجدارين الشمالى والغربى الا أنهم زادوا فى عرض الجدار الشامى مما يلى المشرق لتدعيم اسطوانة تقع قرب هذا الجدار بها آثار تلف خطيرة ، فزاد عرض الجدار المضاف مما يلى الاسطوانة المذكورة بنحو نصف ذراع[٣]. وكانت اعادة الجدران جميعها "بأحجار الحجرة التى نقضوها منها"[٤] وهى كما يقول السمهودى فى موضع آخر " أحجار سود منحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة "[٥] وكان ارتفاع الجدران المهيأة لعقد القبة المذكورة ١١ ذراعا[٦].

وقد أشار السمهودى الى عقد القبة المذكورة بالأحجار السود المنحوتة بدلا من الأجر الذى أشار به غيره ، حرصا منه على متانة بناء هذا المكان الشريف . ويظهر أن نصائح السمهودى قد بدأت تأخذ مكانها الطبيعى عند ابن الزمن ، فقد أيد ما أشار به . الا أنه استخدم الحجر الأبيض فى بناء الجزء العلوى من القبة ، وذلك لأنه أطوع من الحجر الأسود فى التشكيل، وهو ما يتطلبه عادة الجزء العلوى من القباب . وكان انتقال القبة من الشكل المربع الى الشكل الدائرى الذى يكون رقبتها بمقرنصات متدرجة[٧] وضعت

---

(١) ، (٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٢٩ .
(٣) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٣٠ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٨ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٦٣ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٩ .
(٧) قال زكى حسن فى فنون الاسلام ص ١٥٢ عن المقرنصات أو الدلايات كما يسميها البعض : انها " حليات معمارية تشبه خلايا النحل ، وترى فى العمائر مدلاة فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض وتستعمل للزخرفة المعمارية أو للتدرج من شكل الى آخر لا سيما من السطح المربع الى سطح دائرى تقوم عليه القباب. كما تقوم فى بعض الأحيان مقام الكوابيل حين تتخذ أسفل دورات المؤذن فى المنارات ".

بزوايا الحجرة . وقد اكتفى السمهودى عن ذكرها بخطوط رسمها على الزوايا الأربع للمخطط الذى أعده للحجرة الشريفة شكل (٥٦) دون أن يصرح باسمها الذى اشتهرت به فى العمائر الاسلامية .

أما التفاصيل الهامة الأخرى عن هذه القبة فقد ذكر السمهودى أن ارتفاعها " من داخل أرض الحجرة الشريفة الى محدب القبة المذكورة - وهو أعلاها المفروز فيه هلالها - اثنا عشر ذراعا بذراع العمل ، فيكون بالذراع المتقدم وصفه (١) ثمانية عشر ذراعا وربع ذراع " (٢) . وقال عن الهلال المذكور انه قريب من سقف المسجد الأسفل وأنه من نحاس . وذكر أن القبة مبيضة بالجص . وأن الحجرة الشريفة نظفت ثم أدخلت الحصباء المجلوبة من وادي العقيق بعد غسلها الى القبور الشريفة من جدار القبة الشامى (٣) . أما الدرابزين (٤) الذى كان يحيط بالحائز المخمس قبل هذه العمارة ، والذى سبق لابن الزمن تجديده قبل البدء فى تجديد جدران الحجرة (٥) . فلم يشر السمهودى الى اعادته على الحجرة الشريفة بعد عقد القبة المذكورة . الا أن

---

(١) يقصد ذراع اليد وقال انه " أربعة وعشرون اصبعا كل اصبع ست شعيرات مضمومة بعضها الى بعض " . أنظر وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٢) أى حوالى ١٧ر٩ من الأمتار على اعتبار الذراع ٣ر٥٠ سم. السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٢٩ .

(٣) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٣١ .

(٤) بعض المصادر تسميه شبك وبعضها تسميه درابزين .

(٥) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦١٠ .

ماذكره من تلف هذا الدرابزين فى الحريق الذى حل بالمسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ (١) يدل على اعادته قبل ذلك على أطراف الجدران التى انعقدت عليها القبة المذكورة . وكانت تعلق به كسوة الحجرة الشريفة التى أعيدت بعد بناء القبة ، كما يبدو من ذكر السمهودى لتلفها فى الحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ (٢) . أما الدرابزين الذى كان يحيط بالحجرة الشريفة من عهد الظاهر بيبرس فقد بقى على وضعه الاول (٣) " .

وبعد الأنتهاء من العمارة المذكورة على الصفة التى تقدم ذكرها جدد العمال محراب اسطوان التهجد الذى كان داخل المقصورة التى أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ : وزادوا من رخامه " وكتبوا فى ذلك بالرخام بروز الامر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى - أعز الله أنصاره - وأن ذلك على يد الخواجا الجناب الشمس بن الزمن وتاريخ العمارة المذكورة ، كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلى محراب الاسطوانة المذكورة" (٤) . وقد استغرقت عمارة الحجرة الشريفة على النحو الذى سبق ذكره ثلاثة وخمسين يوما (٥) ، تضاعفت فيها الجهود المبذولة حرصا من المسئولين على ستر القبور الشريفة ، وتمكين الزائرين والمصلين من الصلاة فى المسجد الشريف والتبرك به . علاوة على ذلك قاموا بتنظيف البالوعة التى كانت بصحن المسجد (٦)

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) نفس المصدر : جـ٢ ص ٦٣٧ .

(٣) ذكر السمهودى فى نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٣٦ احتراق هذه المقصورة فى الحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ فدل هذا على بقائه بعد عمارة القبة المذكورة .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٤٥٢ .

(٥) بدأ الهدم فى الحجرة الشريفة فى يوم ١٦ شعبان وتم العمل فيها فى اليوم السابع من شوال من نفس سنة ٨٨١ هـ . انظر السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٢١ ، ٦٣١ .

(٦) كانت تستخدم البالوعة المذكورة لتصريف مياه الصحن للمسجد الشريف . وعن بلاليع المسجد انظر اعلاه ص ١٨٧ .

وأخرجوا مابها من الحصباء .

ومن الأعمال المزامنة لعمارة قايتباى الأولى وله علاقةمباشرة بخدمة المسجد ونظافته ماقام به متولى العمارة من تصريف المياه التىكانت تتجمع وقت الأمطار "أمام ابواب المسجد كالغدران الكبار ، خصوصا فى شرقى المسجد "(١) ، واخراجها عبر سرب امتد من البلاليع التى عند أبواب المسجد حتى اتصل بالسرب الذى تسير فيه أوساخ العين "فحصل بذلك غاية النفع ، وصار الماء لا يقف بعد ذلك بأبواب المسجد "(٢) .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام ، هو أن مصاريف بعض هذه العمارة التى قام به الاشرف قايتباى سنة ٨٨١ هـ - ان لم تكن كلها - كان من أثمان القناديل التى حملت فى أثناء هذه العمارة من حاصل المسجد الشريف الى مصر طبقا لما رآه ابن الزمن الذى حسن "للسلطان صرف ذلك فى مصالح المسجد والمدينة الشريفة "(٣) .

وبعد الانتهاء من ذلك كله ومارافقه من عمارة منارة مسجد قباء وتجديد بعض الجوانب من سطحه تهيأت الظروف فى المدينة الشريفة لقدوم الاشرف قايتباى الذى عقد العزم على أداء مناسك الحج عندما تحين الفرصة المناسبة . فكان قدومه الى المدينة فى موسم عام ٨٨٤ هـ قدوم المؤمنين الأتقياء الذين يدل سلوكهم على قوة ايمانهم ونبل شعورهم الروحى . فقد ترجل عند دخوله المدينة المنورة وامتنع عن الدخول الى الحجرة الشريفة

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٧٣٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٣٩ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٩٠ .

عندما عرضوا عليه ذلك وقال : "لو أمكنني الوقوف للزيارة فى أبعد من هذا الموضع فعلت" (١) . وقد ترتب على هذا التعظيم الذى استشعره الأشرف قايتباى من رؤية الحجرة الشريفة عدول السمهودى عن رغبته فى مفاتحة السلطان بأمر فتح بعض أبواب الدرابزين الذى أقامه الظاهر بيبرس حول الحجرة الشريفة ، عند اجتماعه به فى المسجد النبوى الشريف (٢) .

وكانت الأوقاف التى خصصها لأهل المدينة عقب عودته الى مصر هى من نتائج هذه الزيارة المباركة ، التى أكدت له ضرورة الاهتمام بأمور الحرمين الشريفين (٣) . هذا علاوة على الأموال التى قام بتوزيعها فى

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، ج٢ ص٦١٧ .
(٢) نفس المصدر : ج ٢ ص٦١٧ .
(٣) ذكر السمهودى فى نفس المصدر ، ج ٢ ص ٦٤٤ . أن مقدار الذهب الذى خصصه السلطان لهذا الغرض من ماله الخاص هو ستون ألف دينار وأن حاصلها السنوى سبعة الاف وخمسمائة أردب من الحب فى كل سنة . ويضيف الى ذلك انه انجز وقفها وشرع فى عمارة أماكن بمصر وعوض أمير المدينة عن مكوسها وأورد الصيرفى فى انباء الهصر بأنباء العصر ص ٤٨٠ وصفا للمجلس الذى عقد فيه السلطان هذا الوقف فقال فى حوادث سنة ٨٨٥ هـ بعد وصفه لاحتفال السلطان بالمولد النبوى بقلعة الجبل " ثم حضر رئيس الدنيا ابن مزهر الانصارى كاتب السر حفظه الله وصحبته الامير خشقدم الوزير والامام والخزندار والقاضى الرئيس أبو البقاء ابن الجيعان وصحبتهم ستة أطباق مملوءة بالذهب مستورة بالفوط الكافورى فيها مبلغ ستون ألف دينار بين يدى السلطان والعسكر . وتكلم رئيس الدنيا ابن مزهر الانصارى ... وقال .... "أنه لما حج (السلطان) تقبل الله منه - فى العام الماضى ووجد ما بأهل المدينة من القحط والاجحاف ومن عدم المؤنة والقوت فانه أخرج من ماله الطيب هذا القدر وأرصده ليشترى به بلادا ويوقفها على حرم المدينة الشريفة وسكانها ليضع بها فى كل يوم خبزا ودشيشة للفقراء والمحتاجين والقاطنين والواردين " . وانظر ابن اياس فى =

المدينة المنورة ، والتى يقول عنها السمهودى أنها أكثر من ستة آلاف دينار(١) ، وتعويض أمير المدينة عن المكوس التى كان يتقاضاها من الحجاج وغيرهم .

...

= بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٦٥ ، ٢٢٩ . وقال النهروالى في الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢٩ ، عن هذه الاوقاف أن " حصة كل نفر سبعة ارادب فى العام سوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن . وزاد عليه سلاطين آل عثمان أكثر.

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٧١٣ .

المبحث الثالث

عمارة السلطان الأشرف قايتباي الثانية
في المسجد النبوي سنة ٨٨٦ هـ

المبحث الثالث

عمارة الأشرف قايتباى الثانية سنة ٨٨٦ هـ

أ - حريق سنة ٨٨٦ هـ وأثره على عمارة المسجد النبوى :

بقى المسجد النبوى الشريف محتفظا بالعمارة التى جددها ابن الزمن فى نهاية عام ٨٨١ هـ فى عهد الأشرف قايتباى . وظل أهل المدينة بعد ذلك يتوقعون الهبات والعطايا نتيجة الأوقاف، التى خصصها السلطان قايتباى سنة ٨٨٥ هـ لهذا الغرض (١) ، الا أن ما حل بالحرم الشريف فى نهاية عام ٨٨٦ هـ من حريق ، حرمهم لذة ماكانوا يتوقعون .

وجاء أن السبب فى الحريق حدوث صواعق بالمدينة المنورة أصابت احداها المنارة الرئيسية قبل صلاة الصبح فى الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٨٨٦ هـ (٢) ، وذلك عندما كان " رئيس المؤذنين وصدر المدرسين شمس الدين محمد ابن الخطيب" (٣) يستعد لرفع آذان الصبح الأول من أعلى المنارة المذكورة ، فخر على اثرها صعقا بعد انشقاق الجزء العلوى الذى أصابته الصاعقة ، وسقوطه على سطح المسجد المجاور للمنارة، وتناثرت بعض الأجزاء المتهدمة من المنارة الى رباط مراغة المجاور لها فهلك من كان به (٤) .

---

(١) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ أن محصول الوقف لم يصل الا فى سنة ٨٨٩ هـ .

(٢) نفس المصدر، جـ ٢ ص ٦٣٣ ، عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى فى ذيل اتحاف الورى ، حوادث سنة ٨٨٦ هـ ، ابن طولون : تاريخ ابن طولون ، ورقة ١١ ب ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ١٨٧ ، النهروالى : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢٧ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٣ . وزاد عبد العزيز بن فهد فى بلوغ القرى حوادث سنة ٨٨٦ هـ أن الصاعقة نزلت أولا على جبل أحد ثم طارت منها شرارة نزلت على المئذنة الرئيسية .

(٤) عبد العزيز بن فهد : المصدر السابق ، حوادث سنة ٨٨٦ هـ .

وانتشرت النار فى المسجد الشريف ، ولعل مما حال دون مقاومتها ومحاصرتها ما يتفق فى بعض الوجوه مع العوامل التى حالت دون محاصرة الحريق الذى داهم المسجد النبوى فى سنة ٦٥٤ هـ ، فقد اتضح من المصادر التى طالعت السمهودى بالخبر الموثق عن ذلك الحريق ، أن النار قد بدأت قبل اسراج المسجد (١) ، مما يدل على خلو المسجد آنذاك من المصلين الا المؤذنين الذين كانوا بأعلى المنائر ، وبعض الخدام الذين كانوا يقومون بوظيفة الحراسة فى المسجد ، وبين المناداة بالحريق وقيام الناس بمحاصرته كانت النار قد أتلفت جزءاً كبيرا من سقوفه وامتدت الى الشمال " والمغرب ، فعجزوا عن اطفائها ، وكلما حاولوا لم تزدد الا التهابا واشتعالا فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السقف فسبقتهم لسرعتها " (٢). ومرد اخفاقهم رغم جهودهم وتفانيهم قصور امكانياتهم آنذاك (٣) ، وارتفاع السقوف التى لا تطال بالأيدى (٤) ، ولابد أن ساعد ذلك أيضا زيوت القناديل التى كانت مهيأة للاسراج فانتشرت النار بسرعة داخل أروقة المسجد ومجنباته ، وذلك بالاضافة الى حدوث ذلك فى آخر الليل الذى اشتد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٣ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٣٣ .

(٣) لم تكن وسائلهم فى مكافحة الحريق تتجاوز جلب الماء فى أوان صغيرة كالقرب وغيرها من المطاهر والبيوت المجاورة كما صرح بذلك السمهودى فى المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٤ ، والنهروالى فى الأعلام ، ص ٢٢٧ .

(٤) ذكر السمهودى فى المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٨٥ أن ارتفاع سقوف المسجد بعد الحريق الثانى كان ٢٢ ذراعا ولابد ان الامر كان قريبا من ذلك قبل الحريق .

سواء بالدخان المتصاعد من النار الملتهبة مما أودى بحياة الكثير من الذين حاولوا التغلب عليها .

ومهما قيل من أسباب خفية لوقوع ذلك الحريق ، وما صاحبه من حكايات غريبة تتناسب ونمط التفكير فى ذلك الوقت ، مما لم يعد مقبولا للفكر الحديث(١) ، الذى يوجب البحث عن الاسباب العلمية الكامنة وراء الاحداث الطبيعية المماثلة . وكما يقع عادة من تعرض المبانى العالية لمثل هذه الصواعق فان الارتفاع الكبير لمنارات المسجد آنذاك(٢) عن بقية

---

(١) أورد ابن اياس فى بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ ، مجموعة من أبيات الشعر التى تحاول تفسير سبب الحريق بما يشبه تفسيرهم لوقوع الحريق الاول سنة ٦٥٤ هـ . وأورد السمهودى فى وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٤ ، ما سمعه من أمير المدينة فى ذلك الوقت من رؤية أحد الاعراب لجراد منتشر فى السماء أعقبته نار عظيمة " فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم النار وقال : أمسكها عن أمتى " . ثم قال فى نفس الصفحة " ونقل عن جميع كثير أنهم شاهدوا حينئذ أشكال طيور بيض كالاوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران " . وقال فى موضع آخر " وصارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد ، ومع ذلك فلا تؤثر فيها ، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق .. " وعن هذا واشباهه انظر ابن طولون فى تاريخه ورقة ١٢ أ ، وابن حجر الهيثمى فى تحفة الزوار ، ص ٩٣ ، والعباسى فى عمدة الاخبار ، ص ١٣٥ . ولو ان الامر كما يقول هؤلاء لكان المسجد الشريف وما به من الاثار الشريفة اولى بالحماية من البيوت المجاورة .

(٢) كان طول منارات المسجد قبل هذا الحريق كما ذكرها السمهودى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٧ كالتالى : الرئيسية التى وقع بها الحريق ٧٧ ذراعا اى حوالى ٣٨٫٥ من الامتار ومنارة باب السلام ٩٥ ذراعا اى حوالى ٤٧ مترا والسنجارية ٧٩ ذراعا اى حوالى ٣٩٫٥ مترا ، والخشبية ٧٢ ذراعا اى حوالى ٣٦ مترا .

منازل المدينة ، التى لا يمكن ان منها ماكان يرتفع الى مستوى منـــارات المسجد ، قد عرضها للصاعقة المذكورة (١) . وفى تعرض هذه المنارة فى حدود سنة ٨٩٨ هـ لحادثة مشابهة دليل على صحة ماذهبت اليه . واستطاعت النار التغلب على المحاولات المبذولة لاطفائها ، ودمرت فى وقت قصير علـــى حد قول السمهودى فى " أقل من عشر درج " (٢) جميع سقوف المسجـــد الشريف وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف" (٣) واتلفت الكثير من أسطواناته ماعدا " الاساطين اللاصقة بجدار الحجرة" (٤) وهدمت اكثر من ثلث المنارة الرئيسية . وليس بنا حاجة الى اعادة ترسم حال المسجد الشريف قبل هذا الحريق ، لأن عمارة قايتباى الاولى ، التى تتبعتهـــا بالتفصيل والتى لم يكن قد مضى عليها اكثر من خمسة أعوام ، قد عادت بـــه كما عرفنا من قبل الى صورة أفضل بكثير مما كان عليه من قبل . على أن حجم الخسارة التى سببها حريق سنة ٨٨٦ هـ كان فى الواقع أقل بكثير مما دمره الحريق الأول ، بسبب الاختلاف الكبير فى عمارة المسجد النبوى قبل الحريقيـــن ، كما ان بيع الكثير من قناديل المسجد فى العمارة الأولى التى قام بها قايتبـــاى سنة ٨٨١ هـ ورفع ماتبقى منها فى حاصل المسجد الشريف ، وسلامة القبـــة المشيدة فوق الحجرة الشريفة هى فى الواقع اعتبارات هامة لها وزنها عنـــد

---

(١) وليس فى ذلك ما يتعارض وما تعنيه بعض الايات الكريمة ومنها قوله تعالى : " وما نرسل بالايات الا تخويفا " وقوله تعالى : " ذلك يخوف اللـــه به عباده ياعباد فاتقون " .

(٢) ذكر ابراهيم مصطفى واخرون فى المعجم الوسيط ، جـ١ ص ٣٧٧ أن الدرجة " جزء من ثلثمائة وستين جزءاً من دورة الفلك " اى حوالـــى ساعتين ونصف .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٥ ، السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٧٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٧ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٣٦ ، السخاوى : المصـــدر السابق جـ١ ص ٧١ .

تقدير الخسائر فى حادثى حريق ٦٥٤ هـ ، ٨٨٦ هـ . ولولا الخسائر البشرية التى راحت ضحية الحريق الثانى ، والتى قدرت " ببضع عشرة نفسا "(١) لكانت الخسارة الفنية والجمالية التى ترتبت على الحريق الأولى أغلى بكثير مما نجم من خسارة فى الحريق الثانى . الا أن تعطيل المسجد النبوى من الصلاة وحرمان الناس من السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقيان فى الحالتين فوق كل الأعتبارات المادية مهما غلا ثمنها .

ولم يقف سكان المدينة المنورة حيال الحادث الذى حل بالمسجد النبوى موقفا سلبيا ، بل كان لهم دور بارز فى تنظيف آثار الحريق الذى حال دون أداء شعائر الصلاة فى أروقة المسجد ورحابه . وكانت مطالعة السلطان قايتباى بأمر الحادث من أول الأعمال التى قام بها أهل المدينة فى اليوم السادس عشر من شهر رمضان المذكور(٢) . ورأوا من الواجب أن يشرعوا فور اطفاء النار فى رفع آثارها ، غير أن ناظر المسجد النبوى المقيم فى المدينة المنورة آنذاك أصر بماله من سلطة قوية على ترك الردم حتى ترد الأوامر اليه من مصر بما يجب عليه فعله . ولكنه لم يلبث ان اقتنع بعد فترة أن ما أمر به فيه اجحاف بحق المصلين والزائرين والمجاورين الذين حرموا من ثواب الصلاة والاعتكاف فى شهر رمضان المبارك فى المسجد الشريف ، مما دعاه الى قبول اتفاقهم معه على " سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التى

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٤ ، وقد ترجم السخاوى فى التحفة اللطيفة لكثير منهم . انظر جـ١ ص ١٧٦ ، جـ٢ ص ١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، جـ٣ ص ٥٠ ، ٣٠٧ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٣٦ ، ويذكر ابن أياس فى بدائع الزهور ، جـ٣ ص ١٨٨ " أن مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية ، لأجل التسبيح ، فرأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف ، فعملت فيه النار . فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة ، فأقام ساعة ومات . وقد عاين الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد ، تمنع ان لا تحرق البيوت التى حول المسجد . وان المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور .

بوسطه"(١) ، واحاطة الحجرة الشريفة بحاجز من الاجر خوفا على القناديل التى كانت بسقفها (٢) .

وبعد انجاز ماتم الاتفاق عليه قام أهل المدينة بنقل " هدم مقدم المسجد الى مايلى باب الرحمة من مؤخره ، وعمل فى ذلك امير البلد والقضاة والاشراف وعامة الناس حتى الكثير من النساء والاطفال "(٣) واستبقوا فى أبواب المسجد خوخا وسدوا الباقى بالآجر ماعدا باب جبريل فقد بقى على حاله (٤) ، وهيأوا منبرا من الاجر وضعوه فى مكان المنبر النبوى الشريف .

ولم ير السمهودى للزمن الذى استغرقه ذلك العمل أهمية تذكر فأعرض عن ذكره ، ومهما يكن فقد كان القائمون به يرجون فيه ثواب الله ، ولم يكن يضيرهم طول الزمن أو قصره . ولكن ماذكره السمهودى من تفقدهم لبقايا النار فى الردم المحيط بالحجرة الشريفة فى أثناء شوال بناء على مشورة قاضى المالكية شمس الدين السخاوى (٥) يشير الى تجهيز المسجد النبوى للصلاة فى الثلث الأول من شوال المذكور ولكن حرارة الشمس فى النهار وربما برد الليل دعا الخدام الى نصب الخيام فى المسجد . وتطوع بعض الناس

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٦ . يبدو من الكلام المذكور ان ان هناك حواصل كثيرة فى المسجد النبوى . ولكن المعروف ان ماسلم هو القبة التى بوسط الصحن ، فلعل قصده هو المحافظة على ماكان بهذه الحواصل من قناديل وغير ذلك .

(٢) و (٣) } السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٦ ، ٦٣٧ .
(٤) و (٥) }

باسراج عدة قناديل من عنده بعد تعذر فتح الحاصل الذى فيه الزيت (١) وبقى المسجد الشريف وقتا من الزمن على هذا الحال حتى أشار السخاوى كما ذكرت بوجوب تفقد الردم المحيط بالحجرة . وقد وجدت النار " فى ثمانية مواضع فأطفؤوا ذلك ، ثم رأوا ان مادة هذه النار لا تنقطع الا بتنظيف الردم . فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقف تام من نائب الناظر، وعينوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام والفقهاء والفقراء " (٢) وقد وجدوا القناديل المذكورة وكذلك حلية الصندوق المحترق الذى كان حذاء الرأس الشريف . على أن هذه الاشياء ، رغم اهتمام نائب الناظر بها ، أقل بكثير جدا من قدسية المكان الذى عطل فترة من الزمن بسببها (٣) ، وفى هذا دليل على جمود نائب الناظر ، وسوء تصرفه ، ومدى النفوذ الذى كان يتمتع به فى المدينة ، وليس أدل على سوء عمله هذا من وصف السمهودى له بأنه " على كل خير مانع " . وكان بامكانه العمل على جمعها من أول الأمر ، الا أن حرصه المفرط عليها عد تقصيرا من جانبه .

ومهما يكن من أمر هذه المركزية ، التى كانت تدار بها أمور الحرم النبوى الشريف فى ذلك الوقت ، فان أهل المدينة " أداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر فى موضع المقصورة المحترقة ، وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابا ، وقام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات وغيرها ، وسامح البناؤون بنصف أجرهم " (٤) . وقد تقدم ذكر سلامة القبور الشريفة بوجود

---

(١) السمهودى : **وفاء الوفا** ، جـ ٢ ص ٦٣٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٣٧ .
(٣) انظر أعلاه ص ٣٤٣ .
(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٣٧ .

القبة المنشأة فى سنة ٨٨١ هـ على الحجرة الشريفة ، الا أن احتراق الكسوة أتاح للنساء اللاتى قمن بدفع نفقة البناء من مالهن الخاص ، صنع كسوة من القماش الابيض ، غطيت بها جدران الحجرة بعد انتهاء العمل .

وبعد تلك الاعمال الأولية أصبح المسجد النبوى الشريف معدا للصلاة طوال شهر شوال وجزء من ذى القعدة حتى اتصل خبر الحريق بالسلطان المملوكى الأشرف قايتباى ، الذى عد ذلك من نعم الله عليه ، رغم قساوة وقع الخبر على نفسه ، وادراكه فداحة الخسارة من جانبيها المعنوى والمادى ، وقد استجابت عبراته لهول الحادث اذ يذكر ابن اياس أن السلطان عندما سمع ذلك " بكى وبكى من كان حوله "(١) ، ثم رسم على الفور بتنظيف المسجد من آثار الحريق . ولم تذكر المصادر التى اطلعت عليها تاريخ وصول الخبر الى السلطان فيما عدا ما ذكره ابن اياس من وصول الخبر الى القاهرة فى رمضان وهو الشهر الذى احترق فيه المسجد (٢) .

وكان يرجى لو أشار السمهودى أو غيره الى تاريخ صدور المرسوم بتنظيف المسجد النبوى من آثار الحريق الذى جمع بعضه كما عرفنا من قبل عند باب الرحمة مما كان سيساعد بشكل أفضل على تحديد بدء الاعمال السلطانية

---

(١) بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ١٨٨ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٣ ص ١٨٧ . وقد ذكر عبد العزيز بن فهد فى بلوغ القرى ، حوادث سنة ٨٨٦ هـ . وصول الخبر الى مكة فى العاشر من شهر شوال . أى بعد وصوله الى القاهرة بفارق كبير . وهو أمر بعيد جدا لأن البعد بين مكة والمدينة أقصر بكثير من البعد بين المدينة والقاهرة . فلعل هذا خطأ من الناسخ أو أن الخبر لم يصل المؤرخ نفسه الا فى التاريخ المذكور .

في المسجد الشريف . على أنه يستنتج مما ذكره السمهودي من عدم " اخراج ردم الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة ، وشاهدوا هذه العبرة العظيمة ، ورأوا ما اجتمع من الردم كالاكام والتلول الجسيمة "(١) ، أن أعمال التنظيف ومن بعدها العمارة الفعلية لم تبدأ الا بعد انتهاء موسم الحج لعام ٨٨٦ هـ حرصا على عدم تعطيل المسجد الشريف بقيام الأعمال فيه في ذلك الوقت بالذات .

وجاء أن السلطان استقبل " أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية ورسم بابطال عمائره المكية ، وتوجه شادها السيفي الامير سنقر الجمالي(٢) صحبة الحاج الاول بزيادة على مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين، والدهانين والحجارين ، والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم "(٣) . ويبدو أن أول ما عنى به الامير سنقر ومن كان معه من أصحاب الحرف المختلفة هو تنظيف المسجد باخراج بقايا الحريق المتراكمة في جنباته ، بدليل اصطحابهم لكثير من الحيوانات . ويظهر ان بعض الأموال التي قدرها السمهودي بعشرين ألف دينار كانت من نفقات العمائر التي أوقفت في مكة . وبدأ السلطان من جانبه يعد العدة لأمر العمارة، ويبحث عن أمهر البناة والمهندسين ، ويتتبع وجودهم في الاماكن المختلفة من مملكته الواسعة ، فقد ذكر ابن طولون في تاريخه " ان السلطان رسم بأن يكون شاد العمارة المذكورة " خيربك حديد (٤) الذي كان محبوسا بقلعة دمشق ، فجاء وقال

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٨ .
(٢) انظر ترجمته عند السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ٢ ص ١٩٧ .
(٣) السمهودي : المصدر السابق جـ٢ ص ٦٣٩ .
(٤) قال السخاوي في ترجمته في المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٨ ان اسمه " خيربك بن حتيت لا حديد كما هو على الالسنة " .

هذه عمارة طويلة واستمر منفيا بمكة فواخذناه عليه (١) فان ذلك يدل على سوء طويته "(٢) . وذكر فى موضع آخر ورود أمر السلطان الى دمشق بأخذ "جماعة من الصناع الذين عمروا الجامع الأموى منهم محمد الكفتى الذى شاد منار الجامع الأموى فى عمارته "(٣) .

وكان السلطان قايتباى يبحث عن الفعلة وعن المادة اللازمة للعمارة فى آن واحد ، فقد ذكر السمهودى أن السلطان شرع "فى تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت فى الطور والينبع والمدينة الشريفة "(٤) . ولم يكتف بما وصل منها الى الاماكن المذكورة بل جاء فيما ذكره مؤلف بلوغ القرى أنه ورد فى ربيع الثانى سنة ٨٨٧ هـ الى مكة مرسوم سلطانى موجه الى ابراهيم بن أخى الخواجا شمس الدين بن الزمن الذى كان يقيم بمكة " أن عمك الخواجا شمس الدين توجه الى المدينة الشريفة لمباشرة العمارة بها وأنك والحاج بدر فتى عمك تشترون الخشب وجميع مايطلبه عمك من الخشب واننا وصينا الشريف والقاضى فى اعانتكم "(٥) . وكان وصول المؤن والالات يتوالى الى المدينة تباعا على يدى موظفين مكلفين بذلك من قبل السلطان . وكما يتضح من نص ابن طولون السابق كان غضب السلطان شديدا على اعتذار خيربك الدال كما يقول المؤلف على " سوء طويته " ، مما دعا السلطان قايتباى الى اسناد أمر العمارة الى الأمير شمس الدين بن الزمن الذى قام بأمر العمارة الأولى وذلك بعد تجهيزه " فى أثناء ربيع الاول وصحبته أكثر من مائتى جمل ومن مائة حمار وأزيد من

---

(١) يعنى استنكرنا قوله، ويبدو أن عمله هذا كان انتقاما من قايتباى .

(٢) تاريخ ابن طولون ، ورقة ١٢ أ .

(٣) نفس المصدر ، ورقة ١١ ب . وكانت تلك عادة مرعية فى جميع أنحاء البلاد الاسلامية الذى طبق نظام الليتورجيا المعمول به فى العالم القديم . انظر أعلاه ص ١٤١ .

(٤) وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٩ .

(٥) عبد العزيز بن فهد : حوادث سنة ٨٨٧ هـ .

ثلثمائة من لصناع أهل الصنائع الأولى وغيرهم من الحطالين والمبيضين والسباكين والجباسين "(١) وصرفوا لهم شيئا من أجرتهم قبل سفرهم . وقد تواجد من العمال الوافدين الى المدينة بموجب المراسيم السلطانية أكثر من أربعمائة شخص من مختلف المهن والاعمال .

واذا جاز لنا أن نعتبر الزمن الفعلى لبداية العمارة منذ وصول ابن الزمن الى المدينة وقد جهز فى مصر أثناء ربيع الاول فان وصوله يكون فى أواخر ربيع ثانى كما يفهم من النص الذى أورده عبد العزيز بن فهد من أن الأخبار وصلت الى مكة فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى "بأن الخواجا شمس الدين ابن الزمن وصل الى الينبع ومعه القاصد ومعه خلعته وتوجه الى المدينة الشريفة مشرفا ومتكلما على عمارة المسجد الشريف النبوى "(٢) . وعلى هذا بقى المسجد الشريف معطلا دون عمارة أكثر من ستة أشهر وهو زمن يتناسب والامكانيات الضخمة التى أعدت لهذه العمارة .

. . .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٤٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ١٨٨ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٤ .

(٢) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، حوادث سنة ٨٨٧ هـ .

ب - الأجزاء السليمة من العمارة السابقة :

لا سبيل للاحاطة بتفاصيل الأعمال التى تمت فى عمارة المسجد الشريف بعد الحريق الثانى ، الا بمعرفة الأجزاء المعمارية التى سلمت من آثار الحريق المذكور. وتأتى الاسطوانات التى تنتشر فى أروقة المسجد الشريف فى مقدمة الأجزاء الهامة التى يعد وجودها ضروريا فى تسقيف المساحة الكبيرة للأروقة ، وقد عرفنا عند الحديث عن عمارة المسجد فى عهد المهدى أن عدد اسطوانات المسجد الشريف ٢٩٦ اسطوانة[١] أما بعد الحريق الأول فقد نقص من هذا العدد عشر اسطوانات فأصبحت جميعها ٢٨٦ اسطوانة وذلك عندما أنقص الظاهر بيبرس من بلاطات مؤخر المسجد بلاطة واحدة. ثم زاد الناصر محمد بن قلاوون بلاطتين فى مقدم المسجد بها عشرون اسطوانة ، ولذلك فان عدد اسطوانات المسجد قبل الحريق الثانى كانت ٣٠٦ اسطوانة ، وقد ذكر السمهودى أنه تلف منها" مائة وبضع وعشرون اسطوانا ، وما بقى منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا".[٢] ويبلغ عدد الاسطوانات السالمة قرابة مائة وثلاث وثمانين اسطوانة[٣] ليس منها ما نص على سلامته تماما سوى " الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة"[٤] وهن فى الغالب أربع اسطوانات . ومع ذلك فان الاسطوانات التالفة تضم فى مجموعها قطعا كثيرة سالمة ، يمكن أن تؤلف بعد فحصها واختيار الصالح منها عددا لا بأس به من الاسطوانات .

---

(١) أنظر أعلاه ص ١٦٧.

(٢) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٣٦.

(٣) اذا أنقصنا الاسطوانات التالفة التى قال السمهودى انها مائة وبضع وعشرون أى حوالى ١٢٣ من اسطوانات المسجد البالغ عددها ٣٠٦ اسطوانة فان الباقى هو ١٨٣ أسطوانة تقريبا .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٣٦.

ويمكن أن يستنتج من ذلك أن عبء العمل على الحجارين والنحاتين كان عبئا كبيرا لا يقل عما يقوم به غيرهم من الحرفيين ، وما يزيد فى عبء الدور المنوط بهم أنهم مطالبون بالتزام المقاس الذى تتميز به القطع التى تؤلف الاسطوانات السليمة حتى يكون حجم جميع أسطوانات المسجد واحدا .

ويذكر السمهودى أن القبة التى أنشأها الاشرف قايتباى سنة ٨٨١ هـ فى العمارة الاولى ظلت سليمة بعد الحريق (١) . وكان لها دور كبير فى حماية القبور الشريفة من ردم السطوح وبقايا القبة الزرقاء المحترقة . ومن المنشآت الهامة التى نجت من دمار الحريق ، تلك القبة التى أقامها الخليفة العباسى سنة ٥٧٦ هـ فى طرف الصحن الجنوبى الشرقى ، والتى كان لبعدها النسبى عن الاجزاء التى تكثر بها الاخشاب الملتهبة فضل فى سلامتها من الحريق الاول والثانى مع أنها كانت تحتوى على زيت قناديل المسجد ، وهو مادة كانت تزيد الوضع سوءا ، لو تمكنت النار منها .

أما العقود التى كانت تقوم فى أجزاء متفرقة من بلاطات المسجد النبوى والتى تعود فى تاريخها الى عهود مختلفة ، فقد سقط أكثرها ، وما بقى منها فقد كان آيل الى السقوط (٢) . ويذكر السمهودى أنه كان لهذه العقود ، لا سيما المحدثة فى بلاطات القبلة فى عمارة قايتباى الاولى ، دور بارز فى تلف كثير من الاسطوانات المجاورة لها بسبب سقوطها عليها (٣) .

وعن جدران المسجد الخارجية فانه يبدو أنها سلمت من الانهيار والتشقق اذ لم يذكر السمهودى أو غيره ما يشير الى اصابتها بأضرار مباشرة .

---

(١) وفاء الوفا ، جـ٢ ص ٦٣٦ . وانظر ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ١٨٧ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ص ٩٣ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٦٣٦ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٢ ص ٦٤٢ .

أما تجديد جدار القبلة عند بدء العمارة التالية فقد كان بناءً على رغبة المهندسين في زيادة عرضه من ناحية وتوسيع دخلة المحراب العثماني من ناحية أخرى ، وما اقتضاه الرأي من هدم المنارة الرئيسية الى آخرها من ناحية ثالثة . وعمل ابن الزمن على استحداث شبابيك وطاقات كثيرة بأصل هذا الجدار تمهيدا لما كان يقصده من اتخاذ الدور الواقعة خلف جدار القبلة والمعروفة بدور العشرة مدرسة ورباطا للسلطان قايتباي . على أن المعارضة القوية التي قوبل بها قد أجبرته على سد أغلب الشبابيك وهدم الجدار الغربي الممتد من باب السلام الى باب الرحمة من أساسه وفتح عدة شبابيك وأبواب فيه . وهدم كذلك الجدار الشرقي الممتد من المنارة الرئيسية الى باب جبريل وخرج به عن موضعه الأول قليلا .

وعلى هذا فانه بمقدورنا في ضوء ماسبق من معلومات حصر العناصر المعمارية التي سلمت من الحريق وأدخلت في مكونات العمارة الثانية دون تغيير يذكر(١) مما يفيد عند الحديث عن عمارة المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الثاني . وهذه العناصر هي :

١ - منارات المسجد الثلاث (منارة باب السلام ، والمنارة السنجارية ، والخشبية)(٢) ،

٢ - أكثر من نصف جدران المسجد الخارجية ،

٣ - أقل من نصف اسطوانات المسجد الشريف ،

٤ - قبة الحجرة الشريفة السفلى ،

٥ - قبة حاصل الحرم الشريف .

...

---

(١) هذا خلاف أعمال التبييض وأعمال الترميم التي شملتها مؤخرا .

(٢) عن مواقع هذه المنارات من المسجد ، انظر الشكل رقم (٥١) .

ج - صفة عمارة قايتباى الثانية :

تنقص هذه العمارة معرفة كثير من التفاصيل الهامة فى أجزائها المختلفة ومرد ذلك الى أن السمهودى المصدر الأول فى كثير من المعلومات السابقة قد غادر المدينة المنورة عند بداية العمل الى مصر ، فلم يحضر شيئا من مراحل البناء الأولى[1]. على أنه تتبع أخبارها عند عودته ، ووصف لنا ما تم من عمارة المسجد أثناء غيبته ، وذلك بشكل يختلف عن المنهج الذى تعودناه منه فى العمارة الأولى ، مما يدعو الى كثير من النقاش والاستفسار عن عدد كثير من التفاصيل المعمارية .

وكان السمهودى قد لاحظ على العمال قبل سفره ارتفاع معنوياتهم الصادقة وحماسهم للعمل فيه بنية مخلصة رجاء المثوبة والأجر من الله تعالى . وكان استمرار السلطان بتزويدهم بأحمال المؤن التى " قل أن تنقطع برا وبحرا "[2] من العوامل التى ساعدت المسئولين فى المدينة على استثمار حماس العمال فى تدبير الأعمال الكثيرة دون انقطاع . وكان فى مقدمة الأعمال التى ذكرها السمهودى هدم المنارة الرئيسية وسور المسجد " من ركن المنارة التى بباب السلام الى آخر جدار القبلة وما يليه من المشرق الى باب جبريل ، وما يلى المنارة من المغرب أيضا الى باب الرحمة "[3]. ولم تكن هذه الأعمال الا جزءا من تقسيمات تمت بين مختلف الحرفيين الذين يخضعون لادارة ابن الزمن . فقد عرفنا من قبل ما نتج عن الحريق الثانى من نقص واضح فى عدد الاسطوانات التى كانت بأروقة المسجد النبوى الشريف ، مما حمل ابن الزمن على تخصيص عدد كبير من الحجارين ومعاونيهم لقطع العدد الكافى من

---

(١) وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٦٤١ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٦٤٠ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٦٤٠ .

الخرزات المثقوبة ، وقد أوضحت من قبل جسامة العمل الذى نيط بهم.(١) يضاف الى ذلك اعداد الخشب الذى تطلبته العمارة ، والذى يقول عنه السمهودى ان العمال قطعوا من نواحى المدينة كثيرا من أخشاب الدوم(٢) " من الموضع المعروف بالشقرة(٣) ومن الصويدرة(٤) ومن الفرع(٥) وغير ذلك مالا يحصيه الا الله تعالى . وكذلك أخشاب السمر ".(٦) ويقتضى قطع الأخشاب من المواضع المذكورة ونقلها الى المسجد لاستخدامها فى أعمال البناء عددا كبيرا آخر من العمال .

ولابد أن العدد الكبير من قوالب الأجر المشوى الذى تطلبه بناء العقود التى عم استخدامها لجميع سقوف مقدم المسجد ، قد استوجب

---

(١) أنظر أعلاه ص ٣٥١ .

(٢) " الدوم شجر عظام من الفصيلة النخيلية يكثر فى صعيد مصر وفى بلاد العرب ، وله ثمار فى غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر ، ونواة ضخمة ذات لب ، وضخام الشجر مطلقا من كل نوع" أنظر ابراهيم مصطفى وآخرين : المعجم الوسيط ، جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٣) الشقرة : موضع على بعد يومين من المدينة ، أنظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٤ ص ١٢٤٥ .

(٤) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٤٣٥ أن صوير ، وذو الصوير موضع من عقيق المدينة. ووافقه الفيروزبادى فى المغانم المطابة ص ٢٢٤ ، والسمهودى فى وفاء الوفا ، جـ ٤ ص ٦٤٥ عند ترتيبه للمواضع على حروف المعجم . أما الصويدرة التى وردت فى وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ فلم أجد لها ذكرا فلعلها خطأ فى النسخة المخطوطة التى وقعت للمحقق وتصحيحها الصوير أو الصويرة .

(٥) ذكر السمهودى فى المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٢٨١ أن الفرع على مرحلة من المدينة" وقيل انه عمل من أعمال المدينة واسع ، به مساجد للنبى (ص) ومنابر وقرى كثيرة . وقيل على ثمانية برد من المدينة وبها منبر (مسجد جمعة) ونخل ومياه كثيرة وهى قرية غناء كبيرة" .

(٦) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٥ . وخشب السمر ضرب من شجر الطلح ذكره ابراهيم مصطفى وآخرون فى المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٥٠ .

أيضا تخصيص فريق من العمال لتجهيزه. وعلى ذلك كانت مهمة البنائين ومساعديهم تقتصر على الهدم والبناء داخل المسجد الشريف ، ولا يبعد أن يكونوا قد استعانوا بغيرهم من عمال المدينة المحليين.

ولم يزودنا السمهودى أو غيره بمعلومات كافية عن أول الأعمال التى بدىء بتنفيذها ، ومع ذلك يمكن القول بأن اعادة القبة الزرقاء كانت من أول الأعمال التى بدىء بها. وقد نتج عن اتفاقهم على استحداث أكتاف عريضة تقام عليها القبة المذكورة " ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء تلك الدعائم هناك ، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى - أعنى ما حاذى ذلك منه - بنحو عرض الجدار فى البلاط الشرقى ".(١) وقد حدد مكتب التوسعة السعودية هذه الزيادة بـ ١٢٠ م٢.(٢)

واذا كان قد عرف السبب فى هدم الجدار الشرقى الممتد من باب جبريل الى جدار المنارة الرئيسية ، التى هدمت فى هذه العمارة ، فان هدم جدار القبلة الممتد " من ركن المنارة التى بباب السلام الى آخر جدار القبلة ... وما يلى المنارة من المغرب أيضا الى باب الرحمة".(٣) يحتاج الى تقصى أسبابه التى أهملت ذكرها المصادر التى اطلعت عليها. فاذا أخذنا بعين الاعتبار عمق رواق القبلة الذى يتألف من سبع بلاطات ، واجماع الرأى على تقصير اسطوانات مقدم المسجد المسقوف بسقفين تمهيد الاقامة العقود المقترحة فوق رؤوس الاسطوانات ، مماله تأثيره بغير شك على التهوية والاضاءة الكافية فى جميع بلاطات الرواق ، لأتضح أن حاجة مقدم المسجد الى نوافذ واسعة بأعلى الجدارين المذكورين كان سببا رئيسيا أوجب

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٠.
(٢) ابراهيم الشورى : جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين جـ١ ص ٤٣.
(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٠.

هدمها . أما الأسباب الثانوية أو المساعدة فمنها رغبة ابن الزمن في بناء مدرسة الأشرف قايتباى بجوار الجدار القبلي من المسجد النبوى الشريف . وقد استحدث لأجلها كثير من الشبابيك[١] بالجدار القبلي ، ثم اقتضى الأمر سدها وفتح غيرها في الجدار الغربي بين باب السلام وباب الرحمة وذلك بسبب ما نشأ عنها من معارضة قوية .[٢] كما أن تعميق وتوسيع فتحة المحراب العثماني وهدم المنارة الرئيسية وما يليها من الجدارين الشرقي والجنوبي ، تعد أسبابا ثانوية تضافرت مع السبب الرئيسي في استكمال هدم الجدران الثلاثة[٣] وتجديد بنائها بنفس الأحجار القديمة بعد زيادة سمكها قليلا عما كانت عليه أولا . وقد بلغ الحرص في الاستفادة من سمك الجدران المجددة الى استحداث خزائن للكتب بأصل الجدار الشرقي " وطاقات كبار كالأبواب المقنطرة في أعالي الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء" .[٤]

وأستحدثت طاقات أخرى مستديرة في الجدار القبلي ، غير أنه عدل بعد ذلك عن كثير من هذه الفتحات فسدت " بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار ، وسد أيضا الطاقات التى بالجدار القبلي الا ما يحاذى القبة التى على المحراب العثماني. فجعل لها ولما بقي من الطاقات قمريات من

---

(١) ذكر السمهودى في المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٣ أن هذه الفتحات " ثلاثون فتحة " .

(٢) أنظر أدناه ص ٣٥٧ وما بعدها .

(٣) هى الجدار الشرقي الى قرب باب جبريل والجدار الجنوبي كله والجدار الغربي من باب السلام الى باب الرحمة .

(٤) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٢ .

الزجاج [١] وشبكات من شريط النحاس " [٢]. وكان ذلك بعد الاعتراض على المدرسة التى كان ابن الزمن قد اعتزم احداثها مكان الدور المجاورة لمقدم القبلة والتى كانت تعرف بدور العشوة. ويذكر السمهودى أن السلطان استفتى علماء مصر فى ذلك فأفتوا بالمنع [٣]. وقال ابن أياس فى حوادث شعبان سنة ٨٨٧ هـ ان الأخبار وردت من المدينة الشريفة " بأن السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلة على الحرم النبوى فقامت على السلطان الأشلة [٤] بسبب ذلك ، وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز ، فان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميت كحرمته وهو حى . وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه " [٥] على أن السلطان آثر اقامة المدرسة فى الجانب الغربى بين باب السلام وباب الرحمة .

ويدل استكمالهم بناء جدار القبلة فيما يعلو النوافذ التى استحدثت به بالأجر على ما صرح به السمهودى ، [٦] على نقص الأحجار التى كانت بأصل هذا الجدار ، قبل هدمه . وذلك بسبب زيادة سمك مداميك الجدران المجددة ، وعلو المنارة الرئيسية التى بلغت فى هذه العمارة

---

(١) يعرف زكى محمد حسن فى فنون الاسلام ص ٦١٢ القمريات بأنها جمع قمرية وأنها تعرف بالشمسية وأنها نافذة صغيرة من الجص المفرغ تسد فتحاته بزجاج ملون وتؤلف هذه الفتحات زخارف اسلامية من فروع نباتية أو زخارف هندسية ورسوم معمارية أو كتابات .

(٢) السمهودى : وفـاء الوفـا جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٣) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٤) لم أجد لها معنى فى القواميس العربية ولا فى المعجم الذى جعله دوزى مضافا الى القواميس العربية ولعل المقصود بذلك كما يفهم من سياق المعنى أن المعارضة كانت شديدة على السلطان الأشرف .

(٥) بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٩٦ .

(٦) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٢ .

مائة ذراع[1]، والخروج بالجدار الشرقى قليلا ، بالاضافة الى أن الأجر المتوفر يسهل بناء عقود الفتحات والشبابيك التى استحدثت بجدران مقدم المسجد الشرقى والغربى والجنوبى .

وشرع فى اقامة الأسطوانات والعقود فور الانتهاء من أعداد موادهـا الأساسية المكونة من قطع الحجر المدورة المثقوبة ، وقوالب الأجر المحروق وجاء أن سطح مقدم المسجد قد وضع على تلك العقود سقفا واحدا[2]، غير أنه لا يعرف اذا كانت العقود المذكورة ، فيما عدا بلاطات القبـاب، متعامدة على جدار القبلة أو متوازية معه على هيئة العقود المطلة على صحن المسجد . وكان يبدو أن التوازى مقبولا لولا أن السمهودى يذكر أنـه استحدث قبة فوق المحراب العثمانى[3]، وقبة أخرى فيما بين الحجـرة الشريفة والجدار القبلى " وحولها ثلاثة أخرى تسمى مجاريد "[4]، كمـا استحدث قبتان بالقرب من باب السلام.[5] وكما هى العادة عند عقد القباب فانه لابد لها من أربعة عقود كما هو الحال فى القباب الموجودة حاليا فـى الجزء الشيد من المسجد النبوى فى العصر العثمانى ، وبذلك لابـد أن كان من العقود عقدان متوازيين مع جدار القبلة وعقدان متعامدين عليـه .

واذا كان السمهودى قد أفادنا فى معرفة طريقة تسقيف مقدم المسجد على النحو الذى تقدمت الأشارة اليه ، فأنه لم يذكر شيئا عن تسقيف بقيـة أروقة المسجد . وكان من الممكن أن يذهب الظن الى أن الأمر كان فى سقوف

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٢٧، ٦٤٠ .
(٢) السمهودى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٠ .
(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ .
(٥) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ .

بقية أروقة المسجد على نحو ما كانت عليه فى مقدمه لولا ما جاء فى كتاب نزهة الناظرين عن السقوف التى هدمت من مؤخر المسجد فى عمارة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٥ هـ من أنها كانت " على عبارات من خشب موضوعة على أساطين " (١) وكان الأمر كذلك أيضا في الأروقة الجانبية. وعلى هذا فانه يمكن حصر استخدام العقود فى عهد قايتباى فى تسقيف مقدم المسجد فقط . ولابد أن استغرق انشاؤها بطبيعة الحال وقتا وجهدا كبيرين ، خاصة وأن من الأعمال التى تمت فى مقدم المسجد الشريف القبة الكبيرة التى شيدت بقوالب الأجر بدلا من القبة الخشبية المحترقة .

ويبدو أن تعرض القبة الأولى للحريق الثانى وما كانت تسببه من تسرب مياه الأمطار الى أخشاب السقوف المجاورة فتتلفها ، كما أن ما كانت تحتوى عليه من أخشاب كانت مع سقوف المسجد المجاورة طعمة سائغة للنار التى دمرت المسجد سنة ٨٨٦ هـ ، قد حمل القائمين على العمل على بناء القبة الكبيرة على شاكلة القبة الأولى الواقعة فوق حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، والتى كان لطريقة بنائها فضل فى وقايتها من شر الحريق الثانى . (٢)

ونظرا الى كبر حجم القبة الحالية واختلاف مادة البناء فيها عن الخشب والرصاص الذى كان قوام القبة الأولى ، ورغبة فى الحيطة والمتانة فقد استقر رأى مهندسى العمارة على استحداث أكتاف بزوايا متعددة ومن أحجام

---

(١) البرزنجى ، ص ٢٧ . لم أجد أى ذكر لمن قام بعمارة شاملة للمسجد النبوى بعد الأشرف قايتباى حتى السلطان عبد المجيد سوى بعض الترميمات التى قام بها بعض السلاطين العثمانيين فى مقدم المسجد .

(٢) أنظر أعلاه ص ٣٥١ .

مختلفة [1] أقيمت فى مواضع الاسطوانات التى كانت تحمل القبة المحترقة وذلك كما يبدو من المخطط الذى أعده ابراهيم العياشى عن الحجرة الشريفة شكل (٥٧) [2]. ورغم اختلاف حجم هذه الأكتاف وقوتها ، فان المعمار الذى قام بتصميمها قد أبقى على الاسطوانات المتقابلة فى الجهات الأربعة للحجرة ، وزاد فى ماكان منها بالجانب الشرقى والغربى والجنوبى باضافة اسطوانة أخرى اليها [3] كما يبدو من صورة المخطط شكل (٥٧) ، مع استحداث كتف خامس عند رأس الحائز المخمس مما يلى الشمال " ليشتد بها العقد الذى عليه القبة فى تلك الناحية " [4]. كما وضعت أكتاف أقل حجما فى شمال بيت فاطمة رضى الله عنها .

---

(١) استرعى انتباهى كثرة الزوايا فى الأكتاف التى تحيط بالحجرة الشريفة والتى تبلغ فى احدى الأكتاف عشرين زاوية كما يبدو فى الشكل (٥٧) ، وقد سألت أحد المهندسين المسئولين عن عمارة المسجد الحرام عن تلك الزوايا وهل لكثرتها علاقة فى زيادة قوة تحمل الكتف للحمل الواقع عليها ؟ فأفاد بأن هذا التعدد الملاحظ فى الزوايا المذكورة هو بقصد المبالغة فى الناحية الجمالية ليس الا .

(٢) ابراهيم العياشى هو صاحب مكتبة بالمدينة المنورة ، والمخطط المنسوب اليه مطبوع ومنه نسخة معلقة فى قاعة المطالعة بمكتبة الحرم المكى الشريف وبالسؤال عن مصدره قيل لى أنه مهدى لأحد موظفى المكتبة من الناشر، ولكن الموظف المذكور أثر به المكتبة . أنظر أيضا : المخطط المنشور فى مرآة الحرمين ، لابراهيم رفعت باشا ، ج ١ ص ٤٤٨ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٦١٠ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٦٤٠ . حيث يذكر أنهم حفروا لهذه الاسطوانة أساسا عظيما ظهر بسببه القبر المنسوب فى أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضى الله عنها . وفى هذا ما يزكى ما تذهب اليه الروايات التى تذكر أن قبرها فى بيتها .

وأعيد محراب التهجد بأصل الدعامة المستطيلة التى تتوسط الضلع الشمالى لبيت فاطمة ، أنظر شكل (٥٧)[١] . ولم يذكر السمهودى مدى ارتفاع الأكتاف التى عقدت عليها القبة عن أرض المسجد ، ولم يتيسر لى قياس ذلك بسبب تشدد المسئولين عن الحرم النبوى فى اجابة ما يطلب اليهم من هذا القبيل ، ومع ذلك يمكن القول بأنها مساوية لسطح المسجد الذى كان ارتفاعه فى هذه العمارة على ماصرح به السمهودى " اثنان وعشرون ذراعا"[٢] .

ولا شك فى أن الانتقال بالقبة من الشكل المربع[٣] الى الدائرى كان عن طريق الحطات (المقرنصات) التى استخدمت بأركان الحجرة فى موضع التقاء الأقبية بالأكتاف الأربعة ، حتى تمكن المعمار من بناء القبة وفق الامكانيات التى كان يمتلكها فى ذلك الوقت.

ويظهر من وصف السمهودى للأضرار التى لحقت بهذه القبة سنة ٨٩١ هـ أنها عقدت بالآجر الخالى من الجبس[٤] وأنها كانت فى حجم كبير جدا مما دعا الى اختصارها أكثر من مرة[٥] وكان سمك جدارها كبير جدا بحيث لا يتأتى النظر الى داخل الحجرة الشريفة من احدى

---

(١) كان هذا المحراب بأصل اسطوانة أقيمت فى موضعه فى العمارة الأولى التى قام بها الأشرف قايتباى ، أنظر أعلاه ص ٣٣٥ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٥ أى ما يعادل ١١ مترا .

(٣) ذكر البتنونى فى الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٦ أن طول كل من ضلعى الحجرة الشريفة الجنوبى والشمالى ١٦ مترا وكل من ضلعيها الشرقى والغربى ١٥ مترا . هذا عدا بيت فاطمة رضى الله عنها . وذكر السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٠ " أنهم أحدثوا اسطوانا فى جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذى عليه القبة فى تلك الناحية" وكان المقصود بهذا العقد تدارك الفرق الظاهر فى طول أضلاع الحجرة الشريفة .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

(٥) أول مرة فى سنة ٨٩١ هـ ثم اختصرت ثانى مرة فى العصر العثمانى سنة ١٢٣٣ هـ.

فتحات القبة المذكورة" الا لمن مد رأسه مدا زائدا".[1]

وقد أحدث بهذه القبة عدد كبير من الطاقات والشبابيك ، ولحسن الحظ فقد ذكر مؤرخ مهتم بتاريخ المسجد النبوى الشريف وصفا رائعا لها وطريقة توزيع طاقاتها وشبابيكها ، فقال ان " عدد شبابيك القبة الكبيرة وطاقاتها ست وسبعين ، وبيان ذلك أن للقبة الشريفة صفحات أربع فى كل صفحة من ذلك ستة ، ثلاثة مزور[2] من أعلاها وفوقها ثلاثة مدور ، وللقبة أيضا أركان أربعة فوق ذلك فى كل ركن شباك كذلك مزور من أعلاه لكنه أوسع من البقية فصار جملة ذلك ثمانية وعشرين شباكا ويلى فوق ذلك ستة عشر طاقا مطافة بالقبة وفوق ذلك أيضا اثنان وثلاثون فبلغ جميع ما فى القبة الكبيرة من الطاقات والشبابيك ستا وسبعين"،[3] ومن المؤكد أن تكون القبة قد طليت بالجبس والنورة فور الانتهاء من بنائها . واذا كان داخل سطح القبة قد خلا من أعمال الزخرفة على عكس قباب العصر المملوكى الثانى[4] فان ما ذكره البرزنجى يشير الى أنها قد زخرفت بالنقوش الكتابية من داخلها.[5] ولكن الشقوق قد ظهرت على سطحها مبكرا ، ثم ازدادت بعد

---

(١) البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٦٩ .
(٢) يقصد مقنطرة كما تبد فى الصورة شكل (٥٨) .
(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .
(٤) محمد مصطفى نجيب : العمارة في عصر المماليك ص ١٩ .
(٥) ذكر فى المصدر السابق ، ص ٧٠ أنه رأى داخل القبة مزينا" بنقوش ظريفة عليها طراز فيه كتابات بخط جلى لم يمكننى الا قراءة ما قابلنى من جهتها الغربية وهو " أنشأ هذه القبة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القديرقايتباى".

أعمال الترميم الأولى التي قام بها ابن الزمن نفسه ، مما دعا الى تغير السلطان عليه .(١)

وهذه القبة هي الثامنة من قباب المسجد النبوى(٢) عدا القبة السفلية التي أستحدثت فى العمارة الأولى فوق الحجرة مباشرة . ومع وفرة المعلومات عنها فانه لم يتيسر لى معرفة ما اذا كانت القباب الأخرى كانت مزودة بفتحات مشابهة أم أن ذلك كان قاصرا على القبة الكبيرة . ويذكر السمهودى أنهم جعلوا بين عقود القباب ، التي كانت بمقدم المسجد مما يلى القبة الكبيرة " وبين المنارة الرئيسية التي أعادوها بادهنجا للضوء والهواء" .(٣) وأضاف الى ذلك أنهم نقلوا باب المنارة الغربى عند تجديدها فى هذه العمارة الى جهة الشام ، على خلاف المألوف فيما مضى ، وهو عمل لا يعرف الهدف منه ، غير أنه يبدو أنه لم يف بما كانوا يقصدونه منه ، مما حدا بالأمير شاهين الجمالي الى اعادته الى مكانه الأول عند اعادة بناء المنارة المذكورة سنة ٨٩١ هـ .(٤) هذا عن سقوف المسجد الشريف وما عمر منها حتى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقد قال عنها ابن طولون انها " عمارة عظيمة ".(٥) وقد اختتمها ابن الزمن

---

(١) اتضح بعد تجديدها فى العهد العثمانى سنة ١٢٣٣ هـ أن ما أتهم به ابن الزمن من تساهل فى المؤنة ليس بصحيح وأن سبب تلفها المتكرر هو ضخامة حجمها . أنظر أدناه ص ٣٨٥ .

(٢) كان أمام باب السلام قبتان وعلى المحراب العثمانى واحدة ، وبين الحجرة الشريفة وجدار القبلة أربع قباب . أنظر السمهودى : وفاء الوفا ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١ .

(٤) السمهودى : نفس المصدر ج ٢ ص ٦٤٦ .

(٥) تاريخ ابن طولون ، ورقة ١٤ أ .

بنقش اسم السلطان قايتباى فى بعض أجزاء السقف مما يلى الجدار القبلى والشرقى.(١) ثم قام فريق من الدهانين بدهن السقوف المذكورة. ويذكر السمهودى أن متولى العمارة استخدم بعض القناديل التى وجدت تحت ردم سقف الحجرة الشريفة " فى تذهيب السقف المعادة بعد الحريق ".(٢)
ويبدو أن ذلك اقتصر على بعض سقف المسجد، فقد جاء أنه بلغ السلطان قايتباى أن بعض أجزائه قد دهنت بالنيلة فأمر فى سنة ٨٨٩هـ بارسال فريق من الدهانين " لمحو ما بلغه أنه جعل فى بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة وابداله باللازورد ".(٣)

أما الأعمال الأخرى بداخل المسجد فكان منها خفض أرض مقدمه حتى ساوت أرض المصلى الشريف.(٤) وقد حرصوا على الاستفادة من التراب الذى قطعوه من رواق القبلة فى ردم الدكتين اللتين أحدثهما متولى العمارة بالرواقين الشرقى والغربى " فيما بين باب الرحمة وباب النساء الى مؤخر المسجد ".(٥) وجاء أنهما كانا أخفض من الدكاك الشامية التى لا يعرف تاريخ حدوثها.(٦) علاوة على ذلك جدد متولى العمارة النفق الذى كان يعرف بخوخة آل عمر رغم صدور الأوامر السلطانية فى سنة ٨٨٥هـ

---

(١) ابن الرومى : التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد وسور المدينة ص ٩٢.
(٢) وفاء الوفا، جـ ٢ ص ٥٩٠. ومع ذلك لم يشرح السمهودى فيما اذا كانت القناديل صهرت أو بيعت واستخدم ثمنها فى التذهيب.
(٣) السمهودى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦٤٥.
(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤١ حيث جاء أنه " كان شبه حوض عمقه ذراعان ونصف وثمن ".
(٥) السمهودى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦٤٢.
(٦) ذكرت عند حديثى عن عمارة الظاهر بيبرس أن هذه الدكاك المعروفة بالدكاك الشمالية هى مما أحدث فى عهده. أنظر أعلاه ص ٢٣٤.

باغلاقه[(١)]. وقد تباطأ مرة ثانية فى تنفيذ الأوامر التى وردت اليه سنة ٨٨٧ هـ فى هذا الخصوص، وكان ذلك سببا فى ضيق السلطان قايتباى وتبرمه منه[(٢)]. ودعا ذلك شيخ الحرم الشريف الى سده فيما بعد "بالبناء المحكم من خارج المسجد، ونزع باب طابقه، وردمه بالأتربة حتى ساوى أرض المسجد، ولم يبق له أثر، وذلك فى رابع ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة"[(٣)].

ووضعوا على حدود المسجد النبوى الأول مما يلى القبلة درابزين من

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا، جـ ٢ ص ٧١٣، كان السمهودى هو الذى فاتح السلطان فى شأن هذا النفق الذي كان يفتح فى البلاطة الثانية فى موقف الزائرين اليوم، وقد ذكر فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٧١٥ أن السلطان قرر لمن كان بيده أمر هذا النفق "بضعة عشر دينارا كل سنة عوضا عما كان يحصل له منه".

(٢) كان من الأعذار التى كان يحتج بها ابن الزمن فى تأخير تنفيذ أوامر السلطان باغلاق هذا النفق ما أشار اليه السمهودى فى الوفا، جـ ٢، ص ٧١٥ من أن الدور التى كان يؤدى اليها هذا النفق قد أصبحت ملكا للسلطان وأنه سوف يفاتح السلطان بجعلها مزارات. هذا عن الأسباب الظاهرية، أما الأسباب الخفية فذكر السمهودى أن منها حقد بعض أصدقاء ابن الزمن على السمهودى باعتباره المحرض للسلطان فى سدها. وغير ذلك من الأسباب التى قال عنها السمهودى "أنها أمور يطول شرحها".

(٣) كان سد هذا الطابق بعد خفض أرض مقدم المسجد وانتهاء العمارة اذ يذكر السمهودى فى **المصدر السابق** جـ ٢ ص ٦٤٤ أن سقوف المسجد النبوى قد كملت "كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة وتمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك".

الخشب المخروط[(١)]. وكان من الأعمال الهامة التي تأتي في المقام الثاني حاجة المسجد الشريف بعد ذلك الى كثير من أعمال المبيضين[(٢)] والمرخمين[(٣)] في جميع جوانب المسجد الشريف الذى تأثرت جدرانه وما بقى من اسطواناته بالحريق . كما أن هدم جدران مقدم المسجد على النحو الذى سبق ذكره واستحداث كثير من العقود بأعلى السقف كل ذلك زاد من عبء العمل الملقى على عواتق هؤلاء العمال .

وكان من أعمال المرخمين تلبيس دكة المؤذنين بالرخام الجميل[(٤)]، وتقع

---

(١) ذكر البرزنجي في نزهة الناظرين ، ص ٣٧ أثناء حديثه عن عمارة السلطان عبد المجيد خان أنهم" استبدلوا الدرابزين الخشب والخزائن الموضوعة فيما يسامت حد المسجد الأصلى من جهة القبلة . . . بحاجز مسنم من الحجر الأحمر المنحوت . . ." . كما أن السمهودى في وفاء الوفا ج ١ ص ٣٧٧ قد أشار الى وجود مثل هذا الدرابزين قبل الحريق الثانى ، مما يقوى الاعتقاد بأن الدرابزين الذى أشار اليه البرزنجي قد أعيد بعد احتراق الدرابزين الأول .

(٢) ان كلمة مبيض" تدل على مبيض القماش وتدل في معناها الثانى على موظف يهتم بنسخ المراسلات والكتابات في صورتها النهائية ، وتستخدم أيضا في اللغة الدارجة المصرية الحديثة للاشارة الى من يحترف طلاء الجدران". أنظر حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ، ج ٣ ، ص ٩٨٩ .

(٣) تطلق كلمة المرخم على " المشتغل بالرخام من حيث رصف الأرضيات وتصفيح الجدران ، وعمل المقرنصات وصناعة الأعمدة وتيجانها ، ونقش الكتابات والزخارف على ألواح الرخام وشواهد القبور ، وعمل بعض الأثاثات الحائطية ، وقطع التحف ، وخرط التماثيل وغير ذلك من الأعمال المتصلة بالرخام". أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٧٥ وما بعدها .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤٢ .

الدكة المذكورة فى البلاطة الخامسة مما يلى الصحن أمام المنبر الشريف (١)، وكذلك بنوا باب السلام "بالرخام الأبيض والأسود ، وزخرفوه زخرفة عظيمة (٢)، وجاء أنهم زخرفوا قباب المسجد جميعا (٣) .

أما المحراب النبوى فقد أعادوه فى موضع الصندوق الذى احترق بعد نزعهم الاسطوانة التى كانت فى محاذاة الأسطوانة التى اليها المصلى الشريف (٤). وقد زخرفوه بالرخام " الملون ترخيما بديعا فيه صبغ ذهبى وغيره، وهو أبهى منظرا من الأول ، وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلا على المصلى الشريف ، لأنه انما جعل فى محل الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف " (٥). وزخرف المحراب النبوى الشريف بكثير من الآيات القرآنية ، كتبت بخط بارز جميل مذهب فى اطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحراب النبوى .

كما قاموا بتحلية واجهته مما يلى الروضة بكثير من التقسيمات الرخامية البديعة (٦) كما يبدو من صورته شكل (٥٩) ، ودخلته غير عميقة بسبب

---

(١) أنظر موضعها من مخطط المسجد النبوى فى عمارة السلطان عبد المجيد شكل (٢٩) المنقول عن مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤١ .

(٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤٦ كان عدد هذه القباب غير القبة الكبيرة سبع قباب ، وعن مواقعها من المسجد أنظر أعلاه ص ٣٦٣ الحاشية رقم ٢ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٠ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣٧٨ .

(٦) يذكر توفيق أحمد عبد الجواد فى تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، ص ١٣٠ أن المحاريب المملوكية كانت " ميدانا لابداع فن الموازييك الرخامى كما أنها كانت تصنع من الرخام الملون والصدف " .

وضعه مكان الصندوق الذى كان علامة للمصلى الشريف .[1] وكتبوا تاريخ عمارته فى لوح رخامى يوجد الآن بظهر المحراب النبوى الشريف ، منقوش فيه بخط بارز فى خمسة أسطر ما يلى : (أنظر اللوحة رقم "٦٦")

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
أمر بعمارة هذا المحراب النبوى الشريف العبد الفقير المعترف
بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف
أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه بتاريخ
شهر الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانماية من الهجرة النبوية

ويلاحظ على هذا النقش أن كاتبه لم يوزع الكلمات على الأسطر الخمسة بالتساوى ، فالسطر الأول به ٨ كلمات تتضمن ٣٩ حرفا والسطر الثانى به ٩ كلمات تشتمل على ٤٩ حرفا ، والسطر الثالث به ٥ كلمات تحتوى على ٣١ حرفا والسطر الرابع به ٧ كلمات تضم ٣٢ حرفا ، والسطر الخامس به ١٠ كلمات بها ٥٢ حرفا . ومن هذا يظهر أن النقاش وجد نفسه بعد استكمال السطر الرابع أمام عدد كبير من الكلمات لا يمكن توزيعها على سطرين ولابد له من جمعها فى سطر واحد مما ساعد على اختلاف شكل الحروف وطريقة توزيع الكلمات فى هذا السطر عن بقية السطور السابقة .

واهتم المرخمون أيضا بزخرفة المحراب العثمانى وترخيمه ، شكل (٦٠). ونقشوا الجزء العلوى من دخلته بطراز مذهب به كثير من الآيات القرآنية . ويمتاز المحراب العثمانى الذى لا يزال يحتفظ بعمارته الى الوقت الحاضر[2] عن المحراب النبوى بعمق دخلته بسبب استناده الى جدار القبلة الذى ساعد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ١ ص ٣٧٨ .
(٢) أنظر أدناه ص ٣٨٩ .

سمكه على تعميق دخلة المحراب[(١)] . وزخرفوا أيضا محراب الحنفية[(٢)] الذى كان متأخرا عن المحراب النبوى[(٣)] . " وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار القبلى "[(٤)] . وألبسوا الدعائم المحدثة فى المواجهة الشريفة من داخل المقصورة الشريفة وخارجها رخاما بديعا . ثم ألبسوا الحجرة الشريفة الستارة المرسلة من قبل السلطان[(٥)] .

وعند الانتهاء من تجديد رخام جدران الحجرة الشريفة " أزالوا البناء الذى عمله أهل المدينة فى موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة ، وأبدلوا ما يلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس ، وأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد "[(٦)] . ثم ذكر السمهودى بعد ذلك أنهم جعلوا لبقية الحجرة " من جهة الشام وما اتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد المشاجر ، وأعلاه شريط النحاس أيضا[(٧)] ، وأحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك ، جعلوه فاصلا بين الرحبة التى خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها ، وبها بعض المثلث المذكور ، وبه بابان أحدهما

---

(١) كانت فكرة تعميق المحراب من الأسباب التى دعت الى هدم جدار القبلة .

(٢) عن هذا المحراب أنظر أعلاه ص ٣٠٣ . وقد ذكر السخاوى فى التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٦٠ هذا المحراب ضمن المحاريب الموجودة فى زمنه . ولما كان المحراب المذكور من أجزاء المسجد ابان عمارة قايتباى لذلك رجحت ترخيمه أيضا .

(٣) عن أسباب تقديمه بمحاذاة المحراب النبوى أنظر أدناه ص ٣٨٩ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٢ .

(٥) ذكر السمهودى فى نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٤٦ وجود كسوة على الحجرة الشريفة عند تجديد القبة سنة ٨٩٢ هـ لذلك فاننى أعتقد بوجودها قبل ذلك بما يتفق والواقع والمنطق ، لأن الكسوة القديمة احترقت سنة ٨٨٦ هـ .

(٦) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤٢ .

(٧) المعمول على شكل ورق الشجر كما فى اللوحة رقم " ٦٧ ، ٦٨ " .

عن يمين المثلث والآخر عن يساره ، وصار هذا المشبك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامى وما يقابله . وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة ، وأبوابها بأبواب الحجرة ، وما يعلق بسقفها بقناديل الحجرة (١) .

وكان السلطان قايتباى قد احتفل بهذه المقصورة فى شعبان من سنة ٨٨٨ هـ قبل ارسالها الى المدينة ، وجاء أنها نصبت أمامه بحوش قلعة القاهرة وأن زنتها أربعمائة قنطار من الحديد ، وأنها حملت الى المدينة المنورة على سبعين جملا (٢) . وورد كذلك أن السلطان أرسل معها مصحفا كبيرا حمل على جمل وحده ، وقد قال عنه ابن اياس " انه من النوادر ، كتبه شاهين النورى ، ومات ولم يكمله ، فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق الى الآن (٣) فى الحجرة الشريفة " (٤) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦١٢ ، ٦٤٢ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٩٧ . وقد عد البتنونى هذا المشبك مصنوع من نحاس ، وهو خطأ كما يبدو من حالها الآن وكما صرح به السمهودى وابن اياس . أنظر الرحلة الحجازية ، ص ٤٤٦ .

(٢) يعتبر هذا الاحتفال تقليدا لما قام به الظاهر بيبرس فى أول حكمه لمصر عندما كان يحتفل بارسال الات عمارة المسجد التى قام بها . أنظر أعلاه ص ٢٢٦ .

(٣) الى زمن ابن أياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . وقد تعرض السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٦٨ - ٦٧٠ لتاريخ المصاحف المرسلة الى المسجد النبوى . وذكر البرزنجى فى نزهة الناظرين ، ص ٧٤ أن فى المسجد الشريف فى زمنه " عدة مصاحف مذهبة بخطوط نفيسة موقوفة بعث بها الملوك من سائر الجهات وأرباب الحشمة والخيرات " . وذكر على بن موسى فى وصف المدينة المنورة ص ٧٠ - ٧١ أن " فى الحجرة المعطرة من جهة الرأس الشريف بين الستر والشبكة صندوق عليه كسوة ، من الحرير الثقيل فيه المصحف العثمانى بالخط الكوفى وهو الذى يعرف بالأم ؟ لأنه من الأربعة المكتوبة فى زمن سيدنا عثمان وهذا بقى والمشهور أن دمه عليه ، لا يفتح الا فى شدة الكرب - كما تقدم - وهو على رق غزال ، ونسخة ثانية بخط سيدنا على بن أبى طالب " .

ويتألف مشبك الحجرة من تسع عشرة قطعة ، تسد الفراغات الحادثة بين الاسطوانات والدعائم التى يحيط بعضها بالحجرة الشريفة ويفصل بعضها الآخر بين بيت عائشة وبيت فاطمة رضى الله عنها . وهى محكمة الوضع مما يدل على أن صنعها كان بعد أخذ القياس الدقيق للبعد الحقيقى بين الاسطوانات والأكتاف .

وقد نقش بأصل المشبك المذكور بطريقة التفريغ بخط ثلث جميل ، نقشان متشابهان الى حد كبير يقع أحدهما فى المشبك الغربى للحجرة الشريفة المطل على الروضة الشريفة بين الاسطوانتين اللتين كتب عليهما خطأ اسطوانة الوفود واسطوانة المحرس،(١) وذلك بين جامتين فى احداهما لفظ الجلالة وفى الأخرى اسم النبى عليه السلام . وهو فى ثلاثة سطور بخط متشابك جميل يصعب قراءته على غير المتمرسين ونصه : (أنظر اللوحة رقم "٦٧")

أنشا هذه المقصورة الشريفة مولانا وسيدنا
السلطان أبو النصر قايتباى تقبل الله منه
فى عام ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية

ومكتوب بطريقة التفريغ أيضا فى شرافات هذا الجزء من المشبك شهادة التوحيد " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

ويلاحظ على هذا النقش التأسيسى أن النقاش قد وازن بين توزيع الكلمات على الأسطر الثلاثة التى يتكون منها النص المذكور ، فالأول به ٦ كلمات متضمنة ٣٤ حرفا والثانى به ٧ كلمات مشتملة على ٣٣ حرفا والثالث به ٨ كلمات محتوية على ٤٠ حرفا .

---

(١) أنظر أعلاه ص ٦٣ .

ويقع النقش الآخر فوق الباب الشمالي للمقصورة الشريفة ، المعروف بباب الأغوات لدخولهم منه الى الحجرة الشريفة (١) ، وذلك فيما يلي بيت فاطمة رضي الله عنها أمام ركن دكة الأغوات . وهو بكتابة متقنة مفرغة متشابكة بأصل مشبك الحديد ، وذلك في سطرين فوقهما شبه شباك صغير مقسم بمربعات كونتها قضبان حديدية متداخلة على شكل الخشب المخروط على يمينه شهادة التوحيد " لا اله الا الله " وعلى يساره تكملة الشهادة " محمد رسول الله " وكل منهما داخل جامة مستطيلة وتحت ذلك كله اللوحة التأسيسية المفرغة لهذا المشبك في سطرين نصها كالتالي :(أنظر اللوحة رقم "٦٨")

أنشا هذه المقصورة الشريفة السلطان الملك الأشرف أبو
النصر قايتباى عام ثمان وثمانين وثمانمايـة

وتنقص هذا النص بعض الكلمات التي شملها النص السابق (٢) ، بيد أنه قد روعي عند ترتيب كلماته ، الطريقة التي استخدمت في النص السابق ، فالسطر الأول به ٨ كلمات تحتوي على ٤٣ حرفا والثاني به ٦ كلمات تتضمن ٣٥ حرفا .

ولا يعرف ما اذا كان اللون الأخضر الذي يشاهد في الوقت الحاضر على مشبك الحجرة هو نفس اللون الذي دهنت به في عهد الأشرف قايتباى. على أن الغالب على الظن أنه قد استحدث في العهد العثماني عندما استخدموا اللون الأخضر في طلاء قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٥٣ هـ.(٣)

---

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٥١ .
(٢) عند مقارنة النصين ببعضهما وجدت أن الأول يزيد على الثاني بالكلمات التالية : " مولانا وسيدنا . . . . تقبل الله منه في . . . . من الهجرة النبوية " . ويزيد الثاني على الأول بكلمتين فقط هما " . . الملك الأشرف.. ".
(٣) البرزنجي : نزهة الناظرين ، ص ٧٧ .

ولهذه المقصورة أربعة أبواب " باب غربى فى الروضة يسمى باب الوفود أو باب الرحمة ، وفى جنوبه شباك التوبة " ، ولها باب آخر فى الجهة الجنوبية ، ويدخل اليها من باب فى الجهة الشرقية ، ومن باب آخر فيها فى الجهة الشمالية وهو الذى يدخل منه الأغوات لا يقاد الحجرة الشريفة (١) .
وقد عد أحمد ياسين الخيارى الجزء المحجوز حاليا بين حائز عمر بن عبد العزيز ومشبك الحديد المحيط بالحجرة الشريفة من زيادة قايتباى فى الحجرة الشريفة (٢) . بيد أن ما قام به الأشرف قايتباى فى هذا الصدد لم يكن الا تقليدا لما سبق اليه الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨ هـ عندما أحاط الحجرة الشريفة بدرابزين من الخشب المخروط حل محله مشبك الحديد الذى أحدثه الأشرف قايتباى .

وعن أبواب المسجد الرئيسية ، التى احتفظت بعددها ومواضعها فى هذه العمارة ، يلاحظ أن السمهودى لم يذكر شيئا عن مصاريعها ، على أنه ما من شك فى أنها كانت على شاكلة باب السلام الذى وصفه محمد لبيب البتنونى أثناء أدائه الحج فى معية خديوى مصر عباس الثانى ، اذ يذكر " وقد رأيت له بابا كان أرسل من مصر أثناء هذه العمارة ووضع على باب السلام ، ولما وسع هذا المدخل فى عمارة السلطان عبد المجيد نقلوه الى الباب المجيدى . وهو من الخشب الثمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة أو المكتوبة ، بل هو من أفخر ما يرى الناظرون فى الصناعة المصرية

---

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٥١ ، البتونى : الرحلة الحجازية ، ص ٤٤٦ .
(٢) تاريخ مساجد المدينة المنورة ، ص ٦ ونص عبارته " ويعتبر الممر العام فى داخل الحجرات من زيادة قايتباى " .

القديمة التى قبرت من عهد بعيد "(١).

وكان بالمسجد الشريف الى جانب هذه الأبواب الرئيسية عددا من الأبواب الصغيرة فتحت فى الجدار الغربى بين باب السلام وباب الرحمة كان الدخول منها الى المدرسة والرباط اللذين أحدثهما الأشرف قايتباى فى هذا الجانب من المسجد.(٢) أما حواصل المسجد فكان أهمها قبة الصحن التى يذكر السمهودى عنها ان غالب ماكان يوضع فيها فى زمنه هو " زيت وقود المسجد"(٣). وكان أمام كل من منارات المسجد الأربع خزانة " الا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى ، بخلاف المنارتين الشاميتين فانه محدث "(٤). أنظر شكل (٦١).

وذكر السمهودى بعد ذلك عدد من الحواصل منها خزانة صغيرة بجانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية " يضع بعض الخدام فرشهم فيها ، وربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد ويليها فى جهة المغرب أيضا حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج وبعض آلات المسجد"(٥). ثم ذكر أنه يقابل ذلك فى جهة المشرق مما يلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخدام أيضا ، والى جانبها خزانتان احداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها ، والثانية بيد الخدام أيضا ، وفى جهة المشرق قريبا من باب جبريل بينه وبين باب

---

(١) محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٤ . وكان بودنا لو دون ما كان به من كتابات ووصف لنا نقوشه خاصة وأن الباب المذكور قد زال فى التوسعة السعودية .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٣ ، ٦٨٠ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .
(٤) نفس المصدر، جـ٢ ص٦٨ وذكر أن أول من أشار الى أنهما محدثتان هو ابن فرحون المتوفى ٧٦٩ هـ .
(٥) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .

النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم ، وبعض فرشهم وأمتعتهم".(١)

وجاء أيضا أن في غربي المسجد بين باب الرحمة وباب السلام " حاصل يوضع فيه النورة ، يعرف بابه بخوخة أبي بكر رضى الله عنه".(٢)

ويبدو من ذرع السمهودي لارتفاع المسجد من داخله وخارجه بعد خفض أرض مقدم المسجد ، فرق ستة أذرع (٣) أي نحو ثلاثة أمتار وهو فرق كبير لا يشرحه احتمال وجود ستارة فوق سطح المسجد ، ولا ارتفاع مستوى أرض المسجد وما يتبعه من ارتفاع الأبواب عن مستوى الأرض المحيطة بالمسجد . مما يدعو الى الاعتقاد بأن هناك خطأ في الذرع أو في النسخة المحققة .

ورغم بعض المآخذ التي أخذت على ابن الزمن (٤) فلم يكد عام ٨٨٩ هـ يشرف على الانتهاء حتى اكتملت عمارة المسجد الشريف على الصورة التي تقدم ذكرها . أنظر شكل (٦٢) ، وعاد حجاج العام المذكور الى دمشق

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٨١ .

(٣) ذكر السمهودي في نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٨٥ أن " بين أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثاني اثنان وعشرون ذراعا ... وذرع مابين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية وعشرون ذراعا" .

(٤) ذكر السمهودي في المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٣ أن ابن الزمن عزم على اتخاذ الدور الواقعة في مقدم المسجد لبناء مدرسة ورباطا للسلطان ، وما ظهر بسبب ذلك من معارضة وفتوى شرعية من فقهاء المدينة والقاهرة ، وأضاف أيضا في ص ٦٦٥ ، ٦٦٦ ادخال الدواب الحاملة لالات العمارة الى المسجد النبوي واستخدام صحنه لأعمال النجارة والنشارة والحجارة وهي أعمال ينتج عنها صوت يؤذي الرسول (ص) وهو ما يتعارض مع الأثر الثابت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند ما قالت لاحدى أمهات المؤمنين وهي تسمر باب حجرتها "لا تؤذوا رسول الله (ص)" . ثم ذكر السمهودي أيضا في ص ٧١٥ مماطلة ابن الزمن في تنفيذ أوامر السلطان بسد خوخة آل عمر رضى الله عنهم .

كما يذكر ابن طولون بأخبار العمارة التى اكتملت " على أحسن حال "[(١)]. ومع أنه ظهر فى بعض أجزاء المسجد بعض الخلل بعد الانتهاء من عمارته مباشرة ، الا أنه لا خلاف فى أن ابن الزمن قد اجتهد فيما بذل وغاية الجهد فى اتقان ماقام به من أعمال بما يتفق وقداسة المكان الشريف من جهة ، وتحقيق رغبة السلطان فى الفوز بالثواب والثناء من جهة أخرى .

واذا اعتبرنا المدرسة[(٢)] والرباط ، اللذين أنشئا غربى المسجد فيمابين باب الرحمة وباب السلام ، واللذين زامنت عمارتهما عمارة المسجد الشريف ، من الملحقات الضرورية لعمارة المسجد فى ذلك الوقت ، وكذلك المنارة ، التى أقيمت بجوار باب الرحمة ، والتى كانت الى جانب منارات المسجد الأخرى ، تقوم بابلاغ نداء الحق الى أحياء المدينة الواسعة ، فان جملة ما تكلفته العمارة " نقدا وأثمان آلات وبهائم وغير ذلك مائة وعشرون ألف دينار[(٣)] ، وذلك عدا أثمان الكتب الموقوفة على المدرسة الأشرفية والمسجد الشريف وما وصل فى نهاية سنة ٨٨٩ هـ من ريع الوقف الذى وقفه قايتباى فى سنة ٨٨٥ هـ على سكان المدينة ، صحبة مندوب السلطان من أحمال " الحب

---

(١) تاريخ ابن طولون ، ورقة ١٤ أ .
(٢) ذكر عبد الغنى النابلسى فى رحلته التى قام بها سنة ١١٠٠هـ ، جـ ٣ ص ٧٨ عن مدرسة قايتباى أنها كانت " على شكل القاعة بأربعة أواوين كلها بالأحجار المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر وفى وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش ، مرتفعة يصعد اليها بدرج ودهليز مبلط وشبابيك مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة ، وفيها الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام " .
(٣) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ .

والدقيق والقدور النحاس التى جعلت برسم السماط"[1] الذى أقامه قايتباى على سكان المدينة .

ويعتبر ما حمله مندوب السلطان الى المدينة احتفالا بانتهاء العمارة ، وكان السلطان رغبة فى مساعدة أهل المدينة ، قد قرر أمر السماط المذكور . وقد صرف مندوبه " لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله ، لكل نفر سبع أردب مصرى ، وسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد ، وجعل للأفاقين[2] ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة[3] فى كل يوم ، وقرر أمر المدرسة ، وصرف للمرخمين وغيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم"[4] .

بيد أنه لم تكد تكتمل فرحة السلطان باتمام عمارة المسجد الشريف حتى أخذت تتوالى عليه الأخبار بما طرأ على العمارة من خلل ونقص فى بعض جوانبها ، وكان أول ذلك ما ذكرته من قبل من مطالعة السلطان فى عام ٨٨٩هـ باستخدام النيلة فى طلاء بعض سقوف المسجد الشريف ، مما دعاه الى ارسال

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ ، ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢١١ ، ويقصد بالسماط هنا الطعام الذى يقدم فى كل يوم من أيام السنة .

(٢) هم المجاورون القادمون من أطراف الأرض . أنظر أعلاه ص ٣٣٧ حاشية رقم ٣ .

(٣) الجشيشة أو الدشيشة . طعام رقيق من قمح مدقوق . أنظر ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ ١ ص ٢٨٣ .

(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٥ ، السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٦ ص ٢٠٧ .

فريق من الدهانين مزودين باللازورد وما يحتاجون اليه من الأساقيل[(١)] وأمرهم باستخدام هذا الطلاء بدلا من النيلة التى كانت مستخدمة فى بعض سقوف المسجد الشريف[(٢)].

وعلم كذلك أنه حدث تشقق بالقبة التى بنيت فوق الحجرة الشريفة ، رغم ترميمها وأن سبب ذلك تساهل ابن الزمن فى استخدام مؤنة غير صالحة عند عقد هذه القبة ،[(٣)] وأن المنارة الرئيسية التى جددت هى الأخرى فى هذه العمارة قد مالت.[(٤)] فزاد ذلك من حنق السلطان على ابن الزمن[(٥)] ، مما أدى الى انتداب الأمير شاهين الجمالى لاصلاح ما طرأ من عيوب " وفوض اليه مشيخة الحرم ونظره ونظر السماط ".[(٦)] وكان الأمير المذكور ، كما يقال ، على درجة كبيرة من الفضل والنبل والذكاء ، وقد عقد فور وصوله المدينة فى موسم ٨٩١ هـ مجلسا ضم أهل الخبرة وكبار المدينة واقتضى رأيهم بعد بحث وتقص لأسباب الخلل " هدم المنارة الرئيسية وهدم أعالى القبة المذكورة "[(٧)]. ولابد أن السلطان قد منح هذا الأمير المملوكى امكانيات ضخمة وصلاحيات واسعة للتصرف بما يكفل العلاج اللازم ، وهو ما يدل عليه الجمع له بين الوظائف الثلاث مشيخة الحرم النبوى ونظارة الحرم ونظارة السماط .

---

(١) الأساقيل جمع سقالة .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٥ .
(٣) عن براءة ابن الزمن من هذه التهمة أنظر أعلاه ص ٣٦٣ .
(٤) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .
(٥) كان خاطر السلطان قد بدأ يتغير على ابن الزمن عندما ماطل فى تنفيذ مراسيمه بخصوص سد خوخة آل عمر .
(٦) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

وفور انتهاء موسم الحج شرع فى هدم المنارة المذكورة ، وقد تبين أن السبب فى ميلانها هو عدم كفاية حفر أساسها ، فحفر أساسها من جديد "حتى بلغ به الماء ، واتخذ لها أحجارا من الحجر الأسود متقنة ، أحكم بناءها مع الحسن الفائق ، بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها "(١) وجاء أنه زاد فى طولها عشرين ذراعا . بحيث أصبحت مائة وعشرين ذراعا (٢). وزاد أيضا فى عرض بعض جدرها (٣)، وأعاد بابها الى جهة المغرب (٤) واستغنى عن درجة بعد خفضه بمستوى أرض المسجد . وحرص عند هدم المنارة المذكورة وبنائها على حجب منطقة العمل بستارة من الخشب صيانة للمسجد من الأتربة والغبار وعدم اشغال المصلين والزائرين " بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به " (٥). وصان المسجد أيضا " من الامتهان بعمل أرباب الصنائع " (٦)، وذلك باستحداث درج من الخشب (سقالة) بأصل الجدار الشرقى يصعد عليه العمال الى منطقة العمل فى المنارة والقبة .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٦ ، ابن حجر الهيثمى : تحفة الزوار ، ص ٩٥ .

(٢) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٢٧ وقد ذكر عند حديثه عن ذرع منائر المسجد أن قياسه لها كان من أعلى أهلتها الى الأرض ، مما يفيد بأن وجود الأهلة بمنائر المسجد الشريف كان من ذلك الوقت وربما أقدم من ذلك بكثير .

(٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ص ٥١ .

(٤) يذكر السمهودى فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤١ أن بابها كان قبل عمارة شاهين لها سنة ٨٩٨ هـ متجها الى الشام وتحته أربع درج وفى جانبها الغربى فتح باب لجلوس الخطيب فيه قبل خطبة الجمعة ، ويبدو أن احداث بابين فى جزء المنارة الأسفل يضعف من متانتها وقوتها مما دعا الى اعادتها بباب واحد يستخدم لتحقيق الهدفين السابقين معا .

(٥) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

(٦) السمهودى : نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .

ولا تزال المنارة الرئيسية لحسن الحظ محتفظة بعمارة الأمير شاهين لها الى الوقت الحاضر ، مما يساعد على تتبع تفاصيلها المعمارية والفنية وتعميم تلك الخصائص على منائر المسجد الأخرى .

وتتكون هذه المنارة من قاعدة مربعة تبرز زاويتها الشمالية فى الركن الشرقى الجنوبى من المسجد الشريف ، ويرتفع بدن المنارة فوق سطح المسجد بشكل مربع وفى كل جانب فتحة مستطيلة فى طول الجدار بقصد الاضاءة ، يعلوها أربع فتحات أكبر منها على شكل أبواب مقنطرة ، أمامها شرفات صغيرة محمولة على مقرنصات متدرجة . ويعلو هذا البدن المربع شرفة مربعة أيضا ، تزينها المقرنصات الجميلة وتنتهى بشرافات صغيرة أكبرها ما يعلو أركانها الأربعة .

ويأخذ بدن المنارة بعد هذه الشرفة شكلا مثمنا تزينه خطوط سوداء متكسرة تحيط بالبدن المثمن . ويعلو ذلك شرفة مثمنة محمولة على مقرنصات متعددة تنتهى بدرابزين من الحديد . ويشرف على هذه الشرفة باب مقنطر تعلوه ست فتحات مقنطرة أيضا تحتل أضلاع بدن المنارة الستة ، ومن ثم يأخذ بدن المنارة شكلا مستديرا بعد الفتحات الست ، وذلك بزيادة أضلاعها الى ستة عشر ضلعا تنتهى بشرفة ثالثة محمولة على مقرنصات أيضا فوقها درابزين من الحديد . ويعلو الشرفة فتحات مقنطرة فوقها الشرفة الرابعة التى ترتكز عليها خوذة القبة ، يعلوها مربع به أربع فتحات تعلوه خوذة مصغرة يتوجها الهلال الذى يرتفع عن الأرض بمائة وعشرين ذراعا (١) .

ومن هذا الوصف يتبين أن هذه المنارة تشترك رغم ما طرأ عليها من تحسينات فى كثير من صفاتها من المآذن المملوكية التى امتازت بصفة عامة

---

(١) أنظر أعلاه ص ٣٧٩ .

" برشاقتها واعتدال ارتفاعها وأن معظمها ذو قاعدة مكعبة بدن مثمن وذروة علوية اسطوانية الشكل ". (١)

أما القبة فيبدو أن ما أصابها من خلل اقتصر على جزئها العلوى ، وقد عمل العمال ، الذين قاموا بتجديدها ، على اقامة سقف على عوارض بأصل الطاقات التي كانت بجوانب القبة ، يمنع سقوط ما يتهدم منها الى أرض الحجرة الشريفة . (٢) ثم أعادوا بناء ما تهدم من أعلى القبة وقد قصروا من ارتفاع محدبها ، واستخدموا الجبس في تثبيت قوالب الآجر وعادت " القبة حسنة مع الاتقان (٣) الجيد .

ونقل البرزنجي عند حديثه عن أصل الفتحة التي بأعلى القبة الخضراء مما يلى القبلة عن السمهودى . " أن الشجاعي شاهين الجمال لما بنى أعالى القبة الخضراء اتخذ في ذلك كوة عليها شباك حديد ثم فتح كوة في محاذاتها بالقبة السفلى المتخذة بدل سقف الحجرة الشريفة ، وجعل على هذا شباكا أيضا وجعل على هذا الشباك بابا يفتح عند الاستسقاء للجدب". (٤)

---

(١) توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، جـ ٣ ص ١٣٠.
وأنظر محمد مصطفى نجيب : العمارة فى عصر المماليك ص ٢٣٩ .
(٢) السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٦ .
(٤) نزهة الناظرين ، ص ٧٨ . لم أجد ذلك عند السمهودى فى النسخة المحققة ، ولكنى وجدته فى المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٦٠ يتحدث عن قول عائشة رضى الله عنها افتحوا بين القبر والسماء كوة ، وعما نزل بسبب ذلك من الأمطار . ثم ما ذكره المراغي من عادة أهل المدينة فى فتح الكوة بعد الجدب . وقال السمهودى عقب ذلك وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك ".

ومن الأعمال التى تنسب الى الأمير شاهين الجمالى فى المسجد النبوى ما ذكره السمهودى عن تمييزه حدود المسجد النبوى الأول اذ يذكر أنه " لما اتضح ذلك للمقر الشجاعى شاهين الجمالى ناظر الحرم الشريف النبوى وشاد عمائره وشيخ خدامه ، اتخذ لأعالى الاسطوانة الخامسة من المنبر فى صف الأساطين التى فى قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف منقوشا فيه " ان ذلك هو الذى استقر عليه الأمر فى نهاية المسجد النبوى وحده ".(١)

ولم يمض على العمارة التى قام بها الأمير شاهين الجمالى وقت طويلا ، حتى أصابت صاعقة فى التاسع عشر من شهر صفر سنة ٨٩٨ هـ " جانبا من المنارة الرئيسية ، فسقط على سطح المسجد بعض أحجارها ، بحيث خسف بعض المبانى التى علو موقف الزائرين ".(٢) وسلم المسجد من الحريق بسبب خلو منطقة سقوط الصاعقة من الأخشاب.(٣)

وبادر شيخ الحرم وناظره الأمير شاهين الجمالى بتنظيف آثار الصاعقة وكتب للسلطان بأمر الحادث ، ثم شرع فى اصلاح " ما أمكنه من ذلك ، وترك الباقى الى مجىء مهندسها أو غيره "(٤) ممن له دراية بالعمل . ولحسن الحظ لقد كانت الآثار طفيفة جدا بحيث أمكن اصلاحها فيما بعد فى وقت قصير جدا . ويعتبر ذلك خاتمة الأعمال فى عهد الأشرف قايتباى ، بل فى عهد الدولة المملوكية كلها . فلم يتمكن أحد السلاطين الذين تولوا عرش مصر بعد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٥٧ . وقد أعيد هذا الطراز فى العمارة العثمانية فى مقدم المسجد النبوى ونقش بأعلى الاسطوانات المذكورة " هذا حد المسجد النبوى ". أنظر البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٣٧ ، ولا يزال ذلك موجود الى اليوم .

(٢) السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ص ٢١٢ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(٣) ذكر السمهودى أنه كان بهذا الجزء من سطح المسجد " قبة لطيفة وحولها ثلاث أخر تسمى مجاريد " وبجوار المنارة بادهنجا للضوء . أنظر أعلاه ص ٣٦٣

(٤) السخاوى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٢ .

قايتباى من القيام بأى عمل يذكر فى المسجد النبوى الشريف حسب المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل السبب هو أن الدولة المملوكية قد انتهى عهدها على يد العثمانين سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م أى بعد خمسة وعشرين سنة فقط من آخر عمارة مملوكية بالمسجد النبوى .

. . . . . .

المبحث الرابع

ما تبقى من عمارة وأثاث المسجد النبوي
في العصر المملوكي

المبحث الرابع

ما تبقى من عمارة وأثاث المسجد النبوي في العصر المملوكي

أولا : بقايا عمارة الأشرف قايتباى :

مضى على آخر ما قام به قايتباى في المسجد النبوى الشريف من تعمير واصلاح أكثر من خمسمائة عام[(١)]، ومع ذلك فما يزال في المسجد لحسن الحظ بقايا من أثاث المسجد وعناصره المعمارية ، التي كانت ومازالت تزين بعض جوانب المسجد الشريف منذ ذلك الوقت ، رغم ما شهده المسجد النبوى في العصر العثماني من أعمال وتجديدات كان أولها عمارة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٦ هـ[(٢)] وآخرها وأهمها ما قام به السلطان عبد المجيد خان في العمارة الكبيرة التي استمرت من سنة ١٢٦٥ الى سنة ١٢٧٧ هـ[(٣)].

أ - الحجرة الشريفة :

تعتبر عمارة الحجرة الشريفة وما يحيط بها من أهم الأبنية المتبقية حتى الآن من آثار العصر المملوكي ، وقد ذكر ذلك كل من البرزنجي وعلى بن موسى الذى قال : " وأما الحجرة المعطرة فأعلم أنه ما تغير من وضعها القديم شيء في هذه العمارة الأخيرة"[(٤)]. ويرى ذلك أيضا البتنوني وابراهيم رفعت باشا وعبد القدوس الأنصاري[(٥)]، ولعل بقاء مشبك الحديد الذى يحيط بها الى الآن وما به من كتابات صريحة مما يؤيد كذلك بقاءها محتفظة بعمارة

---

(١) كانت عمارة قايتباى الأخيرة التي حدثت عقب صاعقة سنة ٨٩٨ هـ آخر عمارة للمسجد النبوى في العصر المملوكي كما أسلفت ، ويذكر البرزنجي في نزهة الناظرين ، ص ٢٢ أنه مضى عليها الى زمنه أكثر من أربعمائة سنة .

(٢) محمد بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة ص ٩٠.

(٣) البرزنجي : المصدر السابق ص ٤٤ ، على بن موسى : وصف المدينة المنورة ص ٥٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ ، وصف المدينة ص ٦٥ .

(٥) الرحلة الحجازية ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ومرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٦٦ ، وآثار المدينة المنورة ص ٩٦ .

قايتباى لها الى الوقت الحاضر .(١)

ولا تزال القبة محتفظة أيضا بعمارة قايتباى لها الى الوقت الحاضر فيما عدا بعض الاصلاحات التى حدثت لها فى عهد السلطان العثمانى محمود الثاني ، وذلك لأنه قد حصل بمحدبها شقوق فى سنة ١٢٣٣ هـ " فورد أمره الشريف بتجديدها فهدموا أعاليها وأعادوها فى غاية الاحكام والاتقان ".(٢) وقد أمر هذا السلطان بدهنها باللون الأخضر سنة ١٢٥٣ هـ .(٣) وقد تشكك عبد القدوس الأنصارى فى بقاء هذه القبة محتفظة ببعض جوانبها التى شيدت فى عهد الأشرف قايتباى الى الآن .(٤) بيد أنه يتبين من مراجعة النصوص

---

(١) أنظر أعلاه ص ٣٦٩ .

(٢) البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٧٧ ، على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، ص ٦٦ حيث ذكر أن أمر السلطان المذكور ورد الى القائم بأمر الحرم الشريف فى عهده ، ثم ذكر طريقة هدم أعالى القبة واصلاحها فقال : انه أدخل الخشب من فتحات القبة التى تحيط برقبة القبة ثم غطاها بما منع من نزول التراب الى الحجرة المعطرة " وشرع فى تنزيل القبة الخضراء مع كمال الأدب حتى وصل الى الكبوش (؟) ، أختار بناءها من الطوب الكبير المربع بالخزج (؟) القوى فطويت فى أسرع وقت على وضعها الموجود الآن ". وذكر فى ص ٦١ أن القبة قبل هذا الاصلاح كانت من الخشب وملبسة بألواح الصينى الأخضر ، مما يتعارض مع النصوص التى ذكرت بناءها بقوالب الأجر فى عهد الأشرف قايتباى . لذلك يعتقد أنه اعتمد على ما ذكر من وضعها قبل الحريق الثانى . واما تلبيسها بالصينى الأخضر فحدث فى أول العصر العثمانى لأن اللون الأخضر كانت له السيادة عند العثمانيين .

(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٤) آثار المدينة المنورة ، ص ١٠٧ .

التى اعتمد عليها أنها لا تشير صراحة الي هدم القبة بكاملها [١] . بل ان ابراهيم رفعت باشا وهو مصدره الأول يذكر أن عمارة السلطان عبد المجيد التى انتهت سنة ١٢٧٧هـ قد " تناولت المسجد كله خلا المقصورة وما فيها" [٢] .

أما النص المنقول من مرآة الحرمين لأيوب صبرى والذى يتضمن هدم القبة والحجرة معا [٣] ، فان ما يذكره البرزنجى وعلى بن موسى من تجديد السلطان

---

(١) النصان اللذان اعتمد عليهما : أحدهما فى مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا ، ج١ ص ٤٦٥ حيث جاء" وفى سنة ١٢٣٣ هـ بنى السلطان محمود القبة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر سنة ١٢٥٥ هـ" ، والنص الثانى للبتنونى فى الرحلة الحجازية ص ٢٤٥ حيث يذكر أنه " فى سنة ١٢٣٣ هـ بنى السلطان محمود القبة الشريفة ، ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر فى سنة ١٢٥٥هـ" ويبدو مما ذكره البتنونى أنه منقول بنصه عن ابراهيم رفعت باشا . ومع ذلك فالفعل "بنى" فيما ذكره ابراهيم رفعت باشا يتعارض مع ما يذكره فى آخر عبارته من أن السلطان" أمر بترميمها ودهانها" اذ الترميم يعنى اصلاح ماهو قائم فعلا .

(٢) مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٤٦٦ .

(٣) ذكر الأنصارى فى آثار المدينة ، ص ١٠٧ ترجمة ملخص النص الوارد فى مرآة الحرمين الذى قال عنه أنه " أكمل تأليفه باللغة التركية فى سنة ١٢٩٦هـ وطبع فى الأستانة فى سنة ١٣٠٠ هـ" أنه " فى عهد السلطان محمود خان الثانى وجد فى القبة الخضراء تشقق ، وذلك بسبب عدم متانة جدرانها وعدم متانة حزامها العلوى ، فأمر السلطان محمود بهدمها من قواعدها ، وبناها على قواعد متينة ورفع بناها الحالى" . ثم قال الأنصارى بعد ذلك " ويؤيد أن القبة الخضراء الحالية عثمانية البناء هذا الهلال الموضوع فوقها ، وهو شعار الدولة العثمانية كما هو معروف" . والهلال المذكور هو مما أحدث أثناء تجديدها فى عهد آل عثمان . بيد أنه وان كنت لم أجد من يشير الى وجود مثل هذا الهلال بأعلى القبة المذكورة أثناء عمارتها فى عهد السلطان قايتباى الا أن ما يذكره السمهودى من وجود هلال بأعلى القبة السفلى التى وضعت فوق القبور الشريفة فى العمارة الأولى سنة ٨٨١هـ ووجود أهلة على منارات المسجد الأربع يدعو الى الاعتقاد بأنه كان للقبة الكبرى هلال أيضا .

العثماني لجزئها العلوى أقوى من كل رأى آخر ، لأنهما كانا من سكان المدينة الذين يمتد برأيهم ، وفضلا عن ذلك فان لدينا دليلا ماديا يدعم ذلــــك ويقويه ، وهو بقاء كتابات تسجل اسم قايتباى على جدران القبة من الداخـــل شاهدها البرزنجى سنة ١٢٩٦ هـ أى بعد ثلاث وستين سنة من ذكر هـدم السلطان محمود الثانى للقبة كما ذكر أيوب صبرى.(١)

ويذكر البرزنجى أنه دخل من أحد شبابيك القبة فى سنة ١٢٩٦ هـ فرأى القبة كما يقول : " فى غاية الحسن والارتفاع مزينة بنقوش ظريفة عليها طـــراز فيه كتابات بخط جلى لم يمكننى الا قراءة ما قابلنى من جهتها الغربية وهـــو أنشأ هذه القبة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتبـــاى".(٢) وليس بعد ذلك الدليل المادى دليل آخر ،

بيد أن القبة بوضعها الحالى مزيج من العمارة المملوكية والتركية ، وان كان يغلب عليها اتصافها بالسمات المميزة للقباب المملوكية العالية الـــتى تختلف عن القباب العثمانية المنخفضة(٣) ، ويبدو ذلك واضحا عند مقارنتهـــا بالقباب الموجودة حاليا فى سطح مقدم المسجد والتى تمثلها الصورة رقم (٥٨). ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أنه لم يعد باق من اسطوانات العمارة المملوكية سوى اسطوانات الحجرة الشريفة وأكتافها الحاملة للقبة المذكورة ، واسطوانـــة لا يقوم عليها بناء تقع " على يمين الخارج من باب المنارة الرئيسية أمام الوجـــه الشريف"(٤) ، تركت عند هدم الاسطوانات المملوكية فى بقية المسجد فى عمـــارة

---

(١) نقل عبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة ، ص ١٠٧ عن أيوب صبرى قولـه أن السلطان محمود الثانى هدم القبة سنة ١٢٣٣هـ.
(٢) نزهة الناظرين ، ص ٧٠.
(٣) أنظر كمال الدين سامح : تطور القبة فى العمارة الاسلامية ، ص ٢٣.
(٤) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤٣.

السلطان عبد المجيد ، وهى تكاد تتساوى فى الطول مع الاسطوانات القائمة فى مقدم المسجد الآن ، الا أنها أقل منها فى الحجم. أما بقية الاسطوانات فهى عثمانية البناء.

ب - المنارة الرئيسية :

أما المنارة الرئيسية فتحتفظ بعمارتها المملوكية حتى الوقت الحاضر ويؤيد ذلك عدد من النصوص التي تعود الى فترات مختلفة، يثبت كل منها بناء المنارة فى زمنه على هيئتها القديمة ،فيذكر ابن حجرالهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤هـ عن عمارة الأمير شاهين الجمالى لهذه المنارة أنه " أعادها بالاتقان ورخمها كما ترى"[(١)] ، ويذكر على بن موسى المتوفى فى حدود سنة ١٣٢٠ هـ أن بناءها "على وضعه القديم من زمن قايتباي لم يتغير فيها شئ"[(٢)]، ويشير عبد القدوس الأنصاري الى أنها من بناء الأشرف قايتباى[(٣)]. ومع ذلك فمن المؤكد أنها قد تعرضت منذ عهد قايتباى لبعض الترميمات كما ذكر ذلك البرزنجي والأنصارى[(٤)] ، وكما يبدو فى الصورتين المرفقتين شكل (٥٨) من اختلاف شرافات الشرفة الأولى[(٥)].

---

(١) تحفة الزوار الى قبر النبى المختار ،ص ٩٥.

(٢) وصف المدينة المنورة ،ص ٦١. ومما يؤيد النصوص السابقة من حيث عدم تعرض هذه المنارة للهدم والبناء طيلة العهد العثمانى أن أحد المؤرخين المعاصرين لأول عمارة قامت فى المسجد النبوى فى عهد السلطان سليمان القانونى لم يشر فى رسالته " التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة " المنشور فى كتاب رسائل فى تاريخ المدينة ص ٨٥ - ٩٢ الى حدوث أدنى تغيير فى معالمها المملوكية الأصلية سوى تركيب الهلال الحالى فى حدود سنة ٩٤٦هـ كما صرح به فى رسالته" وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدنى" المنشورة فى الكتاب المتقدم ذكره ص ١٩٧.

(٣) آثار المدينة المنورة ص ٩٩ ، وأنظر أيضا على حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ٦٧.

(٤) نزهة الناظرين ص ٣٠ ، ٥٨ حيث يذكر أنهم جددوا بابها فى عمارة السلطان عبد المجيد للمسجد النبوى ، وأنظر آثار المدينة المنورة ص ٩٩.

(٥) عن وصف هذه المنارة أنظر أعلاه ص ٣٨٠.

جـ - المحرابان النبوى والعثمانى :

أما المحرابان النبوى ، لوحة (٥٩) والعثمانى ، لوحة (٦٠) هما " على بناء المرحوم الملك الأشرف قايتباى "[(١)]، لم يتغير منهما شيء سوى تمويههمـــا بماء الذهب ، ويتحليان بكثير من الآيات القرآنية كتبت بخط بارز جميل فـــى اطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحرابين .

ومما يدل على بقاء المحراب النبوى الى الوقت الحاضر على نحو ما كـــان عليه فى عهد قايتباى وجود نقش كتابى بظهره فى لوح رخامى مربع منقوش فيه بخط بارز نص تذكارى فى خمسة أسطر .[(٢)]

واحتفظ المحراب العثمانى كذلك بعمارة قايتباى له ، رغم تعرض الجدار الذى يقوم فيه للهدم أثناء عمارة السلطان عبد المجيد للمسجد النبوى وذلك " لأحكام بنائه ".[(٣)] أما المحراب السليمانى فقد بقى محتفظا بعمارة قايتباى له حتى سنة ٩٤٧ هـ عند ما ورد فى آخر تلك السنة صحبة أمير الحج المصرى مراسيم تقضى بتقديمه وتجديده . فشرعوا فى سابع عشر محرم سنة ٩٤٨ هـ ، " فى بناية محراب الحنفية وجعله بين المنبر وحد المسجد النبوى محاذيـــا لمحراب الشافعية ".[(٤)]

ونقش فى لوح رخامى بخط بارز فى خمسة سطور جمل فى ظهر المحراب المذكور النقش التالى : (أنظر اللوحة رقم " ٦٩ ")

---

(١) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ، ص ٦١ ، وأنظر البرزنجى : نزهة الناظرين ، ص ٤١ .
(٢) أنظر أعلاه ص ٣٦٨ .
(٣) البرزنجى : المصدر السابق ، ص ٤١ .
(٤) محمد بن خضر الرومى : التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وســـور المدينة الشريفة ص ٩٢ .

انشا هذا المحراب المبارك الملك المظفر
السلطان سليمن شاه بن السلطان سليم
خان بن السلطان بايزيد خان اعز الله
أنصاره بمحمد واله وسلم تاريخ شهر جمادى
الاولى سنة ثمان وتسعماية من هجرة النبوية

ويلاحظ أن التاريخ الوارد فى نهاية النص لا يقع فى عهد السلطان سليمان ابن السلطان سليم وهو ما يتجلى فيما يلى :

أولا : تقع سنة ٩٠٨ هـ فى عهد السلطان المملوكى قانصوه الغورى الذى حكم مصر من ٩٠٦ الي ٩٢٢ هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦ م وكانت له السلطة على الحجاز لا ينازعه فيها منازع .

ثانيا : من الثابت تاريخيا أن سلطة الدولة العثمانية على الحجاز بدأت بفتح العثمانيين مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م وليس قبل ذلك (١) .

ثالثا : تولى السلطان سليمان القانونى عرش الدولة العثمانية فى سنة ٩٢٦ هـ حتى توفى عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م (٢) .

رابعا : يذكر مؤرخ معاصر وهو ابن خضر الرومى أن المحراب السليمانى قدم من موضعه الأول الى محاذاة المحراب النبوى الشريف فى سنة ٩٤٨هـ (٣) .

ولعل الاختلاف الواضح بين طرازى المحراب النبوى والمحراب السليمانى دليل كاف على عثمانية المحراب الثانى فضلا عن أن النقش المذكور يتضمن اسم

---

(١) ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ص١٥٢ ، العصامى : سمط النجوم العوالى جـ٤ ص ٢٩٢ .

(٢) أحمد السعيد السليمانى : تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٤٥١ .

(٣) محمد بن خضر الرومى : التحفة اللطيفة ، ص٩٢ ويذكر حمد الجاسر عن هذا المؤلف فى تقديمه له فى ص ٢٢ من كتاب رسائل فى تاريخ المدينة انه كان قاضى الحنفية بالمدينة المنورة وأن عبد العزيز الاهوانى يرجع وفاته الى سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م .

السلطان العثمانى ، مما يكفى للدلالة على أنه لا يمت الى العصر المملوكى بصلة .

ويذهب البرزنجى ، الذى يبدو أنه لم يطلع على ما ذكره ابن خضر الرومى الى أن ذلك كان فى سنة " ثمان وعشرين وتسعمائة أو ثمان وثلاثين "(١). معتمدا فى الحالة الثانية على حدوث عمارة للسلطان سليمان فى سور المدينة سنة ٩٣٩ هـ ، بيد أننى أرجح أن ذلك كان مزامنا للعمارة التى تمت فى المسجد النبوى سنة ٩٤٨ هـ فى عهد السلطان المذكور على يد شيخ الحرم الشريف محمود جلبى(٢) ، وبذلك يكون قد سها النقاش عن كتابة " أربعين " بين " ثمان " و " تسعماية ". ولعل ضيق السطر واشتماله على سبع كلمات مجموع حروفها ٣٤ حرفا بغير واو العطف ولفظ " أربعين " وعدد حروفهما سبعة فى حين لا يزيد أى سطر آخر عن ٣٢ حرفا كانا مما ساعد على ذلك السهو ، وهو سهو محتمل جدا فى ضوء ما ذكرت .

ويتفق رقم الآحاد فى النقش وهو ثمانية مع رقم الآحاد فى التاريخ الذى يذكره ابن خضر الرومى ، مما يقوى الاعتقاد فى صحة ما ذهبت اليه ، وهكذا يؤيد النقش ، على مافيه من نقص ، تاريخ ابن خضر الرومى الذى يظن أنه توفى سنة ٩٤٨ هـ ، وينفى التاريخين اللذين ذهب اليهما البرزنجى المتوفى سنة ١٣١٧ هـ ، وهما ٩٢٨ و ٩٣٨ هـ ، وان كان يلفت النظر أن رقم الآحاد فى كل منهما يتفق ورقم الآحاد فى النقش كما يتفق ورقم الآحاد فيما يذكره ابن خضر الرومى فى تاريخه . ويغلب على الظن أنه قد فات المشرف على العمل ملاحظة النقص فى النقش والا لكان أمر بتغييره .

---

(١) نزهة الناظرين ، ص ٥٠ .

(٢) محمد بن خضر الرومى : التحفة اللطيفة ، ص ٩١ .

ومهما يكن من أمر فقد كان النقش المذكور بما يحتويه من تأريخ غير صحيح سببا لعدم الأخذ بالرأى السليم عند بعض المؤرخين المعاصرين . فأحمد ياسين الخيارى يعتمد على تأريخ النقش فى تأريخ اقامة المحراب (١) . ويشير عبد القدوس الأنصارى الى أن ذلك كان فى سنة ٩٣٨ هـ (٢) معتمد فى ذلك فيما يبدو على البرزنجى .

ثانيا : ما تبقى من أثاث المسجد النبوى فى العصر المملوكى :

أ - منبر الأشرف قايتباى وهو موجود الآن فى مسجد قباء :

ذكرت عند الحديث عن عمارة قايتباى الثانية تجديده للمنبر الشريف المحترق فى سنة ٨٨٦ هـ بمنبر من الرخام حل محل منبر الأجرّ الذى أقامه أهل المدينة بعد الحريق المذكور فى شهر رجب سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (٣) بيد أنه انحرف قليلا عن الوضع الذى كان عليه المنبر النبوى الشريف .

وكان منشأ هذا الانحراف الذى حذر منه السمهودى ، محافظة المكلفين بتركيبه على الوضع الذى كان عليه منبر المؤيد شيخ قبل الحريق الثانى ، والذى اختلف فى طوله وعرضه عن المنابر السابقة ، لأنه صنع أصلا لغير الموضع الشريف . وكان فى اتضاح موضع قوائم المنبر النبوى بعد قطع أرض مقدم المسجد فى عمارة قايتباى دليل كاف على وجوب التقيد به . الا أن ذلك لم يتم رغم وضوح الأدلة التى أدلى بها السمهودى فى هذا الصدد عند طلبهم ذلك منه (٤) فعمدوا الى نقض

---

(١) تاريخ مساجد المدينة الأثرية ، ص ١١ .
(٢) آثار المدينة المنورة ، ص ٩٥ .
(٣) أنظر أعلاه ص ٣٤٤ .
(٤) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٤١٠ .

الدكة التى كان عليها المنبر الأول " وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور[1] نحو ربع ذراع العمل[2] حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة ، وحرفوه على تلك الدكة لجهة الغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق ، وجعلوا هذا المنبر فى محل المحترق من جهة القبلة ومساو لطرفها الشرقى مما يلى القبلة أيضا ".[3]

وقد انتهى الجدال الذى قام على أثر تحريف المنبر على الصورة المتقدمة بتمسك القائمين عليه بصحة رأيهم والتصريح للسمهودى بأنه لا يعوّل على كلام الأئمة الذين احتج بأقوالهم[4] . وقد نتج عن هذا التحريف تغيير طفيف فى حدود الروضة .

ومهما يكن من أمر فان ما يهمنى هنا هو التثبت من أن المنبر الموجود فى مسجد قباء حاليا هو منبر قايتباى الذى كان بالمسجد النبوى . لقد أشار الى ذلك البرزنجى عقب الحديث عن منبر السلطان مراد الذى وضع فى المسجد النبوى سنة ٩٩٨ هـ فذكر أنه نقل الى مسجد قباء.[5] وذهب الى ذلك أيضا ابراهيم رفعت باشا[6] وعبد القدوس

---

(١) ذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٠٤ أنهم حفروا عندما أرادوا تركيب منبر الرخام الذى أرسله قايتباى ، حول مكان المنبر القديم وهو عبارة عن دكة من الرخام " فظهر أنها منخفضة عن أرض المصلى الشريف " يسيرا .

(٢) أى حوالى ١٦ سم لأن ذراع العمل كما يقول فالترهنتس فى المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٨٩ = ٦٦ر٥ سم .

(٣) السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٤) كان ما تفوه به خصومه دون علم بمكانة العلماء الذين ساق أقوالهم مما دعا السمهودى الى تأليف رسالة فى هذا الموضوع سماها " النصيحة الواجبة القبول فى بيان وضع منبر الرسول (ص) " أنظر وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤١١ .

(٥) نزهة الناظرين ، ص ٥٣ .

(٦) مرآة الحرمين ، جـ ١ ص ٤٧١ .

الأنصاري (١) وعلي حافظ (٢).

وكان يمكن الاكتفاء بما ذكر في اثبات انتماء المنبر المذكور الى الأشرف قايتباى ، بيد أن بروز سمات الخط المملوكي في الآية الكريمة المنقورة على عتبة باب المنبر ، لوحة (٦٣) مما يؤيد أيضا ذلك ويقويه ، فضلا عن مطابقة الوصف الذى أورده السمهودى لما يتصف به هذا المنبر وللقياسات التى قمت بها . فقد جاء في الوفا أن هذا المنبر " أقصر من امتداد المنبر المحترق في الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع ، (٣) وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق (٤) ، ومحل عود المنبر الأصلى منه مما يلى الروضة وهو الذى كان بأعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط ، وذلك على نحو ذراعين وشيء من طرف المنبر المذكور من قبله " (٥).

---

(١) آثار المدينة المنورة ، ص ٨١ .
(٢) فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٢٥ .
(٣) ذكر السمهودى في وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٤١٠ أن طول منبر المؤيد شيخ " من جهة بابه الى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة " وذكر أن منبر الأشرف قايتباى أقصر من سلفه بنحو ثلاثة أرباع ذراع . ومؤدى ذلك أن طول هذا المنبر ٧٫٧٥ من الذراع . وقد تبين لى أن طول المنبر حسب قياسى له ٣٫٤٨ من المتر ، وعلى ذلك فان مقدار الذراع الذى استخدمه السمهودى هو أكثر قليلا من ٤٦ سم ، وهو مساو تقريبا لما ذكره في المصدر السابق ج١ ص ١٠٣ من أن الذراع يساوى " أربعة وعشرين أصبعا ، كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها الى بعض " . والاصبع أقل قليلا من سنتيمترين .
(٤) حسب عدى لدرجه فانها ثمان درجات بمجلسه وعدد درج المنبر المحترق كما صرح به السمهودى في المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٠ ثمان أيضا .
(٥) السمهودى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٢ .

وأجزاء المنبر كلها من الرخام ما عدى قبته وبابه الذى يتألف من مصراعين والقبة والباب من خشب الزان المنقوش بزخارف هندسية جميلة ، لوحة (٦٣)، وأول ما يلفت النظر فى هذا المنبر اختلاف الرخام فى كثير من أجزائـــه ، ومرد ذلك فيما يبدو الى تلف كثير من ألواح الرخام عند قلعة سنة ٩٩٨ هـ ، من المسجد النبوى وتركيبه فى مسجد قباء مما أوجب استبدال ما تلف بغيره .

ويبلغ عرض المدخل ٦٦ سم وارتفاع الباب ١٥٦ سم . ويتوج هـــذا المدخل عتبة من الرخام طولها ١٢٥ سم وعرضها ٤٤ سم منقوش فـــى واجهتها مما يلى المسجد بخط بارز ضمن اطار مستطيل (٩٨×١٧سم) الآية الكريمة التالية : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهـى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم "(١) ويبلغ ارتفاع خافقى المنبر(٢) ٨٠ سم تقريبا ، يفصل بينهما مسافة قدرها ٧٦ سم ، وللمنبر سبع درجات ارتفـاع كل درجة عن الأخرى ٢٠ سم ، وتليها جلسة الأمام التى يبلغ ارتفاعهـــا ٥٠ سم .

ويعلو جلسة الأمام مظلة محمولة على أربع دعائم ، ويبلغ ارتفاع المظلـة عن الأرض ٣٤٧ سم ويتوسط سطحها قبة مضلعة مصنوعة من خشب يشبـــه الخشب المصنوع منه باب المنبر شكل(٦٣) ، وبالقبة زخارف هندسية تشبـه

---

(١) سورة النحل ، آية رقم ٩٠ والآية تنقصها كلمتان هما " لعلكم تتذكرون" وكان السبب فى انتقاصهما من النقش المذكور صغر المساحة التى نقشـت عليها الآية المذكورة .

(٢) الخافق هو الجزء الذى يحيط بدرج المنبر ويتكون فى منابر الخشـــب القديمة من درابزين من الخشب المخروط بيد أنه فى منبر مسجد قبـــاء بناء ملبس بالرخام من داخل الدرج وخارجه .

الزخارف التي يتحلى بها الباب المذكور ، وارتفاعها ٩٥ سم . ويعلو القبة جزء مخروطي خالي من الزخارف بأعلاه هلال من النحاس وطوله من قمة الهلال حتى سطح القبة ٢٧٠ سم .

وعلى هذا فان ارتفاع المنبر من أعلى هلاله الى أرض المسجد سبعة أمتار واثنا عشر سنتيمترا ، وهو ارتفاع يتناسب مع ارتفاع سقف المسجد النبوي الشريف بعد عمارة قايتباي الثانية ، الذي ذكر السمهودي عنه أنه " اثنان وعشرون ذراعا "(١) أي حوالي ٩٫٩٠ م(٢) .

وامتداد المنبر من مؤخره الى عتبة بابه ثلاثة أمتار وثمانية وأربعون سنتيمترا والمنبر تحفة فنية نادرة ومع ذلك لا يرقى بأية حال من الأحوال الى ما وصل اليه المنبر الموجود حاليا في المسجد النبوي الشريف والذي يعد بحق من العجائب النادرة(٣) .

. . . . . .

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٦٨٥ .
(٢) على اعتبار الذراع الذي ثبت أن السمهودي كان يستخدمه وهو يساوي ٤٦ سم وحوالي ١٠٫١٦ من المتر على اعتبار الذراع = ٥٠٫٣ سم على ما قال به فالترهنتس .
(٣) البرزنجي : نزهة الناظرين ، ص ٥٢ .

٢ - كنوز الحجرة الشريفة :

اقتدى كثير من المسلمين لاسيما الموسرين وولاة الأمر منهم بما فعله تميم الداري وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما من اسراج المسجد وتجميره[(١)] وعلى أثر ذلك بدأت تتوالى على المسجد النبوى الشريف أدوات التجمير ولوازمه الثمينة ، والقناديل الفاخرة من الذهب والفضة وكان عددها يزداد بمرور الأعوام مما أوجب استحداث حاصل لحفظها بصحن المسجد سنة ٥٧٦ هـ على غرار بيوت المال التي كانت تقام داخل قبة وسط صحن المسجد الجامع[(٢)].

وقد حفظت لحسن الحظ مجموعة من النصوص المختلفة ، يمكن الاستعانة بها فى ترسم محتويات المسجد من هذه القناديل . فقد ذكر ابن رستة الذى زار المدينة سنة ٢٩٠ هـ أن عدد قناديل " مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وثمانون قنديلا مع ثريا القبلة ، وعدد قناديله مما يلى الشام خمسة وثمانون قنديلا ، ومما يلى المشرق (خمسة) وأربعون قنديلا ، ومما يلى المغرب اثنان وسبعون قنديلا ، فذلك مائتان وتسعون قنديلا"[(٣)] وقال عنها أبو عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ أنها ٢٧٠ قنديلا[(٤)] ، وعدها كاتب مراكشى من القرن

---

(١) عن اسراج تميم الدارى للمسجد النبوى فى عهد الرسول عليه السلام ، أنظر السمهودى : وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٩٦ . وعن تجمير المسجد فى عهد عمر رضى الله عنه أنظر ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٦٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ، السمهودى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٦٦٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١٠ ص ١٤٩٢ .

(٣) الأعلاق النفيسة ، ص ٧٦ .

(٤) جزيرة العرب " من كتاب المسالك والممالك " ص ٨٩ .

السادس ٢٨٤ قنديلا[(١)] ، أما ابن جبير الذى زار المسجد الشريف سنة ٥٨٠ هـ فلم يذكر سوى القناديل التى أمام الوجوه الشريفة وعددها عشرون قنديلا فيها اثنان من الذهب والباقى من الفضة[(٢)] . وسار ابن النجار على طريقة ابن جبير فى الاكتفاء بعدّ قناديل المواجهة الشريفة ، باعتبارها فيما يظن أجمل مافى المسجد وأثمنه فيذكر أنه كان " فى سقف المسجد الذى بين القبلة والحجرة على رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها اثنان بلور وواحد ذهب ، وفيها قمر[(٣)] من فضة مغموس فى الذهب ، وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال " .[(٤)] وذكر عن مجمرة المسجد فى زمنه أنها منقوشة وقد كانت كذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم غيرت فى ولاية ابراهيم بن يحيى للمدينة ،[(٥)] بواحدة لا نقوش فيها[(٦)] . ولا يعرف على وجه الدقة متى أهديت للمسجد النبوى المجمرة المنقوشة التى شاهدها ابن النجار ، كما لا تعرف صفة النقوش التى كانت عليها .

---

(١) كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٤١ .
(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٤٧٠ .
(٣) لعل المقصود بذلك أن منها قنديلا على شكل قمر من فضة مغموس فى قاعدة من معدن الذهب .
(٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ١٤٠ .
(٥) كانت ولاية ابراهيم بن يحيى للمدينة فى سنة ٦٦ ، ٦٧ هـ كما ذكر الفاسى فى العقد الثمين ، جـ ٣ ص ٢٧٣ .
(٦) ابن النجار : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

ومهما يكن من أمر فان ما تلف من هذه القناديل ، التى كانت تنتمى الى فترات مختلفة ، فى الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ كان كبيرا جدا ، ولكن ما سلم منها مما كان مخزونا فى قبة الصحن قد قلل من حجم الخسارة المذكورة . فقد أخرجت هذه القناديل بعد عمارة المسجد النبوى ، وعلقت فى سقوف أروقته مع القناديل التى وصلت من البلاد الاسلامية وخاصة مصر التى أصبح أمر المسجد الشريف وغيره من بلاد الحجاز فى هذه الفترة بيد سلاطينها المماليك . وقد راحوا يتنافسون فى اهداء أثمن القناديل وأجمل الشمعدانات الى المسجد النبوى الشريف والحجرة المطهرة ، حتى اجتمع من ذلك فى عهد الدولة المملوكية الأولى شىء كثير. ودعا ذلك بأحد السلاطين الى التفكير فى بيع ما تجمع منها وصرف ثمنه فى عمارة المسجد ، مما حدا بالامام السبكى (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) الى تأليف فتوى شرعية سماها" تنزيل السكينة على قناديل المدينة " ، أوضح فيها أنها من أوقاف المسلمين ، وأنه لا يجوز مطلقا مخالفة الشروط التى وقفت بموجبها هذه الكنوز . ثم أوضح الطرق الشرعية لصرف أثمانها (١) . بيد أن ما أفتى به لم يحل دون بيعها أو استخدام ثمنها فى عمارة المسجد ، كمنارة باب السلام التى عمرت سنة ٧٠٦ هـ بأثمان القناديل التى باعها كافور المظفرى ، (٢) وكبيع معظم القناديل فى عمارة الأشرف قايتباى الأولى سنة ٨٨١ هـ . (٣)

---

(١) فتاوى السبكى ، جـ ١ ص ٢٧٥ - ٢٩٢ .
(٢) أنظر أعلاه ص ٢٦٦ .
(٣) أنظر أعلاه ص ٣٣٦ .

ويذكر السمهودى أنه استمر اهداء القناديل من الذهب والفضة للمسجد النبوى حتى زمنه ، وقد نقل عن أحد المؤرخين احصاءا لما يرد فى بعض السنين منها للمسجد الشريف ، فذكر أنه ورد " فى سنة خمسة عشر قنديلا ، وفى أخرى ثلاثة عشر ، وفى أخرى عشرة وفى أخرى احدى وعشرين ".(١) ثم ذكر أنها ضبطت فى سنة ٨٦٢ هـ على يد الأمير بردبك التاجى ، فكان وزن قناديل الذهب ٦٤٨٠ قفلة (٢) ، ووزن قناديل الفضة ٣٢٦٥٠ قفلة (٣) ، ثم ضبطت فى أول سنة ٨٨١ هـ بأمر السلطان قايتباى " فكان عدة مماليق الذهب ثمانية عشر قنديلا وبعض قنديل ، وأربع مشنات (٤) ومغرافان (٥) ، وسواران ، وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة وستمائة وخمسة وثلاثون ، من ذلك قنديل كبير فى جهة الوجه الشريف زنته أربعة آلاف وستمائة قفلة ، أهداه سلطان الكلرجة شهاب الدين أحمد ، وعدة مماليق الفضة ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلا وثرية كبيرة ، وزنة ذلك ستة وأربعون ألف قفلة وأربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة ".(٦)

---

(١) وفاء الوفا ، جـ ٢ ص ٥٨٥ .

(٢) أى دينار كامل الوزن وهو ما يقدر ٤,٢٥ جرام من الذهب وعن القفلة أنظر ابن منظور: لسان العرب ، جـ ١١ ص ٥٦٢ ، الفيروزبادى : القاموس المحيط جـ ٤ ص ٤٠ ، الزبيدى : تاج العروس ، جـ ٨ ص ٨٣ .

(٣) أى درهم كامل الوزن ، وهو ما يقدر ٢,٩٨ جم .

(٤) المشنة هى القفة أو الزنبيل من قصب أو خوص ، أنظر دوزى : المعجم المضاف على القواميس العربية جـ ١ ص ٧٨٩ ، وهى فى هذا النص قفة من أسلاك الذهب .

(٥) المغراف : أداة من حديد يغرف بها الطعام أو يقلى فيها الشىء أو يصفى بها ، أنظر : دوزى فى المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٠٨ وتعنى هنا مغراف من ذهب .

(٦) السمهودى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٨٩ .

أما عدد القناديل المستخدمة في زمن السمهودي فقد ذكر أنهـا ماثتان وستة وخمسون قنديلا ونحو المائة تسرج في بعض الأوقـات هذا عدا المشاعيل الأربعة التي كانت بصحن المسجد وما كانوا يزيدونه من تنانير[(١)] وبزاقات[(٢)] في مقدم المسجد في ليالي الزيارات وليلـة سبعة وعشرين من شهر رمضان[(٣)] . هذا بالاضافة الى الشماعـد والمشكوات الزجاجية ،

ومهما يكن من أمر هذه القناديل فقد كانت على طول السنين هدفا لذوى النفوس الضعيفة وخاصة بعض أمراء المدينة ، الذين كانوا يعمدون الى كسر حواصل المسجد النبوي وضرب شيوخه واهانتهم ثم سرقة قناديله ومابه من نذور وودائع ، وذلك عندما كانوا يفاجـأون بعزل السلطان المملوكي لهم أو عندما كانت تحل بهم ضائقة ماليـة ، والأمثلة على ذلك متعددة ومتنوعة الأسباب .[(٤)]

ومع الزمن نمت كثيرا كنوز الحجرة الشريفة وخاصة في عهـد العثمانيين المتحمسين للاسلام ، بيد أن أتباع الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٢١ هـ على المدينة المنورة قد أخذوا جميع محتويات الحجـرة

---

(١) التنانير جمع تنورة وهي مصنوعة من المعدن على شكل الثريا في الوقـت الحاضر ومنها تنورة تزين احدى قاعات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة .

(٢) البزاق شيء مصنوع من الزجاج ،أنظر دوزي : المعجم المضاف على القواميس العربية ج١ ص٨٢ ، وقد ذكر السمهودي في وفاء الوفا ، ج ١ ص ٣٧٧ ان هـذه البزاقات تعرف أيضا بفرخات القناديل .

(٣) السمهودي : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٨١ .

(٤) من ذلك ما حدث في السنوات ٨١١ ، ٨٢٤ ، ٨٦٠ ، ٨٦٢ ، ٩٠١ ، ١٢٢١ هـ .

الشريفة منطلقين فى ذلك من وجهة نظر اسلامية متحمسة .[1] وعند انتهاء الحكم العثمانى للحجاز حمل الحاكم العسكرى لمنطقة المدينة المنورة المدعو فخرى باشا كثيرا من كنوز المدينة الثقافية وحمل معه أيضا " الكوكب الدرى الذى كان موضوعا على الرأس الشريف وهو واحد من أكبر الماسات الثلاثة الموجودة فى الدنيا"[2] وحمل معها كلما خف حمله من ذخائر المسجد وكنوزه .

ومهما يكن من أمر هذه الكنوز واختلاف وجهات النظر بشأنها ، فقد استقر فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ثلاثة شماعد كبار من النحاس ، لا يعرف على وجه التحديد الى أى فترة من فترات النهب السابقة يرجع خروج هذه التحف الثمينة من المدينة . على أنه يبدو أن خروجها من المدينة كان بعد ادخال الاضاءة الكهربائية الى المسجد النبوى سنة ١٣٢٦ هـ ،[3] مما أدى الى تساهل المسئولين فى الاحتفاظ بهذه الشماعد وأمثالها من المعادن الرخيصة ، دون معرفة لقيمتها الأثرية التى لم يكن يؤبه بها فى ذلك الوقت .

---

(١) البتنونى : الرحلة الحجازية ص ٨٩ .

(٢) أنظر مقدمة أسعد طرابزونى لكتاب السخاوى : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ك ، حيث ذكر الماسات الثلاث فقال ان الكوكب الدرى أحدها والثانية ماكان فى التاج البريطانى والثالثة فى التاج الفارسى . ولا يزال هذا الكوكب فى متحف طوبقبى سراى باسطنبول .

(٣) قال عبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة المنورة ، ص ١٠١ أن السلطان عبد الحميد الثانى كان أول من أدخل الكهرباء الى المسجد النبوى سنة ١٣٢٦ هـ .

وقبل وصف هذه الشماعد تحسن الاشارة الى ما تميزت به أدوات انارة المساجد من دقة فى الصنعة وجمال فى الشكل . وكان من ذلك فى المسجد النبوى كما عرفنا أنواعا متعددة من القناديل المصنوعة من الذهب والفضة والثريات الكبيرة ، والشماعد ، والمشكاوات الزجاجية والمشاعيل الكبار . ويعد العصر المملوكي بحق العصر الذهبى فى صناعة هذه الأدوات وذلك بسبب رعاية السلاطين والأمراء لأربابها ، وتنافسهم فى اقتناء أدقها صنعة وأجملها منظرا .(١) وساعد الرخاء الذى تميز به العصر المملوكي فى تطور الصناعات المختلفة مما أدى " الى تغالى السلاطين والأمراء فى اقتناء التحف الثمينة التى تحمل غالبا أسماءهم مصحوبة ببعض الألقاب والجمل الدعائية لهم" .(٢)

واننا نلمس ذلك فى الشماعد الموقوفة على الحجرة الشريفة والمسجد النبوى التى وجدت سبيلها الى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة. ولا يبعد وجود شماعد وقناديل تعود الى العصر المملوكي ضمن محتويات الحجرة الشريفة فى الوقت الحاضر ، بيد أنه لم يسمح لى بالتأكد من ذلك .(٣)

---

(١) حسين عبد الرحيم عليوه : بحث المعادن ، ص ٣٧٧ .
(٢) مايسة محمود : المشكاوات الزجاجية فى العصر المملوكى ، ص ٨١ . رسالة ماجستير لم تطبع .
(٣) قال لى أحد المسئولين عن الحرم النبوى الشريف انهم يدرسون فكرة عرض هذه القناديل فى متحف خاص بالحرم النبوى الشريف فأرجو أن يتحقق هذا المشروع المفيد فى وقت قريب .

وفيما يلى دراسة مفصلة للتحف المعدنية المتبقية من كنوز الحرم النبوى الشريف والحجرة الشريفة وأولها الشمعدان التالى :

١ - شمعدان الأمير جانى بك :

يعود هذا الشمعدان الى عهد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ، (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) وهو باسم أحد أصحاب دواوين الانشاء في عهده ويحمل رقم ١٥٠٦٤ بمتحف الفن الاسلامى - قسم المعادن (١) ويختلف هذا الشمعدان عن الشمعدانين المنسوبين لقايتباى ، وذلك لأنه لا يحتوى فيما يضمه اطاره الخارجى من كتابات الى ما يشير الى أنه صنع بقصد وقفه على الحرم النبوى الشريف . فقد استخدم على ما يبدو بعد صنعه فترة من الزمن قبل وقفه على الحرم النبوى ، أو أن النية لم تنعقد على وقفه الا بعد صنعه وظهوره بمظهر جميل استحق من أجله أن يوقف على المكان اللائق به . أنظر شكل (٦٤) .

---

(١) قامت آمال أحمد العمرى بدراسة ذلك الشمعدان وغيره ضمن رسالة الماجستير التى تقدمت بها الى كلية آداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ وقد تأكدت فيما يخص الزخرفة والنصوص الكتابية من صحة ما جاء بها من معلومات عن هذا الشمعدان وشمعدان الأشرف قايتباى - الذى يحمل الرقم ٤٠٧٦ بمتحف الفن الاسلامى - اللذين لهما علاقة وثيقة بموضوع بحثى ، مما يقتضينى الاشادة بدقة وصفها للشمعدانين المذكورين . بيد أنها اقتصرت على دراسة شمعدان واحد لقايتباى ، ولم تشر الى أن بالمتحف نسختين أخريين منه بنفس الوصف والحجم ونوع المعدن ، وهما يحملان رقمين مختلفين ، أحدهما برقم ٤٠٧٦ ، والآخر برقم ٤٢٩٧ .

وقال لى رئيس قسم المعادن أن هناك نسخة ثالثة بنفس الصفات السابقة الا أننى لم أطلع عليها بسبب اعارتها كما يقول لأحد المتاحف خارج مصر .

وقد دعا ذلك واقفه الى كتابة عبارات الوقف بخط نسخى غائر صغير غير متقن فى جهتين متقابلتين من داخل الحافة السفلى لبدن الشمعدان تقرأ على النحو التالى :

" وقف الأمير جانى بك وكريمو (١) الأمير قايتباى أمير داوادار (٢) أكبر كان "

وفى الجهة المقابلة :

" برسم الحرم الشريف النبوى عليه أفضل الصلاة والسلام ".

والشمعدان مصنوع من النحاس الأصفر بارتفاع ٤٥ سم (٣) . ويتكون من بدن وعمود وشماعة ، وارتفاع البدن ٥ر٢١ سم وقطر فتحته السفلى ٣٦ سم ، ويتدرج البدن فى الضيق حتى ينتهى بفتحة قطرها ٢٦ سم تتصل بعمود الشمعدان . ويدور حول وسطه شريط عرضه ١٣ سم به كتابات نسخية بحروف بارزة كبيرة على أرضية نباتية نصها :

" المقر الشريف العالى المولوى (٤) القضائى (٥) العلائى (٦) - صاحب

---

(١) لم تكن قراءتها واضحة ولعل المقصود بها وكريمة الأمير.

(٢) قال حسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٢ ص ٥١٩ وما بعدها أن الدوادار كلمة تتألف من مقطعين الأول " دواة " العربية وهى ما يكتب منه " ودار " الفارسية بمعنى ممسك ، والمعنى ممسك دواة السلطان ولم يكن للسلطان المملوكى دوادار واحد فقط ، بل ربما بلغ عدد الدوادارية عشرة من الأمراء والجند ، أعلاهم الدوادار الكبير المعروف بأمير دوادار وكان عادة فى رتبة أمير مائة .

(٣) دون فى سجلات متحف الفن الاسلامى أن ارتفاعه ٤٥ سم بينما تذكر آمال أحمد العمرى فى رسالتها أنه ٤٤ سم وقداعتمدت مافى سجلات المتحف.

(٤) نسبة الى كلمة المولى .

(٥) نسبة الى كلمة القاضى.

(٦) نسبة الى علاء الدين .

دواوين الانشا[1] بالممالك الشريفة الاسلامية".

ويتخلل الشريط المذكور جامتان متقابلتان ، بالأولى منهما كتابة تشريفية نصها :

" عز لمولانا السلطان " .

وبالثانية :

" الملك الناصر فرج " .

وبين هاتين الجامتين زخرفة نباتية وحيوانية[2] ويحد الشريط الذى يتوسط بدن الشمعدان من أعلاه ومن أسفله شريطان بسارزان يزخرف كل منهما رسوم هندسية ونباتية وحيوانية[3] . ويوجد على حافة الجزء الذى يعلو القاعدة شريط رفيع عرضه سنتيمتر واحد عليه نص كتابى منقوش بحروف صغيرة ، تتخلله على مسافات مقدرة رسوم أوراق وأغصان ملتوية . وجزء كبير من هذه الحافة مكسور وملحوم بلحام حديث أخل بمنظر الشمعدان ، مما أضاع جزءا من النقش ، وما وضح منه نصه " المقر الشريف العالى المولوى السيدى المالكى الصالحى العاطى المجاهدى الذخرى .... صاحب دواوين الانشا الشريفة الاسلامية "[4].

---

(١) قال حسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ ٢ ص ٦٧٢ أن المتولى لهذا الديوان كانت له " الرئاسة على أصحاب ديوان الانشاء فى سائر الأقطار الخاضعة لسلطان المماليك " وأنه زاد من مكانته اتصاله الدائم بالسلطان . وذكر أن له الحق فى الاشراف على مكاتبات الدولة الصادرة وعرض الكتب الواردة على السلطان والرد عليها . وكان له النظر فى أمر البريد وأبراج الحمام ، والعيون والجواسيس والقصاد وغير ذلك من المهام التى تدل على علو مكانة هذه الوظيفة .

(٢) ، (٣) ، (٤) - أنظر آمال أحمد العمرى : الشماعد المصرية ، ص ١٣٧ وما بعدها .

وعمود الشمعدان أسطواني الشكل يبلغ ارتفاعه ٢٥ سم وقطره ٨ر٥ سم ، بحافته السفلى شريط بعرض سنتيمتر واحد ، به كتابات نسخية بخط صغير بحروف بارزة تقطعها وريدات على مسافات مقدرة . ونص النقش :

" المقر الشريف العالى المولوى المالكى الصالحى العالمى العادلى الكاملى الكافلى[1] الغازى المحترمى القضاى الصلاحى صاحب دواوين الانشا الشريفة بالممالك[2] " .

وتحلى العمود عدة أشرطة من زخرفة نباتية وحيوانية ، وأعلى شريط منها كتابة نسخية بحروف متوسطة نصها :

" المقر الشريف العالى - المولوى القضاى العلاى "

ويفصل هذا النص جامتان متقابلتان بهما زخرفة نباتية وحيوانية ، وأعلى عمود الشمعدان جزء تذكر آمال العمرى أنه ليس من نفس

---

(١) يقول حسن الباشا فى الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ ٢ ص ٩٣٢ ومابعدها أن كلمة كافل دخلت فى تكوين بعض أسماء الوظائف التى ظهرت على الآثار العربية . وهى تعنى العائل الذى يعول انسانا أو يكفله . ثم ذكر أن من المعتقد أن وظيفة الكافل بمعنى نائب السلطنة قد ابتدعت فى الدولة الأيوبية ، ثم أحياها السلطان بيبرس فى دولة المماليك .

(٢) يبدو أن هنا نقص كلمتين لعلهما " الشريفة الاسلامية " كما فى النقش فى وسط بدن الشمعدان .

العمود وأنه جزء مضاف اليه لاحتوائه على كتابة كوفية مورقة[1]. داخل شريط عرضه ٣ سم ، لا يتضح منها الا الكلمات التالية :

" العمر السالم . . . واليمن والبقا والكرامة "

والجزء الذى يعلو الشمعدان ، المخصص لوضع الشمعة ، وهو ما يسمى بالشماعة ، قطره الأسفل ١١ سم والعلوى ٨ سم ، وبه أشرطة متنوعة بها أشكال هندسية وفروع نباتية مختلفة .

وجاء أن هذا الشمعدان كان من مجموعة الدكتور هرارى بك ولم تذكر آمال العمرى التى قامت بدراسته أو أحد من المسئولين فى المتحف الاسلامى ، الطريقة التى وصل بها الى الدكتور المذكور. ومهما يكن من أمر ، فان الشمعدان فى حالة جيدة رغم وضوح الكسر بأحد حوافه ، وتشهد الدقة التى يتحلى بها ببراعة صانعه الذى لم يشأ كتابة اسمه فى أحد جوانبه ، وعلى مدى التقدم والرقى الذى حققته صناعة المعادن فى العصر المملوكى الثانى .

---

(١) يظهر أن ما ذهبت اليه آمال أحمد العمرى فى رسالتها للماجستير ، عن الشماعد المصرية فى العصر العربى ، ص ١٤٠ كان مما توصلت اليه خلال دراستها . على أننى لم ألاحظ أية آثار للحام عند مشاهدتى الشمعدان المذكور. واختلاف نوع الكتابة على عمود الشمعدان ليس بدليل قاطع على اضافة جزء الى الشمعدان ، اذ يذكر ابراهيم جمعة فى تطور الكتابات الكوفية ص ٧٧ أن الكتابات الكوفية لم تلغ تماما فى العصر المملوكى .

٢ - شمعدانى قايتباى :

بمتحف الفن الاسلامى شمعدانان يحملان اسم الأشرف قايتباى أحدهما برقم ٤٠٧٦ شكل (٦٥) والاخر برقم ٤٢٩٧ (١). وقد اقتصرت آمال العمرى على دراسة الشمعدان الأول دون أن تشير الى الشمعدان الآخر الذى يشبه الأول تماما. ولم يشر اليه كذلك كل من على بهجت فى بحثه الذى أعده سنة ١٩١٤ م عن الحجرة النبوية الشريفة (٢)، ولا حسين عبد الرحيم عليوه فى بحثه عن المعادن المنشور فى كتابات القاهرة ، تاريخها وفنونها وآثارها (٣).

ويبدو من اختلاف الرقمين أن الشمعدان الثانى كان من مقتنيات المتحف الأسلامى فى زمن متأخر عن البحثين سالفى الذكر. وقد قابلت بين الشمعدانين فوجدتهما يتماثلان تماما ، ويشتمل بحث على بهجت على معلومات هامة جدا بالنسبة للشمعدان الأول. فهو يذكر أنه قد سرق من المدينة أثناء حكم الأتراك للحجاز وأن ذلك تم بالاشتراك مع أحد حراس الحجرة النبوية الكثيرين ، وأن السارق الذى كان معاونا جريئا لبائع الآثار ركب القطار الذاهب من المدينة المنورة الى حيفا ومنها أخذ الباخرة الى بورسعيد (٤). فاذا صح ذلك فانه لا يظن أن هذا الشمعدان هو وحده الذى وقع فى يد السارق الجرىء ، ولعله قد تمكن أيضا من سرقة الشمعدان الثانى ، وان كان وفد على المتحف الاسلامى فى وقت متأخر عن الشمعدان الأول. ويذكر على بهجت

---

(١) أنظر أعلاه ص ٤٠٤ حاشية رقم ١ .
(٢) مجلة المعهد المصرى ، المجلد الثامن ، سنة ١٩١٤م ، ص ٧٢ - ٩٤.
(٣) لحسن الباشا وآخرين ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.
(٤) حجرة المدينة ، ص ٤ .

أن السارق لم يكن يعرف قيمته الأثرية [١]، حتى أن أحد تجار الآثار ذكر متحسرا أن الشمعدان لو كان قد وقع في يده لما باعه بتلك السهولة [٢].
ويلاحظ أن علي بهجت لم يذكر رقم الشمعدان أو موضعه مما قد يشير الى أنه قام بدراسته قبل أن يستقر في متحف الفن الاسلامي، هذا اذا لم تكن دراسته كانت لنسخة أخرى مماثلة .

ومهما يكن من أمر فان هذا الشمعدان يمثل " المستوى الرفيع الذى بلغه فن صناعة المعادن في القاهرة في عصر سلاطين المماليك " [٣] ويظهر من تكرار عبارتي وقفه على الحجرة الشريفة في موضعين من الشمعدان أنه صنع أصلا من أجلها ، وذلك عكس شمعدان صاحب دواوين الانشاء سالف الذكر.

ويبلغ ارتفاع الشمعدان الذى نحن بصدده ٤٨ سم ، وقطر قاعدته من أسفل ٣٧ سم ، ومن أعلى ١١ سم [٤] وبدنه شبه مخروط يشبه الى حد ما شمعدان صاحب دواوين الانشاء . ويدور بوسطه شريط عرضه ١٦ سم ، مكتوب فيه بخط نسخي مزهر عريض تنتهي حروفه من أعلاها بأشكال زخرفية على هيئة رؤوس المقصات " أو ربما تمثل ألسنة لهب الشموع وقد أمالها النسيم فبدت في هذه الهيئة الزخرفية التي أضفت على الكتابة حياة وحركة " [٥] ونص الشريط المنقوش بوسط بدن الشمعدان هو :

---

(١) أنظر أعلاه ص ٤٠٢ .
(٢) علي بهجت : حجرة المدينة ص ٤ .
(٣) حسين عبد الرحيم عليوه ، بحث المعادن ، ص ٣٨٢ .
(٤) علي بهجت : المرجع السابق ، ص ٣ .
(٥) حسين عبد الرحيم عليوه ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

" عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطان الاسلام والمسلمين الملك الأشرف أبو النصر قايتباى "(١)

ويعترض هذا النص جامتان كبيرتان متقابلتان بمحيطهما أسنان كأسنان المنشار تتصل بالشريطين البارزين اللذين بأعلى البدن وأسفله ، مكتوب فيهما بحروف بارزة فى ثلاثة سطور تمثل رنك السلطان ويقرأ من أعلى الى أسفل :

أبو النصر قايتباى

عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره .

والقراءة السليمة لمثل هذا النص التى يتناسب حجم خطها وسعة الأقسام الثلاثة التى قسمت اليها كل جامة هى :

"عز لمولانا السلطان الملك الأشرف - أبو النصر قايتباى - عز نصره".

وقد جرت العادة بكتابة اسم السلطان أولا فى أعلى مكان من النقش تعظيما لشأنه ولتقع عليه العين أول ما تقع على النقش .

أما القرص الذى يصل بدن الشمعدان بعنقه ففيه جامتان صغيرتان متقابلتان نقش بداخل كل منهما فى ثلاثة سطور بحروف بارزة لقب السلطان التشريفى . وقد اتبع النقاش فى كتابتها الطريقة التى اتخذها فى الجامتين الكبيرتين ، فوضع النص الكبير فى وسط الدائرة لأن حيز الكتابة فيه أكبر ، ثم وزع الباقى كالتالى :

---

(١) أنظر الصورة رقم (٦٥) وأنظر على بهجت فى بحث حجرة المدينة ، ص ٣ وآمال أحمد العمرى : الشماعد المصرية ، ص ١٤٢ .

قايتباى

السلطان أبو النصر

عز نصره

وبين هاتين الجامتين النص الذى يسجل وقف الشمعدان على الحجرة الشريفة ويقرأ كالتالى :

" هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبوا ـ لنصر قايتباى عز نصره بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائة فى شهر رمضان المعظم قدره " .

ويتزامن هذا التأريخ مع تأريخ عمارة المسجد النبوى الشريف بعد الحريق الثانى . وعنق الشمعدان شريط من كتابة مزهرة متداخلة تنتهى بأشكال زخرفية على هيئة رؤوس المقصات ، وتشبه الى حد ما نهايات الحروف التى تميز الشريط الكبير فى بدن الشمعدان وهى تقرأ على النحو التالى :

" عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد مالك الملك(١) الأشرف أبو النصر قايتباى "(٢) .

ويحتل هذا الشريط أكثر من نصف مساحة العنق وفى كل من أعلاه وأسفله شريط تحليه زخرفة نباتية جميلة .

---

(١) هذا اللقب من أسماء الله الحسنى وقد تجرأ النقاش وأضافها الى السلطان قايتباى على خلاف ما تأمر به الشريعة الاسلامية من عدم التسمى بأسماء الخالق التسعة والتسعون .

(٢) لم يشر على بهجت فى بحثه الى هذا النص .

وتعلو هذا العنق الجميل شماعة بسطحها عدد من الأشرطة البارزة تحليها رسوم هندسية بارزة ، ويتوسط الشماعة شريط عريض يشغل أكثر من نصفها به كتابة بخط نسخى بارز هو تكرار مختصر لنص الوقف المنقوش على القرص الذى يعلو بدن الشمعدان ، ويقرأ كالتالى :

" هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائة ".(١)

وعلاوة على ما تتميز به صناعة هذين الشمعدانين من دقة وجمال وأبداع فانها تشهد كذلك بقدرة الصانع وعبقريته فى تكرار الأشكال البارزة فى أحجام متسقة رغم بساطة أدواته التى لم تكن تتجاوز مطرقة ومنقار.

. . . . . .

الخاتمة

٤ - صحن مكشوف وأربع ظلات تحيط به ، وكان هذا الوضع هو ما استقر عليه المسجد النبوى منذ بناه الوليد بن عبد الملك حتى نهاية العصر المملوكى .

وقد تبين لى من خلال المخططات التى رسمها بعض المؤرخين المحدثين لأشهر المساجد الجامعة فى صدر الاسلام ، أن بعضها قد احتذى المخطط الثانى منذ انشائه ، والبعض الآخر طبق المخطط الثالث ، وكثير منها سار على هيئة المخطط الرابع ، مع أنه كان للبيئة والظروف المحيطة بكل منها أثر واضح فى التقيد بتفاصيل هذه المخططات .

كما أن من أبرز النتائج التى توصلت اليها فى عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حصر العمائر التى قام بها النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فى مسجده فى أربع مراحل تتفق مع المخططات الثلاثة التى مر بها المسجد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وأن مجاورة الحجرة الشريفة لمقدم المسجد الحالى كان نتيجة من نتائج تحويل القبلة. كما أننى قد توصلت الى معرفة عمق رواق القبلة ، من خلال الأسطوانات المشهورة التى اكتسبت شهرتها من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن هذه النتائج أيضا التأكيد على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتخذ المنبر الا عندما بدن جسمه وكثر مستمعيه وقلت حركته ، وقد أثبت ذلك بأدلة موثوقة خلافا لما زعمه بعض المستشرقين من أنه لم يتخذ المنبر الا عندما عظمت دولته وقوى نفوذه .

ومن النتائج التى توصلت اليها فى عمارة المسجد النبوى فى عهد الخلفاء الراشدين ، اقتداء عمر وعثمان رضى الله عنهما بالرسول صلى الله عليه وسلم فى زيادة مساحة المسجد الشريف ، تلبية لنمو المجتمع الاسلامى المطرد مع

محافظتهما على بقاء معالمه المشهورة . كما أن صفة العمارة التى قام بها سيدنا عثمان فى المسجد النبوى قد أعطت دليلا قويا على معرفة أهل المدينة لفن البناء المحكم ، مما يدعم الآراء المعارضة لاستخدام الوليد بن عبد الملك للروم والقبط فى بناء المسجد الشريف .

كما أنه قد برز فى أثناء الحديث عن عمارة المسجد النبوى فى العصر الأموى عدة نتائج منها عدم ثبوت ما أتهم به معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه من محاولة نقل منبر الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشام . وقد توصلت فى هذا البحث الى تحديد الوقت الذى صارت فيه حجر أمهات المؤمنين تستخدم كملاحق للمسجد النبوى بعد وفاة آخر واحدة منهن فى عهد يزيد بن معاوية سنة ٦٢ هـ .

أما عمارة الوليد بن عبد الملك فأبرز النتائج فيها ثبوت عروبة واسلام قبط مصر وروم الشام الذين ساهموا فى زخرفة المسجد دون بنائه ، وتبرئة سليمان بن عبد الملك مما اتهم به من هدم منارة باب السلام التى ثبت أنها لم تنشأ أصلا الا فى سنة ٧٠٦ هـ . هذا بالاضافة الى تحديد جديد لمقدار زيادة الوليد فى المسجد النبوى .

وكان من أبرز نتائج البحث الخاص بعمارة المسجد النبوى فى العصر العباسى ، اظهار أوجه الشبه والأختلاف بين عمارة الوليد بن عبد الملك وما قام به المهدى العباسى فى المسجد من أعمال جليلة . هذا بالاضافة الى تحديد مواقع النصوص الكتابية من جدران المسجد ، وتمييز النصوص الأموية المحرفة وأبراز الدوافع الرئيسية لتحريف تلك النصوص . كما أننى قد أوضحت اللبس الذى وقع فيه بعض المؤرخين عن عمارة المأمون المزعومة فى المسجد النبوى .

أما نتائج الفصل الثانى فكان من أبرزها نفى العلاقة بين نار الحجاز وحريق المسجد الأول ، وتحميل خدمة المسجد النبوى مسئولية هذا الحريق المروع ، ثم ابراز أثر التمزق السياسى والضعف المادى على ما تم فى المسجد النبوى من عمائر بعد هذا الحريق مباشرة . على أن هذا الضعف لم يدم طويلا ، فسرعان ما جدد الظاهر بيبرس شباب الأمة الاسلامية بضمه مصر وبلاد الشام والحجاز تحت لوائه ، وقام بعمارة ما تبقى من أروقة المسجد على أكمل وجه ، وقد أبرزت الدوافع السياسية التى حدت بالظاهر بيبرس الى الانفراد بعمارة المسجد النبوى ، وابراز الخصائص المعمارية الجديدة التى امتازت بها عمارته .

وقد تبين لى من خلال هذا البحث أن بناء أول قبة على الحجرة الشريفة كانت نتيجة محاولة فردية من أحد أثرياء مصر فى عهد المنصور قلاوون ، الا أنها قد تسببت فى اتلاف السقوف المجاورة لها بما كان يتسرب من خلالها من مياه الأمطار .

ومن الملاحظ أيضا أن عمارة الناصر محمد بن قلاوون فى المسجد النبوى كان لها خصائص ومميزات جديدة انفردت بها عما تقدم فى المسجد من عمائر بعد الحريق الأول . كما أننى قد أثبت بأدلة جهوية بناء منارة باب السلام لأول مرة فى عهد الملك الناصر . هذا بالاضافة الى أن هذا الملك قد أوجد لأول مرة فى تاريخ المسجد طريقة جديدة فى زيادة المساحة المسقوفة من المسجد ، وذلك عن طريق تسقيف جزء من صحن المسجد مما يلى رواق القبلة فى سنة ٧٢٩ هـ . كما أننى صححت ما اعتقده السمهودى من انقاص هذا السلطان لبلاطات المسقف الشمالى للمسجد الشريف عندما زاد بلاطتين فى سقف القبلة ، وأثبت بأدلة قوية نسبة هذا العمل الى الظاهر بيبرس .

ومن النتائج التي أستخلصها من هذا الفصل أن الاهتمام بعمارة المسجد النبوي الشريف ، قد تأثر بالضعف السياسي والمادي الذي غلب على نهاية عصر المماليك البحرية ، وأن الدافع الى أكثر الأعمال التي تمت خلاله كان سياسيا متلبسا أحيانا بالورع والتدين .

وظهر لي بشكل جلي امتياز جهود السلاطين الجراكسة قبل قايتباي بارسال المنابر الفاخرة الى الحرم النبوي الشريف ، وأن هؤلاء السلاطين قد اكتفوا بعدم التعرض لعمارة المسجد النبوي الا عند الضرورة القصوى . ولذلك فقد غلبت على الأعمال التي قام بها بعضهم في المسجد صفة التجديد والترميم .

وقد وجدت أيضا أن الأشرف قايتباي قد تمسك بالعادة المرعية عند أسلافه الجراكسة ، من عدم التعرض لعمارة المسجد النبوي الا عندما تدعو الحاجة الى ذلك . بيد أن الرخاء والاستقرار اللذين شهدهما عصره قد مكناه من انجاز أعمال جليلة في سنة ٨٨١ هـ . واتضح أيضا أن المتولي لهذه العمارة قد استفاد من الخلل الذي ظهر بجدران الحجرة الشريفة وحرص على أن تكون عمارتها على يديه رجاء المثوبة وتخليد الذكر .

وقد وجدت من المؤرخين المعاصرين لهذه العمارة من اهتم بذكر جميع الأبعاد والأوصاف التي كانت عليها الحجرة الشريفة بعد عمارة الوليد بن عبد الملك ، وهو مالم تذكره الكتب القديمة التي أرخت لعمارة الوليد .

وتوصلت أيضا الى أن منارات المسجد العالية كانت هي السبب في حريق المسجد الثاني سنة ٨٨٦ هـ ، بسبب تعرضها للصواعق التي أحرقت المسجد الشريف .

وكان من أبرز النتائج أيضا تطبيق الأشرف قايتباى لنظام الليتورجيا (LITURGIA) المعمول به فى العالم الاسلامى منذ زمن قديم ، عندما استعان بصناع وعمال من البلاد الاسلامية - التابعة للدولة المملوكية - للعمل فى عمارة المسجد النبوى الشريف .

ومن النتائج التى توصلت اليها فى هذا البحث أن المشرف على العمارة الثانية التى قام بها الأشرف قايتباى فى المسجد النبوى سنة ٨٨٦ هـ لم يدخر جهدا فى الوصول بها الى أقصى درجات الكمال ، وأنه برئ مما أتهم به من تقصير فى بناء القبة الشريفة والمنارة الرئيسية .

وقد أرجعت هذا التحامل الى ماكان بين ابن الزمن - المتولى للعمارة الثانية أيضا - وبين السمهودى - الذى أورد الاتهام المذكور وأكده - من تنافر منذ تولى الأشراف على العمارة الأولى سنة ٨٨١ هـ . كما أننى قد عثرت على نقوش كتابية لم تنشر من قبل تثبت بشكل قاطع بقاء عمارة الحجرة الشريفة وجزء كبير من القبة الزرقاء - الخضراء حاليا - على ماكانت عليه بعد عمارة الأشرف قايتباى الثانية . هذا بالاضافة الى تحديد الأجزاء المتبقية فى المسجد النبوى الى الآن من عمارة قايتباى المذكورة . وتصحيح الموقع الحالى لاسطوانتى الحرس والوفود اللتان وضعتا خطأ خلف اسطوانة السرير .

ومن النتائج الملموسة فى هذا البحث استفادة سكان المدينة المنورة من جراء العمائر التى شهدها المسجد النبوى فى العصر المملوكى بقسميه ، فالبعض قد عمل بيده فى المسجد ، والبعض الآخر استفاد تجاريا والكثرة الغالبة شملتهم المنح والهبات السخية التى كان يجود بها السلاطين الذين تولوا أمر العمائر المذكورة .

كما أنه قد تبين لي أن أى من العمائر التي شهدها المسجد النبوي بعد حريقه الأول ، لم تعد بالمسجد الى ماكان عليه قبل الحريق المذكور ولا الى قريب منه ، رغم كثرتها وعظمة الأموال التي أنفقت عليها .

وفي نهاية هذا الاستعراض السريع لأهم نتائج البحث أود أن أشير الى أمرين هامين لمستهما خلال هذا البحث ، ولم أتمكن من معالجتهما بصورة مرضية ، على أمل أن تتاح الفرصة لمن هو أوفر حظا مني لمعالجتهما وهما :

١ - تحديد ما ترتب على تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة بالنسبة لجدران المسجد النبوي الشريف . وقد أبدى المسئولون في القسم الفلكي بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة استعدادهم للمساعدة في تحقيق ذلك . وسوف تفيد نتيجة هذا البحث العلمي في التأكد مما اذا كانت جدران المسجد النبوي قد انحرفت عن موضعها الأول بعد تحويل القبلة ، وهو مالم أستطع الجزم بصحته لأن ذلك يحتاج الى بحث ميداني مرخص به من قبل المسئولين عن الحرمين الشريفين .

٢ - أما الموضوع الثاني فعن وظائف العاملين بالمسجد النبوي الشريف حتى نهاية العصر المملوكي ، وقد تبين لي أثناء جمعي لمادة هذا البحث أنه موضوع جدير بالبحث والاستقصاء .

فالى ذلك أود أن ألفت نظر المسئولين عن قسم الحضارة والنظم الاسلامية بتشجيع الطلاب الراغبين في بحث هذين الموضوعين .. والله الموفق .

. . . . . .

قائمة المصادر والمراجع

الخضراوى ، أحمد بن محمد بن أحمد الخضراوى المكى (ت ١٣٢٧ هـ)
٧ - مختصر حسن الصفا والابتهاج فى ذكر من ولى امارة الحاج .
مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٢ تاريخ .

الخوارزمى ، محمد بن اسحاق (ت ٨١٣ هـ) .
٨ - اثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة والى البيت العتيق .
مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٤ تاريخ .

الاسفرائينى ، سعد الدين محمد بن عمر بن محمد بن على (المتوفى فى القرن الثامن الهجرى) .
٩ - زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال فى تفاصيل أحوال الكعبة المكرمة والمدينة المنورة .
مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ٩٩ تاريخ .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)
١٠ - اعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب .
مخطوط بمكتبة الحرم المدنى برقم ٤٥ / ٨٠ .

ابن الضياء ، أبو البقاء محمد بن أحمد القرشى الحنفى المكى (ت ٨٥٤هـ)
١١ - تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف .
ميكروفلم بمركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة عن الأصل الموجود بدار الكتب المصرية برقم ١٥٧٠ تاريخ .

ابن طولون ، شمس الدين محمد بن على بن خمارويه الدمشقى (ت ٩٥٣هـ)
١٢ - تاريخ ابن طولون .
مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٢٤٧١ عن الأصل الموجود بمكتبة توبنجن بألمانيا .

العبدرى ، أبو عبد الله محمد بن على بن مسعود (ت ٦٨٨هـ) .
١٣ - الرحلة المغربية (رحلة العبدرى) .
ميكروفلم بمركز البحث العلمى بكلية الشريعة بمكة المكرمة عن الأصل الموجود فى الخزانة العامة بالرباط برقم ١٠١٢/د .

العيني ، بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ) .
١٤ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، الأجزاء ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.
مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٢٠٣ ح .

ابن فرحون ، أبو محمد عبد الله بن محمد اليعمري المالكي (ت ٧٦٩هـ)
١٥ - نصيحة المشاور وتعزية المجاور .
مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٥١ تاريخ .

ابن فهد ، عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي (توفى في القـــرن العاشر الهجري) .
١٦ - بلوغ القرى في الذيل على اتحاف الورى ، جـ ١ .
مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٢ تاريخ .

ابن فهد ، نجم الدين أبي القاسم محمد المدعو عمر بن أبي الفضـــل محمد تقي الدين بن فهد الهاشمي المكي الشافعي (ت ٨٨٥ هـ) .
١٧ - اتحاف الورى بأخبار أم القرى .
مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٢ تاريخ .

الفيروزبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٠ هـ).
١٨ - المغانم المطابة في معالم طابة .
مخطوط بمكتبة فيض الله باسطنبول برقم ١٥٢٩ .

القرطبي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري (توفى فـي القرن الثامن الهجري) .
١٩ - بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار .
مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ١٣ تاريخ .

قطب الدين قدس سره (توفى في القرن الحادي عشر الهجري) .
٢٠ - تاريخ المدينة المنورة .
ميكروفلم في مركز البحث العلمي عن الأصل الموجود بمكتبة رضا رامبـــور بالهند برقم ٣٦١٨ .

مؤلف مجهول ،
٢١ - تاريخ مكة والمدينة والطائف .
صورة فتوغرافية بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة برقم ٧٦ عن أصل أهمل فيه ، تصوير صفحة العنوان .

ابن المحجوب ، أبو عبد الله (توفى فى القرن التاسع الهجرى) :
٢٢ - قرة العين فى أوصاف الحرمين .
ميكروفلم عن مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، برقم ١٢٠٣/٤ عربى .

النابلسى ، عبد الغنى (عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى) .
٢٣ - الرحلة النابلسية ، المعروفة بالحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز .
مخطوط بمكتبة الحرم المكى فى ثلاثة مجلدات برقم ١١٢ تاريخ .

الهيثمى ، أحمد بن حجر (ت ٩٧٤ هـ) .
٢٤ - تحفة الزوار الى قبر النبى المختار .
مخطوط بمكتبة الحرم المكى برقم ١٣٣ تاريخ .

.. .. ..

ثانيا : المصادر المطبوعة :

ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) .
١ - الكامل فى التاريخ ،
دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

الأدفوى ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب (ت ٧٤٨ هـ) .
٢ - الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد .
تحقيق أسعد محمد حسين .
نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦م .

الأزدى ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ) .
٣ - تاريخ الموصل
تحقيق على حبيبة .
طبعة القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٢٣ هـ) .
٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ ١ ، ٢ .
تحقيق رشدى الصالح ملحس .
الطبعة الثالثة ، مطابع دار الثقافة مكة المكرمة ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م .

ابن أسحاق ، ابراهيم بن أسحاق الحربى (ت ٢٨٥ هـ) .
٥ - كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .
تحقيق حمد الجاسر .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

ابن اياس ، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى (ت ٩٣٠ هـ) .
٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ٣ .
تحقيق محمد مصطفى .
الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

الأصطخرى ، أبو أسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالاصطخرى (ت ٣٤٦ هـ) .

٧ - كتاب الأقاليم
تحقيق مويلر .
طبع بالأوفست عن طبعة غوته ، نشر مكتبة المثنى ببغداد .

البخارى ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

٨ - صحيح البخارى ، جـ ١ - ٣ .
مطبوعات محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة .

البرزنجى ، جعفر بن السيد اسماعيل المدنى (ت ١٣١٧ هـ) .

٩ - نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين .
الطبعة الأولى ، المطبعة الجمالية بمصر ، القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) .

١٠ - جزيرة العرب (من كتاب المسالك والممالك) .
تحقيق عبد الله يوسف الغنيم .
الطبعة الأولى ، المطبعة العصرية ، مكتبة ذات السلاسل ، الكويت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

البلوى ، خالد بن عيسى البلوى (ت ٧٨٠ هـ) .

١١ - تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، جـ ١ .
تحقيق الحسن السائح .
مطبعة فضالة - المحمدية ، المغرب .

البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) .

١٢ - فتوح البلدان
تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع .
دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

البيرونى ، أبو الريحان محمد بن أحمد (توفى فى حدود سنة ٤٣٠ هـ) .

١٣ - كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر .
عالم الكتب ، بيروت .

ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ) .
١٤ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ١ .
- نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر .
- طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

ابن تيمية ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على
١٥ - الجواب الباهر فى زوار المقابر .
تحقيق سليمان بن عبد الرحمن الصنيع ، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمى
المطبعة السلفية ، القاهرة .

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى (ت ٦١٤ هـ) .
١٦ - رحلة ابن جبير
دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م .

ابن حجر ، شهاب الدين بن على العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) .
١٧ - أنباء الغمر بأنباء العمر ، جـ ١ .
تحقيق حسن حبشى .
القاهرة ١٩٦٩م .

١٨ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٣ .
تحقيق محمد سيد جاد الحق .
مطبعة المدنى ، القاهرة .

الحموى - أنظر ياقوت

الخزرجى ، شمس الدين على بن الحسن (ت ٨١٢ هـ)
١٩ - العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، جـ ١ .
مطبعة الهلال ، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١م .

ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد أيدمر العلائى (ت ٧٩٧ هـ) .
٢٠ - كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار .
المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) .
٢١ - الأخبار الطوال
تحقيق عبد المنعم عامر .
الطبعة الأولى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠م.

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
٢٢ - تاريخ الأسلام وطبقات الأعلام ، جـ ١ ، ٣ ، ٦ .
مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
نشر مكتبة القدسي .

٢٣ - سير أعلام النبلاء ، جـ ٢
تحقيق ابراهيم الأبياري
مطابع دار المعارف بمصر ١٣٥٧ هـ .
نشر معهد المخطوطات ، ودار المعارف بالقاهرة .

٢٤ - العبر في خبر من ذهب ، جـ ٥ .
تحقيق صلاح الدين المنجد .
مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

ابن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر (توفي بعد سنة ٢٩٠ هـ)
٢٥ - الأعلاق النفيسة .
تحقيق دي جوية .
طبعة أوفست ، مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ليدن ١٨٩١م.

ابن الرومي ، محمد بن خضر (توفي في القرن العاشر الهجري)
٢٦ - التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة ، رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الثانية .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

الزركشي ، محمد بن عبد الله (ت ٨٩٤ هـ) .
٢٧ - اعلام الساجد بأحكام المساجد .
تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي
الطبعة الأولى ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ١٣٨٤ هـ.

سبط ابن الجوزى ، شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قزا التركى
(ت ٦٥٤ هـ) .
٢٨ - مرآة الزمان ، القسم الثاني من الجزء الثانى .
الطبعة الأولى ، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .

السبكى ، أبو الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى (ت ٧٥٦ هـ) .
٢٩ - فتاوى السبكى ، جـ ١ الفتوى رقم ٦١ " تنزيل السكينة على قناديل
المدينة " .
مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥٦هـ .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) .
٣٠ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك .
طبعة بولاق ، القاهرة ١٨٩٦م .
مكتبة الكليات الأزهرية .

٣١ - التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، ثلاثة أجزاء .
تحقيق محمد حامد الفقى ،
مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٩ م .
نشر أسعد طرابزونى الحسينى .

٣٢ - الذيل على رفع الأصر (بغية العلماء والرواة) .
تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٣٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ٩
طبعة أوفست
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

السمهودى ، نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١ هـ) .
٣٤ - وفاء الوفا ، جـ ١ ، ٢ ، ٤ .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧١م .

أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ).
٣٥- تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف " بالذيل على الروضتين" .
الطبعة الأولى ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧م.

أبن شاهين ، غرس الدين خليل الظاهرى (ت ٨١٣ هـ) .
٣٦ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .
تحقيق بولس راويس ،
مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤م.

ابن الصيرفى ، على بن داود الجوهرى (ت ٩٠٠ هـ) .
٣٧ - انباء الهصر بأبناء العصر
تحقيق حسن حبشى
مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٨- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان .
تحقيق حسن حبشى
طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
٣٩ - تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠
تحقيق د ى غويه وآخرين .
طبعة ليدن ١٨٧٦ م ، ١٩٠١م ، نشر مكتبة خياط ، بيروت .

العباسى ، أحمد عبد الحميد (توفى فى القرن العاشر الهجرى) .
٤٠ - عمدة الأخبار فى مدينة المختار .
تحقيق محمد الطيب الأنصارى .
الطبعة الثالثة ، مطبعة المدنى ، القاهرة .
نشر أسعد طرابزونى الحسينى .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)
٤١ - العقد الفريد ، جـ ٥ ، ٧ .
تحقيق محمد سعيد العريان .
الطبعة الثانية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣م .
نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ) .
٤٢ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، جـ ٤
المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .

علي بن موسى
٤٣ - وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م .
رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، الرسالة الأولى .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)
٤٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ٥ .
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

العمري ، أنظر ابن فضل الله .

الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـ)
٤٥ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ ٢
مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٦م .
نشر مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

٤٦ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ ٦
تحقيق فؤاد سيد .
مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن على المصرى الحنفى (ت ٨٠٧هـ)
٤٧ - تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) جـ ٨ ، ٩
تحقيق قسطنطين زريق .
بيروت ١٩٣٦ - ١٩٤٨م .

ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٢ هـ) .
٤٨ - مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - جـ ١ .
تحقيق أحمد زكى باشا .
طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م .

الفيروزبادى ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت ٨١٠ هـ)
٤٩ - القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ٤ .
المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت .

٥٠ - الجزء المحقق من المغانم المطابة (قسم المواضع)
الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ،
الرياض ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت٢٧٦ هـ) .
٥١ - كتاب المعارف .
تحقيق محمد اسماعيل الصاوى .
الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربى - بيروت ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م .

القرمانى ، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقى (عاش فى القرن العاشر الهجرى) .
٥٢ - أخبار الدول وآثار الأول .
مطبعة عباس التبريزى ، بغداد .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على (٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) .
٥٣ - صبح الأعشى ، جـ ٥ .
نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر الحافظ (ت ٧٧٤هـ).
٥٣- البداية والنهاية ، الأجزاء ١٣ ، ١٤.
الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧م.

ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ).
٥٤ - الوفا بأحوال المصطفى ، ج ١
تحقيق محمد زهرى النجار.
المؤسسة السعيدية بالرياض ، ١٩٧٦م.

٥٥ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٨ .
الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٩هـ.

محمد بن خضر ، أنظر ابن الرومى

المراغى ، زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبى الفخر المراغى (ت ٨١٦ هـ).
٥٦ - تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .
تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى .
الطبعة الأولى ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

المطرى ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤١ هـ).
٥٧ - التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة .
تحقيق عبد المحسن الخيال .
مطبعة فؤاد الصيداوى ، دمشق ١٣٧٢ هـ .
نشر أسعد طرابزونى الحسينى .

المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المعروف بالبشارى (ت ٣٧٥ هـ).
٥٨ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.
طبعة بالأوفست عن طبعة ليدن ، ١٩٠٦م.
نشر مكتبة المثنى ببغداد .

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ)
٥٩ - الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
تحقيق جمال الدين الشيال .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٥م.
نشر مكتبة الخانجى بمصر ، والمثنى ببغداد .

٦٠ - السلوك لمعرفة دول الملوك .
القسم الأول . تحقيق محمد مصطفى زيادة حتى حوادث سنة ٧٥٥ هـ .
القسم الثانى . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور .
مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م

٦١ - المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (خطط المقريزى) جـ ٢
طبعة بالأوفست عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .
مؤسسة البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة .

مجهول . (كاتب مراكشى من علماء القرن السادس الهجرى) .
٦٢ - كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار (كتب ٥٨٧ هـ) .
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد .
مطبعة جامعة الاسكندرية ، كلية الآداب ١٩٥٨م ، المطبوع رقم ١٠ .

مجهول
٦٣ - تاريخ سلاطين المماليك من ٦٩٠ - ٧٤١ هـ .
طبعة ليدن ١٩١٦م.
نشر زيتر شتين .

مجهول
٦٤ - سيرة الظاهر بيبرس ، جـ ٣ .
الطبعة الأولى ، القاهرة .

مجهول
٦٥ - العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، جـ ٣
تحقيق دى غويه .
طبعة بالأوفست عن طبعة ليدن ١٨٦٩م.
نشر مكتبة المثنى ببغداد .

مجهول ، من علماء القرن الرابع الهجري .
٦٦- رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس .
نشرها حمد الجاسر في مجلة العرب ، السنة الثامنة جـ ٥ ، ٦ -
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ) .
٦٧ - لسان العرب - الأجزاء ١ - ١١ .
طبعة مصورة عن طبعة بولاق ،
نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .

ابن النجار ، أبو عبد الله محمد بن محمود (ت ٦٤٣ هـ) .
٦٨- الدرة الثمينة في أخبار المدينة (أخبار مدينة الرسول) .
تحقيق ، صالح محمد جمال .
الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

ابن النديم ، أبو الفرج ، أو أبو الفتح محمد بن اسحاق (توفي في أواخر القرن الرابع تقريبا) .
٦٩ - الفهرست ، جـ ١ ...
تحقيق جاستون فييت .
صورة بالفوتستات عن طبعة ليدن .
نشر مكتبة خياط ، بيروت .

النووي ، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (٦٣١-٦٧٦ هـ) .
٧٠ - شرح صحيح مسلم ، جـ ٥ .
الطبعة الأولى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م .

النهروالي ، قطب الدين المكي الحنفي (ت ٩٩٠ هـ) .
٧١ - الأعلام بأعلام بيت الله الحرام .
طبعة مدينة غتنقة ، ١٢٧٤ هـ .

الهروى ، أبو الحسن بن أبى بكر (ت ٦١١ هـ) .
٧٢ - كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات.
تحقيق جانين سورديل - طومين .
طبع ونشر المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٥٣م.

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) .
٧٣ - السيرة النبوية ، القسم الأول جـ ١ ، ٢ .
تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
الطبعة الثانية ، مكتبة ومطبعة البابى الحلبى وأولاده ، القاهرة ،
١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م.

ابن واضح ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (توفى بعد ٢٩٢ هـ).
٧٤ - تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢
مطابع دار صادر ، بيروت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م.

ابن الوردى ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ) .
٧٥ - تتمة المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ ابن الوردى ، جـ ٢ .
المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ١٢٨٥هـ.
نشر جمعية المعارف.

الوصابى ، وجيه الدين الحبيشى (ت ٧٨٢ هـ) .
٧٦ - تاريخ وصاب أو الاعتبار فى التواريخ والآثار .
تحقيق عبد الله محمد الحبشى .
مطبعة دار المودة - بيروت .
نشر مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء .

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومى البغدادى الحموى (ت ٦٢٦هـ) .
٧٧ - معجم البلدان ، جـ ٤ ، ٥ .
دار الكتاب العربى - بيروت .

اليعقوبي ، أنظر ابن واضح .

اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ) .
٧٨ - ذيل مرآة الزمان ، جزءان .
الطبعة الأولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م .

. . . . . .

ثالثا : المراجع الحديثة :

ابراهيم أحمد العدوى
١ - الأمويون والبيزنطيون .
الطبعة الثانية ، طبع ونشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهـرة ،
١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م.

ابراهيم جمعة .
٢ - تطور الكتابات الكوفية .
المطبعة العالمية ، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.
نشر دار الفكر العربى ، القاهرة .

ابراهيم رفعت باشا
٣ - مرآة الحرمين ، ج ١
الطبعة الأولى ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥م.

ابراهيم شريف .
٤ - خواص المادة والصوت ، ج ١
الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٧٦م.

ابراهيم الشورى .
٥ - جلالة الملك سعود والحرمين الشريفين ، ج ١ .

ابراهيم مصطفى
٦ - المعجم الوسيط ، ج ١ ، ٢ .
مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م.

أحمد فكرى
٧ - مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) .
مطبعة دون بوسكو ، الاسكندرية ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

٨ - مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ١ (العصر الفاطمى) .
مطبعة دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٥م.

٩ - مسجد القيروان .
مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م.

آمال أحمد العمرى
١٠- الشماعد المصرية فى العصر العربى .
رسالة ماجستير لم تطبع ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة رقم ٤١٥ ،
آثار اسلامية .

باسلامة ، حسين عبد الله
١١- تاريخ عمارة المسجد الحرام .
تحقيق عمر عبد الجبار .
الطبعة الثانية ،دار مصر للطباعة ،القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م.

الهتنونى ، محمد لبيب
١٢- الرحلة الحجازية .
الطبعة الثانية ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ .

التازى ، عبد الهادى
١٣ - جامع القرويين بمدينة فاس (٢٤٥ - ٩٨٥ هـ)
الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

حسن ابراهيم حسن
١٤ - تاريخ الاسلام السياسى ،جـ ٤ .
الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م.

حسن الباشا
١٥ - جامع ابن طولون . بحث نشر فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها
لحسن الباشا وآخرين . مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

١٦- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ثلاثة أجزاء ،
مطبعة لجنة البيان العربي .
نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م.

١٧- المدخل الى الآثار الاسلامية
مطبعة دار الاتحاد العربي للطباعة .
نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٩م.

١٨- الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار .
صورة بالأوفست عن طبعة دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م.

الخيارى ، أحمد ياسين
١٩- تاريخ مساجد المدينة المنورة .
المطبعة المتحدة ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م.
نشر يوسف خليل غالى .

راجح ، أحمد عزت
٢٠- أصول علم النفس .
الطبعة الحادية عشرة ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

رجب ، عمر الفاروق السيد
٢١- المدينة المنورة .
الطبعة الأولى ، نشر وطبع دار الشروق ، جدة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

رمزية محمد الأطرقجى
٢٢- بناء بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور
الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٩٧٠م.

زكى محمد حسن
٢٣- فنون الاسلام.
الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.

سعاد ماهر
٢٤- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١
مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧١م.
نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

سليمان ، أحمد سعيد
٢٥- تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة .
مطابع دار المعارف بمصر.

السليمان ، على بن حسين
٢٦- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك .
الطبعة الأولى ، طبع ونشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة،
١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

الشورى : أنظر ابراهيم

عبد الجواد ، توفيق أحمد
٢٧ - تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، جـ ٣
دار وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م.

عبد الحميد زايد
٢٨- القدس الخالدة .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م.

عبد المنعم ماجد
٢٩ - نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر.
مطبعة الرسالة .
نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م.

العدوى : أنظر ابراهيم محمد

على حافظ
٣٠- فصول من تاريخ المدينة المنورة .
طبع ونشر شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

عليوة ، عبد الرحيم
٣١- بحث فى المعادن . نشر فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ،
لحسن الباشا وآخرين . مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

فريد شافعى
٣٢- العمارة العربية فى مصر الاسلامية (عصر الولاة) .
الطبعة الأولى ، المطبعة الثقافية ، القاهرة ١٩٧٠م.
نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

فكرى ، أنظر أحمد فكرى

فهمى ، عبد الرحمن
٣٣ - الجامع الأزهر ، بحث نشر فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها
لحسن الباشا وآخرين ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م.

٣٤ - النقود العربية ماضيها وحاضرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٤م.

٣٥ - موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، ج ١ (فجر السكة العربية)
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٥م.

الكتانى ، محمد بن عبد الحى بن عبد الكبير بن محمد الحسينى
الادريسى (ت ١٣٨٢ هـ).
٣٦ - نظام الحكومة النبوية (التراتيب الادارية) ج ٢
دار احياء التراث العربى ، بيروت .

كمال الدين سامح

٣٧ - تطور القبة فى العمارة الاسلامية .
بحث نشر فى مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - المجلد الثانى عشر - الجزء الأول - مايو ١٩٥٠م.

مارسيه ، جورج

٣٨ - الفن الاسلامى
ترجمة عفيف بهنسى .
منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى ، دمشق ١٩٦٨م.

مايسة محمود

٣٩ - الشكاوات الزجاجية فى العصر المملوكى .
رسالة ماجستير لم تطبع ، بكلية الآداب جامعة القاهرة - رقم ٩١٨
آثار اسلامية .

محمد أمين

٤٠ - الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) .
الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م.

مؤنس ، حسين

٤١ - المساجد
مطابع الاتحاد بالكويت.
نشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

موير ، وليم

٤٢ - تاريخ دولة المماليك فى مصر
ترجمة محمود عابدين وسليم حسن

نجاتى ، محمد عثمان

٤٣ - علم النفس فى حياتنا اليومية
الطبعة الخامسة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م.

نجاة يونس الحاج
٤٤ - المحاريب العراقية منذ العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي .
طبع ونشر مديرية الآثار العامة ، بغداد ١٩٧٦م .

نجيب ، محمد مصطفى
٤٥ - العمارة فى عصر المماليك .
بحث نشر فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها . لحسن الباشا وآخرين .
مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٠م .

هنتس ، فالتر
٤٦ - المكاييل والأوزان الاسلامية .
ترجمة كامل العسلي
منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٧٠م .

... ...

رابعا : المراجع الافرنجية :

1. Ali Bey Bahgat: La Houdjra de Medine, Cairo, 1914.

2. Fr: Buhl, Art Al-MADINA, The Encyclopadia of Islam. Vol, III, LEIDEN, 1936.

3. Creswell (K.A.G), Early Muslim Architecture, Vol I part 1,2. Hacker Art Books, New York, 1979.

4. R. Dozy, Supplement Aux Dixtionnaires Arabes, Troisieme Edition, Leyde. Ej. Brill, Paris, G.p. Maisonneuveet, Larose,

5. Sauvaget (Jean), La Mosquee Omeyyade de Medine, Paris, 1947.

.. .. ..

فهرس الأشكال والصور

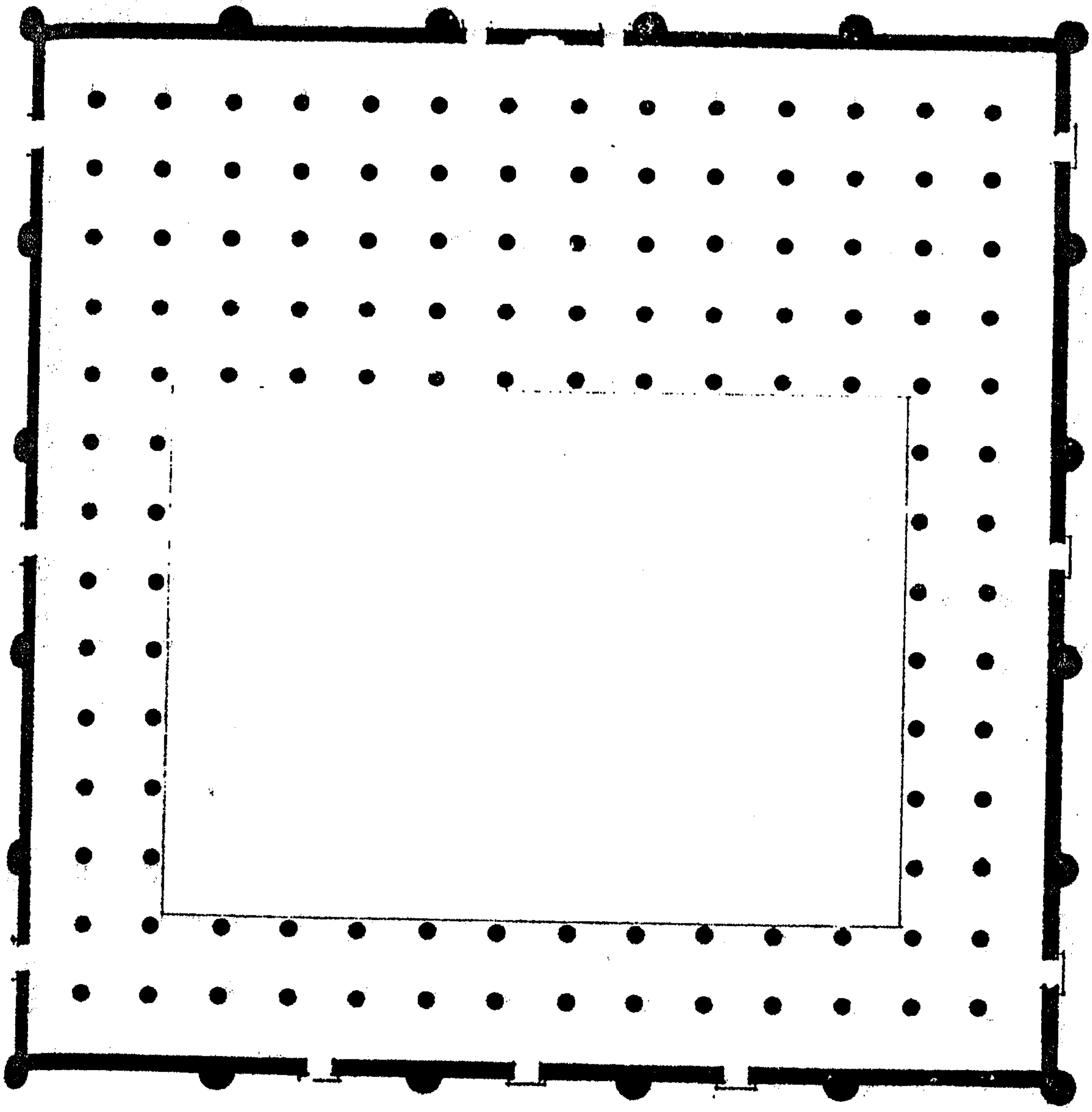

شكل (١)
رسم تخطيطي لمسجدي البصرة والكوفة بعد زيادة زياد بن أبيه لهما سنة ٥٠ هـ

(عن فريد شافعي)

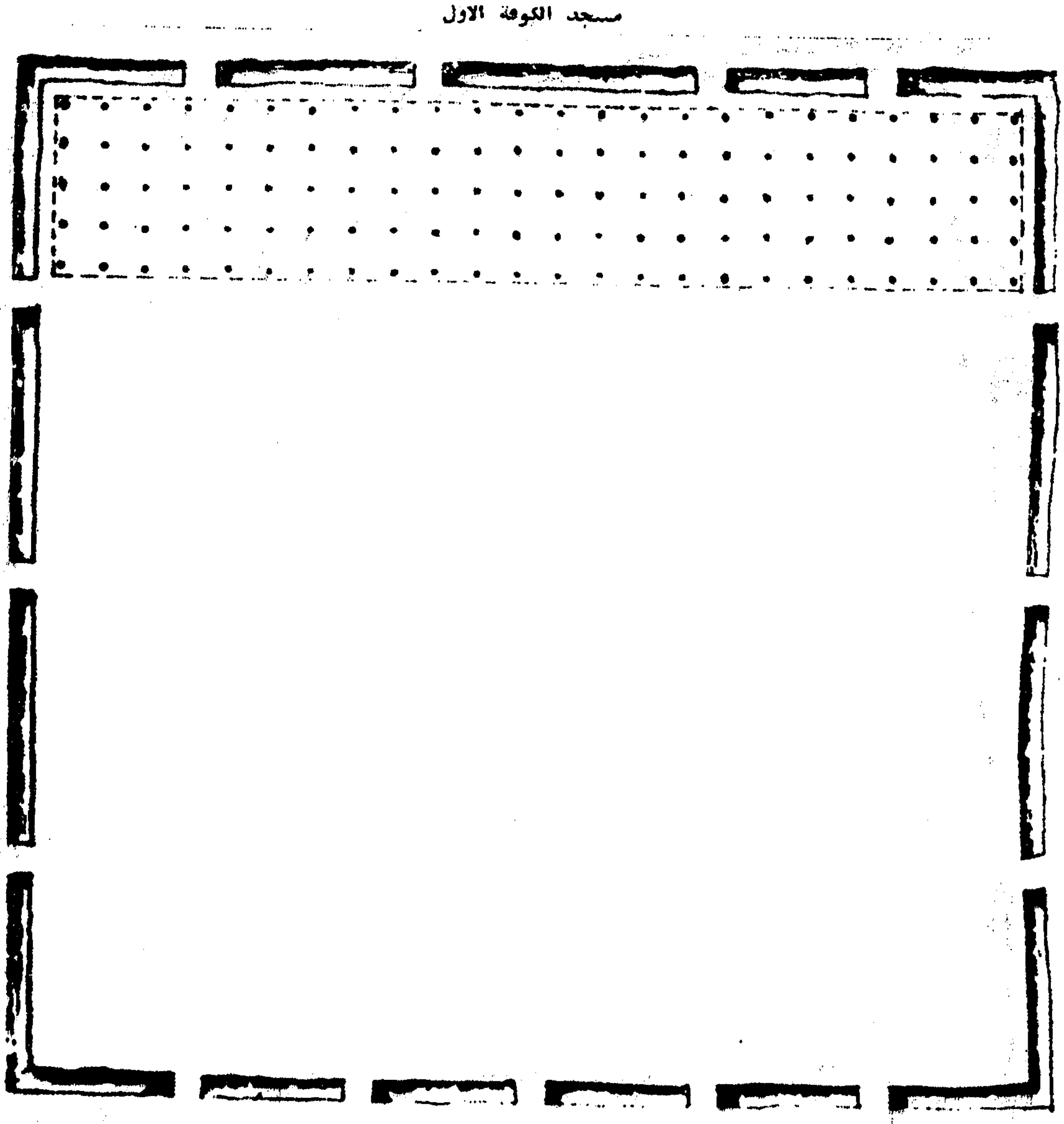

شكل (٢)
رسم تخطيطي لمسجد الكوفـــة الأول

(عن فريد شافعي)

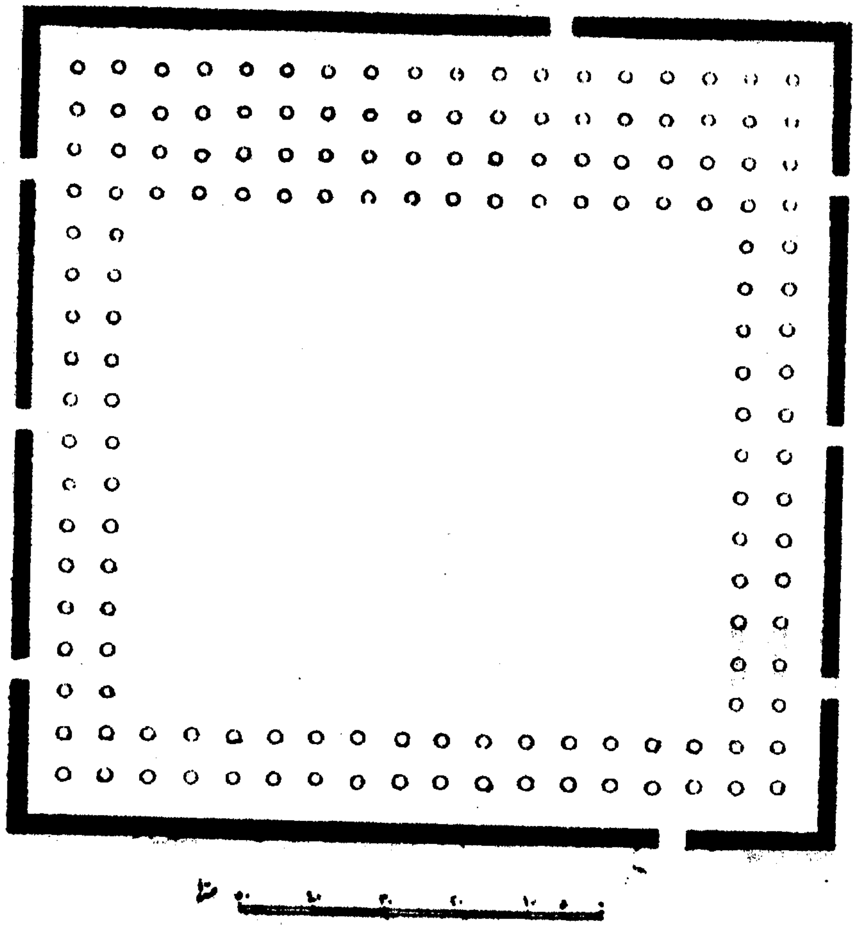

شكل (٣)

رسم تخطيطى لمسجد الكوفة بعد عمارة زياد بن أبيه له سنة (٥٠ هـ)

(عن أحمد فكرى)

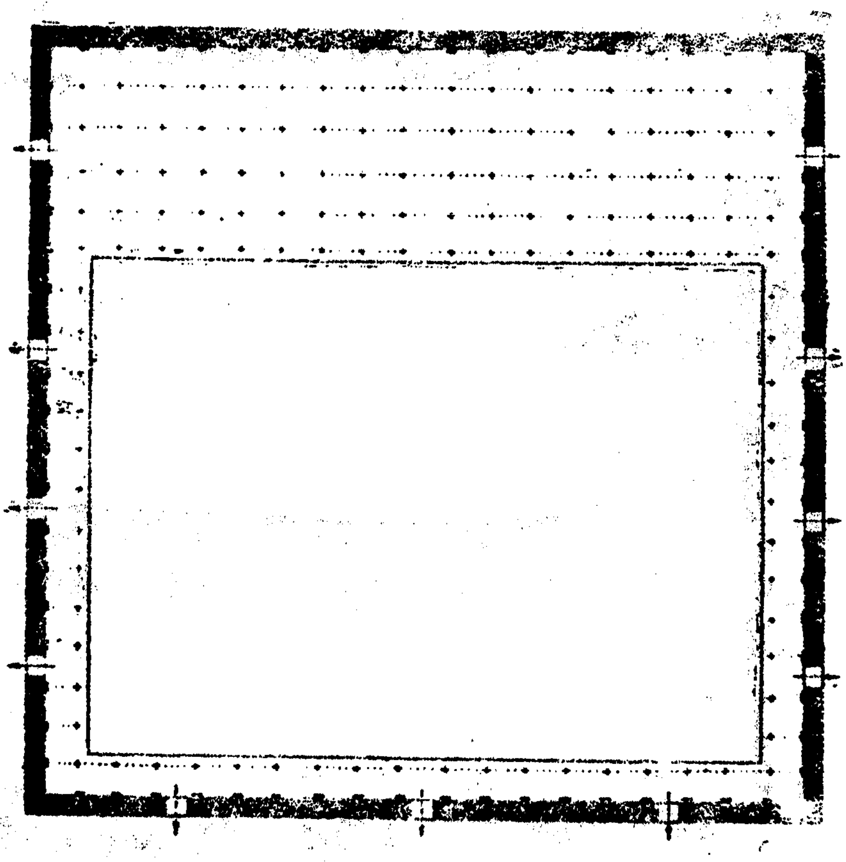

شكل (٤)

مخطط جامع واسط في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي

(عن أحمد فكري)

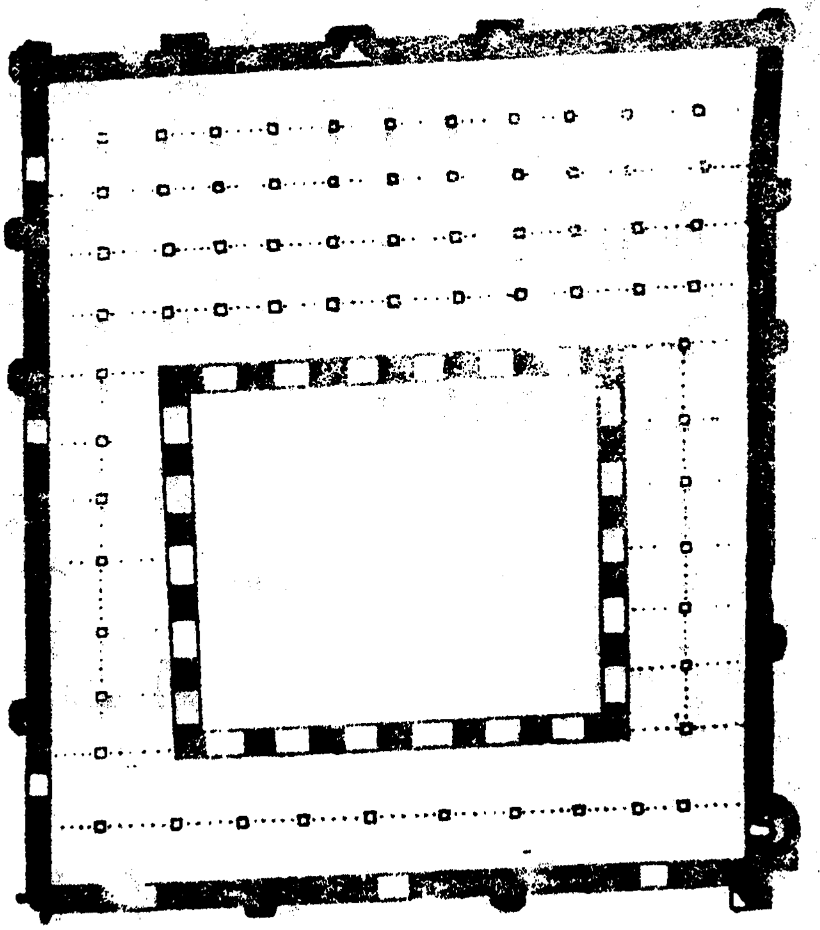

شكل (٥)

مخطط المسجد العلوى بمدينة أسكاف بنى جنيد بالعراق

سنة ١١٠ هـ

(عن أحمد فكرى)

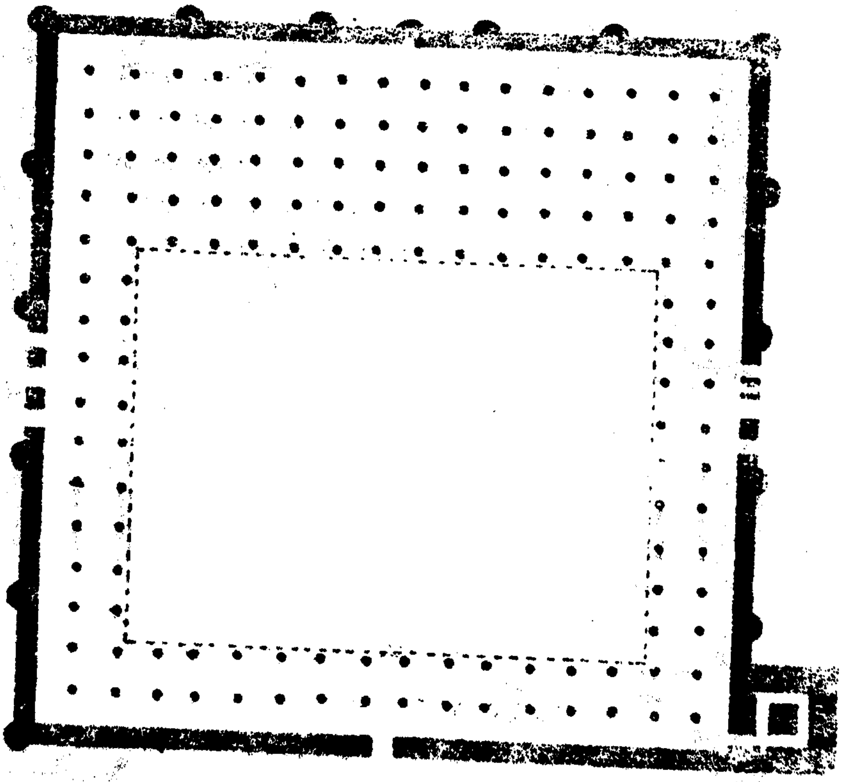

شكل (٦)

مخطط جامع بغداد في عهد أبي جعفر المنصور سنة ١٤٩ هـ

(أحمد فكري عن هرتزفلد)

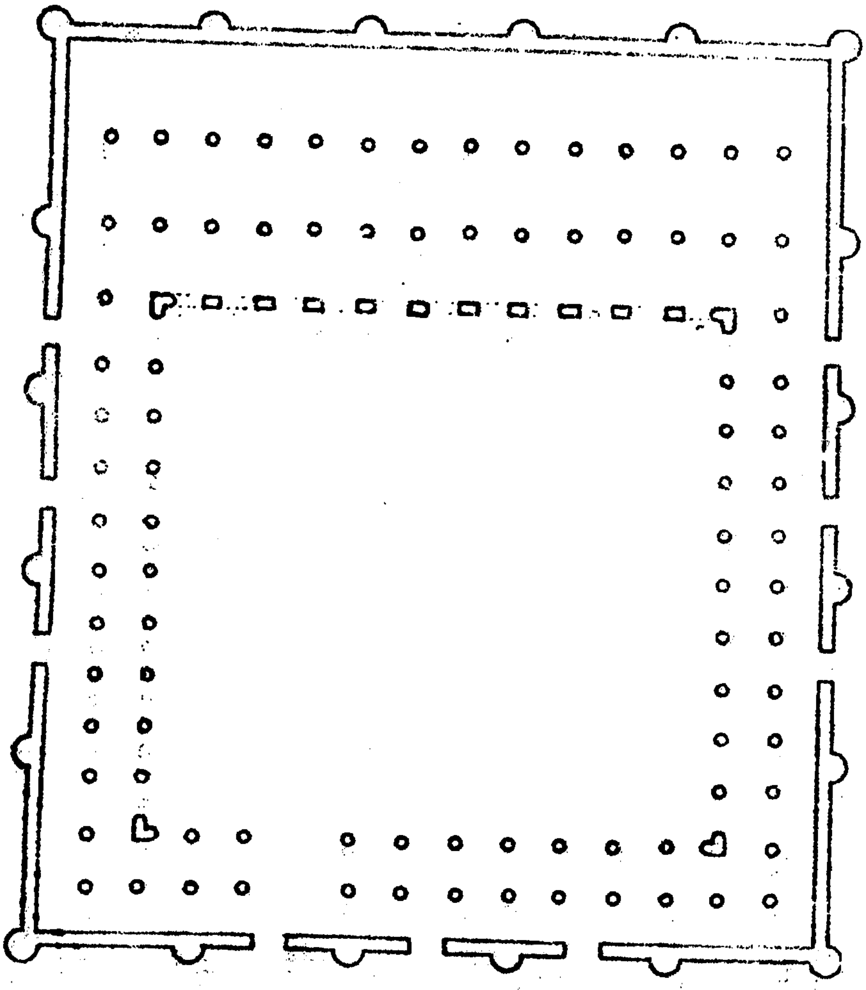

شكل (٧)

مخطط مسجد الرقة فى عهد المنصور سنة ١٥٥ هـ

(عن أحمد فكرى)

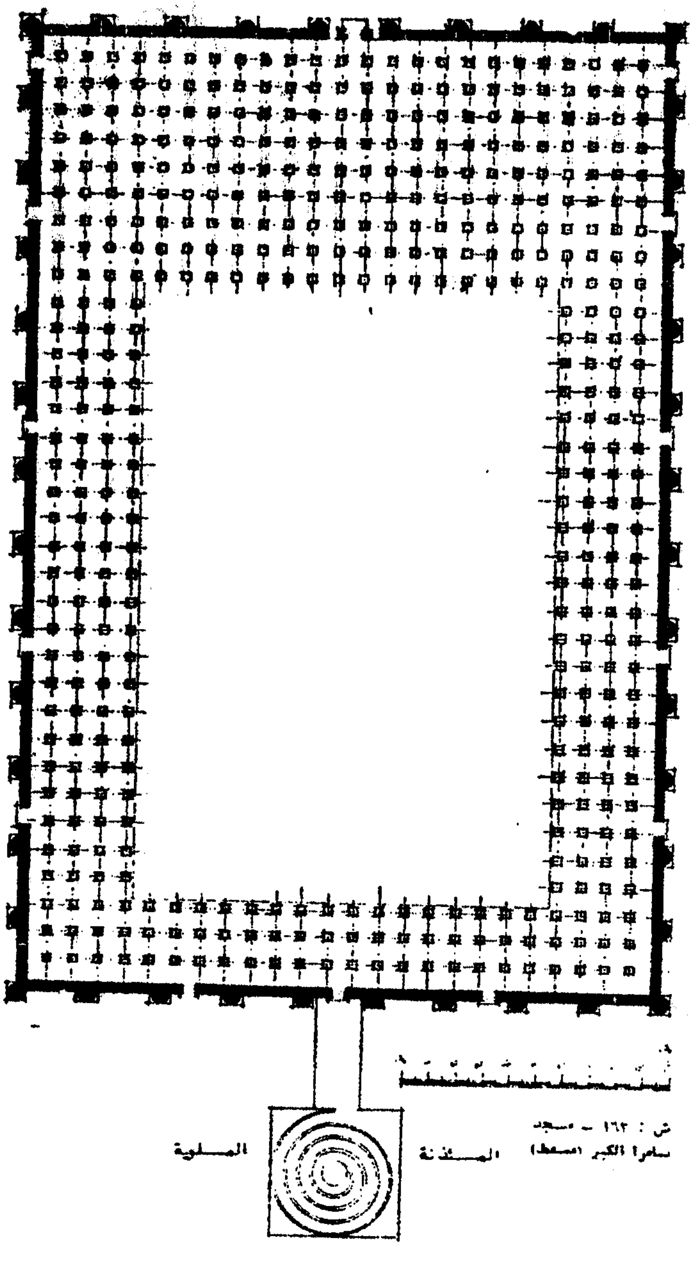

شكل (٨)

مخطط جامع سامراء الكبير

(عن فريد شافعى)

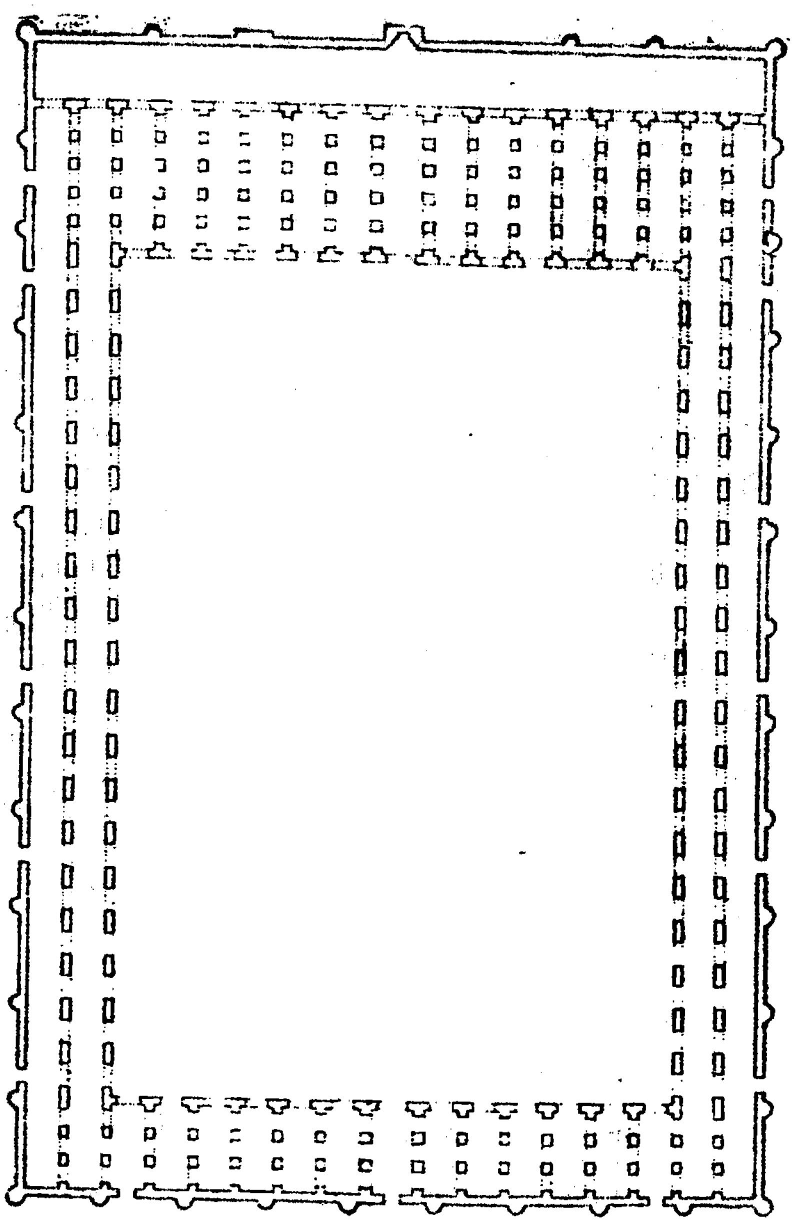

شكل (٩)

مخطط مسجد أبو دلف بالعراق في عهد المتوكل على الله سنة ٢٤٥هـ

(أحمد فكري عن هرتزفلد)

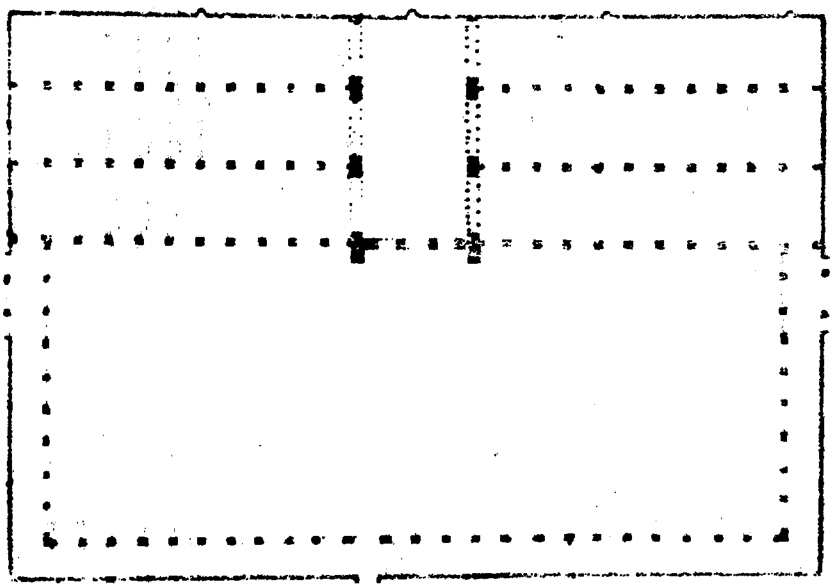

شكل (١٠)

مخطط الجامع الأموى بدمشق

(عن أحمد فكرى)

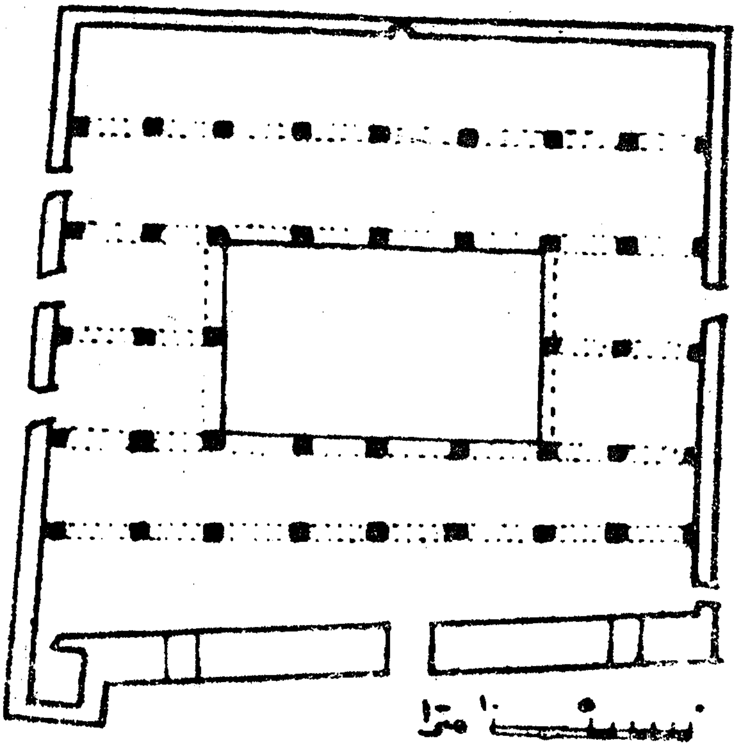

شكل (١١)

رسم تخطيطي لمسجد بصرى في جنوب الشام على عهد يزيد بن عبد الله في سنة ١٠٢هـ

(عن أحمد فكرى)

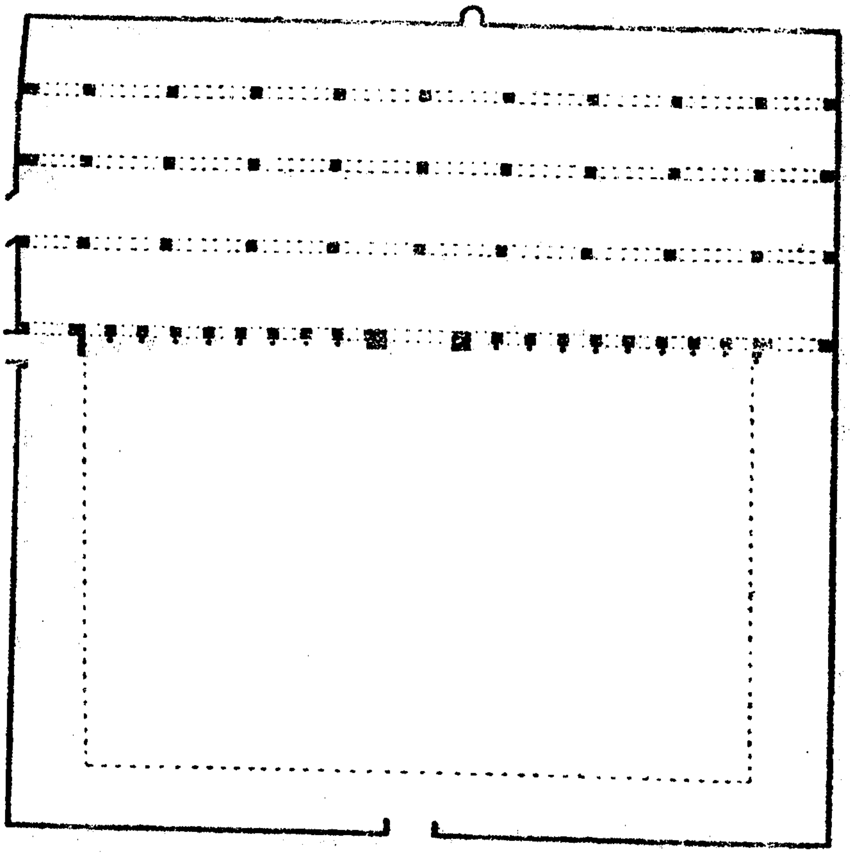

شكل (١٢)

مخطط مسجد حران في عهد مروان بن الحكم حوالي سنة ١٣٠هـ

(عن أحمد فكري)

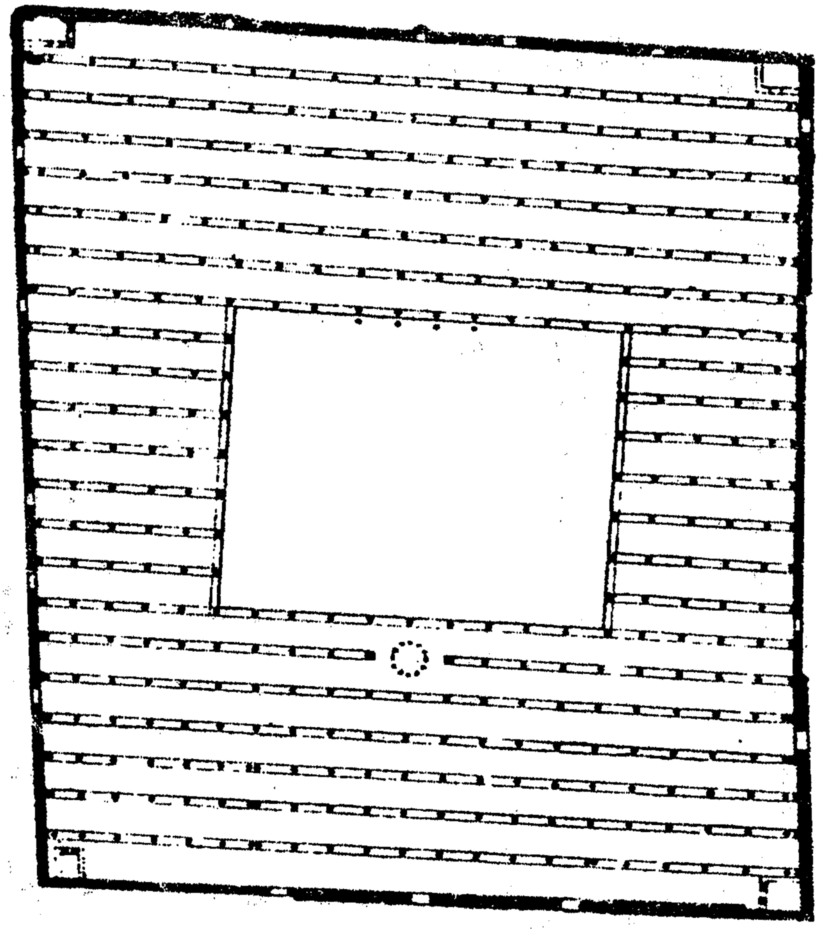

شكل (١٤)

رسم تخطيطي للمسجد العتيق على عهد عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هـ

(عن أحمد فكرى)

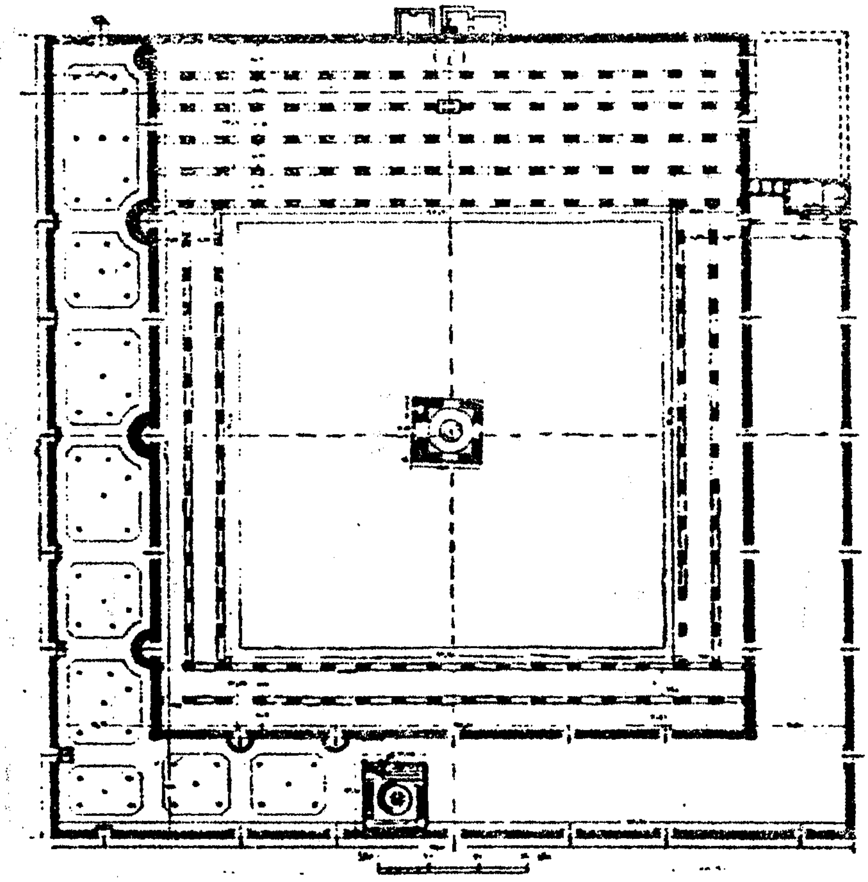

شكل (١٥)
مخطط جامع أحمد بن طولـــون

(أحمد فكري عن مصلحة الآثار المصرية)

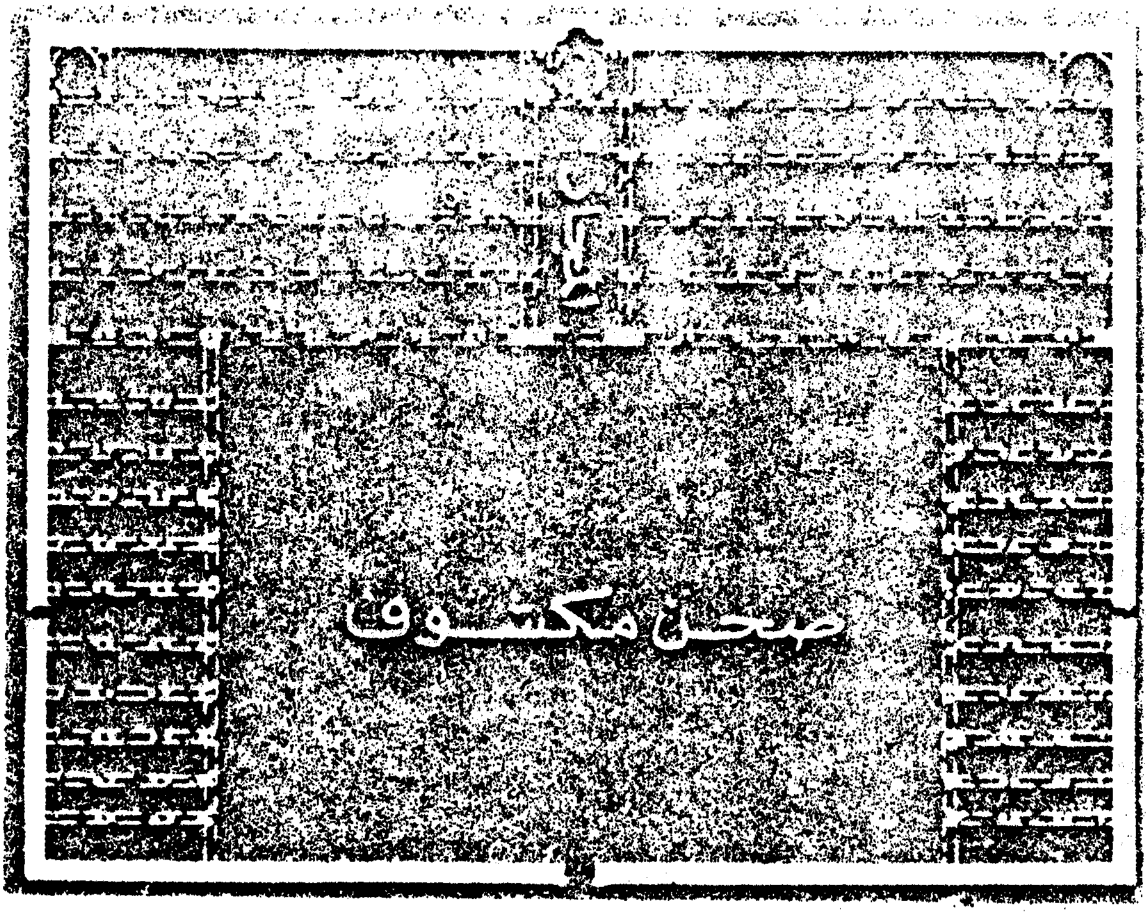

شكل (١٦)
مخطط الجامع الأزهر في العصر الفاطمي

(عن سعاد ماهر)

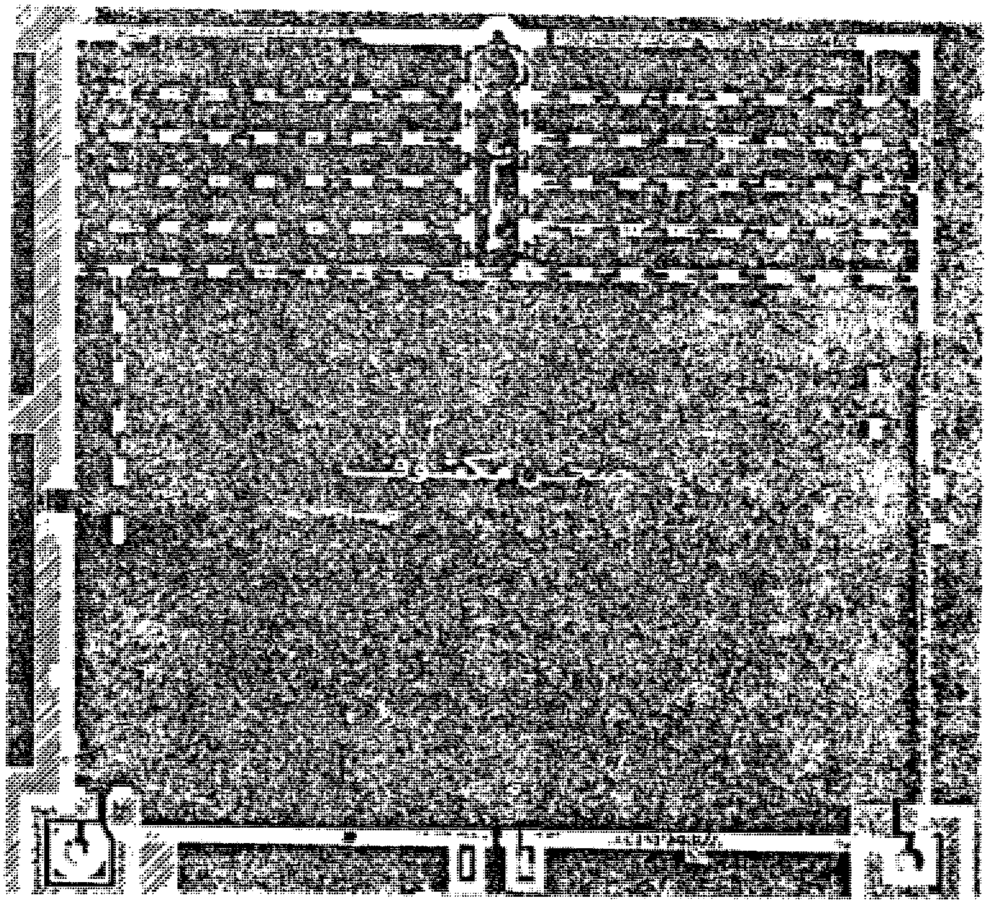

شكل (١٧)

مخطط جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهـــــرة

(عن سعاد ماهر)

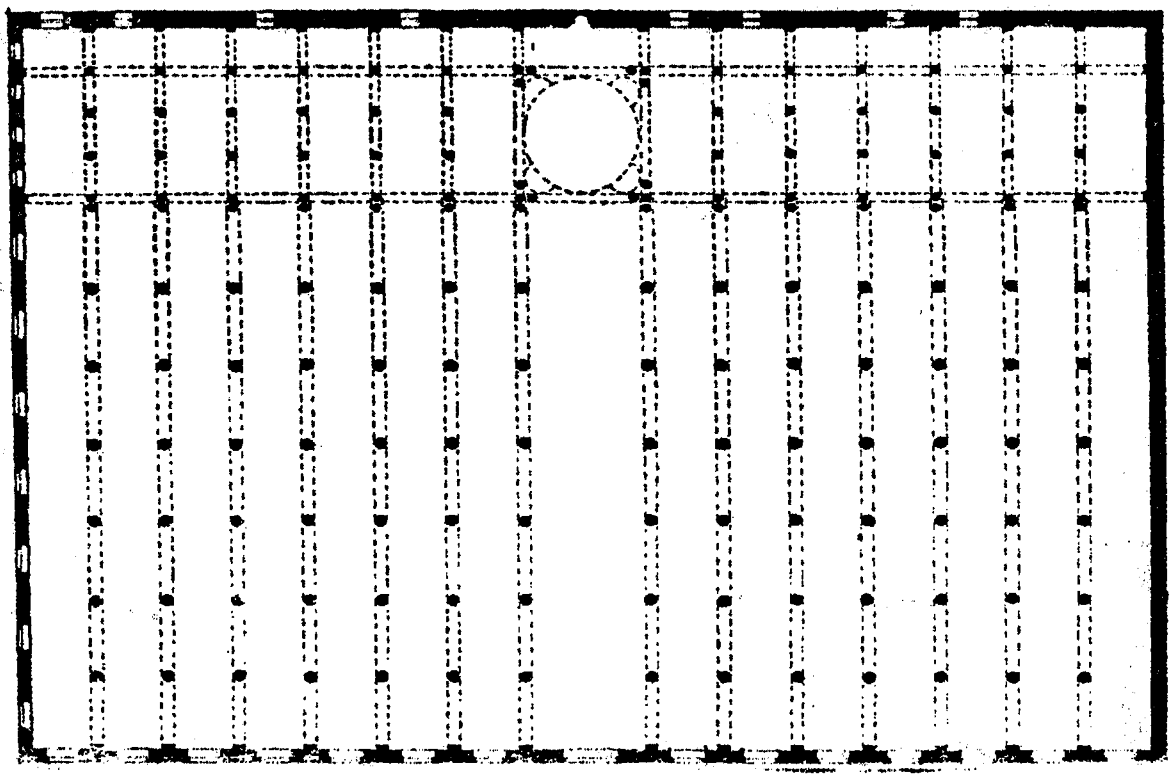

شكل (١٨)

مخطط المسجد الأقصى بعد عمارة المهدى العباسى له سنة ١٦٣هـ

(عن فريد شافعى)

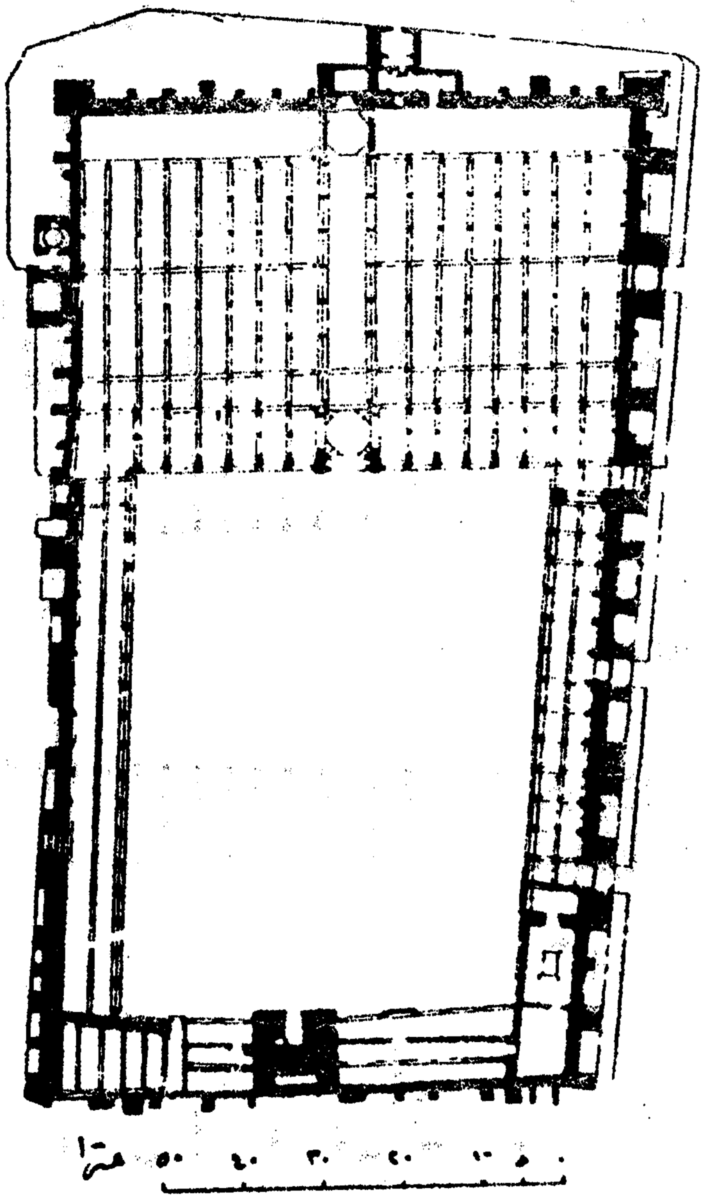

(شكل (١٩)

مخطط جامع القيروان بتونس بوضعه الراهن

(عن أحمد فكرى)

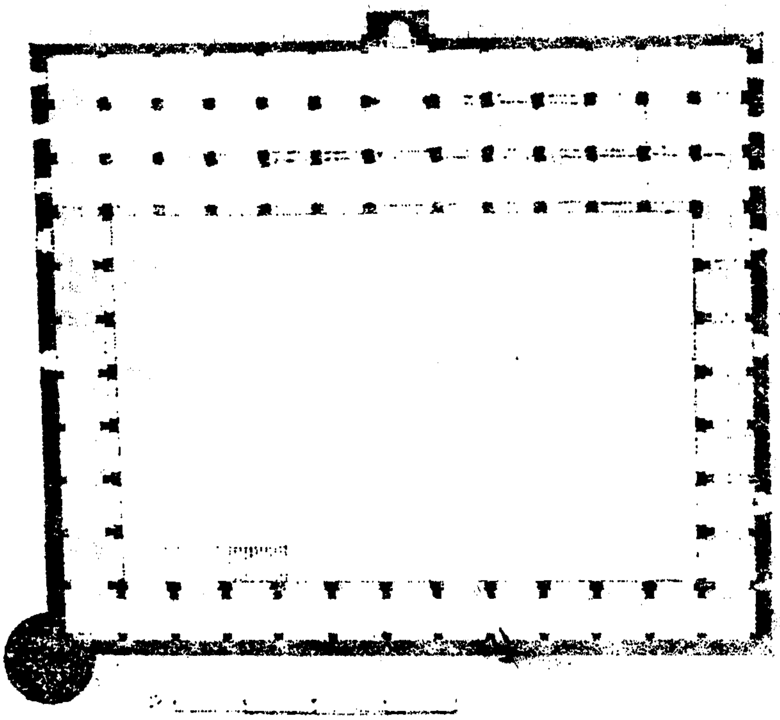

شكل (٢٠)

مخطط جامع سوسه في تونس في عهد أبي العباس محمد بن الأغلب
سنة ٢٣٦ هـ

(عن أحمد فكري)

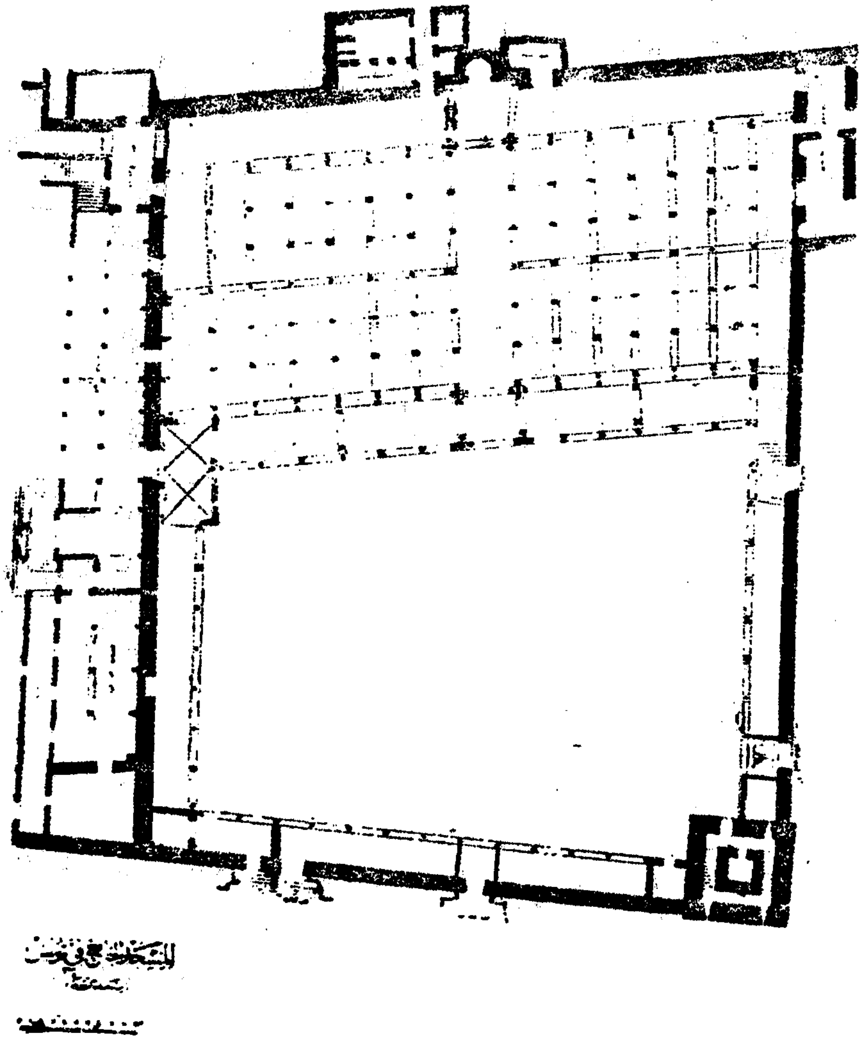

شكل (٢١)

مخطط جامع الزيتونة بوضعه الراهـــــــن

(عن أحمد فكرى)

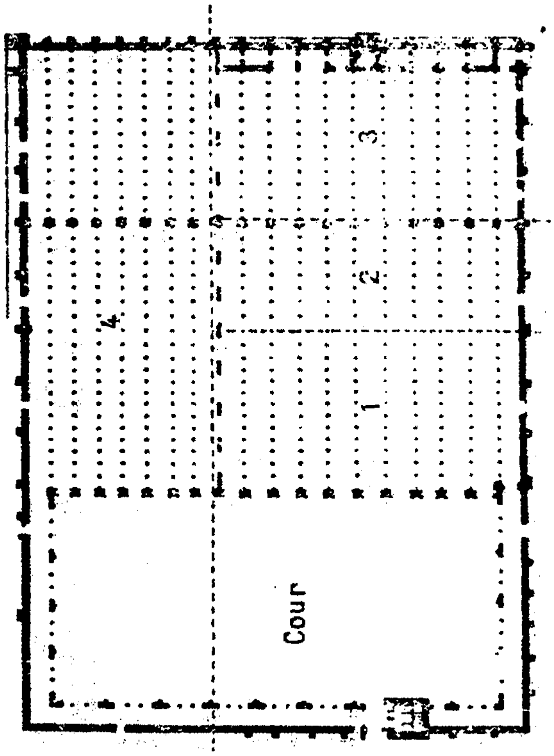

الشكل رقم ٢ — مخطط الجامع الكبير في قرطبة
١ — جامع عبد الرحمن الأول (٧٥٥) . ٢ — توسيع عبد الرحمن الثاني
(٨٣٢) . ٣ — توسيع الحاكم الثاني (٩٦١) . ٤ — توسيع المنصور (٩٨٧) .

شكل (٢٢)

مخطط المسجد الجامع بقرطبـــــــة

(عن جورج مارسيه)

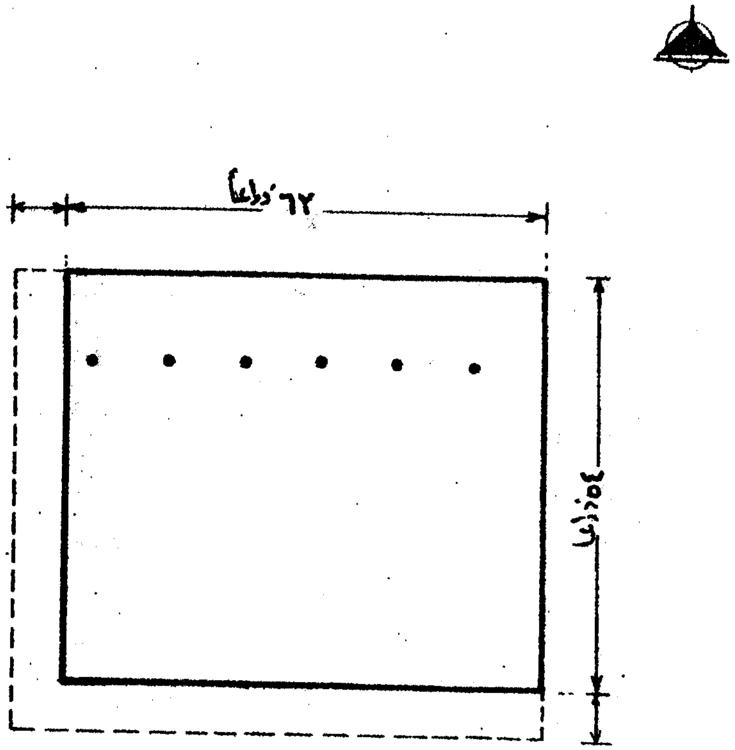

شكل (٢٣)
مخطط المسجد النبوى قبل تحويل القبلة

(من عمل الطالب)

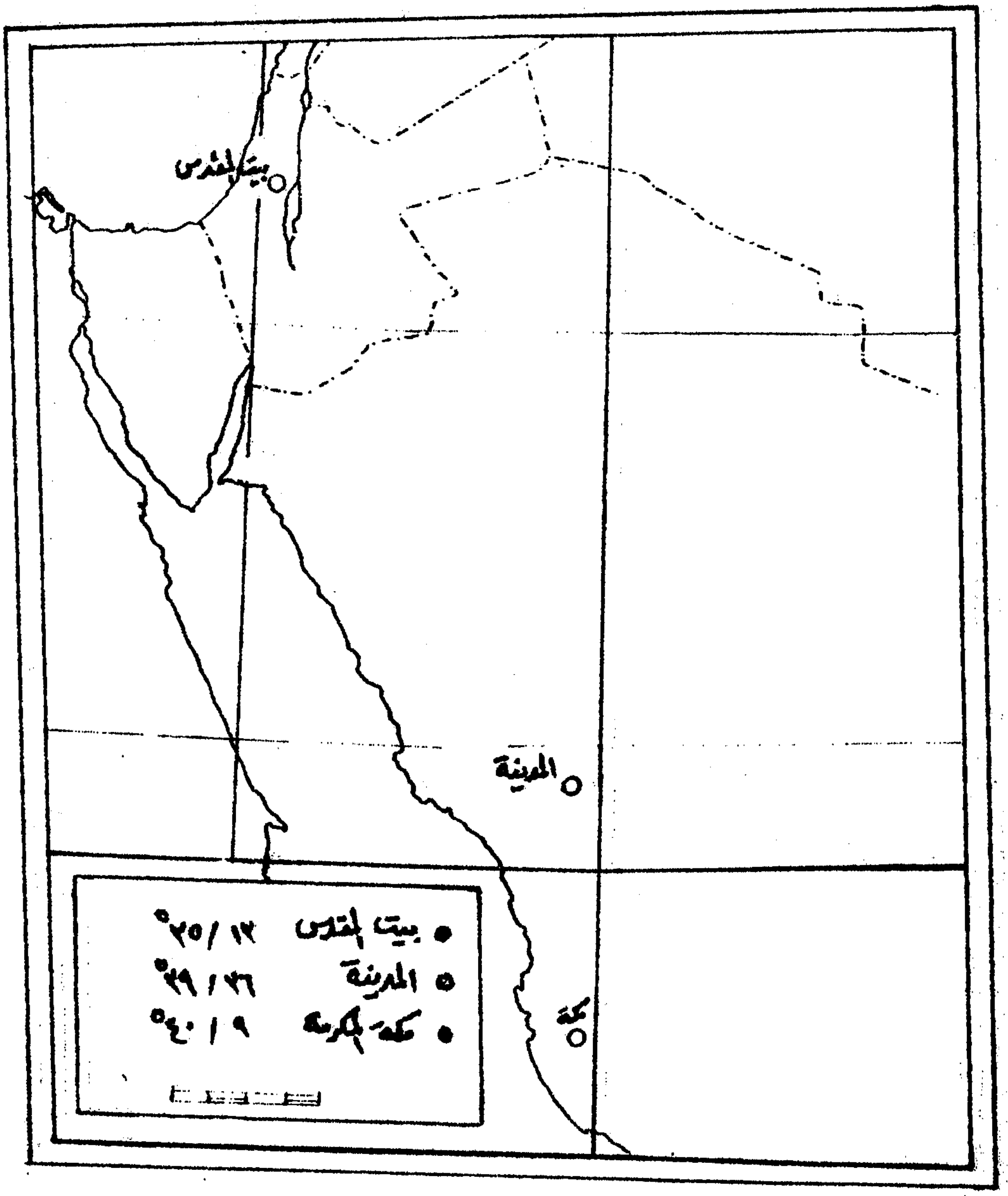

شكل (٢٤)

خريطة جغرافية يظهر بها موقع مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ويلاحظ أن المواقع المذكورة ليست على خط طول واحد

رابطة العالم الإسلامي

المرصد الإسلامي

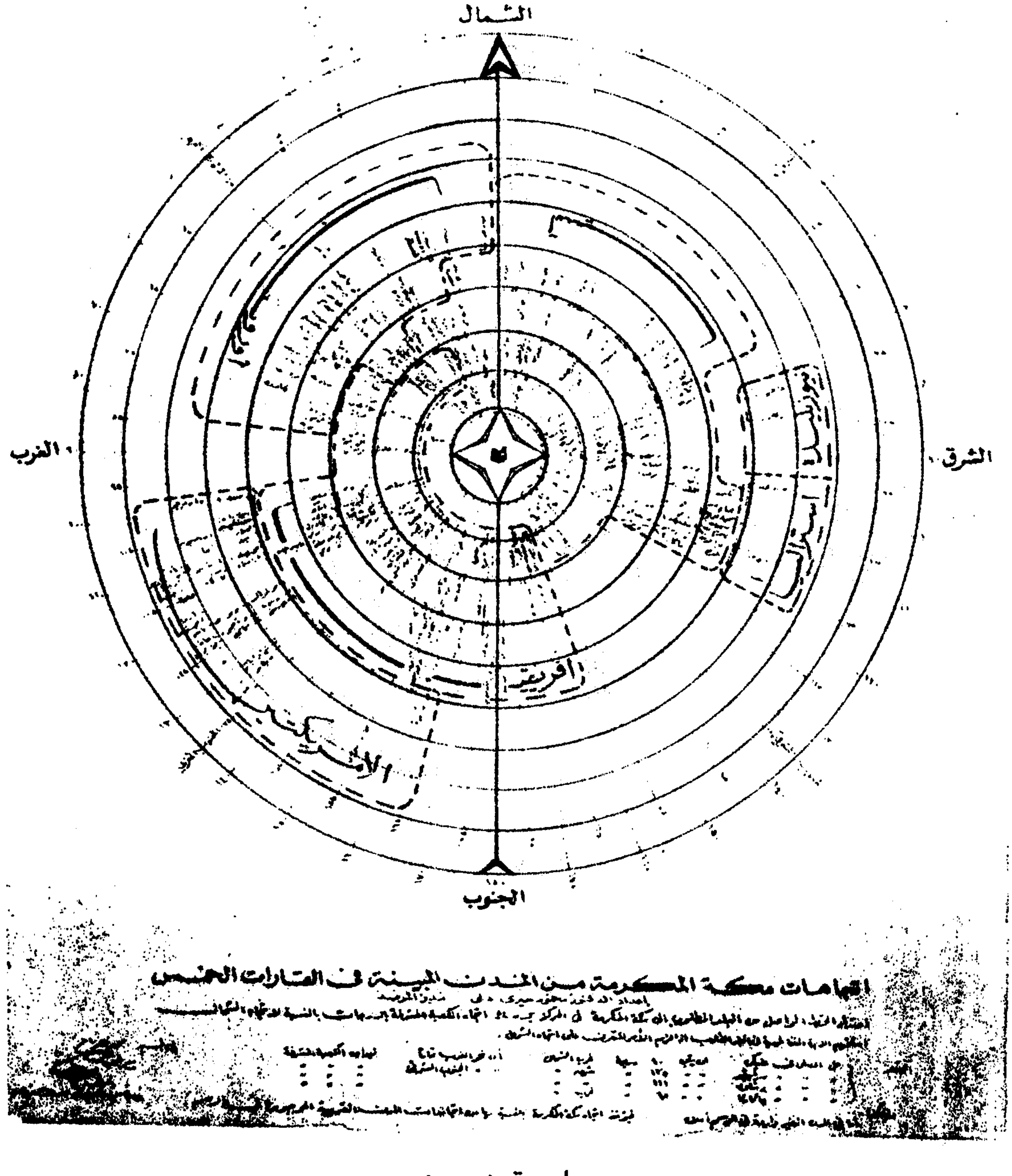

لوحة (٢٥)

تبين هذه الصورة الفرق بين موقع المدينة وبيت المقدس واتجاههما الى الكعبة المشرفة

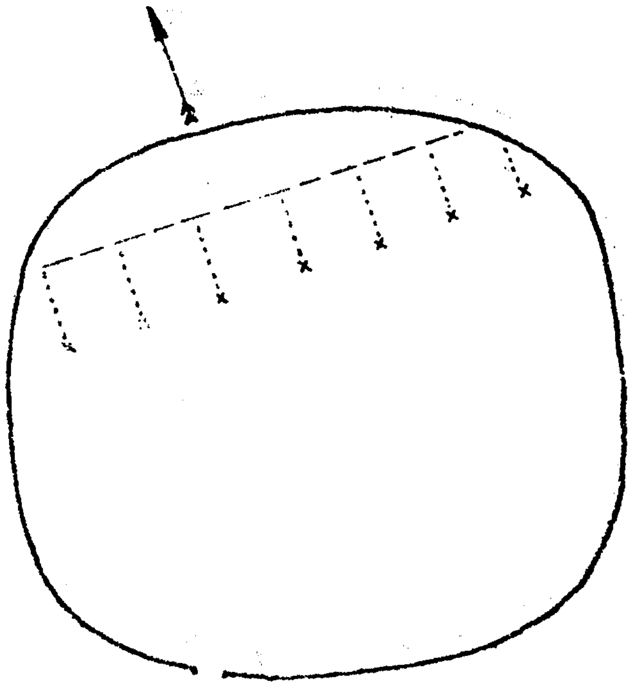

شكل (٢٦)

مخطط المسجد النبوي كما رسمه بوتي وهو مخطط لا يمكن قبولــه الا اذا كانت جدران المسجد النبوي لم تتغير بعد تحويل القبلــة

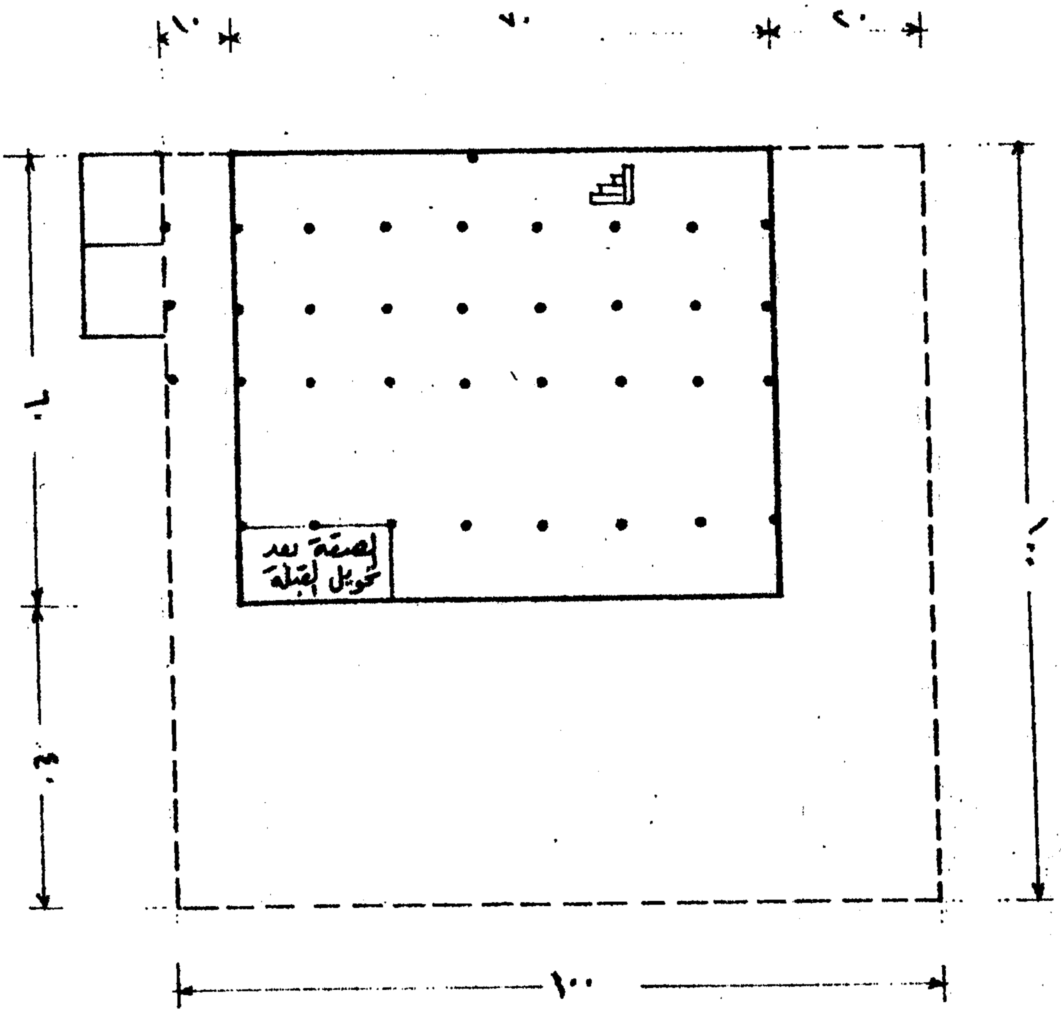

شكل (٢٧)

مخطط للمسجد النبوى بعد تحويل القبلة فيه يظهر موقع أهل الصفة من الظلة الشمالية ، ومما لا شك فيه انها انتقلت الى مؤخرة المسجد النبوى بعد الزيادة الأخيرة فى عهد الرسول عليه السلام

(من عمل الطالب)

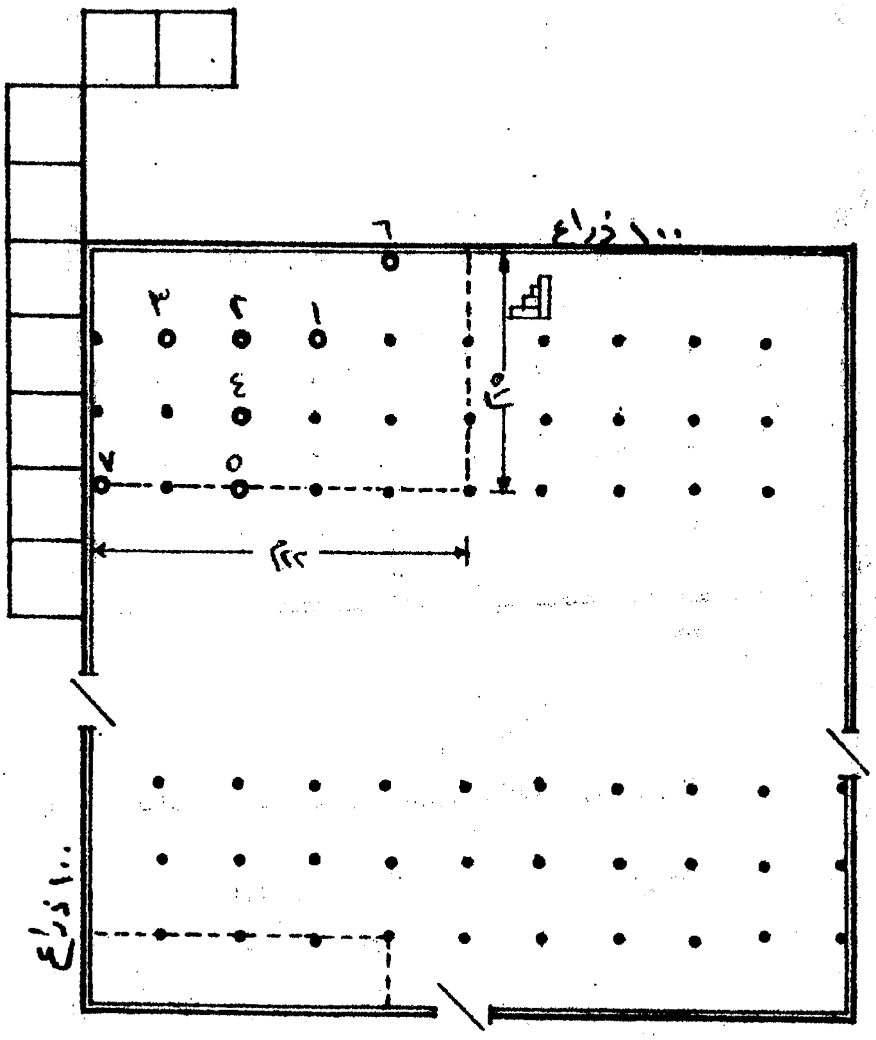

شكل (٢٨)

مخطط المسجد النبوى فى حياة الرسول فيه تظهر اسطوانات الروضة المشهورة التالية :

١ ـ اسطوانة عائشة
٢ ـ اسطوانة التوبة
٣ ـ اسطوانة السرير
٤ ـ اسطوانة المحرس
٥ ـ اسطوانة الوفود
٦ ـ اسطوانة مصلى النبى
٧ ـ اسطوانة مقام جبريل

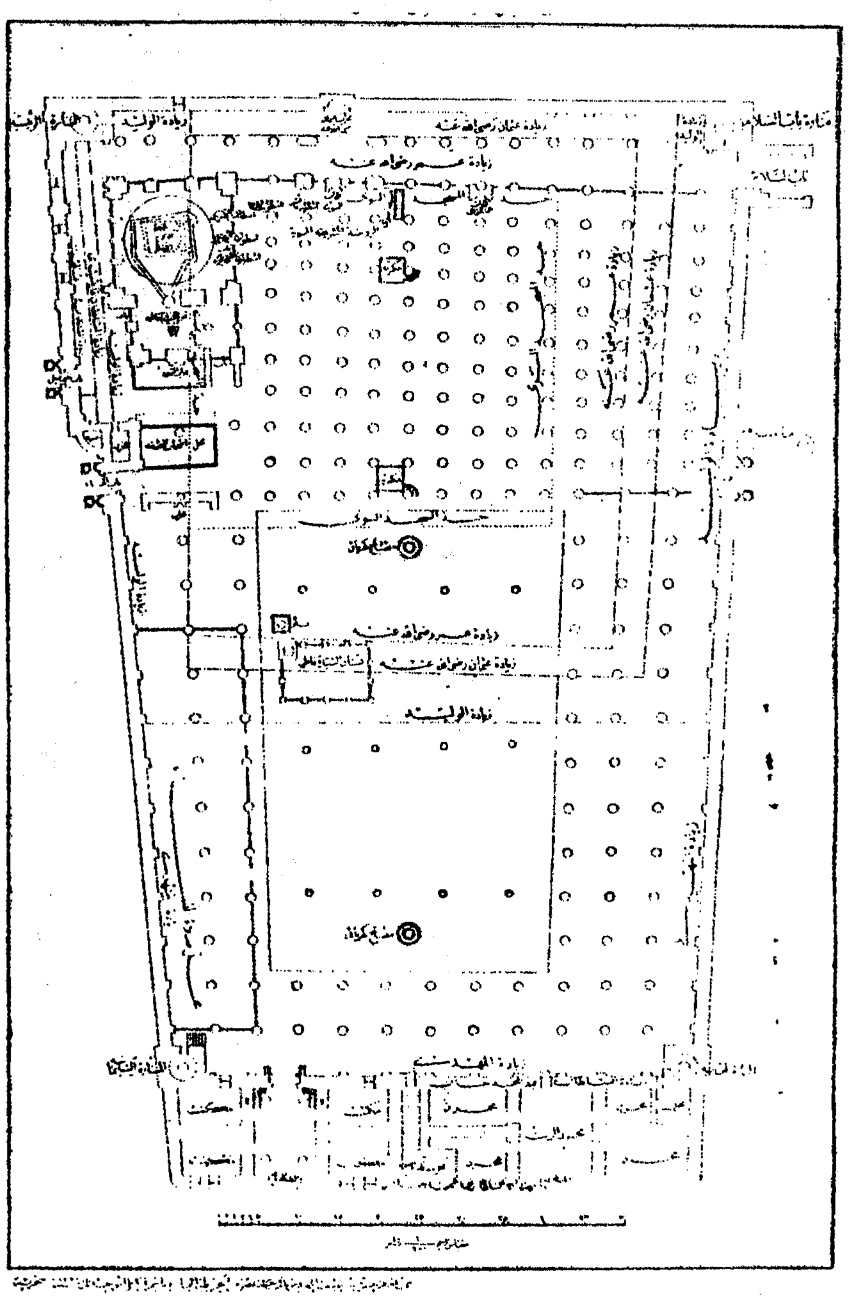

شكل (٢٩)

مخطط المسجد النبوي بعد زيادة السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٧٧ هـ عن مرآة الحرمين عليه يظهر موقع أهل الصفة في الجانب الشمالي الشرقي من مؤخرة المسجد النبوي في عهد الرسول ، وفي هذا مخالفة لموقعها في المخطط الذي أعده كريزول ومن أخذ عنه .

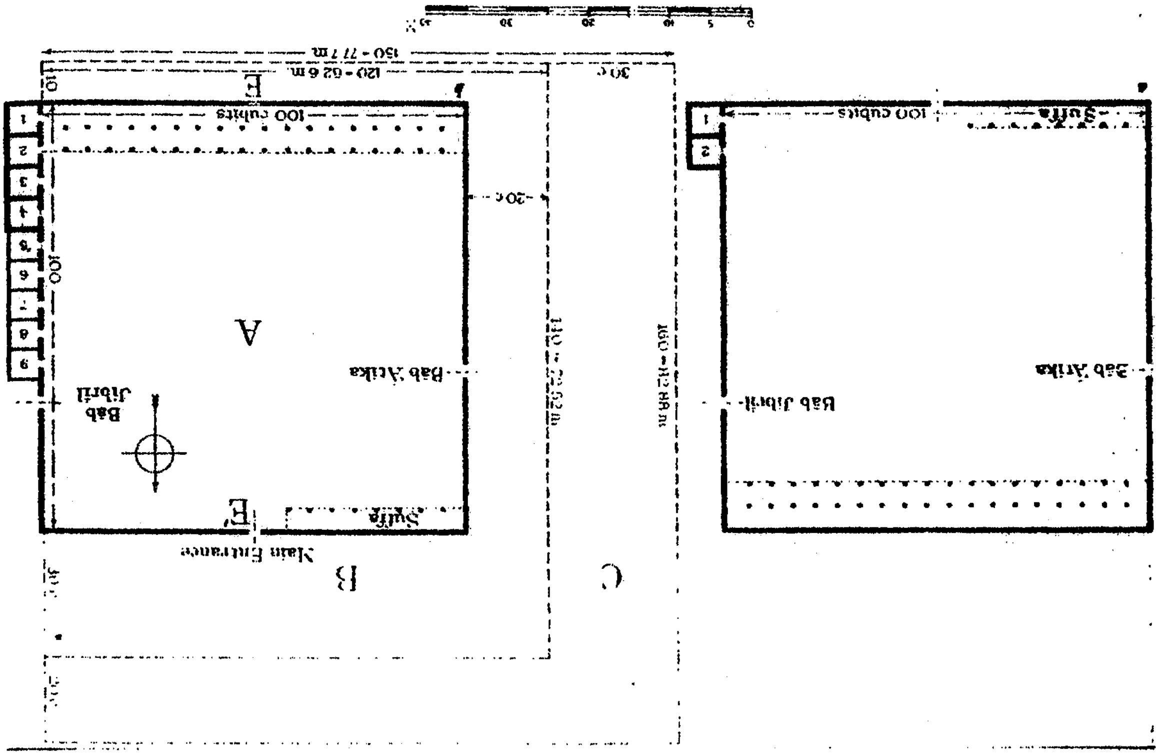

شكل (٣٠)
مخطط المسجد النبوى الشريف قبل السنة السابعة وبعدهـــا

(من عمل كريزول)

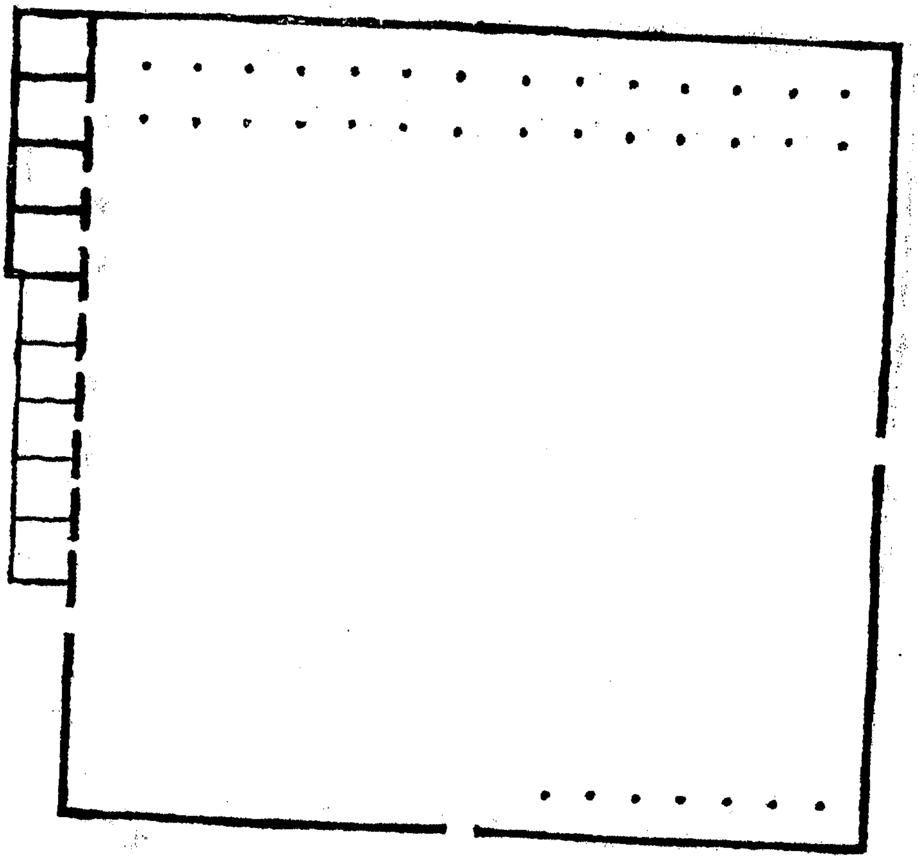

شكل (٢١)

مخطط المسجد النبوى بعد تحويل القبلة ، ويه يظهر التشابه بينه وبين مخطط كريزول فى قصر موقع الصفة على الجزء الشمالى الغربى من مؤخرة المسجد النبوى

(عن فريد شافعى)

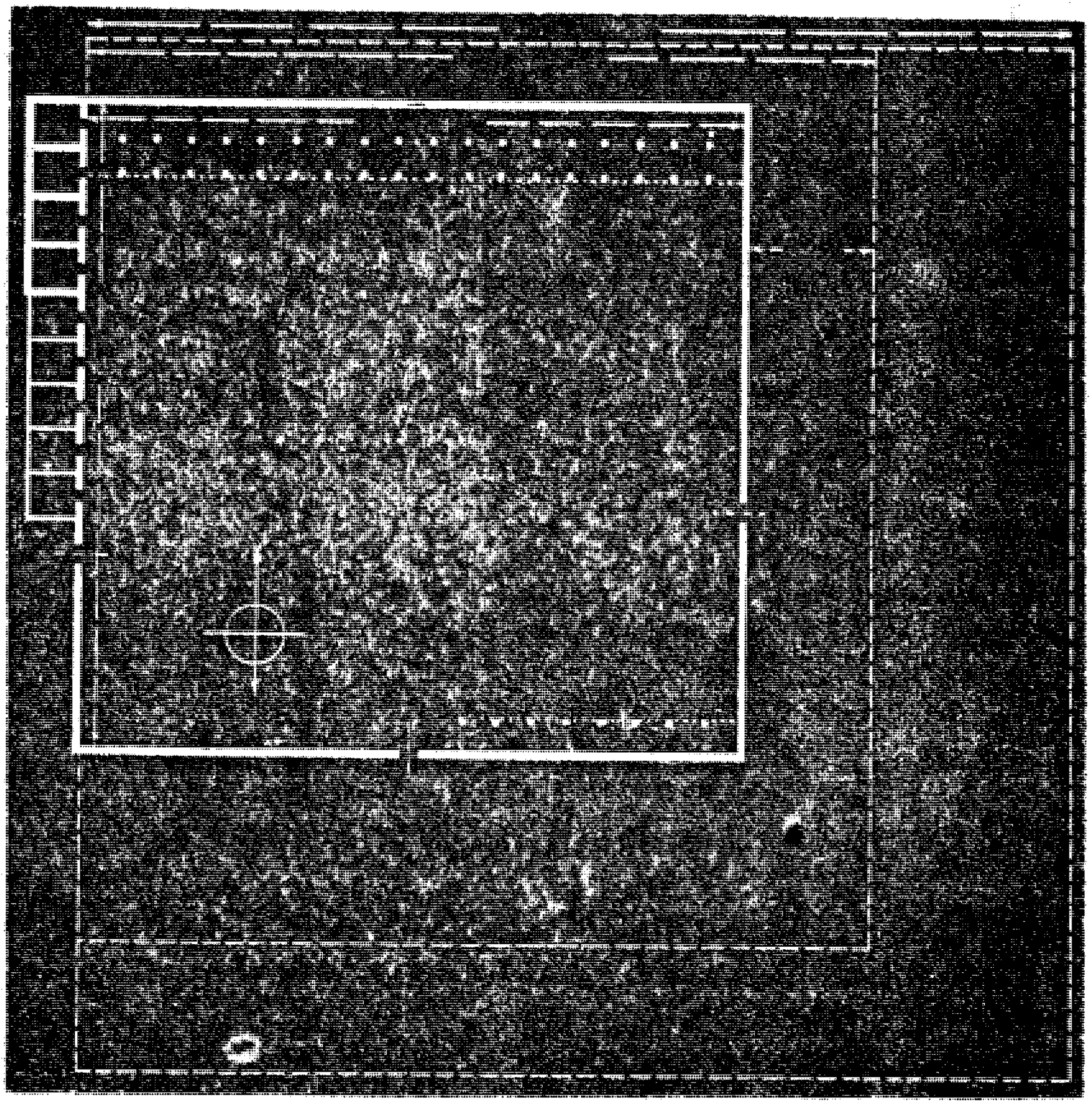

شكل (٣٢)

مخطط المسجد النبوي الذى نشرته سعاد ماهر فى كتابها مساجد مصر . وقد أخذته كما يبدو عن كريزول وفيه يظهر موقع أهل الصفة مقتصرا على الجزء الشمالى الشرقى من مؤخرة المسجد النبوى.

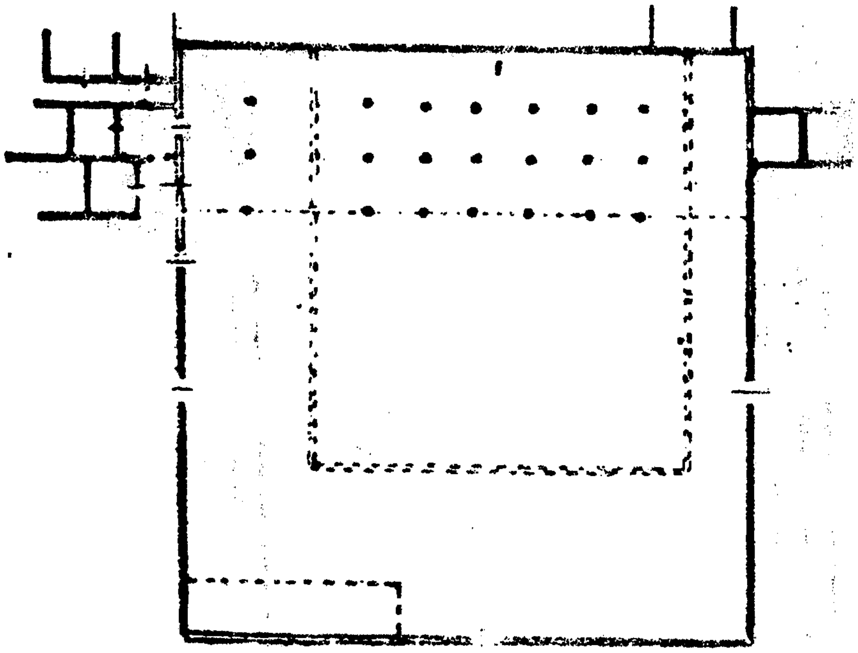

شكل (٣٣)

مخطط المسجد النبوى فى آخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نقله أحمد فكرى عن محمود عكوش ، وبه تظهر الصفة فى الجانب الشمالى الشرقى من المسجد النبوى ، وفى هذا مخالفة لما فى مخطط كريزول وفريد شافعى وسعاد ماهر .

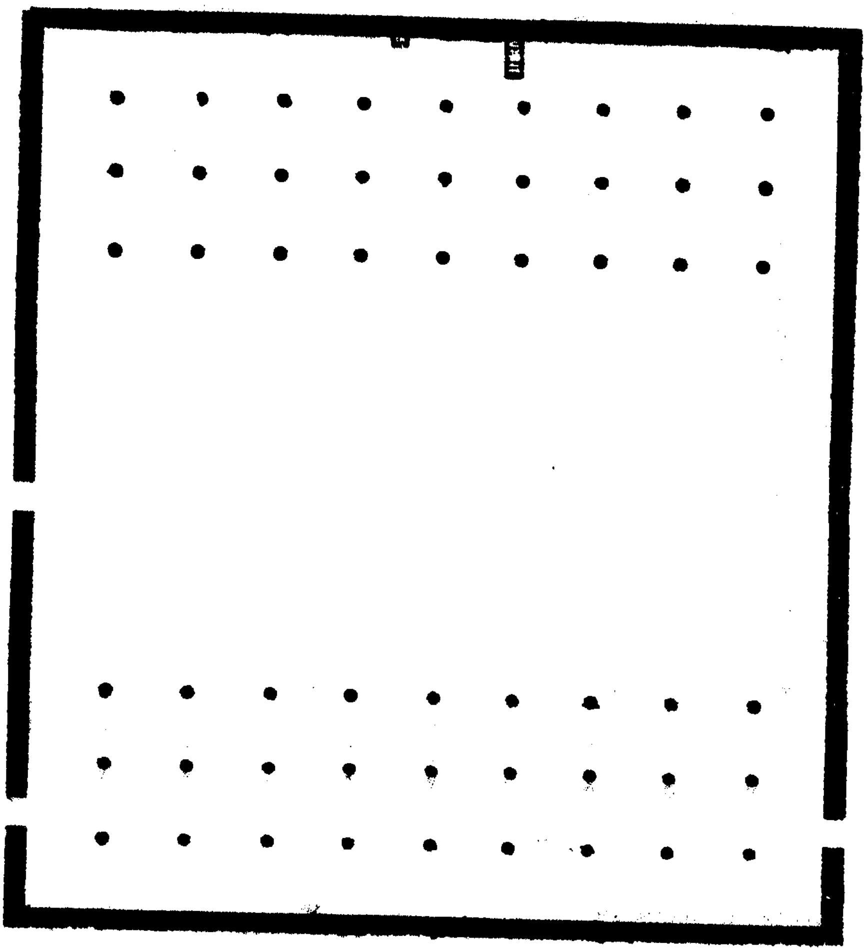

شكل (٣٤)

مخطط المسجد النبوى بعد السنة السابعة من الهجــــــرة .

(عن أحمد فكرى)

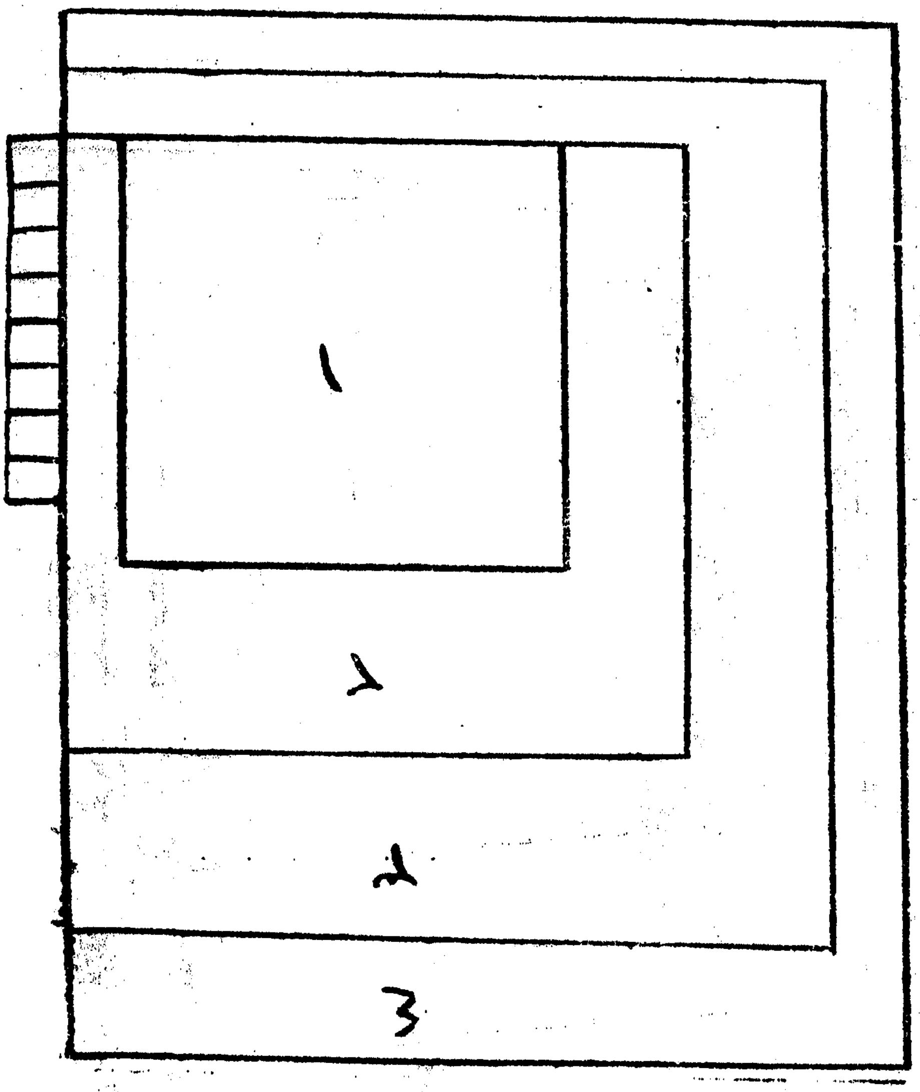

شكل (٣٦)

مخطط المسجد النبوى فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ،
(عن حسن الباشا) وليس به أدنى اشارة الى مقدار الأذرع
المضافة فى كل زيادة من الزيادات المرقمة .

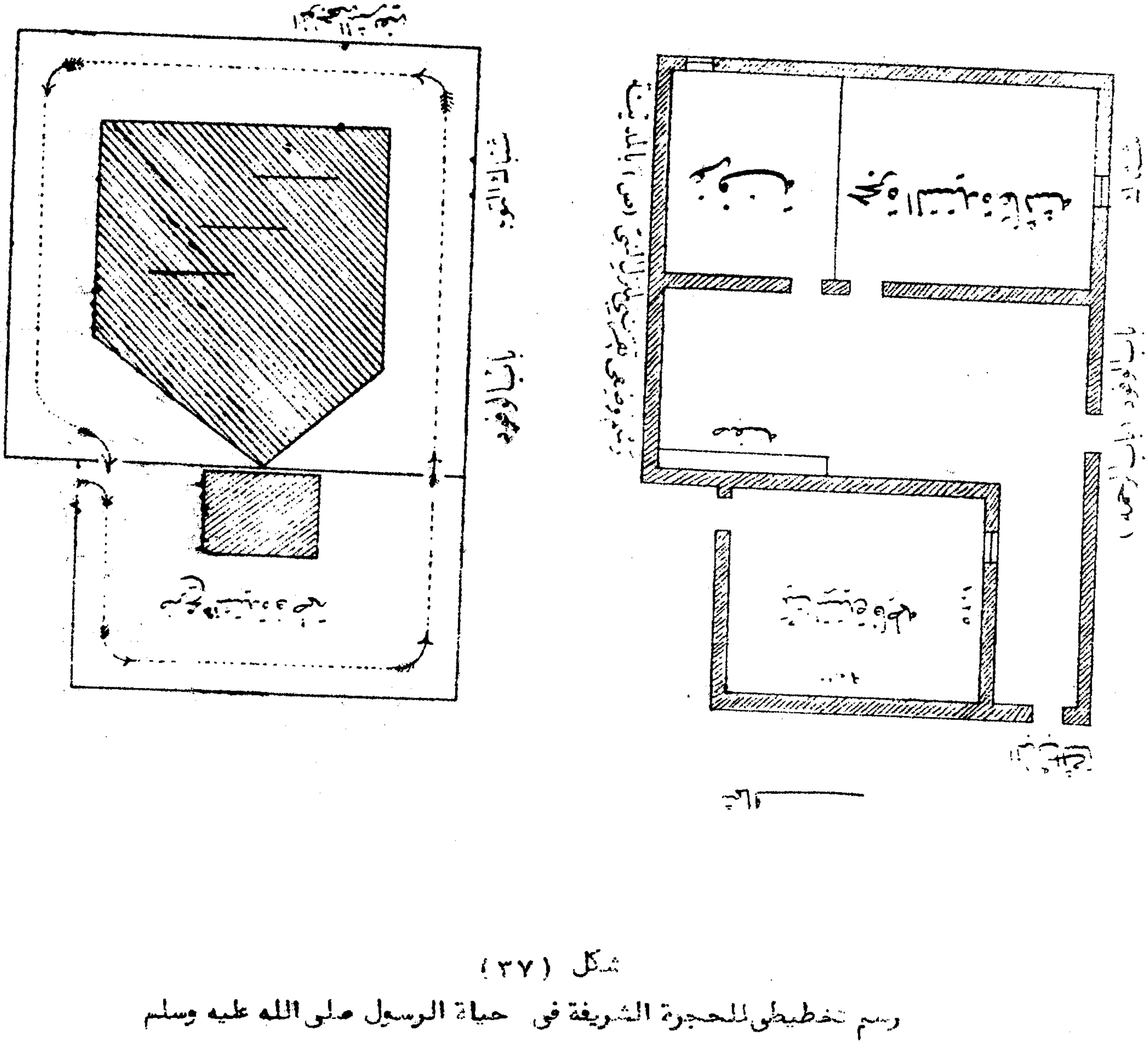

شكل (٣٧)

رسم تخطيطي للحجرة الشريفة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

(عن محمد لبيب البتنوني)

م (١) مصدر الصوت وهو على ارتفاع حوالى ١٦٠ سم من سطح الأرض

م (٢) نفس مصدر الصوت وهو على ارتفاع حوالى ٣٠٠ سم من سطح الأرض

(أ١، أ٢، أ٣، أ٤) تمثيل هندسى للطاقة الصوتيه الصادرة من م (١)

(ب١، ب٢، ب٣، ب٤) تمثيل هندسى للطاقة الصوتيه من م (٢)

الرسم يوضح ان الصوت الصادر من المصدر وهو فى وضع م (١)

جزء كبير منه يمتص فى الاجسام التى بين المصدر والمستمع

قبل ان يصل اليه.

بينما نسبة أكبر تصل لنفس المستمع عندما يكون نفس المصدر فى الوضع م (٢)

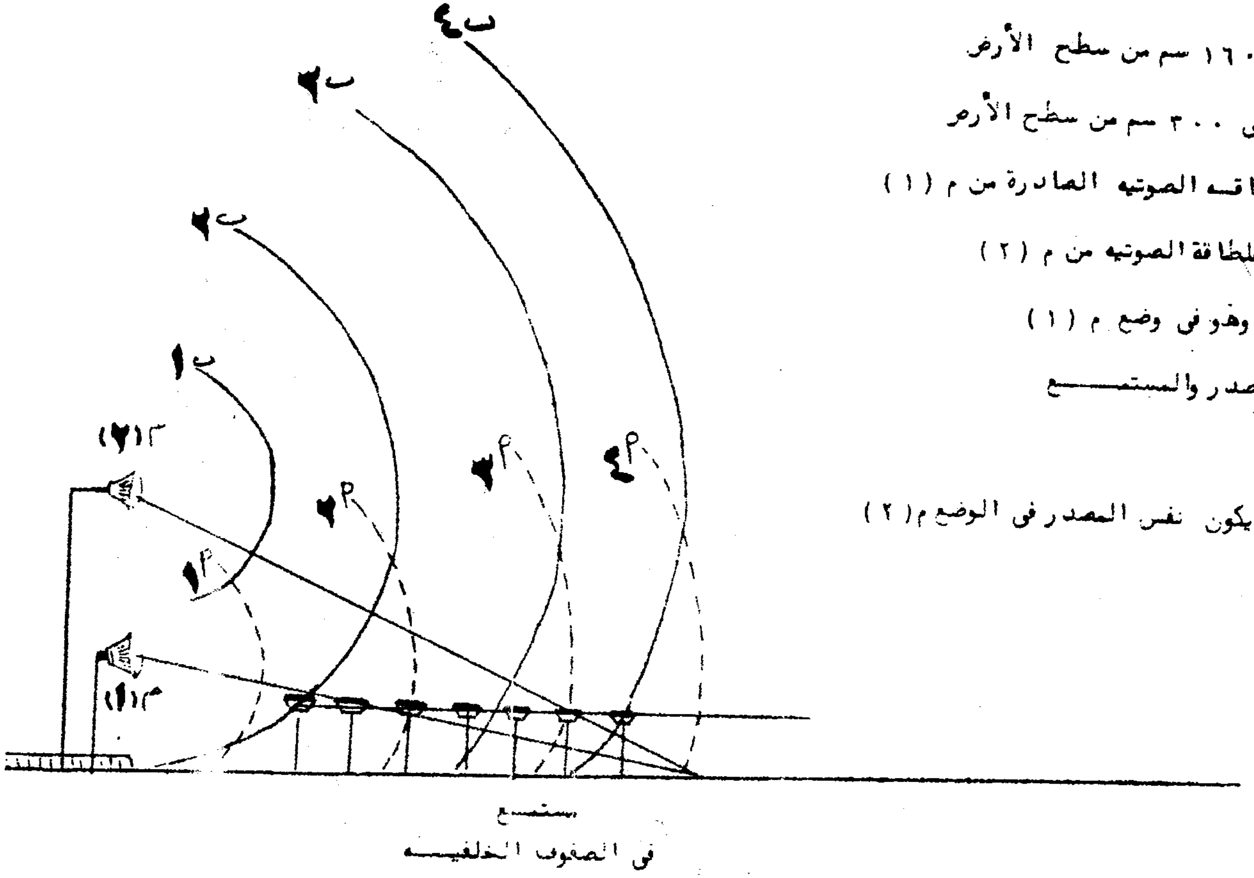

شكل (٣٨)

رسم توضيحى لمدى انتشار الصوت من مكان مرتفع

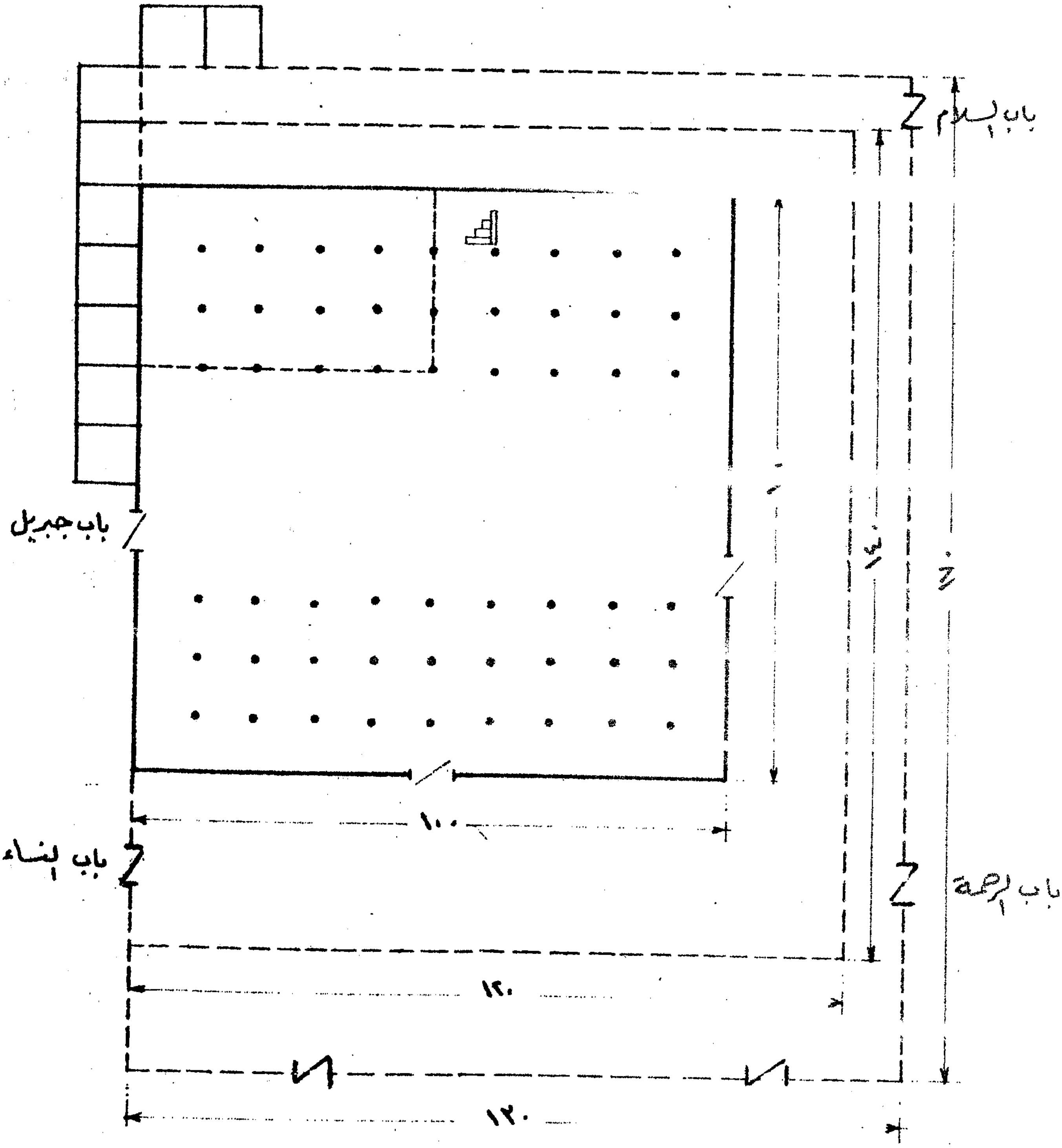

شكل (٣٩)

رسم تخطيطي المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة عمر وعثمان رضي الله عنهما .

(من عمل الطالب)

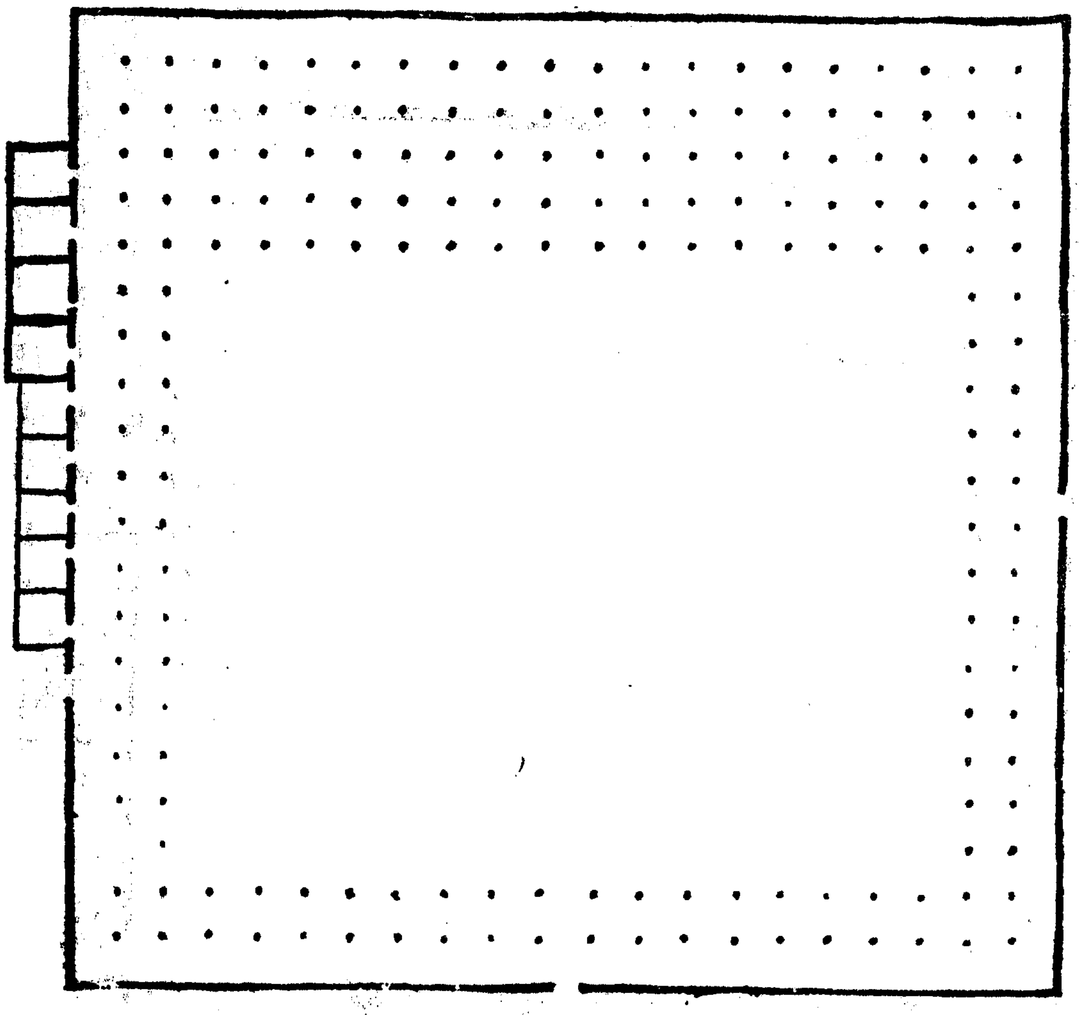

شكل (٤٠)
رسم تخطيطي للمسجد النبوي أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه

(عن فريد شافعي)

وقد تصور وجود الظلات الجانبية في ذلك التاريخ المبكر دون أن يكون لديه سند مقنع .

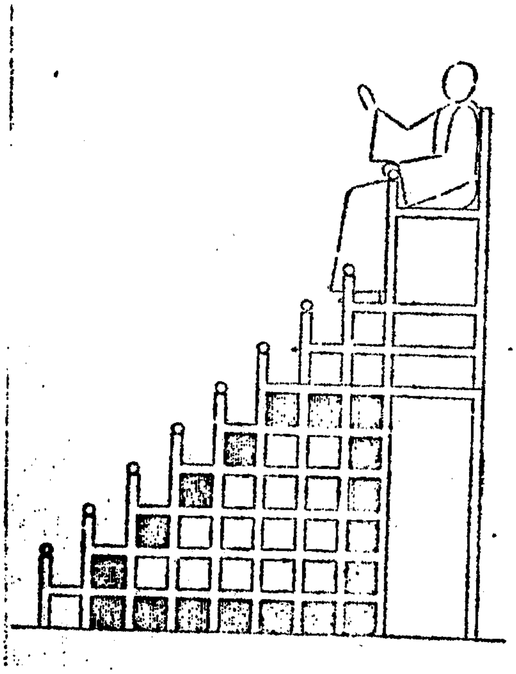

شكل (٤١)

رسم تخطيطى للمنبر النبوى بعد زيادة معاوية أبن أبو سفيان عدد درجاته

(عن سوفاجيــه)

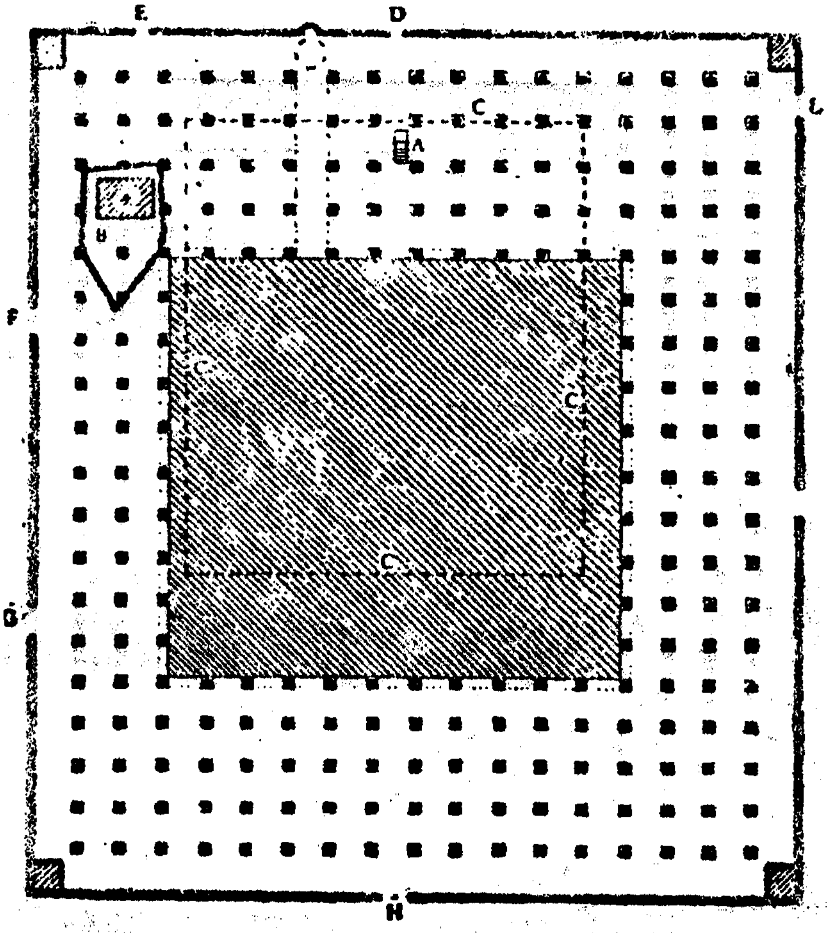

شكل (٤٣)

رسم تخطيطي للمسجد النبوي بعد زيادة الوليد بن عبد الملك

(من اعداد سوفاجيه)

فيه يظهر المجاز المؤدى الى المحراب العثماني ، ويلاحظ عليه ضيق المجاز بسبب حرصهم على المحافظة على مواقع الاسطوانات التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

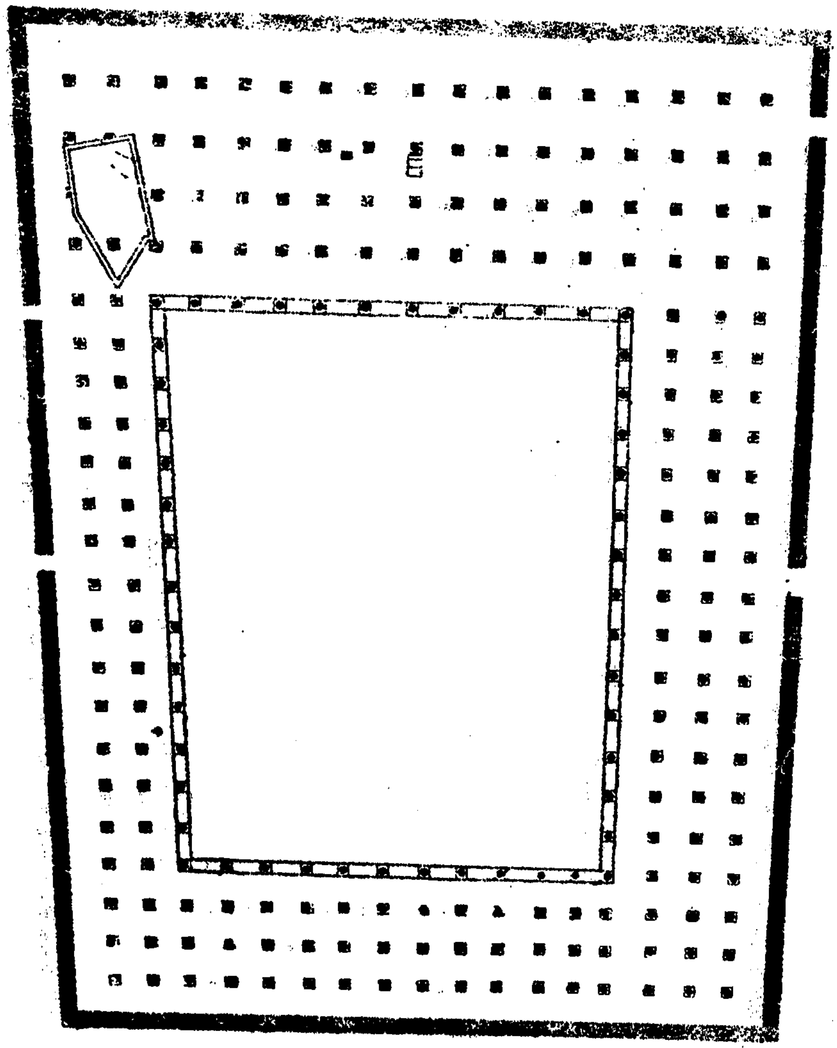

شكل (٤٤)

المسجد النبوى بعد عمارة الوليد بن عبد الملك

(عن أحمد فكرى)

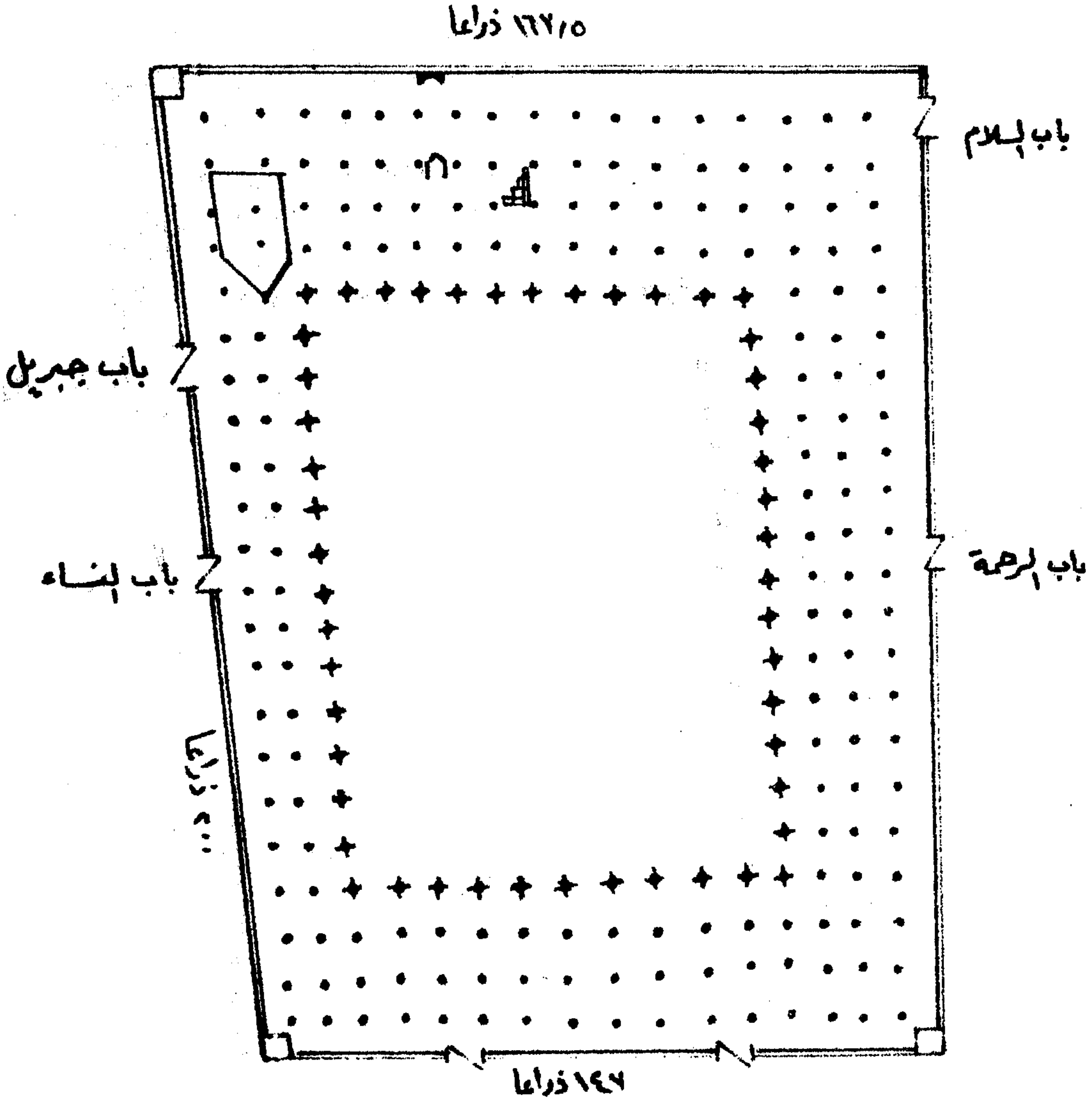

شكل (٤٥)

مخطط المسجد النبوي بعد عمارة الوليد بن عبد الملك ويه تظهر أبواب المسجد الستة ومناراته الثلاث وذلك بعد تدارك الأخطاء التي وقع فيها سوفاجيه وأحمد فكري .

(من عمل الطالب)

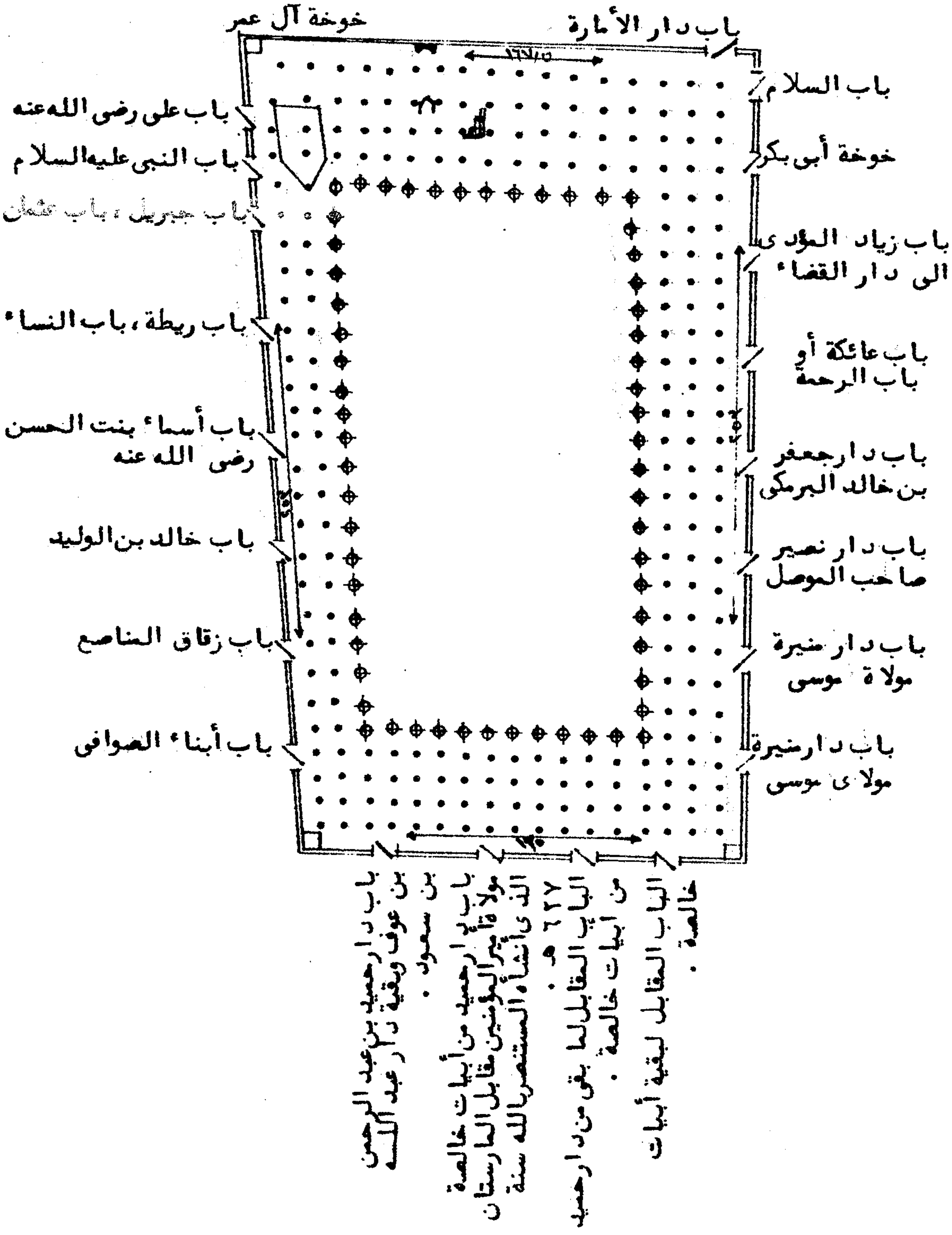

شكل (٤٦)

مخطط المسجد النبوى بعد عمارة المهدى العباسى وبه يظهر موقع منارات المسجد الثلاث وأبواب المسجد وعدد اسطواناته التى بلغت ٢٩٦ اسطوانـــــه . ويلاحظ أنهم لم يتقيدوا فى زيادته بالبعد الحقيقى للاسطوانات فى العمائـــــر السابقة والتى كانت عشرة أذرع عند بعض المؤرخين وتسعة أذرع عند البعض الآخر والا لبلغ طول المسجد من الشمال الى الجنوب حوالى ثلاثمائة ذراع .

(من عمل الطالب)

موضع جهة القياس	ابن زبالة	ابن [illegible] الحربي	ابن رسته	محمد ... الرابع الهجري	ابن جبير	ابن النجار	القرطبي	المطري	المطري	السمهودي	السخاوي	البرزنجي
من الشرق إلى الغرب مما يلي القبلة	ذراع ١٦٥	ذراع ١٦٥	ذراع ١٦٥	ذراع ١٧٠	خطوة ١٢٦	ذراع ١٧٠	ذراع ١٧٠	خطوة ١٢٦	ذراع ٢٠٠	ذراع ١٦٧,٥	ذراع ١٦٥ ، ١٧٠	ذراع ١٧٥
من الشرق إلى الغرب مما يلي الشمال	؟	١٢٠	١٢٠	؟	؟	؟	١٢٥ وثلاث اصابع	؟	؟	١٢٥	١٢٠ ، ١٢٥	١٢٥
من الجنوب إلى الشمال في الشرق والغرب	٢٤٠	٢٤٠	٢٤٠	٢٧٠	١٩٦	٢٥٤ واربع اصابع	٢٥٤ واربع اصابع	١٩٦	٢٠٠	٢٥٢	٢٥٤ واصابع	٢٥٥
أسم المصدر	وفاء الوفا للسمهودي ، ج٢ ص ٦٨٤ .	كتاب المناسك ، ص ٣٨٣ .	الأعلاق النفيسة ، ص ٧٥	رسالة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، مجلة العرب السنة الثانية ه ١٢٨٧/١٩٦٧م ص ٢٥٠	رحلة ابن جبير ، ص ١٨٧	الدرة الثمينة ، ص ١٨٠	بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة المختار ، ص ٣٦	تابع للمراغي في تحقيق النصرة ، ج١ ص ٣٨٧ .		وفاء الوفا ، ج٢ ص ٥١٩ ، ٦٨٤	التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ، ج١ ص ٤٦	نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين ، ص ١٤

شكل (٤٧)

جدول يبين اختلاف ذرع المسجد النبوي في عمارة المهدي العباسي عند المؤرخين

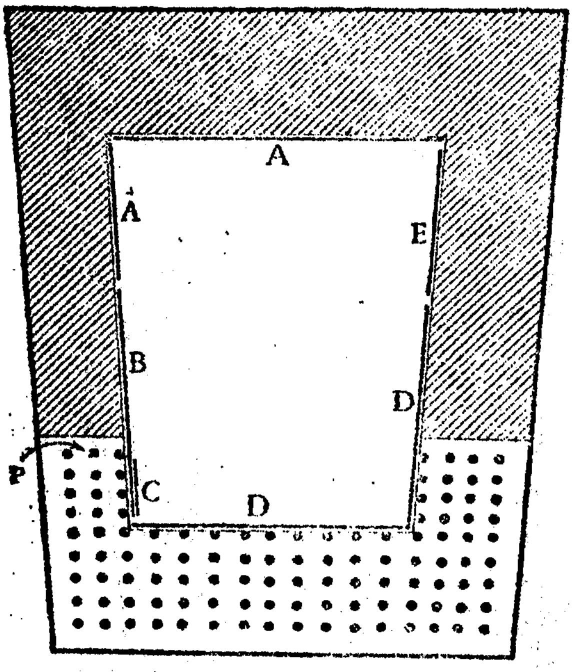

شكل (٨٤)

مخطط لموقع النصوص من صحن المسجد النبوي بعد عمارة المهـــــــدي

(عن سوفاجيه)

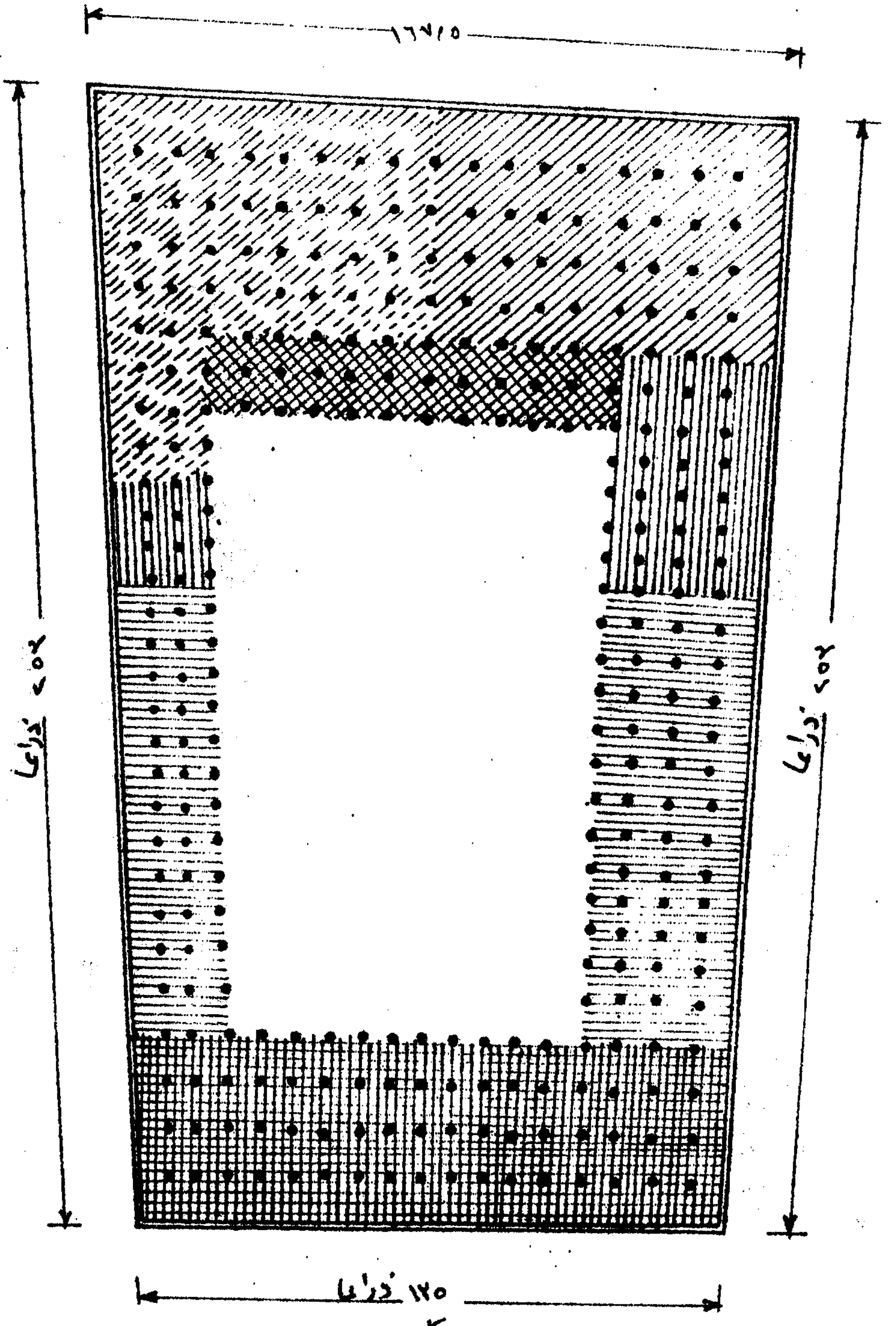

شكل (٤٩)

رسم يبين مراحل تجديد سقف المسجد النبوي بعد الحريق الأول حتى أواخر دولة المماليك البحرية

(من عمل الطالب)

- عمارة الظاهر بيبرس بسقف واحد
- عمارة الظاهر بيبرس بسقفين
- العمارة المصرية اليمنية
- البلاطتان اللتان أضافهما الملك الناصر محمد بن قلاوون
- عمارة السلطان سيف الدين قطز
- عمارة الخليفة العباسي

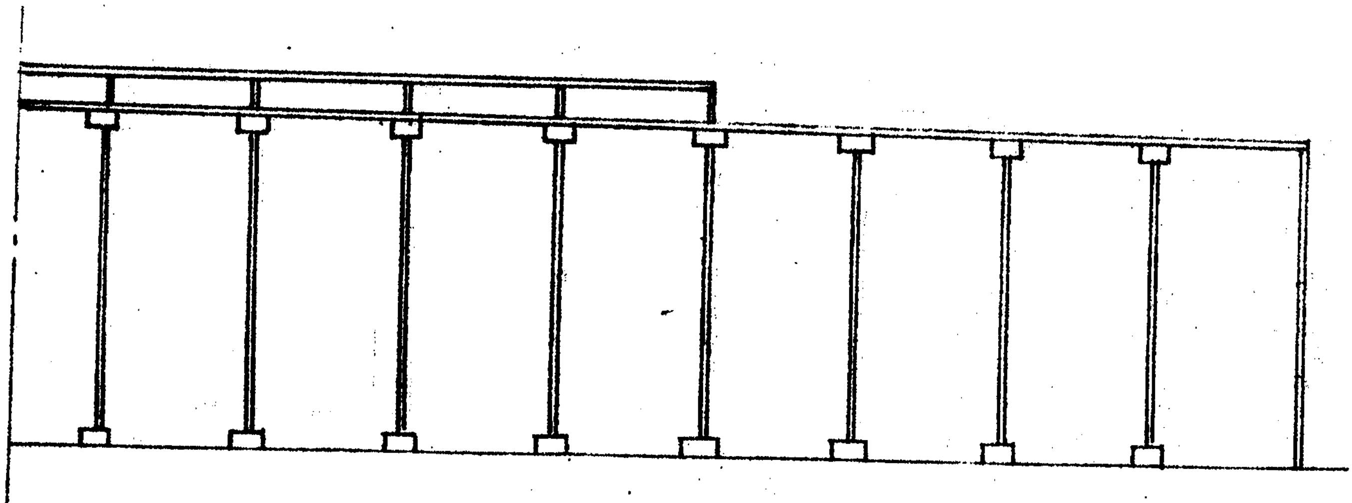

نموذج أ

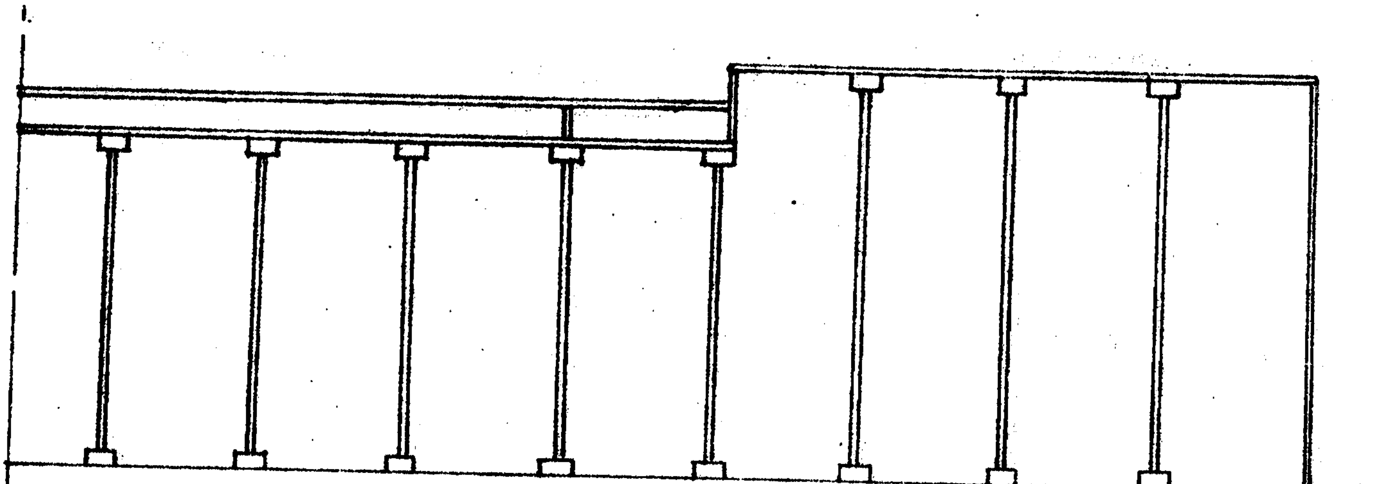

نموذج ب

شكل (٥٠)

مقطع يبين حالة سقف مؤخرة المسجد التي عمرها الظاهر بيبرس بسقف واحد خلافا لما كانت عليه مجنبات المسجد الأخرى ، فاذا كان سقف مؤخرة المسجد في مستوى السقف السفلي للمجنبتين فان السقف العلوي للمجنبتين سيرتفع كما في النموذج "أ" والعكس كما في النموذج "ب" .

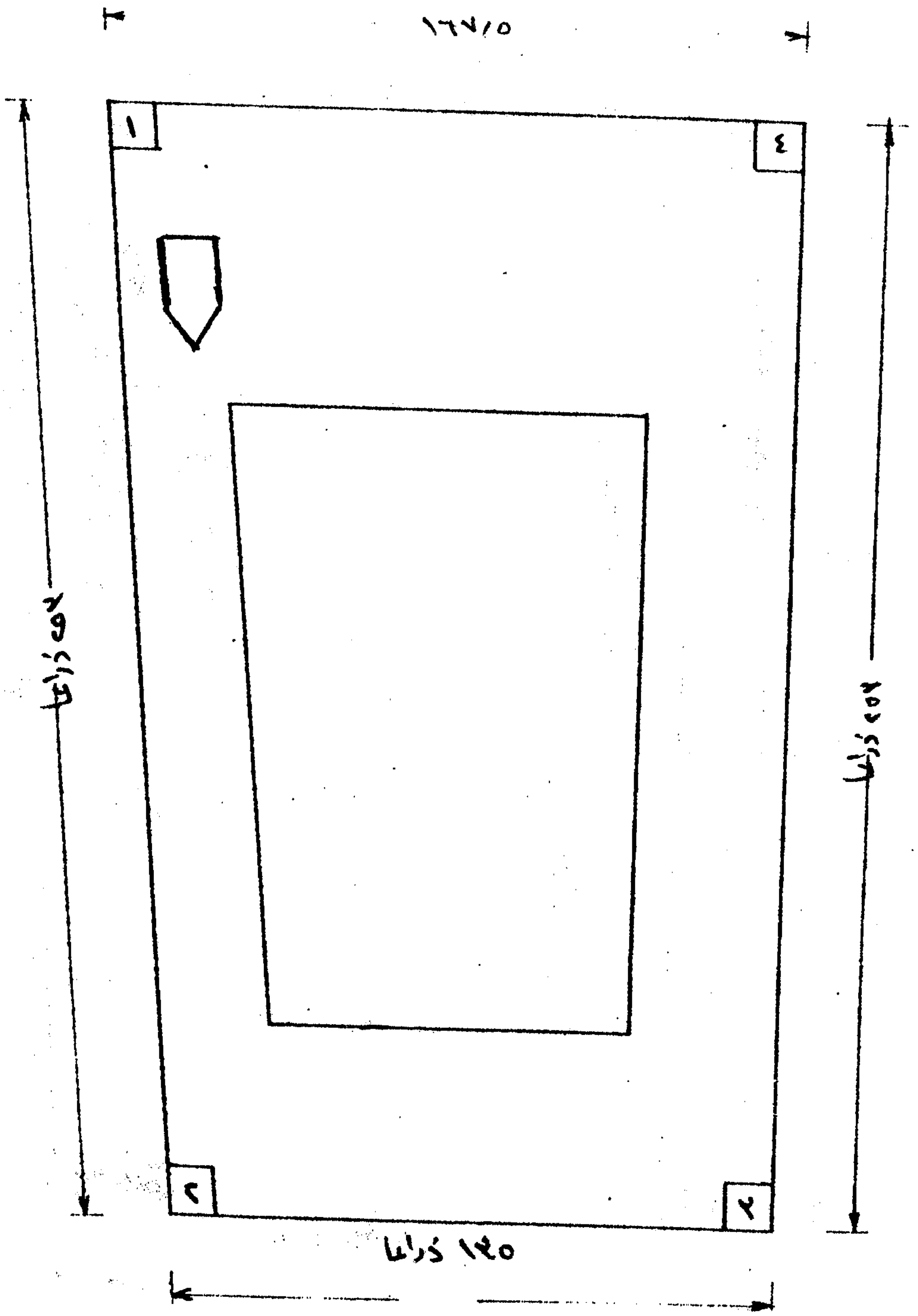

شكل (٥١)

مسقط يبين مواقع منارات المسجد النبوى فى عهد المماليك البحرية وأطوالها

(من عمل الطالب)

١ - المنارة الرئيسية ٧٧ ذراعا
٢ - المنارة السنجارية ٧٩ ذراعا
٣ - المنارة الخشبية ٧٢ ذراعا
٤ - منارة باب السلام التى أقيمت سنة ٧٠٦ هـ وطولها ٩٥ ذراعا

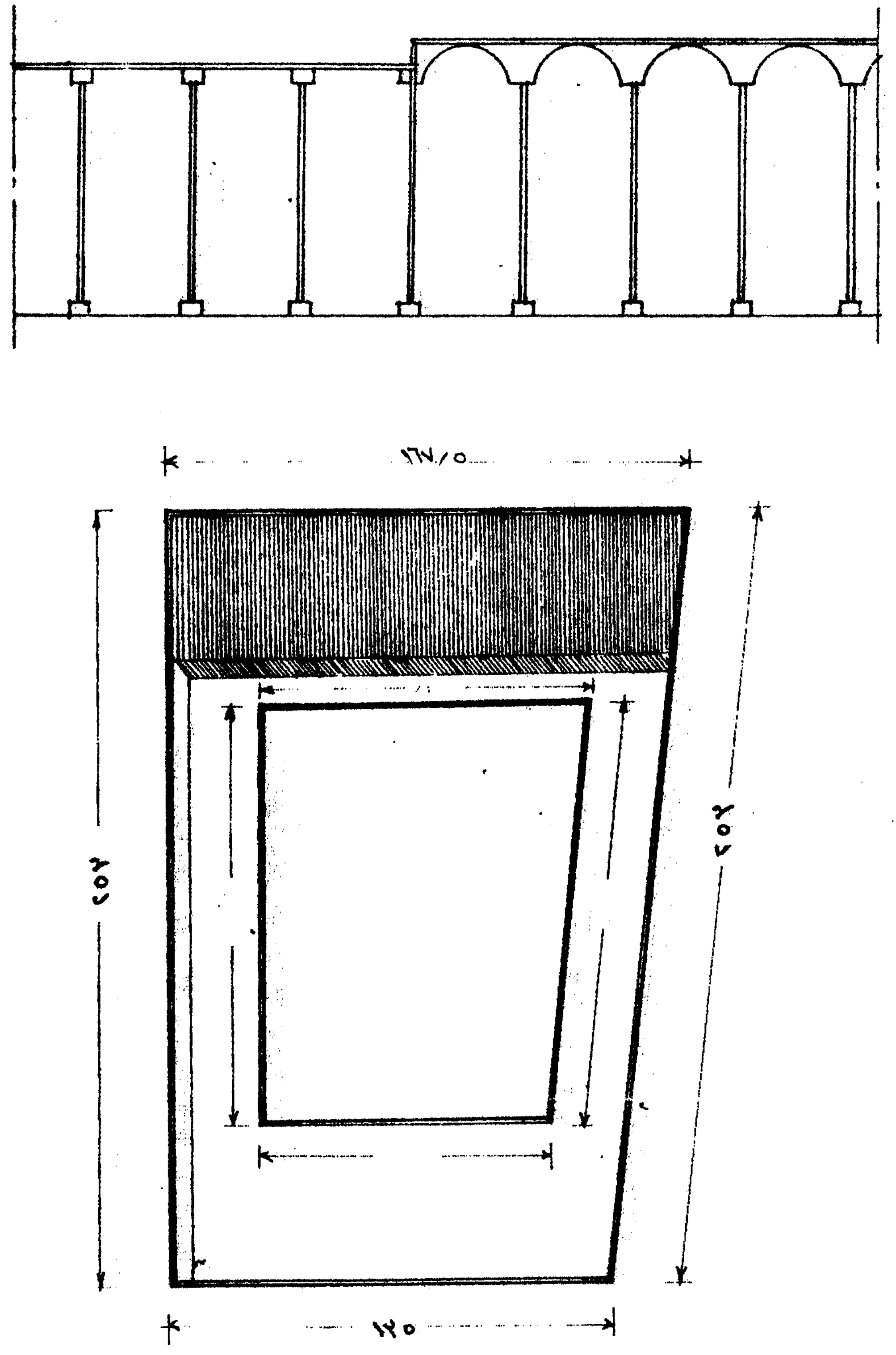

شكل (٥٢)

رسم يوضح الجزء المرتفع من سقف مقدم المسجد النبوى بعد اضافة الناصر محمد بلاطتى مقدم المسجد

(من عمل الطالب)

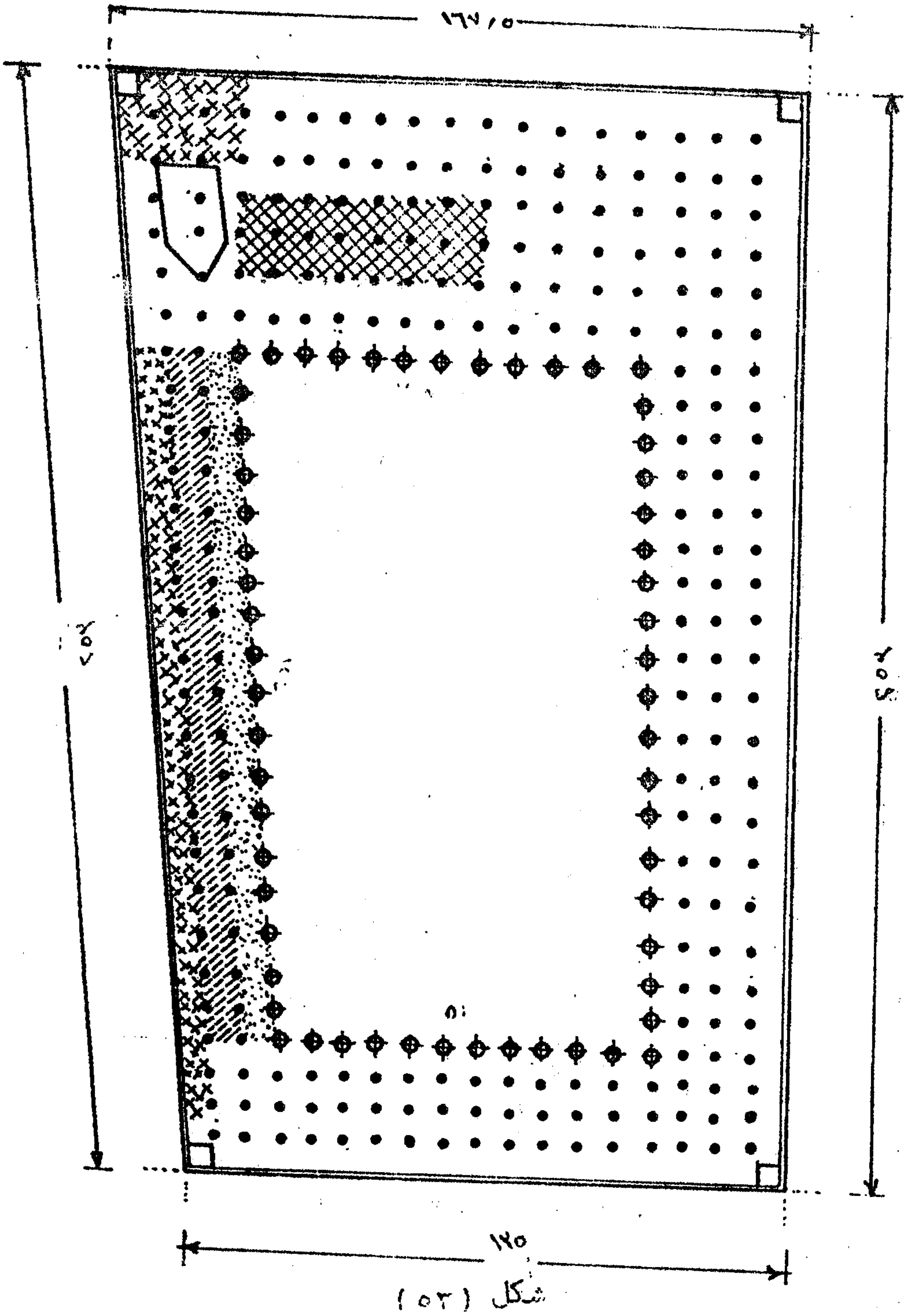

شكل (٥٣)

المراحل التي سارت عليها عمارة قايتباي الأولى ٨٧٩ - ٨٨١ هـ

(من عمل الطالب)

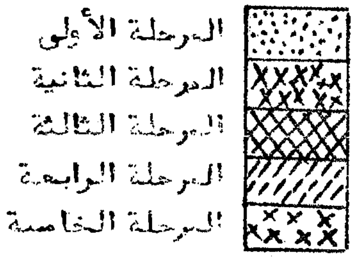

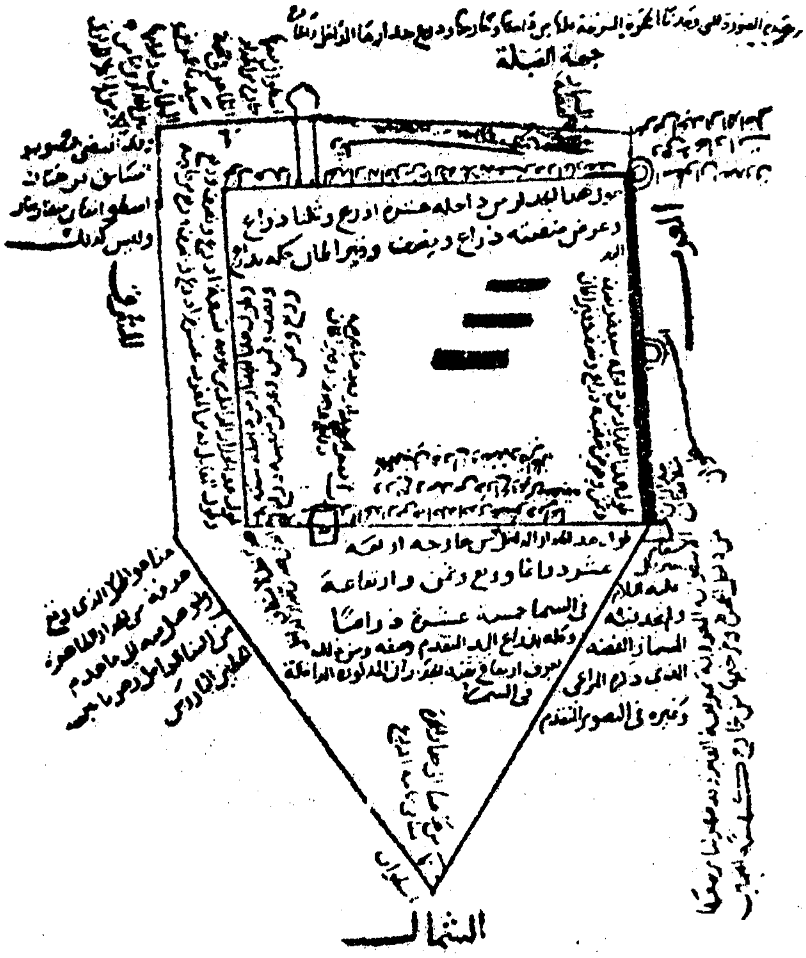

شكل (٥٤)

الحجرة الشريفة كما رسمها السمهودي في وفاء الوفا جـ ٢، ص ٥٦٦، بعد مشاهدته لها وذرعه أبعادها في عمارة قايتباي الأولى سنة ٨٨١ هـ.

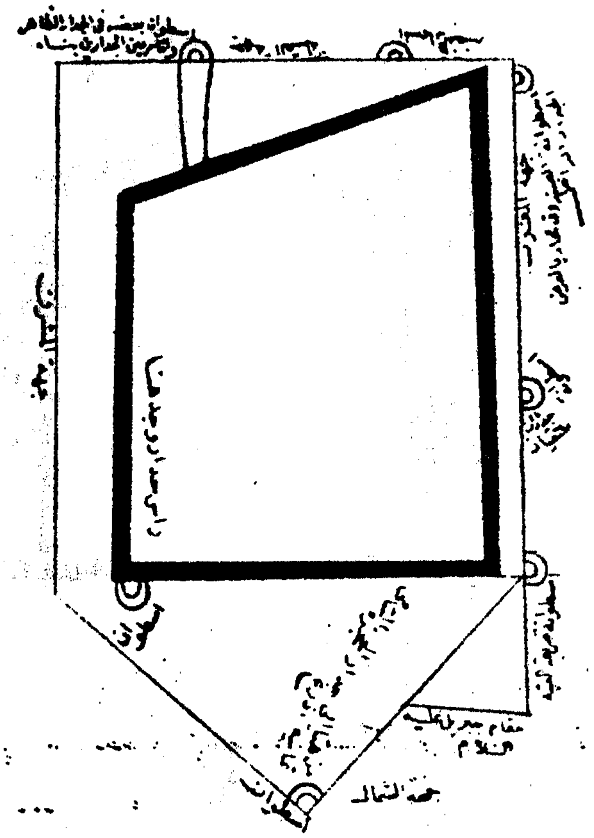

شكل (٥٥)

الحجرة الشريفة كما شاهدها السمهودى عند انكشافها فى عمارة قايتباى الأولى سنة ٨٨١ هـ . خلاصة الوفاء ، ص ٢٠٢ .

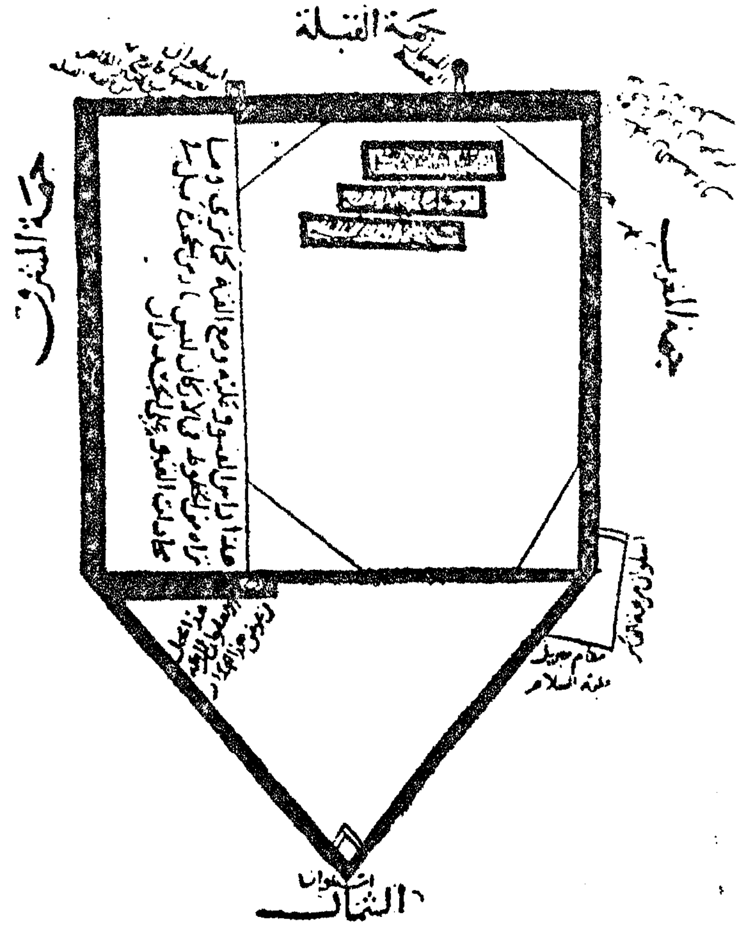

عن وفاء الوفا ، ج١ ص٦٣٢

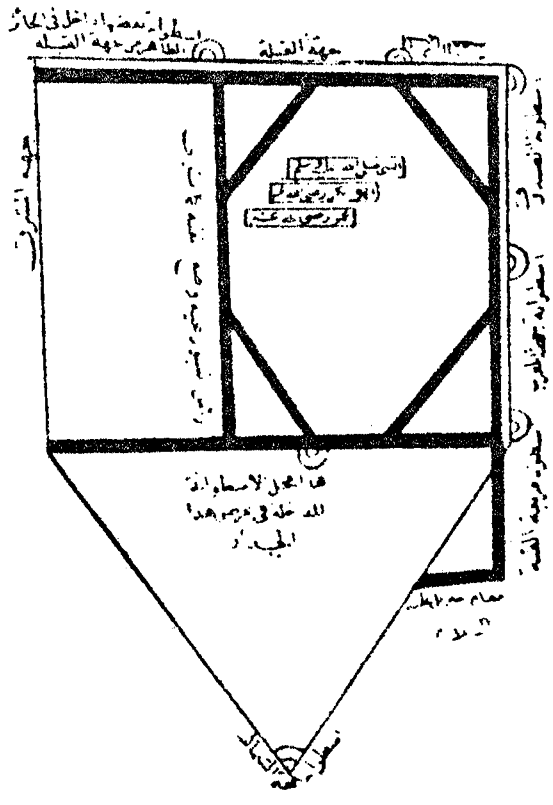

عن خلاصة الوفا ، ص٢١٢

شكل (٥٦)

هاتان الصورتان تمثلان الوضع الذي استقر عليه بناء الحجرة الشريفة الى الوقت الحاضر .

(عن السمهودي)

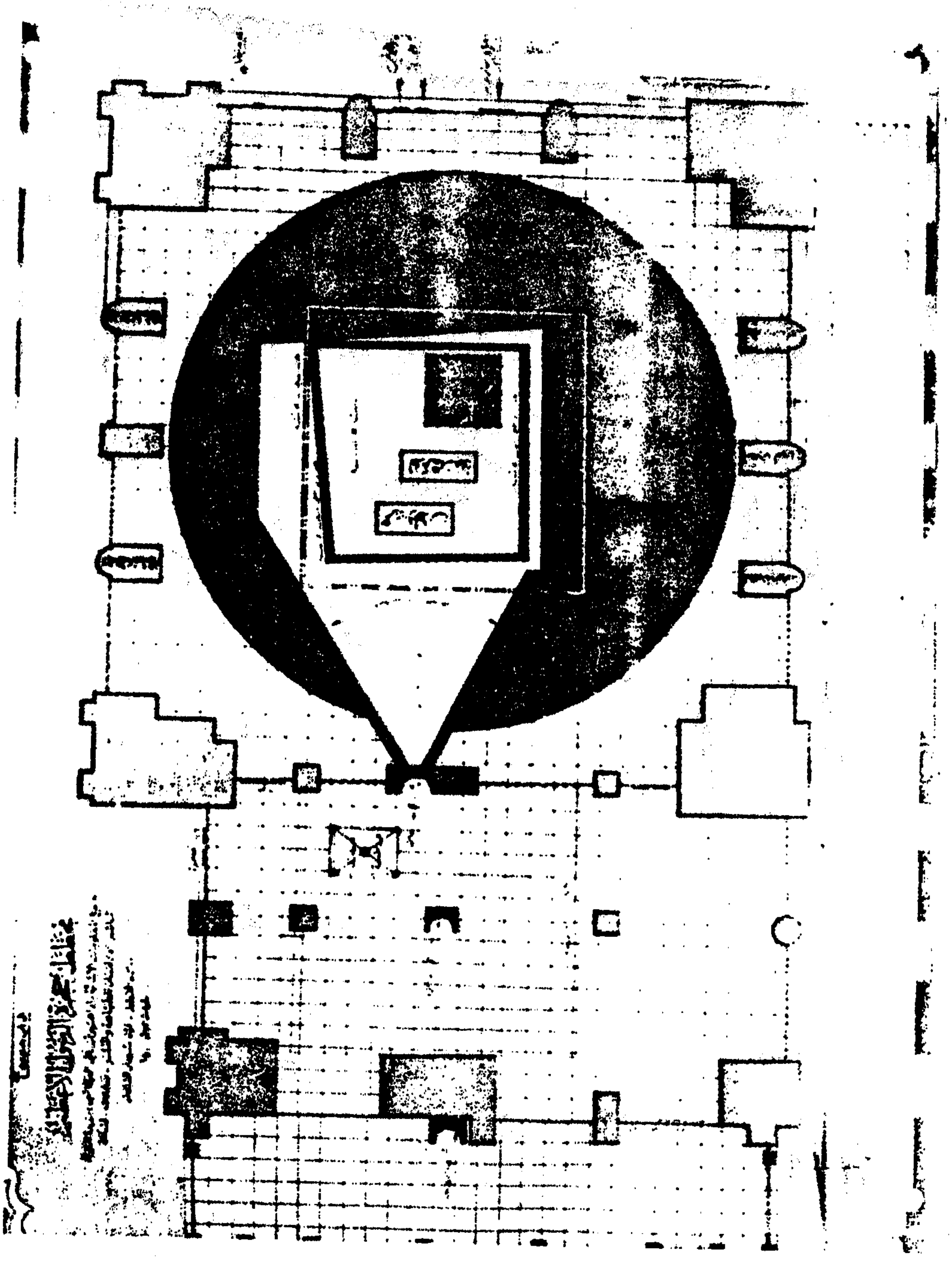

لوحة (٥٧)

صورة مخطط الحجرة الشريفة بوضعها الحالي وهي الحالة التي كانت عليها بعد عمارة الأشرف قايتباي لها سنة ٨٨٧ هـ .

(عن ابراهيم العياشي)

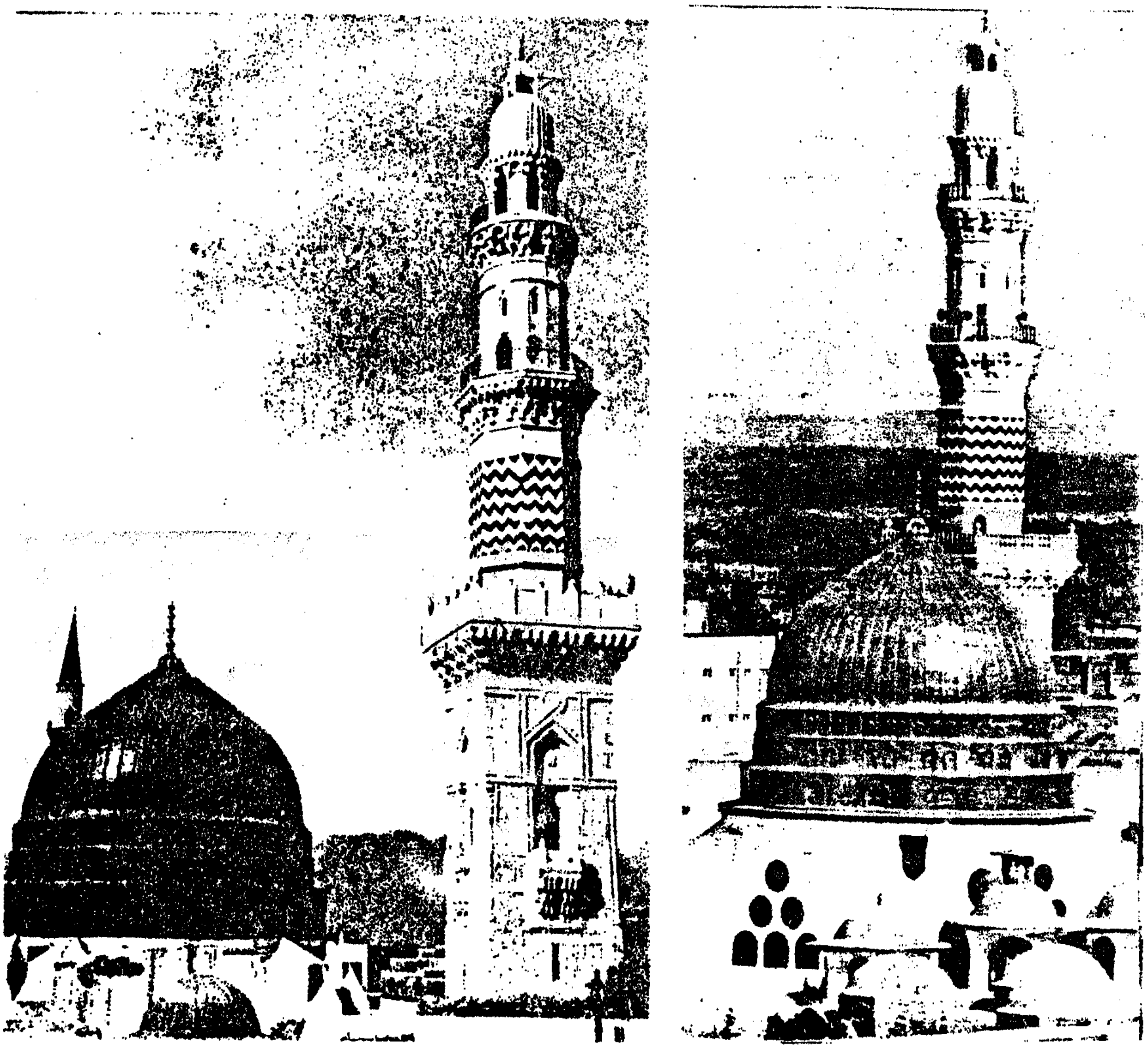

لوحة (٢٨)

تمثل هاتان الصورتان المنارة الرئيسية في زمنين مختلفين والصورة اليسرى نقلتها من مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٥٥ . وبعقد مقارنة بين شرافات الشرفة الأولى في الصورتين يتبين أنه حدث بها تحسينات في العهد السعودي وهو ما يظهر واضحا في الصورة الملونة .

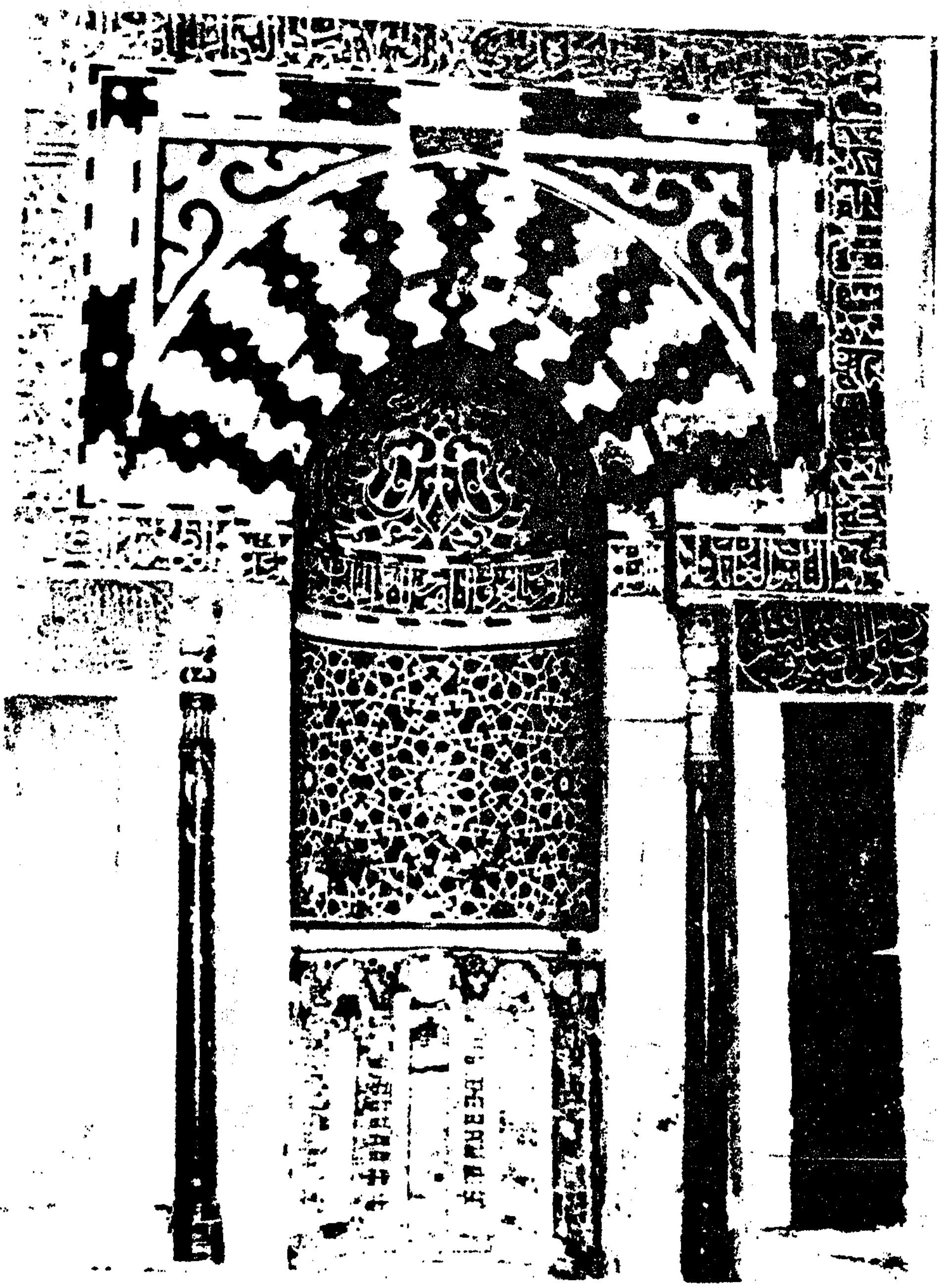

لوحة (٥٩)

صورة المحراب النبوي وفيها يبدو جمال التقسيمات الرخامية والكتابات البديعة التي تحلي المحراب منذ جدده الأشرف قايتباي في العمارة الثانية التي تمت سنة ٨٨٨ هـ .

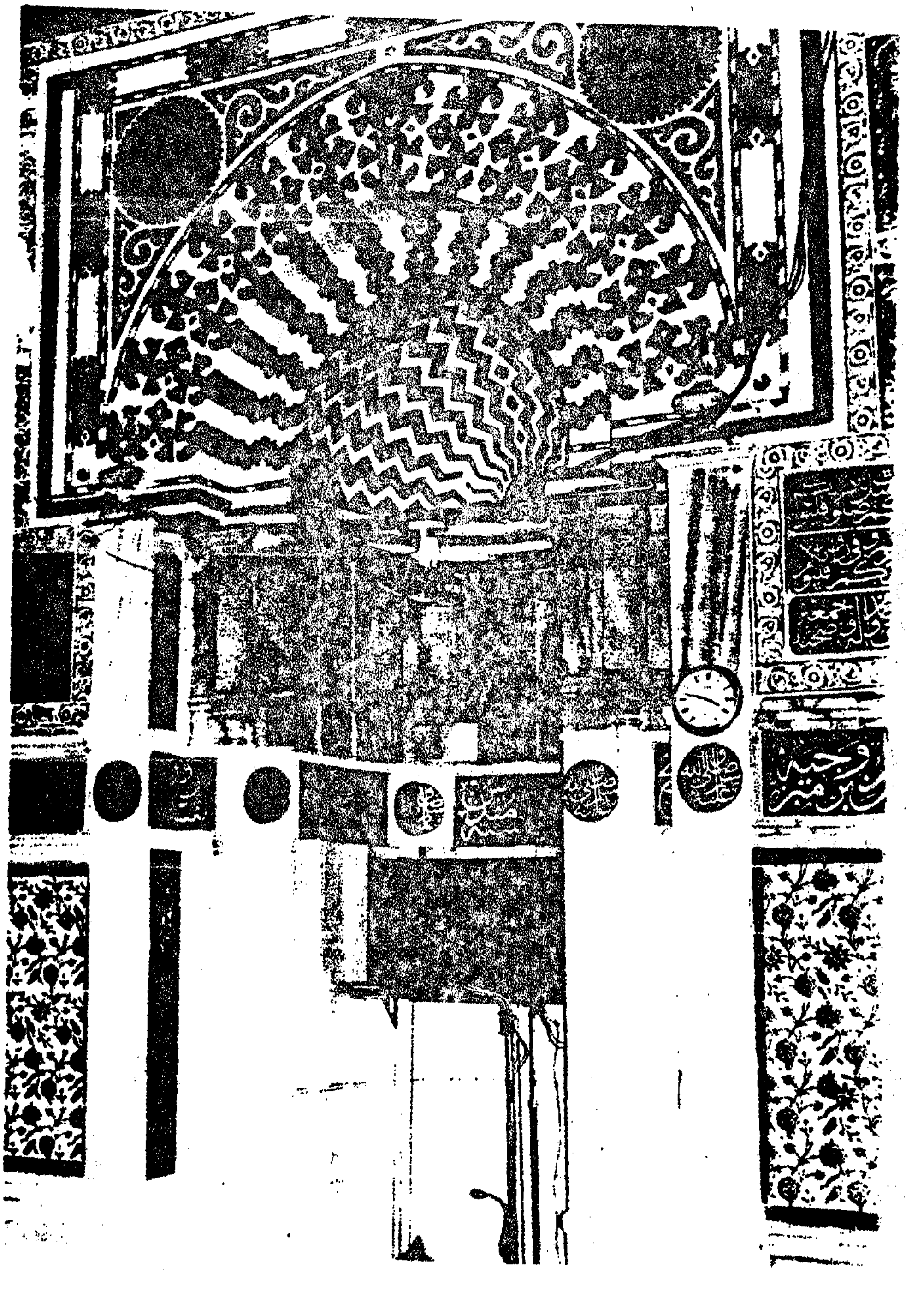

لوحة (٦٠)

صورة المحراب العثماني وبه تبدو الزخرفة المملوكية التي لا يزال يحتفظ بها من عهد عمارة الأشرف قايتباي له سنة ٨٨٨ هـ .

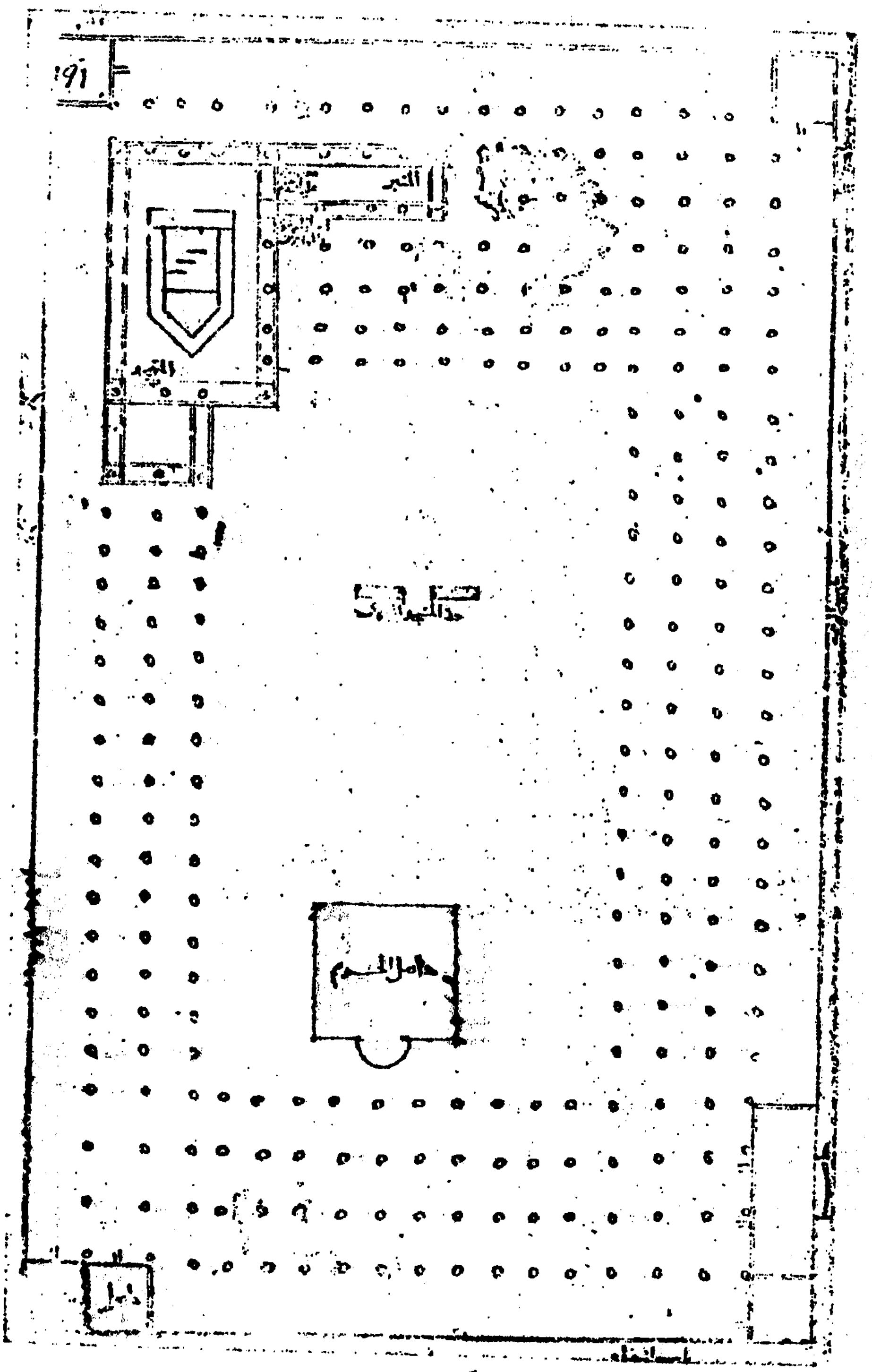

شكل (٦١)

صورة مخطط للمسجد النبوى فى القرن التاسع نقلها سوفاجيه عن مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس لمؤلف مجهول برقم ٦٥٦٥ / عربى وهى توضح وضع المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية وما به من حواصل .

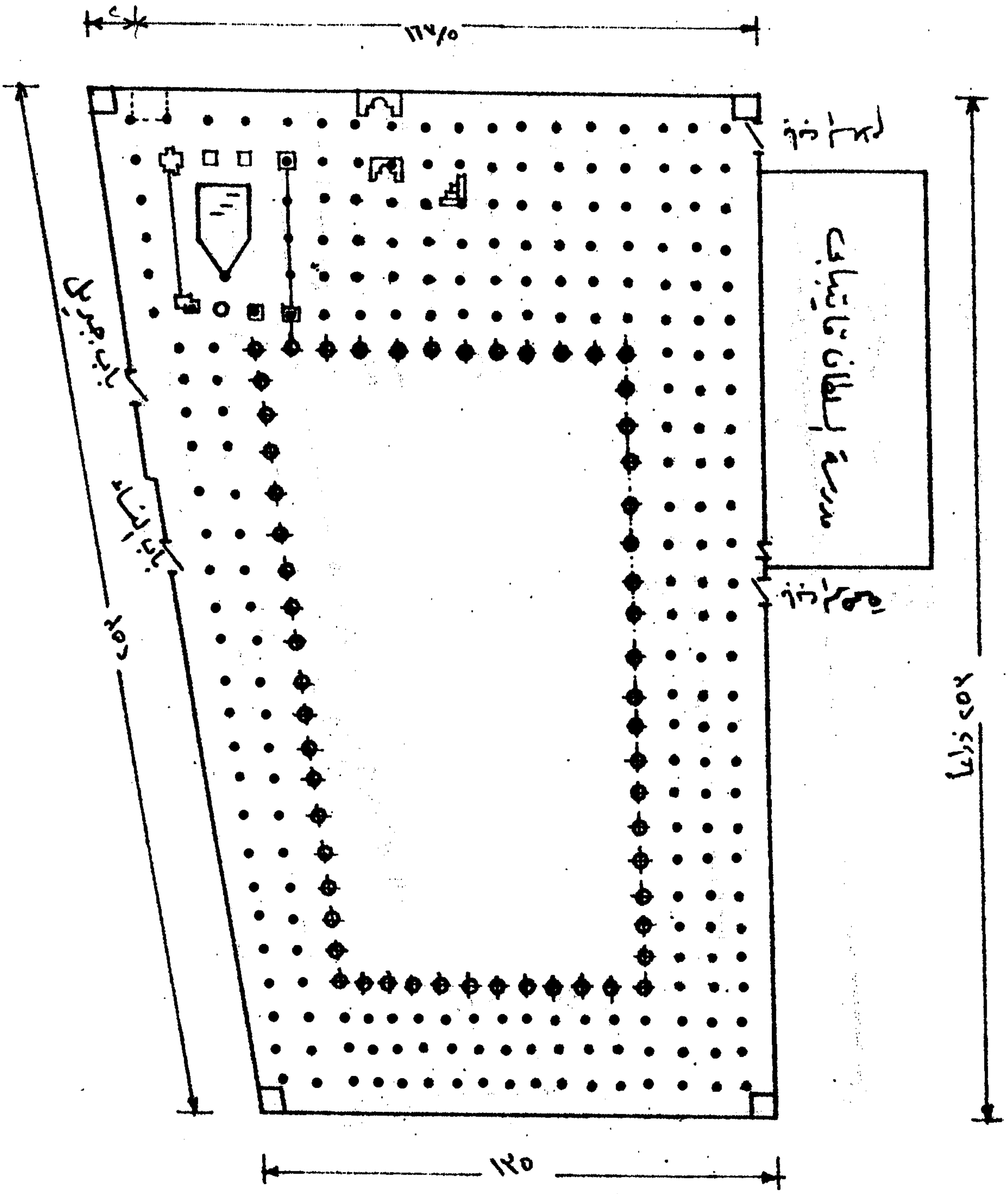

شكل (٦٢)
مسقط يبين حالة المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى الثانية

(من عمل الطالب)

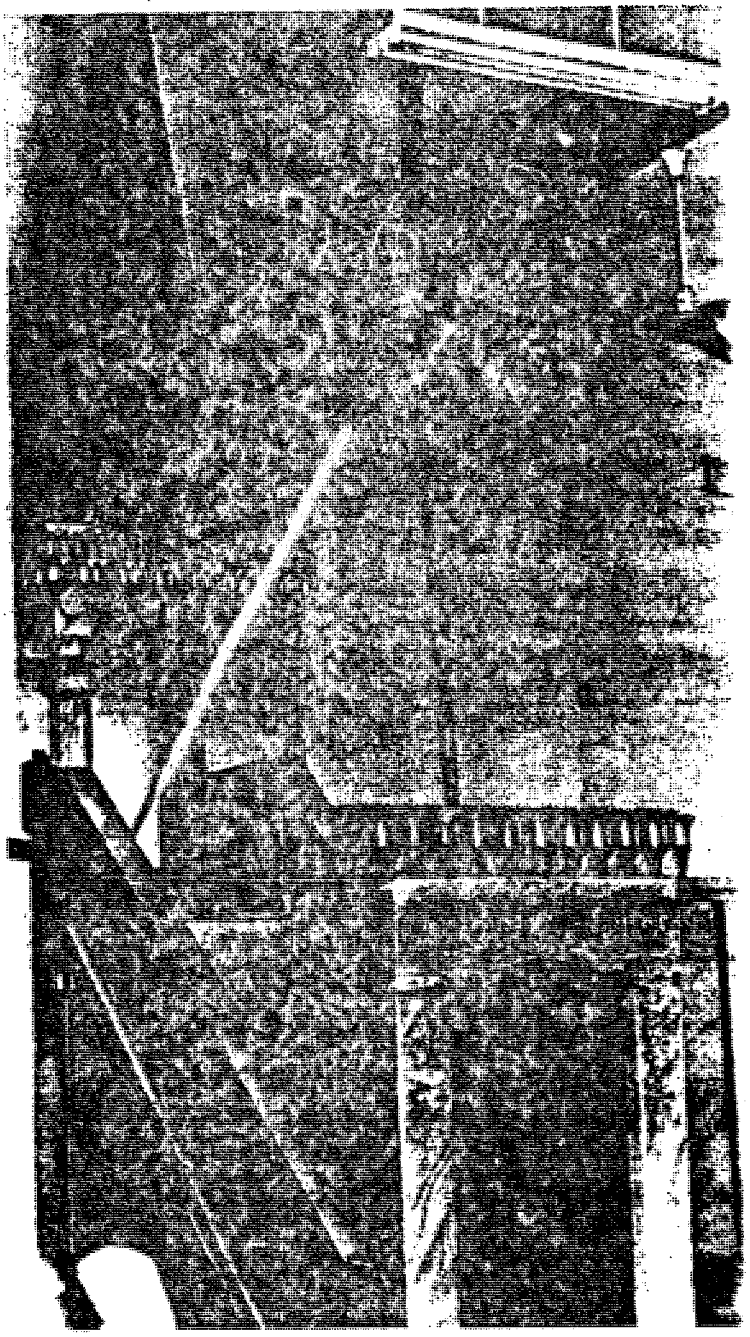

لوحة (٦٣)

صورة منبر مسجد قباء الذى أرسله الأشرف قايتباى سنة ٨٨٨ هـ الى المسجد النبوى ثم نقل الى مسجد قباء بعد ارسال السلطان مراد للمنبر الموجود حاليا فى المسجد النبوى سنة ٩٩٨ هـ .

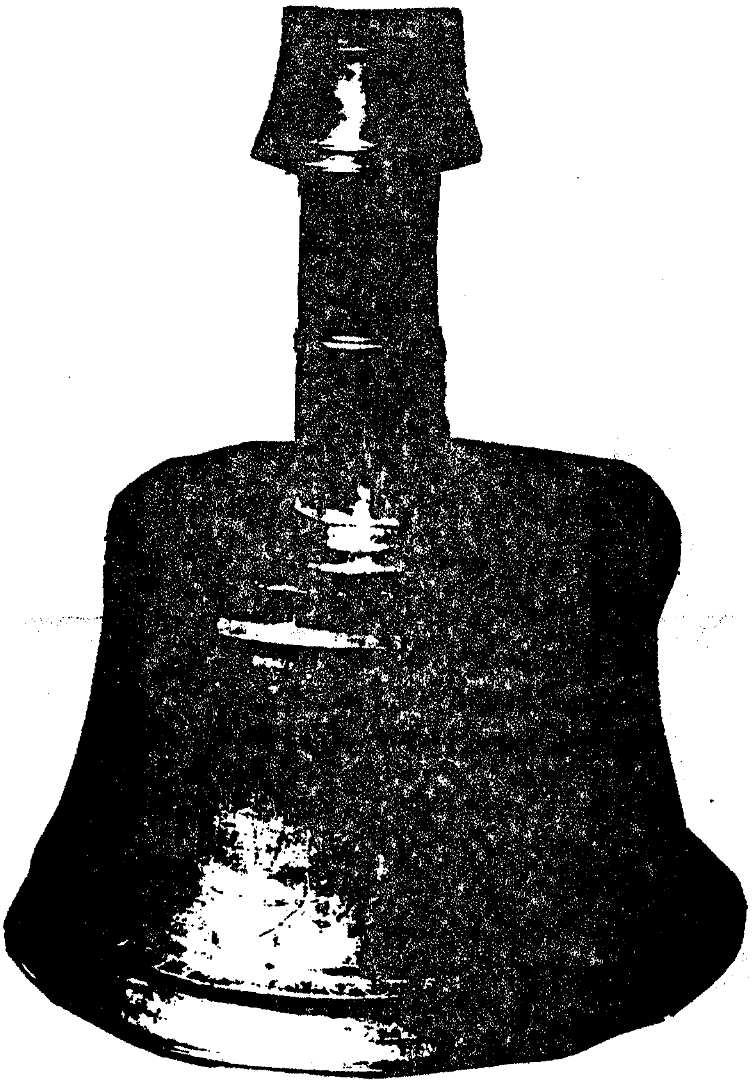

(لوحة ٦٤)

شمعدان الأمير جانى بك الموقوف على الحرم النبوى الشريف فيما بين سنة ٨٠١ - ٨٠٨ هـ .

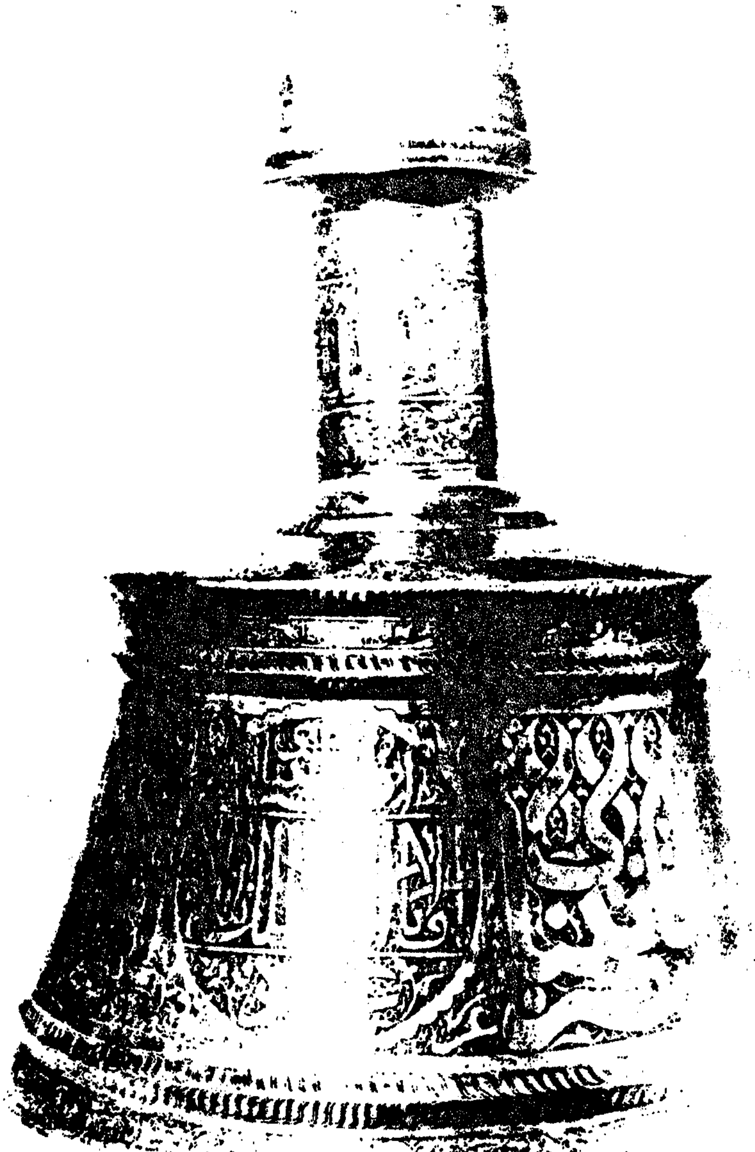

لوحة (٦٥)

شمعدان الأشرف قايتباى الموقوف على الحجرة الشريفة بتاريخ شهر رمضان سنة ٨٨٨هـ

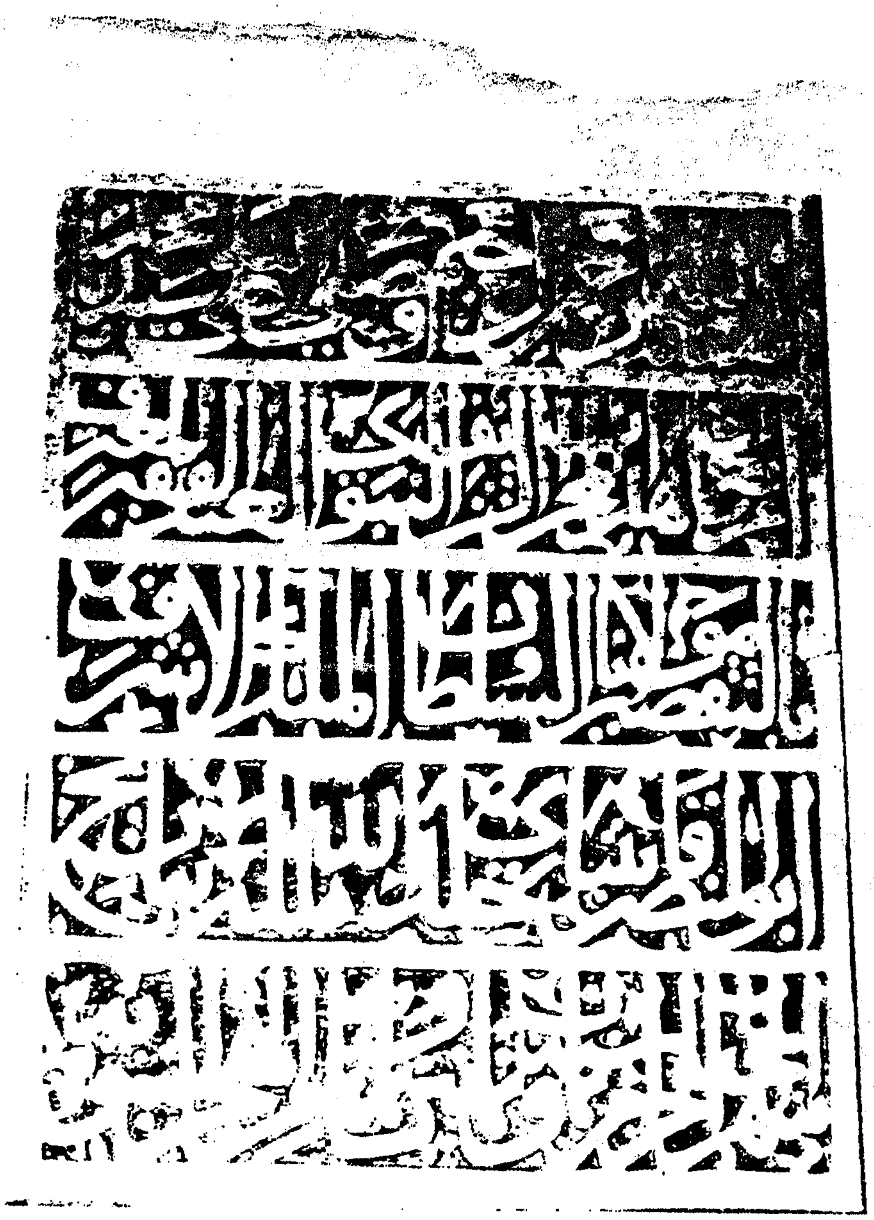

لوحة (٦٦)

صورة النقش الموجود خلف المحراب النبوى فى لوح رخام بطول

٦٦ × ٨٨ سم

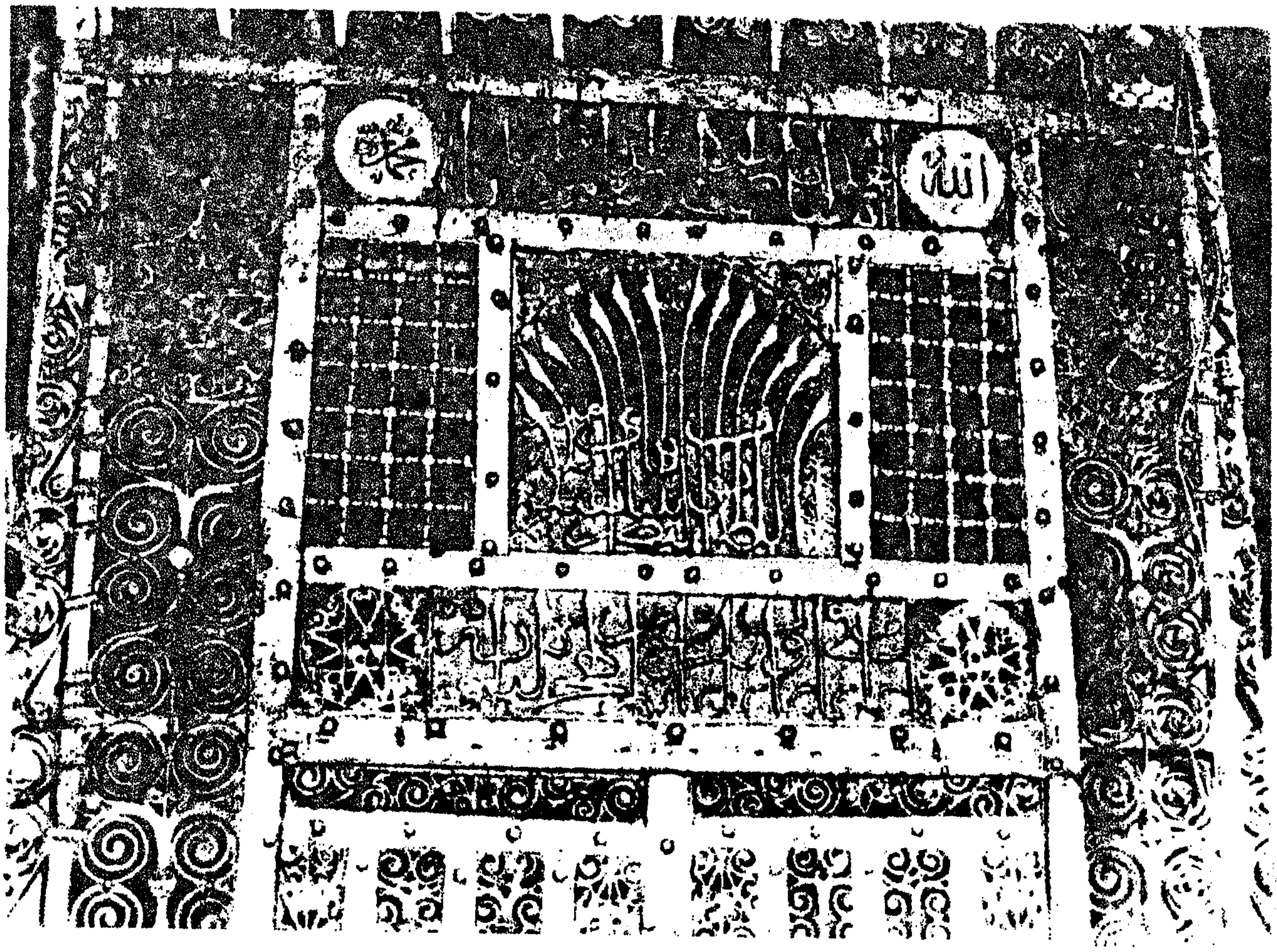

لوحة (٦٧)

صورة النقش الموجود بأصل شباك الحجرة الشريفة المطل على الروضة الشريفة

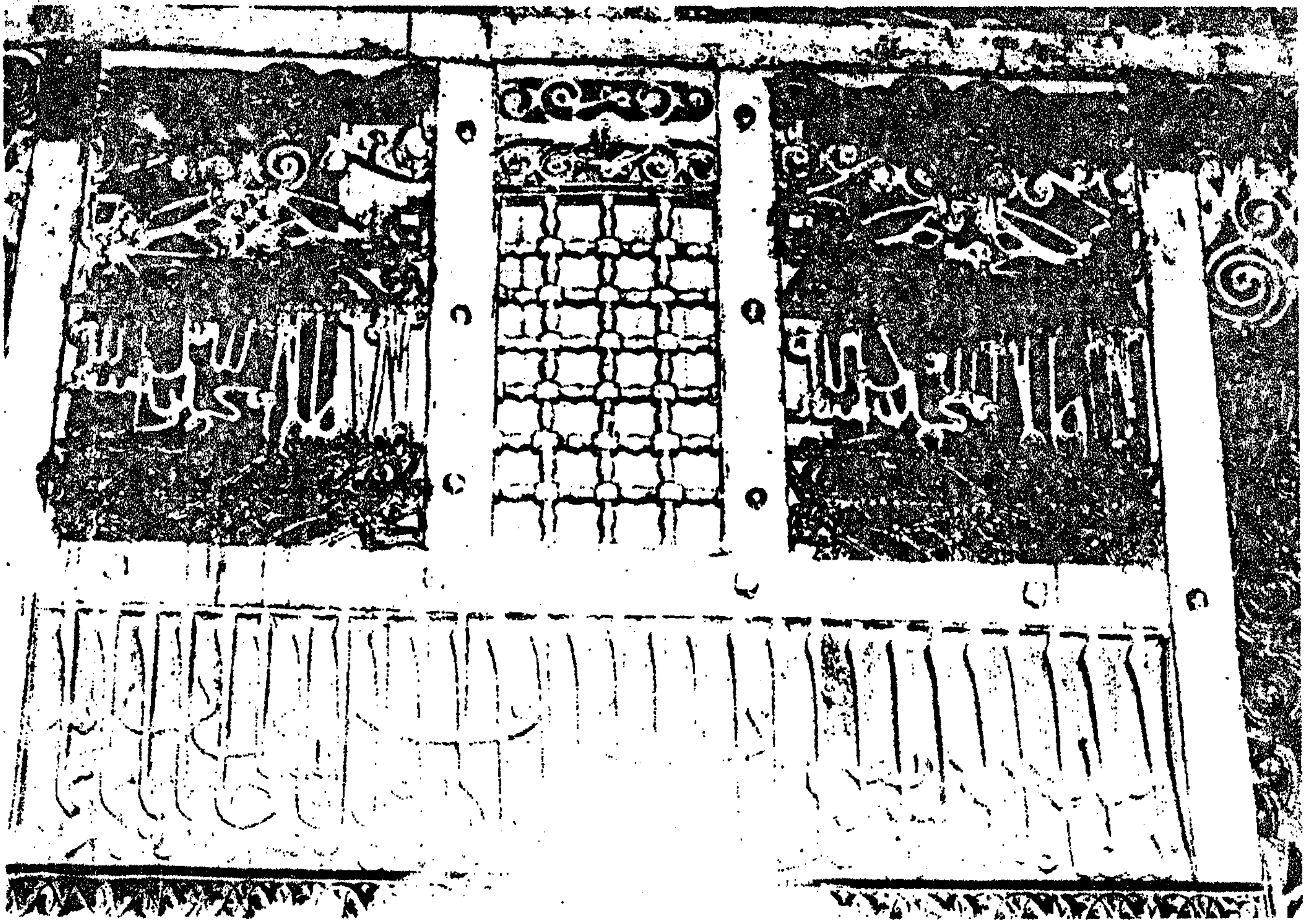

لوحة (٦٨)
صورة النقش الموجود بأصل شباك الحجرة الشريفة الشمالي المطل على دكة الأغوات

لوحة (٦٩)

صورة النقش الموجود خلف المحراب السليمانى فى لوح رخامى بطول ٧٢×٦٦سم
والمؤرخ خطأ فى سنـــــة ٩٠٨ هـ